الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية
(الفن .الدين .اللغة والفكر)
خلال الألف الأولى قبل الميلاد 1000 . 64ق.م

رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالبة
رفاه محمد تحسين البوشي الدباغ
إشراف
الأستاذ الدكتور
خليل سارة

1438هـ/2017م

قائمة المحتويات

مقدمة	1
الفصل الأول التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ودورهما الحضاري	7
تمهيد	10
أولاً: التعريف بالحضارة الفينيقية	10
1. الفينيقيون وأصل التسمية	11
2. الموقع الجغرافي للساحل الفينيقي	15
ثانياً: دوافع الانتشار الفينيقي في حوض البحر المتوسط	17
1. الدوافع السياسية	17
2. الدوافع الاقتصادية	19
3. الدوافع الاجتماعية	20
4. تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف	20
ثالثاً: أهم المدن الفينيقية ودورها في التفاعل الحضاري	22
1. أهم المدن في شرقي البحر المتوسط	22
آ. أرواد	22
ب. صيدا	23
ج. صور	25
د. جبيل	26
2. أهم المستوطنات في غربي البحر المتوسط	31
آ. أوتيكا	32
ب. قرطاج	34
رابعاً: التعريف بالحضارة الإغريقية	37
1. الإغريق وأصل التسمية	38
2. الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق القارية	40

آ .سلسلة الجبال الإغريقية	41
ب .الاختصاص الجغرافي وفقر التربة الزراعية	42
ج .أثر البيئة الجغرافية في تكوين المواطن الإغريقي	44
3.الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق الساحلية	45
آ .جغرافية حوض البحر المتوسط	45
ب .أثر بحر إيجة ودوره في التفاعل الحضاري	48
خامساً : دوافع الانتشار الإغريقي في حوض البحر المتوسط	50
1.الدوافع السياسية	51
2.الدوافع الاقتصادية	52
3.الدوافع الاجتماعية	53
4.تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف	54
سادساً : أهم المستعمرات الإغريقية ودورها في التفاعل الحضاري	55
1.بيزنطيوم	55
2،قورينة	58
3.نقراطيس	61
4.سيراكوزة	65
سابعاً : النتائج العامة	69
الفصل الثـانـي التأثيرات الفنية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية	70
تمهيد	72
أولاً : الفن الفينيقي	74
ثانياً : الفن الإغريقي	76
ثالثاً : التأثير المتبادل في المجالات الفنية بين الفينيقيين والإغريق	82

1.الفن الجنائزي	82
2.فن صناعة الأقنعة	85
3.فن صناعة الأرجوان	87
4.فن صناعة الزجاج	90
5.فن صناعة الفخار (الخزف)	93
6.فن صناعة المعادن (التعدين)	98
7.فن صناعة النقود	101
8.فن صناعة السفن	106
9.فن صناعة الحلي	108
10.فن البناء	111
آ.العمارة الفينيقية	111
ب.العمارة الإغريقية	113
ج.بناء المدن في العصر الهلينستي	118
رابعاً: النتائج العامة	121
الفصل الثالث التأثيرات الدينية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية	124
تمهيد	125
أولاً: الديانة الفينيقية	126
ثانياً: الديانة الإغريقية	131
1.ديانة الأسرار أوالأسلاف	132
2.آلهة الطبيعة المادية	136
ثالثاً: عوامل انتقال التأثيرات الدينية بين الفينيقيين والإغريق	142
1.عامل الهجرة والتجارة	142
آ.التوسع الاقتصادي والتجاري	142

ب .الاختلاط من خلال إقامة المستوطنات	142
2. عامل العبيد	144
3.العامل العسكري	145
رابعاً : الآلهة الفينيقية عند الإغريق	145
1.أدونيس	146
2. عشتارت (أفروديت)	148
3.ديونيسيوس	150
4.ملقارت	151
5.بوسيدون	154
6.هيفايستوس	156
خامساً : الآلهة الإغريقية عند الفينيقيين	157
1.ديميتر	157
2.كوري (برسيفوني)	159
سادساً : الأعياد الدينية المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق	160
1.الأعياد الفينيقية الدينية عند الإغريق	161
آ .أعياد أدونيس	161
ب .أعياد ملقارت	164
2.الأعياد الإغريقية الدينية عند الفينيقيين	164
سابعاً: الميثولوجيا الفينيقية وتأثيرها على الميثولوجيا الإغريقية	165
ثامناً: التأثيرات المتبادلة في معتقدات الموت بين الفينيقيين والإغريق	172
1.معتقدات الموت عند الفينيقيين	172
2.معتقدات الموت عند الإغريق	175
3– معتقدات الموت المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق	177

آ– الإليوسية	179
ب. الديونيسية	181
تاسعاً: النتائج العامة	183
الفصل الرابع التأثيرات اللغوية والفكرية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية	185
تمهيد	186
أولاً : المجالات اللغوية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية	188
1. الأبجدية الفينيقية	188
2. نشأة الأبجدية الفينيقية	190
3. نتائج اكتشاف الأبجدية	192
4. تطور الأبجدية الفينيقية	193
5. اللغة الفينيقية	194
6. أصوات اللغة الفينيقية	195
7. انتقال الأبجدية الفينيقية إلى بلاد الإغريق	196
8. التعديلات الإغريقية على الأبجدية الفينيقية	198
ثانياً : التأثير المتبادل في مجال الجغرافية وعلم الفلك	203
1. الفكر الجغرافي عند الفينيقيين	203
2. الفكر الجغرافي عند الإغريق	208
ثالثاً : التأثير المتبادل في مجال الفلسفة	213
رابعاً : النتائج العامة	221
خاتمة	222
قائمة المصادر والمراجع	227
قائمة الأشكال والجداول والخرائط	244

قائمة الخرائط

خريطة(1): البحر المتوسط القديم	244
خريطة(2): المدن الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط	245
خريطة(3): مناطق انتشار المستوطنات الفينيقية	246
خريطة(4) خريطة خط سير الرحلات الفينيقية	247
خريطة(5): بلاد الإغريق والعالم الإيجي	248
خريطة(6): المستعمرات الفينيقية والإغريقية في حوض البحر المتوسط	249
خريطة(7): الوجود الفينيقي والإغريقي في صقلية	250
خريطة(8): المدن والمستعمرات الإغريقية القديمة مابين القرنين الثامن والسادس ق.م	251

قائمة الجداول

الجدول(1): معاني أصوات الأبجدية الفينيقية	252
الجدول(2): مراحل تطور الأبجدية الفينيقية –أ	253
الجدول(3): مراحل تطور الأبجدية الفينيقية –ب	254
الجدول(4):البونية الحديثة	255

قائمة الأشكال

شكل(1):الأصول الخمسة لاشتقاق كلمة فينيق	256
شكل(2): ناووس النائحات في صيدا	257
شكل(3):تابوت النسب الذهبية	257
شكل(4):سقف الجملون	257
شكل(5):تابوت أحيرام	258
شكل(6):أقنعة فينيقية ذات تأثير إغريقي	259
شكل(7):أقنعة إغريقية للمسرح الإغريقي	259
شكل(8):أصداف الموريكس	260
شكل(9) حلة فينيقية اتخذها الإغريق لباساً	260
شكل(10): آنية من الزجاج الفينيقي تدل على براعة الفينيقيين	261
شكل(11) : نماذج فخار الأتيكي ذي الطلاء الأسود المستخدم في قرطاج	262
شكل(12) : مزهرية أخيل وبنثيسيليا من طراز صور الأشكال الحمراء	263
شكل(13) أمفورا أتيكية من طراز الصور الحمراء للتعبير عن البيداجوج	263
شكل(14)تماثيل للإله بعل في أوجاريت	264
شكل(15): نقود فينيقية	265
شكل(16): العملة الأثينية	265
شكل(17):نقود أروادية من الفترة السلوقية	266
شكل(18) سفينة فينيقية ذات السطحين 705– 686ق .م	267

شكل(19):سفينة حربية إغريقية من الفترة 600–500ق.م	267
شكل(20) زوج أقراط من الذهب الخالص عثر عليه في أوجاريت	268
شكل(21): جعران منقوش من الأمام	269
شكل(22): معبد سليمان	270
شكل(23): مبنى البارثنون	271
شكل(24): معبد الإرختيوم	271
شكل(25):الأعمدة الإغريقية	272
شكل(26) :مخطط آلهة الكون والعناصر الأربعة	273
شكل(27):تمثال أفروديت	273
شكل(28):تمثال بوسيدون	274
شكل(29):تمثال ديمتر وبرسيفوني	274
شكل(30): إبريق دبلون الأثيني	275

قائمة المختصرات
Abbreviations

***B.M.P**: Britsh Museum press*

***B.S.R.A:**Bulletin de la Société Royale d' Archéologie d' Alexandrie*

***C.PH**: Classical philology*

***C.P.O**: Clarendon press oxford*

***C.U.P**: Cambridge University press*

***H.A.A.N:** Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord*

***L.C.L:** Loeb Classical Library*

***O.C.P**: Oxford the Curendom Press*

ملخص البحث باللغة العربية

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية (الفن- الدين -اللغة والفكر) خلال الألف الأولى قبل الميلاد 1000- 64ق.م)

التواصل بين الحضارات أمر مؤكد وثابت ، فكل حضارة أخذت ممن سبقها وبنت فوقها، فالعلاقة والتلاقي بين مختلف الحضارات يمثل واقعاً تاريخياً ثابتاً .والالتقاء الحضاري بين الفينيقيين والإغريق في المدن الفينيقية أو في المدن الإغريقية كان طبيعياً ، ولكنه لم يكن بأي حال من الأحوال امتزاجاً كلياً بين الحضارتين. فالتأثير المتبادل بين الحضارتين هو تعبير عن التفاعل وتبادل الثقافات والمصالح، وهذا التلاقي أفرز نتاجاً حضارياً مميزاً لكلا البلدين. حيث نجد أن للفن الفينيقي أثر عميق في تطوير الفن الإغريقي الذي بدأ يتفوق عليه فيما بعد ، فقد كان الفينيقيون في حقل الفن كما كانوا في حقول حضارية وفكرية أخرى اساتذة للإغريق، إلا إن ميزة الإغريق في فروع الفن هي اقتباس ما يليق بهم ، ومن ثم تحويل ما اقتبسوه إلى إبداع جديد. وبالمقابل نجد أن الفن الفينيقي لم يكن فينيقياً خالصاً من حيث موضوعه وجوهره ، بل اقتبس الكثير من الإغريق. ونتيجة للانتشار الفينيقي في غرب البحر المتوسط، انتقل الفينيقيون حاملين معهم معتقداتهم وآلهتهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية . وبعد التوسع الإغريقي في حوض البحر المتوسط وظهور التنافس بينهما للسيطرة على طرق التجارة وإنشاء المستعمرات ، يمكن ملاحظة التأثير المتبادل في المجال الديني فكانت هناك آلهة فينيقية عُبدت في بلاد الإغريق . وبالمقابل لم ينغلق الفينيقيون على أنفسهم ، بل تلقفوا ديانة وثقافة الإغريق ونهلوا منها وتعاملوا مع ديانتهم بكل محبة واحترام وتسامح .من جهة أخرى نجد أن فينيقية مهد الحضارات حيث انصبت فيها كل المؤثرات والتأثيرات الخارجية وتفاعلت فيها، والإنسانية بأكملها مدينة لفينيقية في إنجازها الحضاري الرائع وهو اكتشاف الأبجدية ، حيث تعد الأبجدية أعظم نتاج حضاري قدمه أبناء المنطقة إلى البشرية .على أن أهم ميدان يتجلى فيه تأثير الميراث الإغريقي هو موضوع الفلسفة ومن المعروف أن العلم الإغريقي نفسه لم يكن سوى محصول التفكير الفلسفي الذي يمثل لنا رغبة الإغريق الجامحة في دراسة الطبيعة ومعرفة حقيقة الانسان. ولاشك أن الفينيقيين قد ساهموا بقسط وافر في انتشار الحضارة في حوض البحر المتوسط،بالمقابل نجد عظمة الإغريق أنهم استطاعوا أن ينقلوا بشغف كل ما وقعت عليه أعينهم وعقولهم من تراث الفينيقيين ، وأن يحولوا هذه المؤثرات الوافدة إلى شيء شبيه بتراثهم هم ، وأن ينتقدوا هذا وذاك شيئاً فشيئاً ، حتى استطاعوا في النهاية أن يتجاوزوا هذه المرحلة وأن يبدؤوا مرحلة جديدة متميزة .

مقدمة :

التواصل بين الحضارات أمر مؤكد وثابت ، فكل حضارة أخذت ممن سبقها وبنت فوقها، فالعلاقة والتلاقي بين مختلف الحضارات يمثل واقعاً تاريخياً ثابتاً .

فهو تعبير عن التفاعل وتبادل الثقافات والمصالح ، وثبت تاريخياً أن الحضارات تستفيد من بعضها البعض ، فالحضارة اللاحقة تفيد من الحضارة السابقة وإن كان ذلك يتم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فالتراكم الحضاري هو الذخيرة والرصيد الذي تنهل منه كل الحضارات ، أما الحضارات المتزامنة والمتعاصرة فيكون تأثيرها ببعضها البعض واضحاً وجلياً، إذ أنه من غير المنطقي أن تؤثر حضارة بأخرى دون أن تتأثر بها ، بغض النظر عن الفارق الحضاري بينهما ، فالعوامل البيئية والمكانية والفكرية ، تكمل بعضها بعضاً .

وينبغي أن نذكر أن الحضارة الفينيقية سبقت الحضارة الإغريقية في نشأتها بما لا يقل عن ثلاثة آلاف عام ، ولم تكن حضارة مغلقة على نفسها ، وإنما امتد تأثيرها شرقاً وغرباً ، كما أن المجتمع الإغريقي نفسه لم يكن بدوره مجتمعاً مغلقاً على نفسه ، وإنما كان منفتحاً على غيره من المجتمعات ، وبالتالي كان أمر اتصاله بالحضارة الفينيقية أمراً لا مفر منه، إذ كانت هناك علاقات مباشرة بين الفينيقيين والإغريق .

وعلى الرغم من الحقائق التاريخية والعلمية فإن هناك فئة كبيرة من الباحثين الغربيين ترفضها رفضاً تاماً ، وتتمسك بما عرف **بالمعجزة الإغريقية** والتي تقول أن الحضارة الإغريقية هي إبداع مطلق ، أنجزه الإغريق وحدهم دون أن يستفيدوا من أية حضارة سابقة عليهم أو معاصرة لهم، وبالتالي ينكر أصحاب هذه النظرية أن يكون الإغريق قد تأثروا بتراث الشرق القديم عامة والفينيقيين خاصة ،أو أفادوا منه في أي مرحلة من مراحل تطور حضارتهم .

إلا أن التفسير الحقيقي لتاريخ أي مجتمع هو ما يمكن أن نسميه (**التفسير الحضاري**) لأن تاريخ أي مجتمع هو سجل لنشاطه الحضاري ، أي إلى أي مدى تأثر في غيره ، وإلى أي مدى هو أثر في غيره ، ومن هنا تصبح الدائرة الحضارية أكبر كلما كان الاحتكاك بين المجتمعات أسهل وفي ذلك يمكن القول :

أن البحر المتوسط أمن مجالاً سهلاً للمجتمعين الفينيقي والإغريقي ليتعاملا أو يحتكا مع بعضهما. وكانت هناك علاقات مباشرة بين الحضارتين .

وقد وجدت عدة أسباب **وراء اختيار الموضوع** كان السبب الأول هو أهمية الحضارة الفينيقية ودورها الكبير في الحضارة الإنسانية ، وأهمية الحضارة الإغريقية من جهة أخرى ،والسبب الثاني هو الرغبة في إبراز العلاقات التي ربطت الحضارتين الفينيقية والإغريقية ، والتي شملت كافة الجوانب الحضارية فنياً ودينياً ولغوياً وفكرياً .

فهذه الدراسة تهدف إلى زيادة المعرفة الإنسانية والعربية لأثر الحضارة الفينيقية على الحضارة الإغريقية وأثر الحضارة الإغريقية على الحضارة الفينيقية ،وعدم إنكار ذلك التأثير المتبادل بينهما .

والوقوف ضد ما يقوم به المستشرقون للتقليل من قيمة الحضارة الفينيقية وتشويه صورتها ، وقولهم بأنها غير أصيلة في منطقتها، وتمسكهم بالمعجزة الإغريقية .

ومن الأسباب الأخرى عدم وجود أية دراسة متكاملة تصف التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق ، وتعمل على تغطية كامل جوانبها .

أما **المجال الزمني للبحث** : يمتد خلال الألف الأولى قبل الميلاد حيث شهدت هذه الفترة تطوراً ملحوظاً في العلاقات الفينيقية الإغريقية، وتميز البحر المتوسط بحركة الانتشار الفينيقي والإغريقي وحققت نجاحاً هائلاً ، إذ انتشرت القوتان الفينيقية والإغريقية عبر البحر المتوسط، وحقق كلاً منهما فوائد جمة .سواء على الصعيد الاقتصادي أو الحضاري ،وكان لكل منهما دوافع دفعت بهما للخروج إلى البحر المتوسط وتأسيس مراكز لهم فيه. و تنافس الفينيقيون والإغريق في التجارة والاستعمار في غرب البحر المتوسط . واستغرقت هذه المنافسة مدة طويلة في الألفية الأولى ق .م .

و **المنهج المتبع** في هذا البحث فهو المنهج التاريخي المعتمد على التفسير التحليلي للمادة ، والتأكيد على الموضوعية العلمية، راجين عدم الحياد عنها .فكتابة صفحات من تاريخ شعب ما ، تعتمد أولاً على ما خلفه من أثر مكتوب إضافة إلى الأثر المادي بطبيعة الحال ، ومن المفارقات المؤسفة أننا لا نملك من المؤلفات الكثيرة التي تتحدث عن الحضارة الفينيقية ،رغم أن الفينيقيين أول من أدخلوا حروف الكتابة إلى منطقة غرب البحر المتوسط ، فإن دراسة تاريخ الفينيقيين تكاد تقتصر على المصادر الإغريقية واللاتينية ، ونجد أن معظم المؤرخين الإغريق لا يتخلصون من نزعتهم العنصرية وتمسكهم بالمعجزة الإغريقية. ومن هذا المنطلق يأتي التأكيد على طبيعة المصادر والمراجع من حيث توزعها الكمي والنوعي ومدى موضوعيتها .

ومن هنا تكمن الصعوبات في هذا البحث كان أبرزها ضخامة الموضوع بحيث كان من الصعب الإلمام بكافة جوانبه الكثيرة والمتشعبة ، كما أن المصادر المتعلقة بالبحث لم تكن بمعظمها في متناول اليد بسبب فقر مكتباتنا بها، أما المؤلفات والكتب التي تناولت الحضارة الفينيقية والإغريقية كانت معظمها باللغات الأجنبية الأمر الذي يصعب معه الوصول إلى ترجمات علمية دقيقة ، كما أنها لم تعالج الموضوع بشكل كامل ، أو أنها تناولت الموضوع بشكل عام دون الدخول في التفاصيل ، ولا توجد مؤلفات متخصصة بكل معنى الكلمة بالتأثيرات الحضارية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية ، وإنما وردت بعض الإشارات بخصوصها في بعض الكتب العامة ، لذلك كان يجب جمع المعلومات منها ثم مقارنتها مع غيرها ثم ربطها وإيرادها ، خاصة

أن بعض منها ضمت الكثير من الأفكار المغلوطة فكان يجب التعاطي معها بكل حذر لتمييز الصواب من الخطأ .

والرؤية المقترحة في هذا البحث ترتكز على طرح موضوع التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية خلال الألف الأولى قبل الميلاد 1000– 64ق.م من خلال التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ، ودوافع انتشارهما في البحر المتوسط وتأسيسهما المستوطنات .ويختص البحث بالحديث عن أهم جوانب التأثير الحضاري المتبادل بين الفينيقيين والإغريق (الفن– الدين – اللغة والفكر) .

ووفق هذا الطرح قسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول رئيسية تنقسم بدورها إلى عدة تقسيمات فرعية وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع وملحقات الخرائط والصور والأشكال .

فالفصل الأول المعنون (التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ودورهما الحضاري) تتضمن التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ، ودوافع انتشارهما في البحر المتوسط ، بالإضافة للحديث عن أهم المدن والمستوطنات الفينيقية والإغريقية .

بينما تطرق الفصل الثاني (التأثيرات الفنية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية) للحديث عن الفن الفينيقي والإغريقي وأهم المجالات الفنية التي تم بها تبادل التأثير الحضاري وأثر كل حضارة بالأخرى .

وركز الفصل الثالث (التأثيرات الدينية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية) الحديث عن الديانة الفينيقية والإغريقية ، وعوامل انتقال التأثيرات الدينية وأهم الآلهة الفينيقية التي انتقلت إلى بلاد الإغريق وذكر الآلهة الإغريقية التي عُبدت في فينيقية والتعريف بالميثولوجيا الفينيقية وتأثيرها على الميثولوجيا الإغريقية .والحديث عن معتقدات الموت عند الفينيقيين والإغريق .

وتناول الفصل الرابع والأخير (التأثيرات اللغوية والفكرية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية) الحديث عن الأبجدية الفينيقية وانتشارها في بلاد الإغريق وأهم التعديلات التي ادخلها الإغريق على الأبجدية ونشرها في كل أنحاء أوربة . والحديث أيضاً عن التأثيرات المتبادلة في مجال الفلك والفلسفة .

أما **الخاتمة** :فقد تضمنت أهم النتائج التي خلص إليها البحث .

الملاحق تضمنت مجموعة من الجداول والخرائط والصور تم الاعتماد عليها في إيضاح بعض التفاصيل المتعلقة بالبحث .

اعتمد البحث على المصادر الأدبية القديمة الإغريقية واللاتينية المترجمة إلى الإنكليزية ، إضافة إلى مراجع باللغة العربية والأجنبية لكتاب وباحثين في التاريخ القديم ، بالإضافة إلى مقالات صدرت في دوريات متخصصة تطرقت إلى هذا الموضوع .

ومن أهم المصادر المعتمدة:

هوميروس : Homerus الإلياذة والأوديسة : أواخر القرن التاسع قبل الميلاد شاعر إغريقي من أعلام الأدب في العصور القديمة ، ، ومؤلف الملحمتين الشعريتين الإلياذة والأويسة وقد أشار هوميروس فيهما إلى الفينيقيين وعلاقاتهم التجارية مع بلاد الإغريق .

أيسيخلوس Aeschylus: 525- 499 ق .م : من أعظم شعراء التراجيديا الإغريقية ، ولد في أثينة من أسرة ارستقراطية ، كان مجموع ما أنشأه في حياته من مسرحيات نحو تسعين مسرحية ، لم يصلنا منها إلا سبعة هي : الضارعات Supplices والسبعة ضد طيبة Septem contra Thebas والفرس Persae وبرومثيوس مغلا Vinetus Prometheus وثلاثية أوريستيا Oresteia المؤلفة من أجاممنون Agamemnon وحاملات القرابين Choephori والصافحات Eumenides وقد تم اقتباس مقتطفات من مسرحياته في البحث .

هيرودوت Herodote 484- 420ق .م التاريخ Histoire يلقب بأبي التاريخ ، وهو من مواليد مدينة هاليكارناسوس Halicarnassus على ساحل آسيا الصغرى ، جاء كتابه التاريخ في تسعة أجزاء كل جزء منها حمل اسم ربة من أسماء ربات العلوم والفنون من كبير آلهة الإغريق الإله زيوس , Zeus وقد تم الاعتماد على الكتاب الأول والرابع والخامس والسابع والتي تطرقت إلى أصل وتسمية الفينيقيين ، ووصفت طريقة التبادل التجاري "المقايضة" التي كان يقوم بها الفينيقيون مع شعوب البحر المتوسط من جهة ومع الإغريق من جهة أخرى .

يوروبيدس : Euripidesمسرحيات يوروبيدس : 480 – 406ق .م ولد في سالاميس ويبدو أنه لم يكن من الطبقة الارستقراطية مثل أيسخيلوس ، ولا من من الطبقة المتوسطة العليا مثل سوفوكليس ، لم تصلنا أية معلومات عن طبقة والديه ، يختلف عدد المسرحيات المنسوبة إليه ،مابين 75- 92 وصلنا 19 مسرحية، أهمها الكستيس Alcests وميديا Medea والطروادیات وهيلينا وغيرها

توكوديدس Thucydides :(**460- 399 ق .م**) مؤرخ يوناني عاش في أثينة ، أبرز كتاباته عن حرب البلوبونيز التي كتب عنها باهتمام كبير ، تحدث عن الفينيقيين في صقلية وعلاقتهم بالإغريق ، وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة في كتاب توكوديدس عن الفينيقيين ، فإنه يعد من المصادر التي يمكن العودة إليها لاستقاء المعلومات الخاصة بالحضور الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط .

أرسطو :Aristo السياسة (384- 322 ق .م) خصص أرسطو في مؤلفه السياسة حيزاً مهماً لدراسة أنظمة الحكم في بلاد الإغريق ، وقدم معلومات تختص بالمؤسسات السياسية القرطاجية وخصائصها ونظام الحكم فيها ، وقد أشاد بدستور قرطاج.

ديودور الصقلي Diodoros Siculus (90- 20 ق .م)المكتبة التاريخية:

ألف تاريخاً جامعاً يحمل عنوان المكتبة التاريخية في أربعين كتاباً ، يبدأ بالحضارات الأولى وينتهي بحملات يوليوس قيصر سنة 59ق .م ، ولم يبقى منه سوى خمسة عشر كتاباً ومقتطفات من بعض الكتب التي اندثرت لدى مؤلفين لاحقين ،ويمدنا "الكتاب الخامس " الذي أشار إلى مراحل الاستيطان والاستغلال في المدن الفينيقية في حوض البحر المتوسط ، التي كانت عبارة عن وكالات تجارية تحولت إلى مستوطنات دائمة .والكتاب الرابع عشر الذي تحدث فيه عن علاقات قرطاج بالإغريق وانتهاك الجنود القرطاجيين لمعبد الآلهة ديميتر وكوري .

سالوست :Sallust **حرب يوغرطة** (**86– 34 ق .م**) مؤرخ وسياسي روماني ، يعد مؤلفه حرب يوغرطة من المصادر المهمة في دراسة أسباب هجرة الفينيقيين من موطنهم فينيقية إلى غرب البحر المتوسط وتأسيس المستوطنات الفينيقية .

فرجيلوس :**Vergilius الإنياذة The Aeneid** (**70– 19 ق .م**): من كبار شعراء الأدب اللاتيني ، وتعد ملحمته الشعرية الإنيادة من روائع إبداعاته ، قضى اثنتي عشر سنة في كتابتها ، ومات قبل أن يتمها . واهتم النشيد الأول منها بنشأة قرطاج وحيازة المجال الذي أقيمت عليه عن طريق الحيلة المعروفة بقصة جلد الثور . وعدت تتمة للإلياذة والأوديسة .

سترابون :**Strabon الجغرافية** (**63– 24 ق.م**): ينحدر من أماسيا Amaseia في آسيا الصغرى ،يعد مؤلفه الجغرافية من المصادر المهمة، يتألف العمل من سبعة عشر كتاباً أو جزءاً ،وقد تضمن الكتاب " السادس عشر " وصفاً هاماً عن الموطن الأصلي للفينيقيين وعن معارفهم وسبل انتقالها للإغريق .

بليني القديم Pline L'Ancien (**23– 97م**)كتب موسوعته التاريخ الطبيعي في سبعة وثلاثين مجلداً ، وفي الكتاب التاسع عشر تطرق فيه إلى تأسيس المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، مثل قادش Gades وأوتيكا Utique وغيرها من المستوطنات الأخرى .وتحدث في الجزء الرابع والثلاثين إلى أهم الصناعات الفينيقية كصناعة الأرجوان والتعدين .

فيلون الجبيلي :**Philon de Byblos** (**61– 141م**) مؤرخ ينتمي إلى مدينة جبيل ، كتب في تاريخ الحضارة الفينيقية ، وردت في أعماله عدة معلومات تناولت جوانب تاريخية وأسطورية دينية عن الفينيقيين ، وقد ترجمت أعماله إلى الإغريقية ، من المصدر الفينيقي الذي يعتقد أنه من وضع الكاهن سنخونياتن البيروتي Sanchoniton.ويذكر أن سنخونياتن وضع تاريخ فينيقية في تسعة مجلدات . فهو عبارة عن سجل للتقاليد والأساطير الفينيقية ، تم اقتباس مقتطفات وردت في هذا البحث ، وذلك بسبب أهميتها .

ومن المراجع عن التاريخ الفينيقي التي اعتمدت عليها : **مجموعة قزال Gsell** المكونة من ثمانية أجزاء والمعنونة : **التاريخ القديم لأفريقية الشمالية** . منها الجزء الأول الذي يتناول تاريخ استيطان الفينيقيين في حوض البحر المتوسط وعلاقاتهم بالإغريق ومجموعة أخرى من المراجع لمختصين في التاريخ القديم مثل **سباتينو موسكاتي Sabatino Moscati** الحضارة الفينيقية La Civilisation Phéniciennes وعن التاريخ الإغريقي : **ألفرد زيمرن Alfred Zimmern**: الحياة العامة اليونانية The Greek Commonwealth، إضافة إلى **فوستيل دي كولانج Fustel de Coulanges**: المدينة العتيقة **La Cité Antique** ، **مارتن برنال :Martin Bernal** أثينة السوداء **Black Athena** ورغم الاهتمام بالمصادر والمراجع باللغة الأجنبية ،فقد اعتمد البحث على مراجع لباحثين ومؤرخين عرب في التاريخ القديم بشكل عام وفي التاريخ الفينيقي والإغريقي بشكل خاص ، أهمها في التاريخ الفينيقي : **أحمد حامدة** : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، **يوسف الحوراني** : مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن وفيلون الجبيلي ، **محمد حسين فنطر** : الحرف والصورة في عالم قرطاج، و الفينيقيون بناة المتوسط **ومحمد أبو المحاسن عصفور** المدن الفينيقية **ومحمد الصغير غانم** التوسع الفينيقي في البحر المتوسط .**محمد السيد غلاب** : الساحل الفينيقي وظهيره . **حسين الشيخ** ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ

وأهم المراجع في التاريخ الإغريقي : **عبد اللطيف أحمد علي** : التاريخ اليوناني ، **مفيد رائف العابد:** تاريخ الإغريق ، **خليل سارة** : تاريخ الإغريق – الاقتصاد اليوناني ، **محمد كامل عياد** : تاريخ اليونان.**سيد أحمد علي الناصري** : الإغريق ،**لطفي عبد الوهاب يحيى** : اليونان: **مصطفى العبادي: مصر في العصر الهللنستي** ، **وخزعل الماجدي:** المعتقدات الإغريقية .

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور خليل سارة على دعمه وإرشاده المستمر ورحابة صدره ووقوفه إلى جانبي وتقديمه كل مساعدة في سبيل إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة الحكم وتفضلهما بقبول المناقشة فلهم كل التقدير والاحترام ، ولايفوتني أن أتوجه بالشكر لرئاسة قسم التاريخ ،وإلى جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ وإلى جميع المؤسسات العلمية على المساعدات التي أمدوني بها ، والشكر والامتنان لعائلتي الغالية لوقوفها بجانبي ودعمها ، ولكل من ساعدني من الأصدقاء في سبيل إنجاز هذا البحث .

وأتمنى من الله أن يحقق هذا البحث الغاية المرجوة منه ،وأن يسهم في خدمة المادة العلمية .

والله ولي التوفيق

الفصل الأول
التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ودورهما الحضاري

الفصل الأول

التعريف بالحضارتين الفينيقية والإغريقية ودورهما الحضاري

تمهيد :

أولاً : التعريف بالحضارة الفينيقية

1. الفينيقيون وأصل التسمية
2. الموقع الجغرافي للساحل الفينيقي

ثانياً : دوافع الانتشار الفينيقي في حوض البحر المتوسط

1. الدوافع السياسية
2. الدوافع الاقتصادية
3. الدوافع الاجتماعية
4. تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف

ثالثاً : أهم المدن الفينيقية ودورها في التفاعل الحضاري

1. أهم المدن في شرقي البحر المتوسط
   - آ. أرواد
   - ب. صيدا
   - ج. صور
   - د. جبيل
2. أهم المستوطنات في غربي البحر المتوسط
   - آ. أوتيكا
   - ب. قرطاج

رابعاً: التعريف بالحضارة الإغريقية

1. الإغريق وأصل التسمية
2. الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق القارية
   - آ. سلسلة الجبال الإغريقية

ب .الاختصاص الجغرافي وفقر التربة الزراعية

ج .أثر البيئة الجغرافية في تكوين المواطن الإغريقي

3.الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق الساحلية

آ .جغرافية حوض البحر المتوسط

ب .أثر بحر إيجة ودوره في التفاعل الحضاري

خامساً : دوافع الانتشار الإغريقي في حوض البحر المتوسط

1.الدوافع السياسية

2.الدوافع الاقتصادية

3.الدوافع الاجتماعية

4.تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف

سادساً : أهم المستعمرات الإغريقية ودورها في التفاعل الحضاري

1.بيزنطيوم

2،قورينة

3.نقراطيس

4.سيراكوزة

سابعاً : النتائج العامة

تمهيد :

إنه لمن المهم قبل البدء في موضوع البحث حول التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق ، أن نتعرف على الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في الحضارتين الفينيقية والإغريقية ، والتعرف على العلاقات التي جمعت بينهما ، وهيأت بدورها المناخ الملائم لحدوث تلك التأثيرات ، والموقع الجغرافي لتلك الحضارتين وأثر البيئة الجغرافية في تكوين ملامح حضارتهم ودوره في تحقيق التواصل الحضاري ، ومن جهة أخرى دراسة انتشارهم في البحر المتوسط ، والعوامل التي ساعدتهم على الانتشار وتأسيس المستوطنات التي لعبت دوراً كبيراً في التواصل الحضاري بين الفينيقيين والإغريق .

أولاً : التعريف بالحضارة الفينيقية:

يعتبر الفينيقيون من بين الأمم التي اتصل بها الإغريق واقتبسوا الحضارة عنها، فقد استطاعوا بين سنة (1000– 700) أن يسيطروا على تجارة البحر المتوسط ، ففي هذا العهد ضعفت الدولة االمصرية تحت حكم الأسرات (21– 25) وأصبحت بدورها عرضة لغارات الليبين والأحباش ،وكانت بلاد الإغريق بعد (غارة الدوريين) في حالة فوضى فقد زالت منها معالم الحضارة الإيجية وسكنتها قبائل بدوية ، بعيدة عن فن الملاحة وعاجزة عن إنشاء الأساطيل الكبيرة عدا أنها لا تتقن شيئاً من الصناعات ،وقد استفاد الفينيقيون الذين تجمعوا حول ملك (**جبيل**) ثم حول ملك (**صيدا**) من هذه الأوضاع ،فأخذوا يجوبون في كل أنحاء البحر المتوسط وتقدموا في فن الملاحة وصنع السفن وازدهرت لديهم مختلف الصناعات واتسعت تجارتهم ،وكان هذا النشاط التجاري يدفع الفينيقيين إلى الاختلاط بجميع الأمم في حوض البحر المتوسط والقيام بدور الوسيط في تمازج الحضارات وانتشارها ، فلا عجب إذا رأينا الإغريق تبهرهم بضائع الفينيقيين ويرحبون بالسفن الفينيقية التي كانت تحمل إليهم الأواني الخزفية والزجاجية الملونة والتحف المصنوعة من العاج وبصورة خاصة الأقمشة الأرجوانية .هذا وقد أسس الفينيقيون كثيراً من المستعمرات والمراكز التجارية في جزر بحر إيجة وشواطئه ، وبالدرجة الأولى في (**رودس**) وخليج (**كورنثة**) وليس مستبعداً أن يكونوا قد استثمروا مناجم الذهب في جزيرتي (**سفنوس**) و (**تاسوس**) وتذكر الروايات أنه كانت لهم مراكز تجارية في (**أثينة**) و (**طيبة**) أيضاً . وكانت نتيجة طبيعة الساحل الفينيقي وموقعه الاستراتيجي بين مراكز الدول الكبرى التي قامت في وادي النيل ووادي دجلة وآسية الصغرى ، أن الفينيقيين لم ينجحوا قط في تأسيس دولة قوية موحدة ، وبدلاً من ذلك فإنهم كانوا ينتظمون في جماعات صغيرة على رأس كل منها ملك وصل إلى الحكم غالباً بانتسابه إلى طبقة الأشراف المالكين . وكانت كل جماعة تتجمع حول مدينة محصنة بأسوار وأبراج للدفاع

* ننوه بأن جميع الأحداث التي ذكرت بالبحث تعود إلى ماقبل التاريخ مالم نشر إلى غير ذلك.

يمكن لسكان الريف المجاورين أن يلجؤوا إليها في وقت الخطر ، وأن يقصدوها في وقت السلم فتكون لهم سوقاً ومركزاً اجتماعياً . ومثل هذه المدن كانت تشكل مكان الدفاع الرئيسي ضد غزوات الجيران الأقوياء أو غارات البدو الرحل ، غير أن انقسام البلاد إلى ممالك مدن صغيرة في حالة حرب مع بعضها بعض في كثير من الأحيان وعدم الاستقرار الداخلي بسبب نزاع النبلاء الطامعين بالسيادة المحلية ، هذه العوامل جعلت البلاد كلها تحت رحمة الدول المجاورة ذات الميول العدائية. وللتغلب المؤقت على عزلة ممالك المدن السياسية ، هذه العزلة التي تعكس تجزؤ البلاد الجغرافي كانت أحسن وسيلة أن تحصل إحدى المدن على الزعامة ويصبح لها سيادة سياسية على سائر المدن . وكانت المصالح المشتركة تتطلب الاتحاد الاختياري في بعض الأحيان . وقد حصلت على مثل هذه الزعامة (**أوجاريت**) في أواخر القرن السادس عشر و(**جبيل**) في القرن الرابع عشر و(**صيدا**) بين القرنين الثاني عشر والحادي عشر و (**صور**) بعد هذا القرن و(**طرابلس**) في القرن الخامس. وتحت الخطر المداهم خاصة كانت هذه المدن تتعاون وتشكل فيما بينها أحلافاً على شاكلة الحلف الذي كسره تحوتمس الثالث في مجدو 1471 ، إذ كانت زعامة الحلف تحت قيادة (**قادش***) وقد برهن الفينيقيون خلال تاريخهم الطويل أنهم كانوا يحبون السلم ولا يميلون إلى الأعمال الحربية ، وكانوا يوجهون اهتمامهم إلى نواحي التجارة والفن والديانة وليس إلى الحرب ، وكانوا يدفعون الجزية ليضمنوا عدم التدخل في شؤونهم ويأملون أن يكافؤوا ولو جزئياً بتوسيع أحوالهم في البلاد الداخلية .

1–الفينيقيون و أصل التسمية :

أطلق الفينيقيون على أنفسهم اسم الكنعانيين ،ولكن هذا الاسم لم يكن الوحيد الذي أطلق عليهم،وقد ورد اسم كنعان في نقش لادريمي ملك ***آلالاخ***** في القرن الخامس عشر.

*قادش: هي تل النبي مندو ، تتوضع على نهر العاصي (30كم جنوب غرب حمص) اسمها القديم كينزا ، تبلغ مساحة التل 10 هكتار ، سُكن الموقع منذ العصر الحجري الحديث ،ثم في العصور البرونزية ،فعصر الحديد ،والعصور الكلاسيكية للمزيد انظر : **محمود حمود : الديانة السورية القديمة** ، وزارة الثقافة ،المديرية العامة للآثار ،دمشق ، 2014م ، ص 20

آلالاخ :(تل العطشانة اليوم) اسم مدينة اكتشفت إثر حفريات البريطاني ليونارد وولي ، في موقع تل العطشانة ، على ضفة نهر العاصي شرقي انطاكية بنحو عشرين كيلو متر ، وهي مركز لتبادل تجاري وثقافي بين المراكز الحضارية الكبرى في الشرق القديم ، عُرف فيها الاستيطان البشري منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد .انظر : **عيد مرعي : رحلة في عالم الآثار "آثاريون ومدن أثرية " ، روافد للثقافة والفنون ، دمشق ، ط 1 ، 2010م ، ص 112انظر أيضاً: **فيصل عبد الله : آلالاخ** ، الموسوعة العربية ، مج 3 الصادرة عن رئاسة الجمهورية العربية السورية ، ط1 ، 2003م ، ص ص177– 178

ووردت تسمية Ma-at–k-in-a-nim ***(مات كينانيم –أرض كنعان)***في لوحات آلالاخ السوية الرابعة .كما ورد اسم الكنعانيين بين الأسلاب والغنائم التي حصل عليها تحوتمس الثالث* (1468-1436) . في حملته الآسيوية في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه .[1]

وتتعدد أشكال الاسم في رسائل تل العمارنة إذ ورد الاسم بشكل Ki-na-an-ni و Ki-na-an-na و Mat-ki-na-ni في رسائل ***تل العمارنة***** .منها (الرسالة151) التي تتضمن تقريراً عن الأوضاع في فينيقية ، وتشير إلى حدودها الشمالية ببلاد دانونا وكانت هذه مملكة صغيرة في المناطق الشرقية من سهول كيليكية قبالة خليج اسكندرون : ***(كتب الملك ، سيدي إليّ ما يأتي : اكتب إليّ عما سمعته عن بلاد كنعان (أقول) لقد مات ملك بلاد دانونا ، وصار أخوه ملكاً بعده ، وبلاده تشهد السلام .النيران التهمت القصر الملكي في مدينة أوجاريت ،لقد التهمت نصفه ونصفه الآخر لم يعد قائماً ، ولم تعد هناك قوات بلاد الحثيين)*** [2] . وفي الوثائق المصرية القديمة وردت كلمة ***(Kn<ny)*** ويعتقد أن لها علاقة بكلمة Ki-in-a-nim الواردة في آلالاخ ،كما وردت بصيغة Kn<ny في النصوص الأوجاريتية[3].

---

* تحوتمس الثالث :(1468- 1436) كان قائداً حربياً عظيماً ، وكذلك سياسياً بعيد النظر ، انفرد بالحكم بعد وفاة الملكة حتشبسوت والدته والوصية على العرش ، تمكن من الانتصار على تحالف جمع الحكام السوريون بتشجيع من مملكة ميتاني في شرق الفرات ،في مجدو "غرب بحيرة طبرية" وقام بست عشر حملة عسكرية إلى سورية أعاد بموجبها فلسطين وسورية بأكملها للسيادة المصرية .انظر : **ابراهيم نمير سيف الدين ، أحمد نجيب هاشم ، زكي علي : مصر في العصور القديمة**، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، ط2 ، 1998م ، ص 85 انظر أيضاً : **نبيلة عبد الحليم : مصر القديمة تاريخها وحضارتها** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، الإسكندرية ، 1980م ، ص 277

1 – **محمود عبد الحميد أحمد : الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين والشام إلى مصر**، دار طلاس للدراسات ، دمشق ، ط1 ، 1988م ، ص 166

** تل العمارنة : يقع جنوبي مدينة المينا المصرية بنحو 50 كم ، على البر الشرقي لنهر النيل ، ويتبع إدارياً مركز ملوي (محافظة المينا) يضم في طياته آثار مدينة آخت أتون (أي أفق الإله أتون) وهي 350 رسالة والباقي نصوص متفرقة تبادلها ملوك مصريون من الأسرة الثامنة عشرة مع ملوك كبرى ممالك الشرق القديم . انظر : **فاروق اسماعيل : مراسلات تل العمارنة** ، إنانا للنشر ، دمشق ، 2010م ، ص 13

2– المرجع السابق نفسه ، ص 47

3–**صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني ق.م** ،المديرية العامة للآثار والمتاحف ، دمشق ، 2010م ،ص ص58-59

يقول المؤرخ **سباتينو موسكاتي** :

(أن كلمةKinhhu (كناخو)هوالشكل المشتق من كنعان وليس العكس، واسم كنعان هو اسم البلد ،ومنه اشتقت كلمة أرجواني بسبب الصناعة المميزة المتمثلة بصنع الأنسجة المصبوغة باللون الأحمر) [1].

و نجد في النصوص المكتوبة بالأكادية في مدينة نوزو*ذات الأكثرية الحورية. و في نصوص مسمارية عثر عليها في بوغازكوي**على أشكال كيناخي كي–نا–اخ– ني وهو مشتق من كلمة كيناخو Kinhhu وهي تعني صباغاً أرجوانياً أحمر[2] .

أما فيما يخص تسميتهم بالفينيقيين فقد انحدرت إلينا من التراث الاغريقي ،إذ لم يكن هذا الشعب يسمي نفسه بالفينيقي، أو يطلق على بلاده اسم فينيقية ،بل كانوا يعرفون أنفسهم بالكنعانيين[3] وهذا الاسم اشتق من لفظ phoenix وهو مشتق من كلمة أحمر أو ما يعني أرجواني اللون[4]. يقول المؤرخ ***جواد بولوس :(إن الفينيقيين كانوا يتقنون صناعة الأرجوان الذي يستخرج من صدف المريق (Murex)***

1– **سباتينو موسكاتي** : **الحضارة الفينيقية**،ترجمة نهاد خياطة ، العربي للطباعة ،دمشق ، ط1، 1988م ص19

*نوزو: حالياً تبَّة يورغان ، مدينة قديمة في العراق ، تقع جنوب غرب كركوك ، كان الموقع يدعى غاصور ، ولكن في أوائل الألفية الثانية ،احتل الحوريون المدينة وغيروا اسمها نوزو . وقد ساعدت اللقى الأثرية فيها على فهم القوانين الحورية الخاصة بالعائلة والمؤسسات الاجتماعية . انظر : **مدن العراق القديم** : ترجمة عن الموسوعة البريطانية ، مشتاق طالب محمد ، بغداد Mush- talib@maktoob.com

**بوغازكوي: مدينة أثرية بآسيا الصغرى ، قامت عليها خاتوشا عاصمة الحثيين ، عند منحنى نهر هاليس بوسط تركيا ، كانت مسورة بالحجارة والطوب واللبن ، عثر فيها على ألواح طينية مسمارية مخطوطة باللغتين الأكادية والبابلية . انظر : www.tours –malaysia.com

2– **ميخائيل نسطور** : **أصل الأسم "سورية– كنعان– فينيقيا– أرجوان"**قدمس للنشر والتوزيع،سوريا،دمشق،ط1 ، 2001م ،ص19– 20

3– **محمد السيدغلاب**: **الساحل الفينيقي وظهيره**،دار العلم للملايين،بيروت ط1،1969م ص17

4-Piotr Bienkowski ,Alan Millard: dictionary of the Ancient Near East ,B. M. p,2000,p229

فكانت شراع سفنهم الراسية في الموانئ الفينيقية مصبوغة باللون الأرجواني المستخلص من المريق، مما أدى بالإغريق إطلاق هذه التسمية على التجار الفينيقيين) [1]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن لفظ بوني(***poeni***) أي الفينيقيين أطلقه الرومان للدلالة على القرطاجيين وغيرهم من الممثلين لهذا الشعب في غرب البحر المتوسط ،وهو لفظ محرف لاتينياً من اللفظ الإغريقي ،ومع ذلك فقد فرقوا بينهم وبين الكنعانيين في الشرق حيث أطلقوا على هؤلاء اسم ***poenices*** وإن كانوا يعترفون بانتمائهم إلى جنس واحد. [2]

من جهة أخرى لئن كان اسم ***الكنعانيين*** هو الاسم الذي وصف به الفينيقيون أنفسهم، إلا أنه لم يكن الاسم الوحيد ،بل ربما لم يكن الاسم الرئيسي ، فقد استخدم اسم الصيدونيين أحياناً للدلالة على الفينيقيين (الكنعانيين) وذلك نسبة لمدينة صيدا[3] ونجد ذلك عند الجغرافي الإغريقي ***سترابون*** عندما تحدث عن المعارف التي انتقلت إلى الإغريق سواء من الفينيقيين أم من المصريين بقوله:

(يصور الصيداويون كشعب ماهر جداً في كثير من الفنون كما يذكر الشاعر (هوميروس) بالإضافة إلى ذلك فقد اهتموا بالفلك والحساب ، وبدؤوا فن التعداد والملاحة الليلية الضروريين للتجار والملاحين ....) [4]

ومرة أخرى استخدم اسم الصوريين نسبة إلى مدينة صور .(شكل 1)

وتتفق المصادر في تحديد الوطن الأصلي للفينيقيين ، فيقول المؤرخ الشهير ***هيرودوت:***

(هؤلاء الفينيقيون كانوا يسكنون الخليج العربي في قديم الزمان،ثم هاجروا إلى الساحل السوري ومازالوا يسكنون هذا الساحل إلى اليوم .) [5]

ويتوافق مع ما أورده ***سترابون*** بقوله:

1- ***Jawad Boulos: Les Peuples et Le Civilisation du proche orient****, tome 1,Mouton et cograuenage 1961,p 215*

2-**محمد أبو المحاسن عصفور: المدن الفينيقية** ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1981م ،ص13

3- **ابراهيم خليل خلايلي : مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس**،رسالة دراسات معمقة،اشراف محمد حسين فنطر،جامعة تونس،1995م، ص 3

4-**Strabon**,**Ge`ographie**,L.C.L,xvI,II,24

5- **تاريخ هيرودوت** : ترجمة عبد الإله الملاح ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2001م ،الكتاب السابع ص522

(أن مقابر البحرين في الخليج العربي تتشابه ومقابر الفينيقيين، وأن سكان جزر البحرين يذكرون أن أسماء جزرهم إنما هي اسماء فينيقية). [1]

ويقول ***فيلون الجبيلي*** وهو أحد أشهر الشخصيات الفينيقية:

(الفينيقيون أصليون في وطنهم وأنه ليس الناس وحدهم بل الآلهة وكل الثقافة الإنسانية ،إنما مصدرها بلادهم) [2]

هذه الطائفة من الروايات والنظريات التي تحاول التعرف على الموطن الأصلي للشعب الفينيقي مبنية على افتراض لا يقوم عليه دليل ،إلا أن أكثر نظرية لاقت قبولاً وتأييداً واسعاً من العلماء أمثال ***موسكاتي*** وغيره ، هي النظرية التي تفترض أن شبه الجزيرة العربية هي مهد الشعوب المهاجرة ، إذ من المحتمل أن بعض العناصر البشرية بدأت تهاجر منها إلى أحواض الأنهار في بلاد الرافدين وبلاد الشام منذ العصر الحجري القديم ، وقد عزا أصحاب هذه النظرية أسباب الهجرات أغلبها إلى حلول الجفاف التدريجي فيها . [3]

2– الموقع الجغرافي للساحل الفينيقي :

تعد فينيقية واحدة من أصغر دويلات العالم القديم ،[4]وقد انحصر اسمها في منطقة الساحل السوري،[5] (خريطة 2) الذي يمتد من جبل الكرمل في الجنوب الساحلي حتى أوجاريت شمالاً، يحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان المغطاة بالغابات الكثيفة التي استغلت بشكل كبير .[6] وكانت غنية بالأرز والصنوبر والسرو، مما ساهم بدور كبير في ازدهار المدن الفينيقية [7] .

1-***Strabon; Geographe****, XVI,IV,27*

2-**فيلون الجبيلي** : تعريب عيد مرعي ، الأبجدية للنشر ،دمشق ،ط1 1993م ،ص 16

3– محمود عبد الحميد أحمد: الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين والشام إلى مصر ص 51

4- **ميخائيل ابراهيم نجيب: مصر والشرق الأدنى القديم**،دار المعارف ، بيروت ،1966م، ص48

5-***RefaquatAliKhan–GeoRawlinson:Phoenicia****: Encyclopaedic History Of Word Civilization, vol 18, INDIA,1992 ,P2*

6- **ف، دياكوف :س،كوفاليف: الحضارات القديمة** ،ترجمة نسيم واكيم اليازجي، ج1،منشورات علاء الدين، دمشق، ط1، بدون تاريخ،ص165

7-***Maria Aubet; the Phoenicians and the west****, (politics-coloniesand trade), Cambridge university press,1999,p6*

كما وتعد سهول هذه المنطقة ضيقة حتى أن الجبال المرتفعة تصل إلى ساحل البحر، فتشكل سداً يحجز السهول بعضها عن بعض، [1] لكن على الرغم من ذلك فقد توفرت في هذه المنطقة عدة عوامل يسرت السكن في مدن الساحل الفينيقي ومنها :

أ– الموقع الجغرافي وسط قارات العالم القديم على مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، إذ يشكل هذا الموقع وسيلة اتصال هامة ويسهل التفاعل الحضاري .

ب– المناخ المعتدل ، حيث كان الطقس في فينيقية قديماً مثلما هو عليه اليوم تقريباً ، أمطار غزيرة في الشتاء ، ويبدأ الربيع في آذار ، حيث تقل الأمطار ، أما الصيف فيدوم أربعة أشهر أو خمسة . [2]

ج– الموقع البحري الذي يشكل وسيلة المواصلات البعيدة ، وبديلاً عن الحواجز الطبيعية التي تعيق المواصلات البرية .

د– الاستفادة من البحر ، حيث تمكنوا من خلاله الحصول على صدف الموريكس ، واستخدامه في صباغة الأقمشة الأرجوانية .

هـ– خصوبة التربة ووفرة المياه ، فقد كانت فينيقية من أخصب بلدان المشرق وكانت زراعتها نامية جداً بالرغم من محدودية الأراضي الصالحة للزراعة . [3]

من ناحية أخرى فقد ساعد موقع الساحل الفينيقي المتوسط بين حضارات الحوض الشرقي للبحر المتوسط، في لعب دور الوسيط بين هذه الحضارات بعضها والبعض الآخر ، فموقعها جعل منها ملتقى تيارات حضارية، وأثبت التاريخ أن الفينيقيين قاموا بدور كبير في تبادل مختلف مظاهر الحضارة في أنحاء العالم القديم. وظلت فينيقية تقوم بدورها في نقل السلع بين أنحاء العالم القديم ،وتؤسس المستوطنات وتجمع المواد الخام من مواطنها الأصلية لصناعتها في بلادها حتى بعد أن سقطت في يد آشور في القرن الثامن قبل الميلاد . بل إن هذه الامبراطوريات الغازية استغلت نشاط فينيقية البحري لمصلحتها ، و المدن الفينيقية لم تفقد نفوذها إلا بعد قيام المدن الإغريقية وبدء حركة الاستعمار الإغريقي في شرق البحر المتوسط.[4]

1- **عبد العزيز عثمان : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم**، دار الفكر الحديث ، لبنان،1966م ص 397

2- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص 42

3- **جميل جبر : جبيل في التاريخ** ، بيت الشباب ، لبنان ، 2001م ، ص 13

4- **محمد السيدغلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 311- 312

وهكذا نجد أن خصائص المنطقة الجغرافية حددت مصيرها التاريخي ، فقد كانت فينيقية أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والحربية للدول الكبرى ، والتي كانت تقع بينها .

ثانياً – دوافع الانتشار الفينيقي في حوض البحر المتوسط

يقول المؤرخ الروماني ***سالوست Sallust***(***إن دوافع هجرة الفينيقيين المتمثلة في الضغوط السكانية وروح المغامرة والنزاعات الداخلية ، كما أن ضيق السهول الخصبة وقلة الإنتاج الزراعي الذي أصبح لايكفي عدد السكان المتزايد بإضطراد، إذ يقابله قلة الإمكانيات والحلول ، أدى إلى فقر العديد من سكان الساحل الفينيقي ولاسيما الفئات المتوسطة والمعدمة التي لم تجد أمامها من حل سوى الهجرة)***[1] وهكذا نجد أن دوافع خروج الفينيقيين من مدنهم الأصلية واتجاههم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتأسيسهم مدن فينيقية جديدة على طول السواحل الإفريقية والأوربية قد تعددت ،ولمعرفة الدوافع التي دعت الفينيقيين للتوسع في البحر المتوسط خلال الفترة الواقعة مابين نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأولى ، يجب أولاً أن نولي جانباً من الاهتمام للعلاقات الدولية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الشرق الأدنى القديم، ليقودنا ذلك إلى التعرف على مدى تأثر منطقة سواحل المتوسط الشرقية بها .

وسنقتصر في دراستنا على ثلاثة دوافع رئيسية للتوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط هي : الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

1– الدوافع السياسية :

كان لموقع فينيقية الجغرافي الدور الهام في تحديد تاريخها السياسي ذلك لكونه في ملتقى الطرق التجارية الهامة التي كانت تلتقي فيها كل القوى الشرقية ، التي يمكن اعتبارها من أهم العوامل التي أدت بالفينيقيين إلى الخروج إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط [2]، فضلاً عن أن الشريط الساحلي الفينيقي الضيق من الأرض قسم بفعل عوامل الطبيعة طولاً إلى عدة أقسام منفصلة بعضها عن بعض بامتدادات جبلية ناتئة من جبل لبنان، تصل إلى ساحل البحر، وهذا الانقسام كان أحد الأسباب التي جعلت فينيقية لاتصلح أن تكون دولة حقيقية فصارت عبارة عن دويلات صغيرة ،يسود بعضها البعض الآخر ،طبقاً للزمان والظروف السياسية والاقتصادية .

1–***Sallust, The Jugurthine Wars****, Tranalated.by.J.C .rolf professor of Latin in the University of pennsy Lvania.L.C.L,XIX 1-2*

2– **رشيد الناضوري : تاريخ المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1981م ،ص 158

وأصبحت فينيقية في مهب التيارات العالمية ، بين قوى عالمية كبرى ، قامت في وادي النيل وفي وادي دجلة والفرات وفي آسيا الصغرى ، وترتب على هذا الوضع نتائج بعيدة الأثر إذ لم يستطع الفينيقيون أن يقيموا دولة موحدة، تصد هذه التيارات وتضع حداً لهذا النفوذ الأجنبي.[1]

وفي خضم الصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة بقصد الاستيلاء عليها، ومنافسة الفينيقيين في المنطقة ، انطلاقاً من هذه الظروف لم يكن لدول المدن الفينيقية في تلك الفترة مثل صيدون وصور وجبيل سوى الخضوع والتبعية لدولة من الدول القوية المتواجدة بجوارهم. فقد تعرضت فينيقية خلال الألف الأولى وبعد ضعف السيطرة المصرية ،لسيطرة قوى كبرى مجاورة هاجمتها بجيوشها وأخضعتها لسيطرتها ،وفرضت عليها دفع الجزية ، من هذه القوى الامبراطوريتين الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة والإمبراطورية الإخمينية* ،التي سيطرت على فينيقية بشكل متعاقب خلال الألف الأولى ،كما لم تسلم من تدخلات المصريين الذين حاولوا استعادة مناطق نفوذهم القديمة كلما سنحت لهم الفرصة[2]. لذلك كانت المدن الفينيقية تتحرك في هذا الوسط المتناقض المتصارع مع محاولة الحفاظ على وجودها ، ولو بتبعية هذا الطرف أو ذاك تماشياً مع الظروف الدولية السائدة آنذاك في المنطقة .

ويضاف إلى كل ما سبق غزوات شعوب البحر حوالي 1200 ،وما أحدثته من انقلاب في موازين القوى السياسية في جنوب غرب آسية وما جاورها ،حيث ساهمت في انتقال أعداد كبيرة من الفينيقيين إلى مناطق الحوض الغربي للبحر المتوسط ، [3] وقاموا بإنشاء مستوطنات تجارية بعيدة عن الصراع الذي كان يشغل الجزء الشرقي ، بالإضافة لوجود فراغ سياسي في الجزء الغربي للبحر المتوسط يرجع إلى تأخر سكانه في التطور وضعف القوة الحربية لديهم ، وهذا الشيء يتناسب مع الروح التجارية الفينيقية التي كانت تنزع إلى العلاقات السلمية حيث يتوفر لها المجال لتنفيذ أغراضها السياسية.[4]

1- **محمد بيومي مهران** : **المدن الفينيقية** (تاريخ لبنان القديم) دار النهضة العربية، بيروت ط ،1994م ص 131

*الأخمينيون : سلالة فارسية حكمت منطقة إيران من منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريباً ، بعدما أطاحت بحكم الميديين (حكموا من حوالي 600ق .م تقريباً)واستمرت حوالي 200 سنة ، امتدت سيطرتها من مصر والمتوسط غرباً ، وحتى وادي السند شرقاً ، والبحر الأسود شمالاً للمزيد انظر : **محمود حمود** : **الديانة السورية القديمة** ،ص 27

2- **عيد مرعي** : **تاريخ سورية القديم** ، (**3000– 333ق .م**) ، دمشق ، 2010م ، ص 189

3-***M.Gras,P.Rouillard,J.Texidor;L'Univers Phenicien***,*Revue de l'histoire des religions;volume 208,Hachette Pluriel,1995,p73*

4–**محمد الصغير غانم** : **التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط**، دار النمير ،دمشق ،2003م ص 47

2– الدوافع الاقتصادية:

لعب موقع فينيقية الجغرافي الدور الأساسي في تحديد تاريخها السياسي والاقتصادي والثقافي حيث كانت ذات موقع استراتيجي هام ، مكنها من الاحتكاك بالبحر أكثر من اختراق السلاسل الجبلية الشرقية.[1]وكان من أهم أسباب ركوب الفينيقيين البحر ضيق الأراضي الساحلية التي تنحصر بين السلاسل الجبلية والبحر والتي لا تلبي حاجة سكانها وخاصة من الجانب الزراعي ،إذ لم تكن الزراعة تكفي لإطعام آلاف الأفواه التي تعيش في المدن الساحلية ، فكان على الفينيقيين أن يلتمسوا لهم سبلاً أخرى للمعيشة ، أو ينطلقوا إلى ميدان التجارة ويتصلوا بالأمم الكبرى من وراء البحر ،[2]خاصة بعدما قام الآشوريون بإغلاق أسواق الشرق في وجه التجارة الفينيقية ، مما استوجب على الفينيقيين الاتجاه نحو الغرب ، خاصة لشبه جزيرة إيبرية للحصول على المعادن منها الفضة والذهب والقصدير ،وذلك لأن الصناعة الفينيقية كانت تعتمد على المواد الخام والتي لم يكن معظمها متوفراً في فينيقية.[3]لذا اعتمد الفينيقيون على التجارة البحرية لأن البحر الواسع كان يفتح أمامهم الأبواب للوصول إلى بلاد عديدة وبعيدة ، وتبادل السلع المختلفة مع شعوبها، ولأن مجال التجارة البرية كان ضيقاً بالمقارنة مع التجارة البحرية ، نجد أن الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في المتوسط والحوض الغربي بشكل خاص كان دافعاً اقتصادياً تجارياً .[4]ويعزى ذلك أن بحارتها كان قد بلغهم على مايبدو أن هناك نحو الغرب أقاليم يمكن أن يجدوا فيها فضة ،وأهم منها القصدير ، وهو معدن قليل الوجود في شرقي البحر المتوسط وذو أهمية حيوية ، وقد أبحروا من أجل هذا المعدن إلى ما وراء مضيق جبل طارق في مياه المحيط الأطلسي ليتاجروا مع ***ترشيش Tartessus*** *.

---

*1-**F. Briquel chatonnet:les pheniciens aux origins du liban**.imp Gallimar,1998,p78*

2– **محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية** ، ص 269

*3-**P.Cintas , manuel d archeologie punigue** Ed , picard ,1970,p249*

4- **محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية** ، القاهرة ، 1959م ،ص 19

* ترشيش : معروفة في المصادر الكلاسيكية Tartesus الواقعة في جنوبي إسبانيا ، ويذكر أن الفينيقيين كانوا يطلقون على كل البلاد الإسبانية اسم بلاد ترشيش ، ويقابل هذه التسمية عند الإغريق (ترتيسوس) واسم ترشيش اسم فينيقي على الأغلب بمعنى المنجم أو مكان الصهر أو معمل التكرير ، هذا وقد اكتسبت تسمية ترشيش بسبب بعد البلاد معنى غامضاً وصارت تعني المغرب الأقصى ، أو أبعد البلاد التي بلغتها التجارة الفينيقية .انظر : **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص 37 وانظر أيضاً : **محمد بيومي مهران :المدن الفينيقية** ، ص 275

وهو الاسم الذي كان يطلق على جزء من ساحل إسبانيا الواقع مباشرة وراء مضيق جبل طارق .
فكان لفينيقية وحدها في تلك الفترة السيطرة على تجارة القصدير من ساحل المحيط الأطلسي ،والفضة والرصاص والحديد من إسبانيا وذلك من خلال شبكة مترامية من المحطات التجارية واستمر ذلك الوضع حتى سنة 800.عندها أصبح الوقت مواتياً للإغريق ليقوموا بمنافسة الفينيقيين في غرب البحر المتوسط .[1]

3– الدوافع الاجتماعية:

دفع الجانب الاجتماعي الفينيقيين إلى ركوب البحر ، ذلك أنهم اتجهوا نحو الغرب للبحث عن مواطن جديدة لإسكان الفائض من السكان بعد النمو السكاني الذي عرفته فينيقية ، وتوفير ظروف حياة كريمة تستجيب لذلك النمو ومطالب المجتمع المعيشية . وفي هذا السياق يقول ***سالوست*** مامعناه :(***قام الفينيقيون بالهجرة لعدة أسباب فمنهم هاجر لكي يخفف من الضغط السكاني في بلاده وبعضهم مدفوعاً بروح الغزو ،نظموا أنفسهم وجمعوا الناس المتشوقين إلى ركوب البحر ونزلوا إلى سواحل إفريقيا..)***[2] ومما لابد من ذكره أن فكرة التخفيف من الضغط السكاني ، ربما وجدت عندما ازدهرت المدن الفينيقية كصور وصيدا نتيجة ازدهار التجارة فيها حيث هاجر أبناؤها بحثاً عن المواد الأولية والأسواق الخارجية من أجل توفير المجال الحيوي والتخفيف من الضغط الذي عرفته تلك المدن في المرحلة المتأخرة . من جهة أخرى كان للصراع الداخلي الذي كان سائداً بين الأموريين والآراميين والعبريين في منطقة سورية الداخلية تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي يفوق إمكانات الاستيعاب في المدن الفينيقية الساحلية .[3]

4– تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف :

أكد المؤرخ **سالوست** أن روح المغامرة كانت وراء تأسيس الفينيقيين للمراكز التجارية التي تطورت فيما بعد إلى مدن ومستوطنات فينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط .ويمكن استقراء روح المغامرة في ركوب البحر والقيام بالرحلات البحرية الاستكشافية التي أسهمت بالفعل في إيجاد أسواق جديدة وفي تعزيز التجارة البحرية .[4]

1- **ليونيل كاسيون :رواد البحار** ، ترجمة جلال مظهر ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة،1966م ، ص 90

2-***salluste*** *:* ***Catalina et guerre de Yu gurthe*** *traduction Al Fred Ernout 5eme etition belle lettres , paris ,1962,p 154*

3- **محمد الصغير غانم :التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط** ، ص 50

4-***Sallust , The Jugurthine Wars****, XIX 1-2*

أما بالنسبة لتاريخ التوسع الفينيقي فقد تعددت الآراء حول ذلك ، فالمؤرخ **موسكاتي** يرى أن التوسع الفينيقي في البحر المتوسط قد سبق الاستيطان الإغريقي ، ويرجعه إلى نحو نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، واعتمد في إعطاء تفاسيره على شهادات الكتاب القدامى التي ذكرت أن تأسيس قادش (**Cadesh**) يرتقي إلى نحو 1110 وهي تقع في جنوب اسبانيا. وأوتيكا (**Utica**) إلى نحو 1101، وتقع في سهول تونس الشمالية، وليكسوس (**Lixus**) على الساحل الأطلسي أسست قبل التاريخين المتقدمين[1](خريطة 3)

وفي السياق ذاته يذكر بعض المؤرخين أن الفينيقيين بدؤوا يترددون على غربي البحر المتوسط منذ أواخر الألف الأولى قبل الميلاد ، وقد استفادوا من ظروف عسكرية وتقنية منها أفول نجم الأسطول الإغريقي مما جعل أبواب البحر مفتوحة أمامهم ، وكان ذلك نحو سنة (1200) أي غداة زحف شعوب البحر .[2] ويؤكد بعض المؤرخين أن التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط بدأ في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد باتجاه قبرص حيث أنشأ تجار صور وصيدا مراكز تجارية على الساحل الجنوبي للجزيرة ، وكان الدافع من وراء هذا التوسع هو الحصول على خامات المعادن. [3]

إن التفاسير المقدمة من قبل الدراسات المعاصرة حول تاريخ التوسع الفينيقي لم تقتصر على ماذكرته المصادر الأدبية فحسب ، بل تعدتها إلى محاولة مطابقتها مع المصادر الأثرية والنقوش الكتابية ، وكان المؤرخ الألماني ***بيلوخ*** أول من مثل هذا الاتجاه ، إذ أخضع المأثور الكلاسيكي للنقد، وخلص إلى أن التوسع الفينيقي لم يبدأ قبل القرن الثامن قبل الميلاد، ولذلك حدث التنافس الفينيقي الإغريقي ، والتأكيد على رفض التواريخ المقترحة لتأسيس قادش وأوتيكا وقرطاج بوصفها عديمة القيمة من وجهة نظر تاريخية لعدم توافقها مع المكتشفات الأثرية ، ولهذا فإن المراحل الأولى التي سبقت عملية التأسيس والبناء للمستوطنات عدت مرحلة ارتياد للبحارة الفينيقيين الذين استخدموا هذه المحطات للتزود بالماء والمؤن ، ولهذا لم يكونوا في حاجة إلى أن يشيدوا مساكنهم أو أن يخلفوا آثار جديرة باهتمام علماء الآثار .[4] ولابد من ذكر أن التوسع الفينيقي قد

1- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص ص 161- 162

2- **محمد حسين فنطر : الحرف والصورة في عالم قرطاج** ، أليف ،منشورات البحر المتوسط ، مركز النشر الجامعي ،تونس 1999م ، ص 11

3- **جان مازيل : تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية** ،ترجمة ربا الخشن، دار الحوار للنشر ، سوريا ، 1997م، ص 81 .انظر أيضاً **غلين ماكو : "الكنعانيون أمة من الحرفيين** " في آثار العرب ، ترجمة مريم سلامة ، طرابلس ، العدد 4،آذار 1992م،ص ص 23- 29

4-**سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ،ص ص 162- 164

اقتصر على المناطق الساحلية على الأقل في المرحلة الأولى من تأسيس المحطات والمراكز التجارية .[1]

ثالثاً– أهم المدن الفينيقية ودورها في التفاعل الحضاري:

1– أهم المدن في شرقي البحر المتوسط :

آ– أرواد

مدينة فينيقية لها أطلال في جزيرة سورية صخرية، تبعد عن البحر بحوالي 3 كم ، يبلغ طولها حوالي 800 م و500 م عرضاً ،يحيط بها سور ضخم، سماها الفينيقيون أرواد (بمعني الملجأ) والإغريق أرادوس ،[2] وسميت في العصر الهللينستي ***"أنتارادیس"*** ***(Antaradus)*** وقد أطلق عليها الصليبيون ***(Tortosa)*** وهي اليوم "طرطوس" شمالي عمريت ،حيث لاتزال تشاهد فيها بعض الآثار الفينيقية الهامة ، وهي كالمعبد وعدد من القبور.[3]استوطنها الفينيقيون منذ الألف الثاني ، وأصبحت قاعدة ممتازة لعملياتهم التجارية ،حارب جنود أروادیون ضد المصريين في معركة قادش (1285) التي جرت بين المصريين والحثيين بالقرب من حمص .تأسست فيها في الألف الاول ق .م مملكة فينيقية مستقلة ذاتياً أقامت لنفسها على البر المقابل لها مجموعة من المستوطنات التجارية منها عمريت وجبلة وبانياس وطرطوس . لكن هذه المملكة خضعت للآشوريين (من بداية الألف الأولى إلى 625) ثم للكلدانيين (منذ سنة 604) ثم للفرس الأخمينيين (منذ سنة 538) وحاربت سفن أروادية إلى جانب الفرس ضد الإغريق في معركة سلاميس في سنة 480. فقدت أرواد أهميتها في العصر الروماني بسبب ظهور طرطوس (Antaradus) قوة تجارية جديدة في المنطقة.[4] وكان الأروادیون قد أسسوا مدينتهم مستخدمين كل ما أوتوا من علم وبراعة للتغلب على العقبات الطبيعية، وليحققوا غرضاً أساسياً هو الأمن والسلام ،وكانت تلك الصخرة خالية من الماء وقدحلت مشكلة المياه بوسيلتين : الأولى خزن مياه الأمطار الشتوية في خزانات ، والثانية ملاحظة تدفق المياه الجوفية من وسط البحر على شكل عين، في منتصف المسافة بين الساحل وبين الجزيرة. وقد استطاع الفينيقيون هنا أن يقيموا على هذه العين المنبثقة في الماء الملح خزاناً ينقلونها منه بواسطة أنابيب، وهي تحتاج لعلم وفن وخبرة.

---

*1-**B.H. Warmington, Carthage**, Pelican,Book,England,1964,p15*

*2-**GlennE-Markoe,Phoenicians**,London,2002,pp205-206*

3– **محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية** ،ص 141

4– **عيد مرعي ، رحلة في عالم الآثار** ، ص 88للمزيد حول السيطرة الآشورية على مدن الساحل الفينيقي انظر :**إيفا كانجيك كير شباوم : تاريخ الأشوريين القديم** ، ترجمة فاروق اسماعيل ، دمشق ،2008م ، ص ص 90-96

وقد اشتهر أهل أرواد في فن الملاحة ويظهر ذلك من خلال البقايا الأثرية التي تؤكد الطابع التجاري للجزيرة إذ كان لها ميناءان توأمان مفتوحان نحو الشرق ، أما خليجاها الجنوبي والشمالي فقد كانا مفصولين.[1]وقد ورد في التوراة أن الأروادیین من نسل كنعان [2] ويذكر ***حزقيال*** : أن ملاحيها وجيوشها كانوا في خدمة صور ،وقد أخضعت بعض المدن على الساحل مثل ماراثوس التي تقابلها على الساحل ، وسميرا التي تقع على بعد بضعة أميال إلى الجنوب .[3]

ب– صيدا:

من المدن الفينيقية الهامة ، تأسست في الألف الثالث قبل الميلاد ،ورد ذكرها في التوراة بصيغة صيدن أو صيدون [4]،واسم هذه المدينة مشتق من الفعل ***صاد*** ، ويبدو من هذا الاشتقاق أنها كانت محلة صغيرة لصائدي الأسماك (وقد ورد في شعر هوميروس عن هذه المدينة أن السمك فيها أوفر من الرمل) .[5]وورد اسمها بالإغريقية ***صيدون*** . ويرى ***المؤرخ موسكاتي*** أن اسم الصيدونيين استعمل للدلالة على الشعب الفينيقي كله ، ثم اقتصر على مدينة صيدا وحدها ، وذلك بسبب سيادتها على المدن الفينيقية من سنة 1000 تقريباً إلى أواخر القرن السادس ، لتحل محلها بعد ذلك صور .[6] يقول المؤرخ الفرنسي ***جاك نانتي*** في كتابه :(تاريخ لبنان) ***:(أن أول مدينة اسسها الفينيقيون هي مدينة صيدا حوالي 2800 ثم بنيت مدينة جبيل فأرواد فطرابلس .وذكر أن مؤسس مدينة صيدا هو ابن كنعان البكر صيدون الذي أخذت اسمها منه)*** [7] وصفت صيدا بأنها (بكر كنعان) وبوالدة كنعان في وقت لاحق ،بالإضافة إلى ذلك صيدون القديمة تمتعت بشهرة كبيرة في العصور القديمة إلى أن استعمل المصطلح الهومري والكتاب المقدس، حيث كانت صيدون تمثل جميع الفينيقيين .[8]

---

*1- **G.Markoe, The Phoenicians**,B. M,p,London,2000 ,pp205-206*

2- **سفر التكوين** 18/10

3- **سفر حزقيال** 8،11/27

4- **سفر التكوين** : 10: 15 أيضاً **إرميا** 25: 22

5- **محمد السيد غلاب: الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 360

6- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص 30

*7-**Jacues,.Nantet, Histoire Du Libau** ,paris,1963,p22*

*8-**M.Gras,P.Rouillard,J.Texidor;L'Univers Phenicien** p48*

تقع مدينة صيدا على مسافة تبعد عن بيروت جنوباً بنحو 45كم وعن صور شمالاً بنحو 40 كم.[1] في منخفض من الأرض بين سفوح لبنان الغربية وبين البحر ، ويحيط بها سهل ساحلي صغير خصب ، تغطيه الحدائق ويشتغل أهله بالزراعة ويمدون المدينة بما تحتاجه من غذاء ،وهذه المدينة القديمة – التي لاتزال موجودة حتى اليوم –تقوم على مثلث قاعدته إلى الداخل ورأسه شبه جزيرة ضاربة في البحر ،ويحيط بها عدد من الجزر الصخرية الصغيرة تحمي الخليج الصغير الذي تكونه من العواصف والأنواء ،وأكبر هذه الجزر صخرة مستطيلة الشكل تقريباً تحد المدينة من الغرب وصخرة أصغر منها تتصل بالبر من ناحية سورها الشمالي الشرقي وبينها عدد من الجزر القريبة ،وقد استغلت هذه الجزر في إقامة عدد من القلاع التي تشرف على حركة دخول السفن إلى الميناء والخروج منها ،كما أن للمدينة مرفآن شمالي تحصنه تلك الجزر التي تحدثنا عنها ومرفأ جنوبي في خليج صغير.[2]وقد مارست صيدا تحت السيادة المصرية (منذ عهد تحوتمس الأول نحو 1500) مع بقية المدن الساحلية الفينيقية نشاطاً تجارياً قوياً ، وأسس تجار صيداويون مستوطنات تجارية في العديد من مناطق سورية الداخلية(حماة ونصيبين وغيرها) .أما في الفترة الآشورية فإنها لم تستطع الوقوف في وجه الملك الآشوري الكبير آشور ناصر بال الثاني ، فاستسلمت له في سنة 877، وكتابعة للآشوريين شاركت في حصار مدينة صور المجاورة في سنة 726. وفي سنة677 قاومت الملك الآشوري أسر حدون ، الذي دمرها، وهجر سكانها إلى بلاد آشور ، ووطّن مكانهم كلدانيين من بابل .[3]خضعت صيدا للأمبراطورية الفارسية الأخمينية في العام 538 في عهد الملك قورش وبموجب التقسيم الإداري الذي أوجدته الدولة الفارسية أصبحت فينيقية مع قبرص الولاية الخامسة في الامبراطورية الفارسية ، كما اتخذ الوالي الفارسي من صيدا عاصمة للولاية ، وبنى فيها قصراً ملكياً ساهم الصيدونيون في بنائه وزخرفته وقد تمتعت صيدا في العهد الفارسي بالسيادة على سائر المدن الفينيقية .

وبعد غزو الاسكندر لفينيقية ونهاية السيطرة الفارسية ، فتحت صيدا أبوابها للفاتح الجديد، ودخلت جيوش الاسكندر دون قتال في سنة 332 ، ثم أصبحت جزءاً من ولاية سورية الرومانية في سنة 64.[4]

---

1. http//www.alzamilmagazine.com/articledetails.php

2- **محمد السيد غلاب** : **الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 359 - 360

3- **عيد مرعي** ،**رحلة في عالم الآثار** ، ص 220

4- **منير الخوري** : **صيدا عبر حقب التاريخ** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ،1966م ، ص ص 69- 78

ج– صور:

كانت صور من المدن الفينيقية الهامة ،والمدينة الأم لقرطاج ، تتمتع بمركز جغرافي ممتاز على ساحل البحر المتوسط الشرقي على بعد 40 كم جنوب صيدا، وحسب ***هيرودوت*** أسست المدينة حوالي عام 2750 [1] وهي مدينة قائمة على جزيرة بالقرب من ساحل البحر المتوسط وعند نهاية حاجز جبال لبنان الغربية. كانت في موقع حصين حصانة طبيعية ، إذ كانت – مثل أرواد – قائمة على جزيرة قريبة من الساحل، إلى أن وصلها الإسكندر المقدوني بالبر عام 332 أثناء غزوه لها . وتدل الوثائق القديمة على أن صور ظلت عدة قرون أكبر ميناء تجاري على ساحل البحر المتوسط.[2]

يقول ***سترابون: (أما عن صور فهي جزيرة تماماً مقامة على نسق جزيرة أرواد، ويصلها بالبر لسان أقامه الاسكندر أثناء حصاره للمدينة، ولصور ميناءان أحدهما مقفل (وهو الميناء الشمالي) والآخر مفتوح وهو الذي نسميه بالميناء المصري .... وبيوت المدينة ذات طبقات عديدة، أعلى من بيوت روما ، ولذلك فهي معرضة للهدم إذا أصاب المدينة زلزال .. وقد نهضت المدينة بمهارة أهلها في الملاحة والصناعة، ولاسيما صناعة الملابس الأرجوانية اللون ، فليس من شك أن القواقع التي يصطادها أهل صور ويستخرجون منها أنواع الصباغة الأرجوانية هي سبب شهرتها)***[3] أما عن اسمها فهو فينيقي الأصل مثل بقية أسماء المدن الفينيقية الأخرى ومعناه ***المغفرة***، وكان يقابل صور–التي كانت قائمة على جزيرة–مدينة برية أخرى تسمى صور البرية أو صور القديمة في العصرين الإغريقي والروماني[4] هذا وقد أطلق الصوريون على مدينتهم (صور) اسم ***"صُر"*** (Sr) والذي يمكن إرجاعه إلى الأصل "طر". و كان يعني في أكثر اللهجات السامية : الصوان ، أو الحجر الحاد ، دالاً بذلك على طبيعة الجزيرة الصخرية القاسية ، التي بنيت عليها المدينة ، ومن ثم فإن (صور) إنما تعني في الفينيقية ***"الصخرة"***.[5] ذكرت صور لأول مرة باسمها الفينيقي (صور) "بمعنى الصخرة" في نصوص مصرية ، وفي رسائل تل العمارنة العائدة إلى القرن الرابع عشر.

1-***Herodotus, History***, Translated, by, A.D. Godley , Camdley, Cambridge. L.C.L , II, 44

2- **محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 362

3- ***Strabon, Geography***, xvI,2,23-

4-**محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 363

5- **معن عرب : صور :حاضرة فينيقيا** ، بيروت ، 1969م ، ص 5

وتظهر في هذه المصادر التابعة للأمبراطورية المصرية الحديثة ، واستمرت تلك التبعية حتى بداية القرن الثاني عشر ، بعد ظهور شعوب البحر .وبعد وصول الجيش الآشوري بقيادة تيكلات بيليصر الأول (1115-1077) إلى ساحل المتوسط، كانت صور ماتزال قوية إلى درجة مكنتها من رفض دفع الجزية له .تمتعت صور بقوة واستقلالية كبيرين في القرنين العاشر والتاسع ، مكنتها من إقامة علاقات اقتصادية مزدهرة مع بعض القوى المحلية داخل سورية ، ومن القيام بنشاط تجاري بحري مكثف رافقه تأسيس العديد من المستوطنات التجارية في كامل حوض البحر المتوسط ، من قبرص إلى مضيق جبل طارق ، وأشهرها قرطاج .خضعت صور للآشوريين في القرنين الثامن والسابع ق.م ، وحاصرها ملك بابل الكلداني نبوخذ نصر الثاني لمدة 13 عاماً .(587- 574) دون جدوى .وقد تبعت للامبراطورية الفارسية الأخمينية من 538- 332 ، وعلى الرغم من فقدانها سيادتها إلا أنها استمرت بالإزدهار .

تعرضت لهجوم الاسكندر المقدوني في سنة 332 فقاومته لمدة سبعة أشهر دخلها بعدها الاسكندر، فدمر قسمها البري بالكامل واستخدمه لبناء جسر ضخم طوله 800م وعرضه مابين 180- 270م للوصول إلى الجزيرة ، وبذلك تحولت الجزيرة إلى شبه جزيرة . خضعت صور في العصور التالية للبطالمة ثم للسلوقيين واخيراً للرومان في سنة 64[1]

إن قوة صور مكنتها من الصمود لفترة طويلة وهذه القوة تعود لعدة عوامل منها :

- **– موقع المدينة داخل البحر ومناعة أسوارها .**
- **– قوة أسطولها التجاري والحربي .**
- **– تبعية قرطاج لصور ومدها بالإعانات المادية سنوياً في شكل هدايا لمعبد الإله (ملقارت)[2]**

د– جبيل

تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ،على بعد 37كم تقريباً شمال بيروت[3] ويذكر ***Strazzula*** أن هناك آثار تعود إلى 7000 [4]

1- **عيد مرعي ،رحلة في عالم الآثار** ،ص ص 218-219

2-**محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ،ص ص 26- 31

*3- **Sabatino Moscati**: **Les phèniciens**,Paris,1989,p142*

*4- **Maria Strazzulla**: **Ancient libanon**, Rome, 2004,p24*

بينما يذكر **Dunand** أنه كان هناك استقرار فيها حوالي 5000 [1] وحول تسميتها فقد أطلق **المصريون** عليها اسم **Kpny- Kbn** وهو يتساوى مع الاسم العربي **Gebal – Gubail**[2] ومع الاسم الفينيقي **Gbl–Gbal** – وبالأكادي **Gubla Gbal** [3]. وقد ورد اسم **جُبلا** في رسائل تل العمارنة من خلال الرسائل المرسلة إلى مصر في عهد امنحتب الرابع من ملكين في جبيل هما رب هدا الذي أرسل أكبر مجموعة ضمن مراسلات العمارنة (68- 96- 101 – 138) منها : ***(رسالة من رب هدا ملك جُبلا إلى موظف كبير في البلاط المصري)والثاني هو إيلي رابخ الذي تلاه في الحكم، وأرسل رسائل معدودة(128– 139– 140)*** [4] أما تسمية **Byblos** فهي تسمية أطلقها الإغريق، وسبب إطلاقهم هذا الاسم الكميات العظيمة من ورق البردي ،الذي صدر إليهم من مصر عن طريق جبيل . واعتباراً من القرن السادس ق.م. بدأ العالم الإغريقي يستهلك كميات كبيرة من الورق.[5]

أيضاً هذه التسمية مشتقة من **Biblion** الاغريقية وتعني كتاب أو لفة كتاب. كذلك فإن تسميات ورق ومكتبة والتوراة في العديد من اللغات الأوربية الحديثة مشتقة من هذا الاسم.[6] أولى محاولات التنقيب في جبيل كانت سنة 1860م عندما زار العالم الفرنسي أرنست رينان* جبيل، حيث قام بحفائر تركزت في أربعة مناطق جبيل –أرواد– صيدا– صور ،وقد نقل رينان كثيراً من الآثار الظاهرة على سطح الأرض ،والتي عثر عليها في تنقيباته إلى متحف اللوفر، ومما يدعو للأسف أن أعوانه لم يقدروا قيمة الآثار التي كانوا يعثرون عليها فيهملون الكثير منها وخاصة الفخار ،مع أن هذا الأخير أهم ما يعتمد عليه الباحثون في التوصل إلى كثير من الحقائق عن تاريخ المناطق التي يعثر عليه فيها بصفة عامة. [7]

---

*1-**Maurice Dunand; Byblos son Histoire,ses Ruines,ses Lègendes**, Beyrouth,1973,p15*

*2- **AlessandraNibbi:,Ancient Byblos reconsidered** Oxford,1985,p27*

*3-**Dictionnaire de la civilization phenicienne et punique** ,Brepols,1992,p82*

4- **فاروق اسماعيل : مراسلات تل العمارنة** ، ص 50

*5-**Alessandra Nibbi, Ancient Byblos reconsidered**; p 34*

6- **عيد مرعي: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم** ،مكتبة الخبتي،السعودية ،2003م ،ص160

*كلف نابليون الثالث أرنست رينان بمسح المواقع الأثرية في فينيقية وألف نتيجة هذه البعثة كتاباً أسماه (بعثة فينيقية)

7-**محمد أبو المحاسن عصفور: المدن الفينيقية** ، ص18

قام بالمحاولة الثانية للتنقيب العالم الفرنسي بيير مونتيه ،خبير الآثار المصرية عندما زار لبنان سنة1919م،ولفت نظره أناس يجمعون حجارة عليها نقوش هيروغليفية ،فعقد العزم على القيام بحفريات منظمة في جبيل ،وبدأ أعماله التنقيبية عام 1921م ،واستمرت حتى سنة 1924م وفي سنة 1925م تسلم إدارة الحفريات في الموقع عالم الآثار الفرنسي موريس دونان ،وبقي يعمل فيه لحساب المديرية العامة للآثار اللبنانية حتى سنة 1975م بحيث تمكن من نفض الغبار عن الجزء الأكبر من تاريخه وآثاره . [1]

لابد من القول أن القيام بالحفريات والتحليل الأثري ومحاولة فهم شبه كامل لظاهرة حضارية وخاصة بالنسبة لجبيل أمر في غاية الصعوبة . الموقع الذي تمت دراسته يمكن أن يوفر قاعدة بيانات فريدة من نوعها فهو يشكل شبكة مستمرة لنسيج حضاري لأكثر من خمسة آلاف سنة ،وهذا ما يعطي الموقع ميزة فريدة . [2] فحسب الدراسات الأثرية تعد جبيل من مراكز الاستقرار البشري القديمة ،فقد تميزت عن غيرها باستمرار السكن فيها وعدم انقطاعه . [3] حيث عثر على أكواخ تعود إلى الألفية الخامسة ، وهي للسكان الأوائل الذين كانوا مزارعين وصيادين، حيث وجد فيها منشآت بحرية تدل على أن الصيد أهم نشاطاتهم [4] وقد عرفت هذه المدينة بعلاقاتها الوثيقة مع مصر ،فأقدم معبد فيها يعود لنحو 2800 ،أقيم لآلهة المدينة بعلة جبيل ،حيث عُمل هذا المعبد على نمط الهندسة المعمارية التذكارية التي ظهرت في مصر في الألفية الثالثة ،[5] وعثر فيه على العديد من النقوش و الهدايا المرسلة من مصر، وهذا يدل على علاقات الصداقة بينهما ، و تشير النقوش المصرية لنحو 2600 إلى وصول سفن جبيلية تنقل الخشب إلى مصر.[6]

1-***Réne Dussaud*: *Les quatres fouilles de Byblos de Pierre Montet*** *,Syria,tome 11, Paris ,1930,p 164-165*

2- ***Jean–Claude –Margueron*: *L' urbanisme de Byblos*:*certitudes et problémes*** *, Roma , 1994, p15*

3- ***Nina Jidejian*: *Byblos Through the Ages*** *, dar el-machreq publishers,Beirut,1968,p16*

4- ***Guy Rachet*: *Syrie –Liban –Jordanie*** *, Paris , 1998 , p 170*

5– ***Nina Jidejian*, *Byblos Through the Ages*,** *p1*

6- ***Maria Aubet*: *the Phoenicians and the west*** *,(politics coloniesand trade)Cambridge university press ,1994, pp 18- 19*

وتستورد بالمقابل الذهب والمعادن والبردي.[1]وما يؤكد استعمال خشب الأرز في مصر ، العثور على قطع من خشب الأرز مازالت قائمة في مكانها الأول داخل الحجرة العلوية لهرم سنفرو الجنوبي بدهشور ، وعلى عدد من مراكب الشمس تؤرخ بعهد الملك خوفو مصنوعة من خشب الصنوبر المستورد من منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط .[2] وكانت جبيل صلة الوصل بين سورية ومصر ،و التجارة أهم أسباب هذه الصلات ،فهي التي تزود مصر بأخشاب الأرز الممتازة لصنع المراكب الملكية وأثاث القصور والمعابد ،كما تصدر إليها الخمور وزيت الزيتون والراتنج. [3]

إذاً نستطيع القول أن العصر الذهبي لجبيل بدأ منذ الألفية الثالثة من خلال العلاقات الممتازة التي وطدتها مع مصر ،حيث تعددت المعابد ،وأرسل الفراعنة الحملات التجارية ليبحثوا عن الخشب من أجل بناء سفنهم أو بناء المعابد ، فكانت المدينة ملتقى حقيقياً للتجارة [4] ومنذ 1200 ظهرت موجة شعوب البحر، وبدأت السيادة المصرية تتقلص وأخذت السيادة الآشورية تظهر منذ عهد تغلات بلاصر الأول 1114-1076 وما يثبت تراجع النفوذ المصري في هذه الفترة وثيقة أرخت بنحو 1080 تذكر مهمة قام بها وينآمون مبعوث فرعوني أرسله سيده للحصول على خشب الأرز للمركب الرسمي للإله آمون في طيبة ،[5] إن قيمة الوثيقة تعطي صورة موقع مصر، والتي كانت تحاول تأكيد نفسها كقوة سائدة في منطقة البحر المتوسط لكنها لم تستطع ذلك ،فقد أعطي وينآمون مبلغاً قليلاً من المال ،أو قد سرق هذا المال الذي معه . ووصل إلى جبيل بدون هدايا إلى زكربعل ملك جبيل وبعد انتظار ويأس حظي بمقابلة زكر بعل ،الذي صرح بأنه لا يشعر بأي التزام تجاه مصر سياسياً أو اقتصادياً، وهذا الموقف يوضح أنه لم يكن لمصر سيطرة سياسية .فمنذ ذلك الوقت أخذ النفوذ الآشوري يتزايد وتتالت الحملات الآشورية وبقيت جبيل تدفع الجزية لملوك آشور كنوع من التبعية الاسمية ،ثم بعد ذلك بدأ النفوذ الآشوري بالانحسار وظهر النفوذ الكلداني الذي لم يعثر على آثار له فيها.[6] وفيما بعد خضعت المنطقة للنفوذ الفارسي و تمتعت جبيل بمنزلة سياسية فريدة ضمن درجة كبيرة

1-**محمد الزين: "لبنان في العصور القديمة"** ، الموسوعة العربية الشاملة ، مج 16،الصادرة عن الجمهورية العربية السورية، ط1 ، 2003م ،ص895

2-**محمود عبد الحميدأحمد:الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين والشام إلى مصر،ص199**

*3-**Alessandra Nibbi, Ancient Byblos reconsidered** ;p 27*

*4-**Pierre Bordreuil: Astartè la dame de Byblos** , Paris ,1998p 11*

*5- **Nina Jidejian, Byblos Through the Ages**, p 61*

6- ibid, pp 62-78

من الاستقلال ،فقد حكمت نفسها وسّمح لحكامها بضرب عملاتهم المعدنية الفضية وامتلك الفرس أساطيل السفن الحربية وأصبح لا غنى عنها بالنسبة للبحرية الفارسية ،واتخذوها وسيلة لمهاجمة بلاد الإغريق،[1]فجبيل لم تعاند الفرس ومارست حكماً ذاتياً محلياً، بينما بعض المدن الفينيقية الأخرى مثل صور وقفت في وجههم ،وقد استطاعت جبيل أن تؤمن لأهلها من خلال التجارة نوعاً من الاستقرار والازدهار.[2]وبعد غزو الاسكندر الأكبر 333، الذي أعلن أنه جاء ليضحي لإله صور الكبير ملقارت (هيراكليس) عند الأغريق ، الذي اعتبره جد سلالته ، لكن الصوريين رفضوا قبول هذه التضحية مؤكدين أن ملك صور وحده يمكنه أن يضحي في المدينة ، اشتبه الاسكندر بوجود مؤامرة للتهرب من الولاء الذي طلبه بذلك بدأ حصار مدينة صور التي قاومت مدة سبعة أشهر ، اضطرت بعدها أن تستسلم صيف 332 وقمعها الاسكندر بوحشية ، وتركزت فيها حامية مقدونية. [3] أما بالنسبة لجبيل فقد وضعت تحت الحكم الإغريقي، وتولى عرشها في ذلك الوقت إينال ،فطلب الأمان من الاسكندر ، و بشكل عام فإن جبيل لم تنعم بالاستقرار الذي عرفته فيما مضى. [4]

وبعد وفاة الاسكندر اشتعلت الفتن بين قادته ، وأصبحت فينيقية بشكل عام تنتقل السلطة فيها تارة إلى أيدي البطالمة *ملوك مصر، وتارة إلى السلوقيين** ملوك سورية وآسيا الصغرى .

1-***The Cambridge Ancient History*** *, second edition, vol 4, USA, 1988 , pp 146-147-156*

2-***John.D Grainger****:* ***Hellenistic Phoenicia*** *, Clarendon press Oxford , 1991, p 11.*

3- **موريس سارتر : سوريا في العصور الكلاسيكية (الهلنستية – الرومانية)** ترجمة محمد الدنيا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2008م

4- **جميل جبر : جبيل في التاريخ** ، ص 112

*البطالمة : ينتسب هؤلاء إلى بطليموس ، الذي كان مرافقاً شخصياً وصديقاً للاسكندر ، أعطي حكم مصر ، حيث عرف ببطليموس الأول ، وعرف كل الملوك من سلالته باسم البطالمة .انظر : **سيد أحمد علي الناصري : تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1992م ، ص 116

السلوقيين : ينتسب هؤلاء إلى سلوقس ، الذي كان من كبار ضباط الاسكندر أسس السلالة الحاكمة السلوقية في سورية ، وتعتبر مملكته أوسع وأقوى الممالك التي نتجت عن تفكك امبراطورية الاسكندر. وامتدت الدولة السلوقية من سورية غرباً إلى حدود البنجاب شرقاً انظر ***E . Bevan , The House of Seleucus* *. Vol. 1. London 1902 . p.55*

وقامت حروب بين الطرفين ،أهمها تلك التي شنها انطيوخوس الملقب بالكبير على بطليموس الخامس المعروف بالشهير، وانتصر فيها انطيوخوس.

حاولت المدن الفينيقية في عهد السلوقيين الحصول على استقلالهم فأنشأوا لهم مجالس لتدبير شؤونهم ،[1] وفي القرن الأول قبل الميلاد احتل الرومان بقيادة بومبيوس مدينة جبيل إلى جانب مدن فينيقية أخرى وحكموها من عام 64ق.م- 399م، وكان بومبيوس عندما وصل جبيل أعدم ملكها كينراس ومنح المدينة استقلالاً بحماية روما ، وعقد الرومان مع المدن الفينيقية معاهدة تحفظ للسكان شرائعهم وتقاليدهم وعقائدهم الدينية . [2]

2– أهم المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط :

يقول ***بليني*** :(***لقد بنى الفينيقيون أكثر من ثلاثمائة مدينة ،بنوها بالتجارة والسلم والفن)***.[3] لم يكن الفينيقيون يكتفون بمجرد المتاجرة والعودة من حيث أتوا ، بل كانوا يستقرون وينشؤون مدناً فينيقية جديدة ، و كان لهم من التجارب ما يجعلهم يختارون موقعاً يستجيب لحاجيات الملاحة ومستلزمات الاتصال، وعندما يستقرون لا يثيرون فزع السكان الأصليين ، فقد كانت أعدادهم قليلة ، وكانوا يتسربون دون أن يثيروا الرعب والشكوك ، ولم يكن لهم اتجاه سياسي معين ، فسرعان ما يتلاءمون مع الوسط الذي يعيشون فيه. فإذا تم إنشاء المستوطنة واستقر فيها المهاجرون بدأت تتصل بالمدن الفينيقية الكبرى عن طريق البحر ، وتعمل على تصريف المنتجات الفينيقية في البلاد التي تنشأ فيها ، كما تعمل على جمع المادة الخام ،كالذهب والفضة والقصدير ويقيمون علاقات طيبة مثمرة مع الذين يرغبون في اقتناء البضاعة الموجودة في بطون سفنهم ، وفي تلك الأصقاع النائية يجد الفينيقيون حسن القبول ، وهم تجار ممن ذلق عندهم اللسان وعجت سفنهم بالبضاعة المغرية . [4]

وهكذا انتشرت المستوطنات الفينيقية في عدة أماكن في جزر شرق البحر المتوسط، وامتدت إلى بلاد الإغريق ،واستقروا في قبرص ورودس ثم استقروا في صقلية وسردينية، وقد وصلت مغامراتهم إلى غرب البحر

1- **يوسف مزهر** : **تاريخ لبنان العام** ، ج 1 ، ب.ت ، ص 116

2- **جميل جبر** : **جبيل في التاريخ** ،ص 116

3- ***Pliny***: ***The Natural History***, *Translated by H.R.Ackham L.CL,IV,12*

4 – **محمد حسين فنطر** : **الفينيقيون بناة البحر المتوسط** ،أليف منشورات البحر المتوسط ، تونس 1998م ، ص 83

المتوسط وذلك منذ القرن العاشر قبل الميلاد وإلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد .فكان لهم مستوطنات هامة في شمال إفريقيا وفي جزيرة مالطة التي كانت تسمى قديماً ميليتي (Melite) وكان لهم حضور في جزر البليار التي كانت ذات قيمة استراتيجية بالنسبة للحضور الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، وأيضاً في بلاد الإيبيريين وأسسوا مستوطنات لعبت دوراً هاماً .

وهذا ما أكده ***فينفريد إلليغر*** بالاستناد إلى ما ذكره ديودورس الصقلي بقوله (بلاد الإيبيرين فيها أغنى وأفضل مناجم الفضة تقريباً ، وتؤمن للعمال دخلاً كبيراً ، ولم يعرف السكان المحليون ماذا يفعلون بالفضة، حتى علم الفينيقيون بذلك في رحلاتهم التجارية وكسبوا الفضة مقابل بضائع قليلة القيمة ، وهكذا جلبوا الفضة إلى بلاد الإغريق وآسيا وإلى كل الشعوب الأخرى فحققوا بذلك غنى كبير) .[1]

ومن أهم المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط :

آ– أوتيكا:

كانت أوتيكا أهم المستوطنات الفينيقية في شمال أفريقيا ، واسم أوتيكا شغل المؤرخين، وكاد الباحثون المعاصرون يجمعون على أنه مشتق من تسمية فينيقية الأصل ، فمنهم من قال أنه يعني المستوطنة أو المحطة ومنهم من لمس فيه معنى الروعة والجمال الوهاج ، ومنهم من قال أنه مشتق من عتق ، وهي تحوي على معنى التقدم في الزمن .[2] تقع أوتيكا بعيداً عن ساحل البحر بسبب تراكم الطمي في وادي مجردة في المصب، وقد خيب هذا الموقع آمال علماء الآثار الذين عولوا عليه لمحاولة حل قضية جذور التوسع الفينيقي، ولكن الحفريات الأثرية لم تكشف عن لقى أثرية تعود إلى ماقبل القرن الثامن.[3]

أما المصادر الأدبية فتقول عكس ذلك فالمؤرخ ***موسكاتي*** يقول أن تاريخ تأسيس هذه المدينة يعود إلى 1100 [4]. حيث يؤكد ***بليني*** أن أوتيكا أسست في شمال أفريقيا نحو 1100 وأشار أن عمر خشب الأرز بمعبد أبولو يبلغ من العمر 1178سنة [5]

1- **فينفريد إلليغر : قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين** ، ترجمة عيد مرعي ، روافد للثقافة والنشر ، دمشق ، ط1 ، 2008م ، ص 89

2- **محمد حسين فنطر : الفينيقيون بناة البحرالمتوسط** ،ص 92-102

3- **الشاذلي بورونية : محمد الطاهر، قرطاج البونية** ،(**تاريخ حضارة**) مركز النشر الجامعي ، تونس، 1999م ص 72

4–**سباتينو موسكاتي :الحضارة الفينيقية** ،ص 169

*5- **Pliny**: **The Natural History**, XVI, 216*

وذكر أرسطو أن أوتيكا أسسها الفينيقيون قبل قرطاج بنحو 287 [1] وهو ما يتوافق برأينا مع التاريخ الذي ذكره بليني .

أما الغرض الذي أنشئت من أجله مستوطنة أوتيكا فقد كان اقتصادياً ونظراً لموقعها المتوسط في منتصف الطريق بين صور وقادش (في جنوب اسبانيا)،فقد ساعدت في بادئ الأمر على ربط الصلات التجارية بين فينيقية الأم ومستوطنة قادش التي اشتهرت بغناها المعدني، علاوة على ذلك كانت أوتيكا محطة تجارية يلتقي فيها سكان المغرب بالتجار الفينيقيين لتأمين المصالح المتبادلة ، وعندما كثر عدد التجار المهاجرين الذين استقروا في أوتيكا انقلبت هذه المحطة إلى مستوطنة إسكان ، وقد فسر بعض المؤرخين هدف الفينيقيين من وراء الاستيطان في أوتيكا أنه كان بدافع الحصول على كميات القمح التي تنتجها سهول شمال تونس . أما عن علاقة أوتيكا بقرطاج فقد كانت على ما يبدو في أول الأمر علاقة ود ووئام، وكان لكل مدينة منهما كيانها الخاص . لكن فيما بعد خضعت أوتيكا للقرطاجيين ، حيث ورد ذكر المدينة في معاهدة 348 التجارية بين روما وقرطاج .[2]

وكانت أوتيكا تترقب الفرص للتخلص من سيطرة القرطاجيين ولاسيما في مراحل الأزمات والحروب التي خاضتها قرطاج [3] وفي سنة 310 سقطت المدينة بيد الإغريق بعد حربهم ضد قرطاج ، وفي الحرب البونية الأولى* (264- 241) وقفت المدينة إلى جانب الرومان ضد قرطاج وتخلصت من سيادة القرطاجيين ، ولكن قرطاج تمكنت مرة ثانية من فرض سيطرتها على المدينة .وفي الحرب البونية الثالثة (149- 146) أعلنت أوتيكا وقوفها بجانب الرومان ، وبعد سقوط قرطاج سنة 146 اتخذ الرومان من أوتيكا مقراً للحاكم الروماني في أفريقيا، وأصبحت مقراً للمواطنين الرومان .[4]

---

*1- **S.Gsell,H.A.A.N**, tome1 Librairie Hachette, paris,1920,p 360*

2- **محمد الصغير غانم ،التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ،ص ص 94- 95

*3 -**G. Picard:La vie et mort de carthage**,Paris,1958,P92*

* الحروب البونية : خاضتها روما ضد قرطاج لسببين أولهما : نزوع روما التقليدي إلى الحرب بالإضافة لتفوقها على الإغريق ، ومنافسة قرطاج في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ثانيهما سعي الرومان لإيجاد مبررات للحروب إما دفاعاً عن أنفسهم أو عن حلفائهم . للمزيد انظر **Warmington , B.H ,carthage**,pp177-178

4– **محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ، ص 99

ب – قرطاج

أشهر مدينة فينيقية ، قدّر لها أن تكون حاضرة لأقوى امبراطورية شغلت الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال الفترة من القرن السادس حتى القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً ، وأن تلعب دوراً مهماً في التاريخ الحضاري للمنطقة ، حيث تركت لنا ما يعرف بالحضارة البونية التي كانت لها آثار قوية في شمال أفريقيا ، استمرت حتى بعد زوال تلك الإمبراطورية على أيدي الرومان ، وقد استطاعت أن تفرض سيطرتها التجارية والعسكرية في غرب البحر المتوسط حتى بداية الحروب البونية في منتصف القرن الثالث ق .م ، والتي استمرت حتى تدمير قرطاج 146 تقريباً .

إن كلمة قرطاج في اللغة اللاتينية *Karthago* "كرتاجو"، وفي الإغريقية *Karchedon* "كارتشادون" ، بينما كانت لدى الفينيقيين وهم سكان المدينة الأصليين "قرت حدشت" أي المدينة الجديدة ويميل أغلب المؤرخين إلى أن المدينة هي مدينة "أوتيكا" التي أسست في نفس المنطقة نحو سنة 1100 ، وأن التسمية جاءت من الشرق ، فقد جاء اسم المدينة الجديدة لتمييزها عن مدينة صور الأم ، حيث أصبحت تشكل مركز الثقل الفينيقي في غرب البحر المتوسط . [1] يعتبر موقع قرطاج من أفضل المواقع التي أنشئت عليها المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط –فيما يعرف الآن بتونس– فهي تقع فوق هضبة قليلة الارتفاع بين رأسين خارجين عن البحر ، ويبدو أن موقعها قد تم اختياره بعناية ،فالخليج محمي من الرياح الشمالية والغربية، والسهل الرملي مناسب لإرساء السفن وبه بحيرتان شاطئيتان مناسبتان لتجهيز الموانئ ،[2]

وأتاح لهم موقعهم التوسع والامتداد نحو الأراضي البرية المحيطة بالساحل .[3]

من جهة أخرى فإن قرطاج تقع في منتصف المسافة بين المستعمرات الفينيقية في الغرب والوطن الأم في الشرق تقريباً ، وهي قريبة جداً من صقلية ،إذ لاتزيد المسافة بينهما عن 140كم تقريباً، كما أنها تقع في مواجهة سردينية من الجنوب .(خريطة 3)

1- **مفتاح محمد سعيد البركي : الصراع القرطاجي الإغريقي في القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق .م** ، مجلس الثقافة العامة ،2008م ، ص 60

2- ***G.Picard;La Vie et Mort ,de Carthage****, ,pp 26-27* ***,G.Picard, Lavie quotidienne Acarthage Au temps D Hannibal*** *(III Siecle nvant) Hachette,Frans,1982,p 25*

3 G.Markoe, The Phoenicians*,B. M.p,London,2000,p102*

وبهذا الموقع أصبحت قرطاج بالتلاقي مع صقلية وقربها من مالطة تشكل بوابة غرب البحر المتوسط ، وتشكل مثلثاً مع المستوطنات الفينيقية في صقلية وسردينية، يجعل البحر المتوسط الغربي بحيرة فينيقية لا يمكن الدخول إليه من الشرق إلا بإذن من قرطاج .ومن هنا جاء الاختيار الفينيقي لهذا الموقع الاستراتيجي لتأسيس امبراطوريتهم في الغرب .[1]أما بالنسبة لتاريخ التأسيس ، فقد أثارت مسألة تاريخ تأسيس قرطاج جدلاً واسعاً بين الباحثين ، إذ لم يحظ تاريخ تأسيس قرطاج المألوف (814- 813) الذي أوردته المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية على حد سواء بتأييد جميع المؤرخين المحدثين ، فكان موضع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين منذ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد تقريباً .وذلك للتناقض بين المعلومات التي تقدمها المصادر الكلاسيكية والتي تضع أواخر القرن التاسع قبل الميلاد تاريخاً للتأسيس وبين المعطيات الأثرية، إذ أشارت إلى أن قرطاج أسست قبل 38 سنة من الأولمبياد الأولى التي كانت سنة 776 ، أي أنها أسست سنة 814 [2] بينما يذكر الفرجاوي أنه إذا كانت النصوص تذكر أن قرطاج تأسست في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد أو إلى منتصفه فإن اللقى الأثرية التي عثر عليها قبل سنة 1987م تعود إلى الربع الأخير من القرن الثامن أو إلى منتصفه ، فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين .[3] واكتسبت الروايات التي تناولت تأسيس قرطاج الطابع الأسطوري ، وتضمنت معلومات نُسج حولها الخيال ، ويمكن أن يستقى منها بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بتأسيس هذه المدينة .وتذكر الأسطورة التي قدمها المؤرخ الروماني **جوستين** *Justin*"أن توفي موتو *Mutto* ملك صور بعد أن أوصى بوارثة عرشه لابنه الصغير بيغماليون Pygmalionوابنته عليسة *Alisa* ذات الجمال النادر، لكن الشعب عزل هذه الأميرة وعهد بالملك إلى بيغماليون ،فتزوجت عندئذ عمها أشيرباس *Acarbas* الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت،*Melgart*

والشخصية الثانية من حيث المكانة في المملكة ، وكان غنياً وخوفاً على ثروته من اللصوص وجشع الملك قرر الفرار بعد أن أخفى أمواله تحت الأرض القريبة من جدران المعبد ،لكن الملك قتل زوج أخته بغية الحصول على ماله .وأمام هذه التطورات لجأت عليسة إلى الحيلة في محاولتها الفرار من أخيها الملك ، فادعت أنها تود ترك قصر زوجها الذي يوحي بالحزن الدائم ، فتظاهرت أمام أخيها بعدم الاكتراث بما حل بزوجها ووافق الملك

1- **مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي في القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق .م** ص ص 62-64

2**– *Maria Aubet: the Phoenicians and the west*, *pp 134-137***

3**– أحمد الفرجاوي: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة** ،المجمع التونسي للعلوم والآداب ، تونس ، 1993م ص 9

على طلبها شريطة أن تجلب أموال زوجها ،ولهذا الغرض أرسل بعض عماله لمساعدتها على الانتقال وتمكنت عليسة أن تجمع من حولها خصوم الملك وأعدت السفينة الخاصة بالهرب ، وفي الليل وضعت جميع ثروتها معها، فكانت محطتها الأولى في قبرص ، حيث انضم إليها كاهن معبد عشتارت بعد أن ضمن لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة .وعندما وصلوا إلى أفريقية استُقبلت عليسة بحفاوة من قبل السكان المحليين ، وسمح لها بشراء أرض بقدر ما تستطيع أن تغطيه بجلد ثور .[1]

وبحيلة منها قصت الجلد على شرائط دقيقة وحددت بها قطعة الأرض التي أرادت أن تمتلكها ،فحصلت على قطعة أرض واسعة جداً ، ومن هنا جاءت تسمية المستوطنة الجديدة بيرصة *Byrsa* المشتقة من اليونانية بمعنى جلد الثور .وبعد ذيوع صيت عليسة وجمالها تقدم لها ملك الليبيين يوباس *Uobas* وهددهم بإعلان الحرب عليهم إن لم يزوجوه من عليسة، فطلبت مهلة ثلاثة أشهر، وبعد مضي المهلة طعنت نفسها خوفاً على المدينة ووفاء لروح زوجها"[2] وتنتهي الحكاية مع تأكيد حقيقة أن عليسة عُبدت كآلهة طيلة بقاء قرطاجة. وقد ارتبطت هذه المدينة في بداية أمرها بالمدينة الأم صور ،ويؤكد ذلك السفارات السنوية التي كانت ترسلها قرطاج إلى معبد الإله ملقارت محملة بالنذور التي ذكر ***ديودورس الصقلي*** أنها تساوي عشر دخل قرطاج.[3] وسرعان ما ازدهرت قرطاج، حتى غدت زعيمة المدن الفينيقية في أواسط البحر المتوسط، وبدأت صراعها مع الإغريق بسبب المنافسات التجارية والسياسية بينهما ، وقد ظهرت بوادر ذلك الصدام في جزيرة صقلية التي جمعت بين الفينيقيين والإغريق ، وذلك في بداية القرن السادس ، ولم تستطع مدينة صور القيام بدور الحماية والدفاع عن هذه المراكز الفينيقية الغربية بسبب الضغط الآشوري والبابلي الكلداني ، و بدأت قرطاج تحتل مكان الزعامة، وعملت على تحقيق تلك الحماية .

ويمكن القول أنه منذ ذلك الوقت أصبحت قرطاج قوة سياسية جديدة في غربي البحر المتوسط منذ حوالي منتصف القرن السادس.[4] ومن أسباب تصدر قرطاج على بقية المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط ظروف عديدة بدءاً من التنظيم الداخلي لمؤسساتها السياسية والعسكرية والاجتماعية

1- **فرجيليوس** : **الأنياذة** :7، ترجمة عنبرةسلام الخالدي ،دار العلم للملايين ،بيروت ، ط2 ،1978م ،ص ص 68- 69

2- **فرانسوا دوكريه** ، **قرطاجة الحضارة والتاريخ** ، ترجمة يوسف شلب الشام ، دار طلاس للنشر ، ط1 1994م ،ص ص 42- 43

3- ***Dioderus Siculus*: *Translated*** *by.C.H.Old father professor of Ancient History and Languages.LC.L,xx,14*

4- **محمد بيومي مهران** ،**المدن الفينيقية** ، ص ص 278- 280

والدينية والاقتصادية مروراً بالتطورات الخارجية، ولعل أهمها ضعف المدينة الأم صور ،نتيجة لتوالي الحملات الآشورية في مرحلة أولى ثم البابلية في مرحلة ثانية ، فضلاً عن التدخل الفارسي وحصار الاسكندر المقدوني لصور 333 .[1] وقد قامت قرطاج بتأسيس مستوطنات دون اللجوء لصور ومنها مستوطنة إبيزا (Ibiza) (إبيشم في الأصل الفينيقي)بجزر البليار سنة 654 [2]وبقيت قرطاج مرتبطة بصور بالرغم من الاستقلالية التي تمتعت بها فقد حرصت على إرسال بعثة قرطاجية إلى صور كل سنة لحضور احتفال تقديم القرابين إلى الإله ملقارت، وإرسال ضريبة العشر حتى بعد استقلالها عن السلطة السياسية في صور. [3]

وهكذا فإن المدن الفينيقية سواء في شرق البحر المتوسط أو في غربه ،لعبت دوراً هاماً في التبادل الحضاري بين الفينيقيين والإغريق .

رابعاً: التعريف بالحضارة الإغريقية:

تتعدد مظاهر التفاعل الحضاري للمجتمع الإغريقي مع حضارة الشرق الأدنى القديم بأشكال كثيرة ومتعددة ، فمن الناحية البشرية نجد أن المنطقة التي يشكل المجتمع الإغريقي جزءاً من سكانها ، هي مسرح لحركة دائمة ودائبة لعديد من الشعوب والأقوام والقبائل التي كانت تدور في نطاق لم يقتصر على بلاد الإغريق فحسب ، وإنما العناصر البشرية (**الأيونية والأيولية والدورية**) التي تكون منها الشعب الإغريقي ، عرفت طريق الهجرة إلى شواطئ آسية الصغرى واستقرت فيها ، ومن الناحية الحضارية لايمكن أن نفصل بين الحضارة المينوية التي ظهرت في كريت ، والحضارة الميكينية التي ظهرت في بلاد الإغريق من جهة ، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحضارتين وبين الحضارات المصرية على الشاطئ الأفريقي ، والسورية على الشاطئ الآسيوي من جهة أخرى .وفي الجانب السياسي كان حوض البحر المتوسط أو جزء منه يشكل المجال الأول لتكوين الأمبراطورية المصرية ، إذ مد تحوتمس الثالث نفوذه إلى ربوع بحر إيجة ، وشكلت آسية الصغرى وسورية ومصر ، ولايات في امبراطورية الإسكندر المقدوني على شاطئ البحر المتوسط ، وفي مجال الدين نجد عبادة آمون الإله المصري تنتشر خارج مصر ولاسيما بين الإغريق ، ونجد لهذا الإله مكانته في أثينة التي عرفت عبادته قبل الثلث الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ، ويقرنه الإسكندر المقدوني بالإله زيوس (**Zeus**) كبير آلهة الإغريق. وفي الجانب الثقافي نجد أن الثقافة الإغريقية لم تقتصر على بلاد الإغريق في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، وإنما اتخذت مواطن لها في أكثر من مكان على الشواطئ الآسيوية التي شهدت موطن هوميروس.

1- **أحمد فرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة** ،ص ص62- 65

2- **الشاذلي بورونية ، محمد طاهر : قرطاج البونية** ،ص 193

3-**أحمد فرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة** ص 66

حيث شهدت الشواطئ التي دار فيها حصار طروادة منطلقاً للملحمتين الهوميريتين ا(**الإلياذة والأوديسة**) وعلى الشواطئ الأفريقية ظهرت مدينة الإسكندرية أحد أبرز مراكز إشعاع الثقافة الإغريقية على الشرق ، وكذلك الأمر في ربوع سورية على الشاطئ الآسيوي ، حيث ازدهرت في العصر المتأغرق (عصر مابعد الإسكندر) مراكز الثقافة الإغريقية في كل من إيطالية وأفامية والرها والجزيرة .وقامت التجارة بدور هام في توطيد الروابط الحضارية بين شواطئ البحر المتوسط ، فقد أدى الفينيقيون دوراً هاماً في هذا المجال من خلال ما ورد ذكرهم في الأوديسة والمصادر الأدبية الإغريقية ، التي تعرّفنا على الدور الهام الذي قام به الفينيقيون من نشاطات تجارية وتبادل في السلع التموينية مع الشواطئ الإغريقية في الألف الأولى قبل الميلاد .إذ شهدت بلاد الإغريق خلال القرون الأولى من الألف الأولى قبل الميلاد ، وعلى وجه التحديد خلال القرن الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد ، عملية كان لها أكبر الأثر في حياة الإغريق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل على العالم القديم المحيط بتلك المنطقة هذه العملية كانت بمنزلة حركة انتشار حضاري قام بها الإغريق سواء من بلادهم الأصلية (شبه جزيرة البلقان) أم من مدن آسية الصغرى . وأخذوا يؤسسون المستوطنات الإغريقية في البحر الأسود وإيطالية وصقلية وفرنسا وإسبانيا وشمال إفريقية ، وفي هذه المستوطنات ولدت الحضارة الإغريقية وانتشرت في العالم عن هذه الطريق ، إذ أن الإغريق بدأوا ينتشرون في بحر إيجة منذ أقدم العصور . وبعد غارة الدوريين اضطرت قبائل الآخائيين والأيوليين والأيونيين إلى الهجرة على مقياس واسع إلى شواطئ آسية الصغرى. ولكن التوسع الإغريقي لم يقف عند هذا الحد ، بل إن الإغريق بعد أن تقدموا في فن الملاحة واطلعوا على أحوال البلاد الأجنبية وشاهدوا السهول الواسعة والمحصولات الكثيرة ،استمروا في الهجرة وأخذوا يؤسسون المستعمرات بدءاً من البحر الأسود ،ومروراً ببحر مرمرة نهايةً إلى البحر المتوسط في جبل طارق، فنراهم يبحثون عن الخلجان الصالحة لتأسيس مرافئ يسهل الاتصال بينها وبين البلاد الداخلية ،ويمكن تبادل البضائع مع سكانها وتصدير كميات كبيرة من الحبوب والمعادن والأخشاب والرقيق منها مقابل الخمور والزيت والأواني الخزفية والأسلحة والحلي المستوردة من بلاد الإغريق .

1– الإغريق و أصل التسمية :

أطلق هوميروس اسم الآخائيين (Achaioi) على جميع الإغريق الذين اشتركوا في حرب طروادة ، ولم يقصد بهذا الاسم كل بلاد الإغريق ، بل قسمها الشمالي فقط ، حيث توجد منطقة في جنوب شرق إقليم تسالية عرفت باسم أخيا (Achaia) أو أخيا أفثيوتيس (Achaia phthiotes) وهي موطن (**أخيللوس**) بطل ملحمة الإلياذة ، ويسميهم هوميروس أحياناً باسم (**الأرجوسيين**) نسبة إلى مقاطعة أرجوس (**Argos**).وهي إحدى مدن إقليم (**أرجوليس**) في شبه جزيرة البلوبونيز المتاخمة لمدينة ميكيناي عاصمة مملكة (**أجاممنون**) القائد الأعلى للحملة الطروادية وليس نسبة إلى أصلهم وعرقهم . وأيضاً (**بالداناويين**)

نسبة إلى (**داناؤس**) وهو جد أسطوري مصري .[1] أما اسم بلاد هللاس (**Hellas**) لم يطلق إلا على منطقة صغيرة متاخمة لمملكة أخيلوس السالفة الذكر في جنوب شرق تسالية ، ولا يطلق اسم (**الهلينيين**) إلا على سكان هذه المنطقة .ويؤيد **توكوديدس** ذلك بالقول : ***(أن هوميروس لم يستخدم اسم الهللينية في الإشارة إلى الجيش الذي سار إلى طروادة ، فقد احتفظ بهذا الاسم لأتباع أخيللوس الذين قدموا من أخيا أفثيوتيس وكانوا في الواقع هم الهلينيين الأصليين)***.ويضيف توكوديدس أن اسم بلاد هللاس لم يعرف في ذاك الوقت قبل هيلين بن دوقاليون[2]

1- تسمي (الإلياذة) قسماً من المحاربين الإغريق الذين حاربوا في حرب طروادة (بالدانائيين) الذين تروي الأساطير الإغريقية بأن جدهم (داناؤس) جاء من مصر وسكن في بلاد (أرجوس) حيث أصبح ملكاً عليها فيما بعد ، وينسبه الكتاب إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وجاء اسم هذا الملك في سجل باروس الرخامي (Marmar paros) الذي عثر عليه في جزيرة (باروس) إحدى جزر الكيكلاديس في بحر إيجة ، والنقش تسجيل لأحداث التاريخ الإغريقي مرتباً منذ عهد ملك أثينة الأسطوري كيكروبس (Cecrops) حتى عهد حاكمها (Siagenes) أي حتى عام 263/264ق.م إذ ينسب هذا النقش إلى (داناؤس) عام 1511ق.م ، ولكن لايعرف من هو كاتب النقش الذي يزعم أنه استمد معلوماته من كل أنواع الوثائق والتاريخ : انظر : **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، منشورات جامعة دمشق ،2006-2007م ،ص236

2- **توكوديدس : تاريخ الحروب البلوبونيزية** ، ترجمة دينا الملاح ،عمرو الملاح، المجمع الثقافي في أبو ظبي ،2003م ، الكتاب الأول ص 20-21 .أما أسطورة هيلين بن دوقاليون فهي أسطورة تعيد أصل الإغريق إلى أربع قبائل وهو ***(الأخائيون)*** و ***(الأيوليون)*** و***(الأيونيون)*** و ***(الدوريون)*** ويقال أن هذه القبائل بدأت تغزو بلاد الإغريق مع بداية عصر البرونز، أي نحو 1900- 1100ق.م ويقال أن هذه القبائل وفدت من منطقة حوض الدانوب أو من شمال أوروبة الشرقي، أو من منطقة شرق بحر قزوين وأواسط آسية ، وتنتمي هذه القبائل إلى أسرة الشعوب الهندية- الأوروبية ويتكلمون لغة هذه الشعوب والتي تعد إحداها اللغة الإغريقية ، وبما أن هذه الشعوب ترجع كلها إلى أصل واحد، وتجمع بينها عادات وعقائد متشابهة ولغة واحدة ، فعرفت أنها أمة واحدة واتخذت لنفسها اسم ***(الهلينيين)*** بينما أطلق على الأقوام الأخرى كافة اسم ***(برابرة)*** أي أعاجم لايتكلمون اللغة الإغريقية .ويتجلى هذا الشعور بالوحدة القومية في أسطورة دوقاليون ***(Deucalion)*** وخلاصة الأسطورة أن زيوس ***(Zeus)*** كبير الآلهة الإغريقية نقم على البشر فأرسل إليهم الطوفان الذي قضى عليهم جميعاً عدا ***(دوقاليون)*** وزوجته ***(بيرها)***في سفينة رست بهم على جبل بارناسوس ***(Parnassus)*** الشاهق (8200) ، ولما انحسرت المياه قام دوقاليون بإتمام رسالة والده بروميثيوس في إعمار الأرض،والإغريق ينتسبون إلى ***(هيللين) (Hellen)*** ابن***(دوقاليون)*** ثم كان لهيللين ولدان هما ***(دوروس)*** و ***(أئولوس)*** وحفيدان هما ***(أيون)*** و***(أخيئوس)*** ومن هؤلاء تنحدر القبائل الإغريقية الأربع انظر **محمد كامل عياد : تاريخ اليونان** ،دار الفكر ، دمشق ، 1980م ص 86

فالمناطق كانت تعرف باسم العشائر المختلفة التي تسكنها ، وكانت نسبة البلاسجة منهم هي الغالبة ، وبعد أن ازدادت سطوة هيللين وأولاده في (**أخيا أفثيوتيس**) وحالفتهم الدول الأخرى ، وازدادت صلات تلك الدول بأسرة (**هيللين**) بدأت كل منها بمعزل عن الأخرى تنسب إلى (**الهللينية**) وأخذت مدينة تلو المدينة هذا الاسم نتيجة للغة المشتركة فيما بينهم ، ثم أصبحوا جميعاً يعرفون بهذا الاسم المشترك (**الهيللينين**). وأما الإغريق (***Graeci***) فهو اسم أطلقه عليهم الرومان فيما بعد نسبة إلى قبيلة (***غرايكوي***) وهو في الحقيقة اسم قبيلة هللينية نزحت من إقليم بويوتية(***Boeotia***) من شرق بلاد الإغريق وأسسوا مستعمرة كوماي (***Cumae***) على الساحل الغربي لإيطالية ، وهي أقدم المستعمرات الإغريقية هناك (750–725) . ولم يلبث الرومان أن أطلقوا على جميع سكان تلك المستعمرة اسم (الإغريق) ومن هذا الاسم اشتقت كلمة غريس(***Greece***) وأطلقوها على الإغريق عامة ، ثم انتقلت الكلمة في عهد الرومان إلى سائر الأمم الأوروبية ، وكذلك إلى العرب الذين أصبحوا يطلقون على هؤلاء اسم (***الإغريق***) .وأما عن اسم (***اليونان***) أو (***اليونانيين***) الشائع في اللغة العربية ، فهو تحريف للفظ (***أيونيين***) (Iones) وكان الأيونيون أيضاً وهم إحدى قبائل الإغريق التي هاجرت إلى منطقة (أيونية) التي تقع في القسم المتوسط من ساحل آسية الصغرى (في تركيا حالياً) بفعل الغزوات الدورية استوطنوا هذا القسم وأصبح له مكانة عالية وشهرة واسعة . وكانوا هم أول إغريق احتكت بهم ممالك الشرق الأدنى القديم ، ومن ثم فقد أطلقت عليهم شعوب هذه الممالك سيما الفينيقيين اسم (ياؤينين) ثم إلى (يونان) وأطلق اسم يونانيين على كل الإغريق.[1] وهنا آثرنا استخدام لفظ الإغريق لأنه شائع فضلاً على أنه يحدد مفهوم الحضارة الهللينية القديمة ، ولا يخلط بينها وبين اليونان الحديثة .

2– الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق القارية:

تبلغ مساحة بلاد الإغريق القارية مايقارب 131,944ألف كم^2 ،ولو ألقينا نظرة فاحصة على موقع هذه البلاد من الخريطة الأوربية ،لرأينا أنها تحتل جزءاً حيوياً من القارة ذاتها ، إذ أن شبه جزيرة البلقان بالنسبة لأوربة هو شبه الجزيرة الشرقي ***لأن هناك شبه الجزيرة الأوسط وهو شبه الجزيرة الإيطالية ،وشبه الجزيرة الغربي وهو شبه جزيرة أيبيريا ، كما أنها تطل على البحر المتوسط جنوباً والبحر الأدرياتيكي غرباً وبحر إيجة شرقاً*** .(خريطة 8)

1– حول أصل التسمية انظر : **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ،ص 229 – 231، ثم انظر
عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني ، ج1،بيروت 1974م ،ص 7–8

وثمة ملاحظة هامة، وهي أن الدارس لتاريخ الحضارة الإغريقية ،لم يقتصر على شبه جزيرة الإغريق القارية فقط ، بل كان يشمل بلاداً كثيرة هاجر إليها الإغريق واستقروا فيها.. وقد كانت جزر بحر إيجة وشواطئ آسية الصغرى المجاورة تؤلف دوماً جزءاً متمماً لبلاد الإغريق ،إذ سكنها الإغريق منذ بدء تاريخهم ، و أسسوا مستعمراتهم فيها. ومن هذا المنطلق يمكن القول : ***أن شبه جزيرة الإغريق القارية نفسها التي نعرفها اليوم لم تكن سوى جزء صغير من العالم الإغريقي ،لأن الإغريق سكنوا في كل الجهات من البحر المتوسط***[1]. فالعوامل الجغرافية تشكل البيئة المكانية أو الظروف المادية التي وجد فيها هذا المجتمع. وليس معنى ذلك أن هذا هو الجانب الرئيسي أو الوحيد الذي أثر على المجتمع الإغريقي ، لكنه جانب ترك بصمات واضحة على مسار التاريخ الإغريقي وعلى خصائص الحضارة الإغريقية وعلى نشأتها وتطورها ، مؤثراً تأثيراً عميقاً في تكييف وتكوين قسم كبير من صفات هذه الحضارة وطبعها بطابع خاص .ومن هذه العوامل :

آ– سلسلة الجبال الإغريقية :

تتميز بلاد الإغريق بطبيعتها الجزرية من ناحية وبسطحها الجبلي من ناحية أخرى ، إذ أن الجبال تغطي نحو ثمانين في المائة من جملة سطحها ، وتنتشر بين ثنايا هذه الجبال مجموعة من المجاري المائية القصيرة السريعة الجريان . [2]وقد تعرضت السلسلة الجبلية الإغريقية منذ الأزمنة الغابرة إلى كثير من حوادث الزلازل والبراكين ،التي أدت بدورها إلى عمليات الهدم والانكسار والتصدع التي تعاقبت على جبال الإغريق ومزقت شملها ، وكان من نتيجة ذلك :

*** انفصال عدد كبير من الجزر عن بقية الأرض .**

*** ساعدت هذه الحوادث الجيولوجية على نفوذ البحر إلى داخل البر من كل الأطراف في خلجان كثيرة وعميقة .**

*** كانت حوادث الانهدام والانكسار سبباً في تجزئة البلاد كلها إلى عدد لايحصى من السهول والوديان .**[3]

1- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 43

2- **محمد محمود محمدين : الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان**، جامعة الملك سعود، كلية الآداب،1983م، ص 65- 67

3- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ،ص 51

و السهول الصغيرة الضيقة من الأرض ، والتي تفصل بينها جبال عالية تعزل بعضها عن الآخر، ليست صالحة لسكنى جماعات كبيرة من البشر تستطيع تأليف دولة واحدة باستثناء مقاطعة تسالية ،***إذ لم يكن في بلاد الإغريق أي سهل يزيد طوله على (20)كم وعرضه على (12)كم . فأكثر الوديان والسهول تشبه خنادق ضيقة تنهمر منها السهول أو تجري فيها بعض الأنهار الصغيرة .***[1]

يتبين من كل ذلك أن الطبيعة قد فرقت ما بين بلاد الإغريق ومزقتها إلى أجزاء صغيرة منعزلة لا يمكن أن يسكن في كل منها سوى جماعة محدودة من البشر . وهذا مما شجع الروح الانفصالية ، الانعزالية ودفع إلى تأسيس مجتمعات صغيرة مستقلة ، قائمة بذاتها، وقد تطور كل من هذه المجتمعات الصغيرة بحيث أصبح كياناً قائماً بذاته لا تتسع مساحته في أغلب الأحوال لأكثر من مدينة واحدة يحيط بها امتداد بسيط من الأرض يقوم فيه عدد قليل من القرى التي يمكن أن نعدها ضواحي لهذه المدينة ، وربما أنشئ ميناء إذا كانت المنطقة مطلة على البحر ، وهكذا قام في بلاد الإغريق في العصر القديم نظام ***(دولة المدينة)*** التي عُرفت في مجال الحديث عن النظام السياسي الإغريقي تحت اسم **Polis** أو الدويلة التي تقوم عادة في مدينة واحدة والمنطقة المحيطة بها .[2]

ومن خلال ماسبق ، نستطيع أن نستخلص أهم المزايا السياسية التي اتصفت بها جبال الإغريق، وهي أنها كانت تشكل حجر عثرة في طريق الوحدة القومية ، وتعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون سهولة الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل أمراً شاقاً بين مكان وآخر . وهذا مما حال دون وحدة الإغريق وجمع كلمتهم في جميع أدوار تاريخهم باستثناء الحروب وبعد كثير من التردد والمعارضة .

ب– الاختصاص الجغرافي وفقر التربة الزراعية :

تتميز أرض بلاد الإغريق بأنها فقيرة ومجدبة ،وباعتبار أن المنطقة الجبلية تشكل الجزء الأكبر من بلاد الإغريق ، فإن التربة الصالحة للزراعة كانت قليلة المساحة وتمركزت كما ذكرها **توكوديدس** ***(في تسالية وبويوتية، ومعظم بلاد البلوبونيز (باستثناء أركاديا وسواها من الأراضي الخصبة في هيللاس)***[3]

ومن ثم فإن سهول بلاد الإغريق البسيطة لم تكن تصلح لإنتاج كل أنواع المحاصيل وإنما شاعت فقط في المناطق

1- **محمد كامل عياد** :**اليونان** ، دار الفكر ، دمشق ، 1980م ، ص 31

2- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ،ص ص 51-52

3- **توكوديدس** ،**تاريخ الحرب البلوبونيزية** ، الكتاب الأول ، ص 20

السهلية التي عُرفت بزراعة الحبوب والتي لم تكن تكفي حاجة السكان ومحاصيل الزيتون والكروم ، وهي محاصيل لاتحتاج إلى خصوبة كبيرة في المناطق التي تزرع بها ، وسميت تلك المحاصيل الثلاثة (**ثالوث البحر الأبيض المتوسط**) [1]ومنها كان يصنع الخبز والنبيذ والزيت . وكان أهم هذه المحاصيل (***القمح***) الذي يسمى في الإغريقية (***sitos***) ولكن إنتاجه قليلاً جداً لايستوعب حاجة السكان .[2]وكان نتيجة فقر بلاد الإغريق بالحبوب ظهور آثاره واضحة في سياسة دويلات المدن الإغريقية سواء فيما بينها أو في مواقف الدول الأخرى. ومنها أن أثينة كانت تجاهد دائماً لاحتواء المناطق التي تحيط بمداخل البحر الأسود أو تسيطر على الخطوط البحرية بين هذه المداخل وبين أثينة، إما باستعمار هذه المناطق أو بعقد اتفاقيات ودية معها وهكذا .[3]

وبعد القمح يأتي ***العنب*** الذي عرفته بلاد الإغريق منذ فجر تاريخها ، وكان يزرع في أي مكان ، وأفضل أنواعه زرعت في جزر لسبوس وتاسوس ورودوس. وكان هو الشراب القومي عند الإغريق،[4] وبمرور الزمن ارتبط اسم ***ديونيسيوس*** (***Dionisios***) بالخمر حتى صار ***إله النبيذ*** ،وكان أحد الموارد الرئيسية المعدة للتصدير.[5]وأما عن ***الزيتون*** ، فكان له قيمة كبيرة ويستعمل للطهور والغسل والإضاءة . وكان أساس الوجبة الغذائية الإغريقية ،وهو وسيلة الإضاءة الوحيدة هي مسارج الزيت[6]

وأصبح الزيت أهم سلع للتصدير ، حتى أن صولون (Solon) عندما حرم تصدير كل المنتجات استثنى زيت الزيتون وفي هذا الصدد يقول بلوتارخوس :(***ولم يبح صولون بيع شيء من الحاصلات الأهلية للأجانب سوى الزيت وحرّم بيع ماعداه وكلف الحاكم أن يعلن ذلك ضد كل من يخالف هذا القانون وإلا عوقب هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دراخمة للخزانة العامة .***)[7] ويعرّفنا **هوميروس** على مجموعة أخرى من المحاصيل وردت في ملحمته(الأوديسة) من خلال وصفه لبساتين أحد القصور بقوله :

1- **عبد اللطيف أحمد علي،التاريخ اليوناني** ،ج1 ،ص 37

2- **خليل سارة ، تاريخ الإغريق** ،ص 53

3- **لطفي عبد الوهاب يحيى :اليونان** ، بيروت ، 1979م ، ص41

4- **الفرد زيمرن : الحياة العامة اليونانية في أثينة في القرن الخامس ق.م**،(السياسةو الاقتصاد)ترجمة عبد المحسن الخشاب ، لجنة البيان العربي ، القاهرة 1958م ،ص 47

5- **خليل سارة: دراسات في الاقتصاد اليوناني في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد** ، ص 52

6- **الفرد زيمرن ،الحياة العامة اليونانية** ، ص 4

7- **بلوتارخوس : العظماء** ،(عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم) المجلد الأول ، ترجمة ميخائيل بشارة داؤود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، 2002م ص 168

(حيث فردوس القصر اليافع ، وجنته دانية القطوف ....للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ، وللآلهة أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاه الأقاح ، وحمرة الخجل قد خضبت خدود التفاح والكمثري ، وسالت قطرات من الشهد من ثمرات التين ، وتأججت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون .. فاكهة شهية لامقطوعة ولا ممنوعة شتاءً وصيفاً)[1] وفي ختام حديثنا عن الموقع الجغرافي يمكننا أن نخلص إلى نتيجة مهمة جداً مفادها، أن فقر التربة الزراعية وقلة الأراضي الصالحة للزراعة والتي لم تتناسب مع الازدياد المضطرد في عدد السكان، دفع السكان إلى الهجرة بحثاً عن أراضي جديدة. زد على ذلك أن التنوع الجغرافي وامتداد البحار الشاسعة حول شبه جزيرة الإغريق القارية، ساعد على الاختلاط المباشر والتأثر والتأثير مع الشعوب القاطنة على امتداد هذه البحار، وعلى نحو تفكيرهم الأدبي والفكري والفني الذي كانت تزخر به أساطيرهم.

ج– أثر البيئة الجغرافية في تكوين المواطن الإغريقي:

ذكر سابقاً أن طبيعة تكوين بلاد الإغريق الجغرافية قد فرضت عليهم التجزئة ،وأدت إلى ظهور المجتمعات القبلية الممزقة ممثلة في دويلات المدن الإغريقية Polis وظاهرة انقسام بلاد الإغريق نتيجة الظروف الجغرافية لها **عوامل إيجابية وسلبية** :وتتمثل **العوامل الإيجابية،** أن دويلات المدن الإغريقية التي قامت في هذه المناطق كانت كل منها، بالضرورة صغيرة في حجمها ، وفي عدد السكان الموجودين بها . وهو عدد كان لا يزيد كثيراً عن 30 ألف مواطن . ***وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الوضع هي توفر الفرصة للاحتكاك الدائم ، بين هؤلاء المواطنين ، وكان هذا الاحتكاك بالضرورة مجالاً خصباً لمناقشة كل الأمور المتعلقة بالمجتمع .والنتيجة الطبيعية لكل هذا هو تبلور (الرأي العام) في كل من هذه المجتمعات الصغيرة بسرعة لا تتوفر في مجتمعات الدول الكبيرة*** . وقد أدى ذلك إلى التطور السريع في نظم الحكم أو النظم السياسية في بلاد الإغريق .[2]وأهم المنظمات الرئيسية التي يتبلور فيها مثل هذا ***(الرأي العام) هي الآجورا (Agora) التي تعني الساحة العامة، وهي بكل بساطة، مركز الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في دويلة المدينة الإغريقية*** [3]

1– **هوميروس** ، **الأوديسة** ، ترجمة دريني خشبة ، دار العودة ، بيروت 2001م ،ص 67

2– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ،ص 59انظر أيضاً:**لطفي عبد الوهاب يحيى : اليونان** ،ص ص 39– 40

3– **أرسطو : السياسة** ، 1، 1، 9، 1253آ، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي ، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الإونيسكو) بيروت 1957م

وهكذا فقد ساعد الانقسام السياسي والتنافس بين الدويلات الإغريقية ، على نضوج الفكر السياسي بين الإغريق وازدهار الحضارة الإغريقية. وبالنسبة **للعوامل السلبية** ،تتمثل في أن انقسام الإغريق مثلما كان مبعثاً لنضجهم ونبوغاً لعبقريتهم، كان مصدراً لضعفهم ، ذلك أنهم بددوا جانباً كبيراً من طاقاتهم في منازعات وحروب داخلية كان مصدرها هذا التنافس .. فما حصل في البلاد الإغريقية كلها كان يحصل ضمن كل دويلة بمفردها ، وأكثر الدول عند الإغريق تتكون من ثلاث مناطق مختلفة هي :**الشواطئ ، والسهول والجبال ، وسكان كل منطقة لهم طراز خاص في معيشتهم وتفكيرهم . فالسهول كان يسكنها أصحاب الأراضي وأتباعهم من الفلاحين ، وعلى الشواطئ يكثر التجار وأصحاب السفن وصيادوا الأسماك والعمال والبحارة ، وفي الجبال يعيش الرعاة والحطابون وأصحاب الكروم وعمال المناجم** .[1]إن كل قسم من هؤلاء السكان يؤلف طبقة اجتماعية معينة تتعارض مصالحها الاقتصادية وآراؤها السياسية مع مصالح وآراء الطبقات الأخرى ، وقد كان النزاع محتدماً بين هذه الطبقات ولاسيما في دويلة أثينة .حيث انتظمت في أحزاب سياسية مختلفة وظل المشرعون يحاولون تأمين التوازن بينها وإخضاعها لنظام دستوري يكفل حقوقها جميعاً ، ومن هنا نشأت لدى فلاسفة الإغريق ، **فكرة البحث عن المثل الأعلى للمدينة الفاضلة** .[2]

3– الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق الساحلية :

آ– جغرافية حوض البحر المتوسط :

لم يكن تأثير العوامل الجغرافية وموقع البحر المتوسط ومناخه وطبيعة الأراضي المحيطة به هي وحدها التي خلقت الحضارة الإغريقية ، ولكنها بلا شك ساعدت كثيراً على نشأة الحضارة وتطورها ، كما أنها أثرت تأثيراً عميقاً في تكيفيها وتكوين قسم كبير من صفاتها وطبعها بطابع خاص .فما مميزات حوض البحر المتوسط الذي كان مهداً لأقدم المجتمعات والذي تعاقبت على شواطئه كثير من الحضارات الراقية ؟

يقول ***هيرودوت:(إن بلاد الإغريق لديها أفضل مناخ وأكثره اعتدالاً)***[3]وهذه الميزات التي أطلقها هيرودوت تنطبق على الواقع انطباقاً تاماً ، ***فلطافة المناخ، واعتدال الطقس ، وصفاء الجو، وتعاقب الفصول بانتظام***... كل ذلك جعل من بلاد الإغريق موقع ممتاز ،وساهمت هذه العوامل في تطور الحضارة الإغريقية .

---

1 – **أرسطو** : **الدستور الأثيني** ،4/13 ،ترجمة اوغسطين بربارة البوليسي ،إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو) بيروت 1967م

2- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ،ص 60

3- **تاريخ هيرودوت** :**التاريخ** ، الكتاب الثالث ،ص 44

كما شكل إقليماً ممتازاً يتجلى بالدرجة الأولى ببحر إيجة ، إذ يتصف هذا الإقليم بالجفاف في الصيف وباعتدال الطقس في الشتاء وبصفاء الجو ، وإشعاع النور في كل الفصول ***مما ينعش الأجسام ويثير النشاط ويزيد فعالية الحياة ..ومن جهة أخرى ، فقد شكل بحر إيجة عاملاً فعالاً لاتصال البشر بعضهم ببعض ولتسهيل التبادل التجاري بينهم ولانتشار الحضارة وتمازج الثقافات*** .ويقول الفيلسوف العربي الكبير **محمد كامل عياد** في هذا الصدد:(***ولا غرابة في أن يخضع البشر في العصور القديمة لتأثير الطبيعة أكثر مما في الوقت الحاضر، فكان من حظ الإغريق أنهم عاشوا في بلاد جميلة ، كل شيء فيها يوحي بالثقة والاطمئنان تجاه الطبيعة ويدفع الإنسان إلى دراستها واكتشاف أسرارها .. وهكذا اعتاد الإغريق على الملاحظة والبحث والتأمل ، فازدادت لديهم الرغبة في المعرفة واتسع أفق الخيال .. كما أن ضرورات المعيشة كانت تفرض عليهم التقيد بالواقع ، فساعد ذلك على تقوية الاتجاه العملي عندهم إلى جانب البحث النظري ، وبذلك تهيأت الأسباب لانكشاف التفكير المبدع***) [1]

أما مناخ البحر المتوسط ، فهو ثابت لايتغير من يوم لآخر أو من ساعة إلى ساعة،ويتميز باعتدال مناخه الذي كان يجذب إليه شعوب الشمال البارد وشعوب الجنوب الحار ،وبفضل انتظام تعاقب الفصول وسقوط الأمطار وهبوب الرياح المعتدلة ، استطاع المرء أن يعيش على سواحله وفي جزره .[2]

أما السمة الأخيرة التي عرف بها الإغريق البحر إلى جانب الهجرة والتجارة فهي (القرصنة)، وذلك منذ فترة مبكرة من تاريخ هذا المجتمع حيث كانت تعد القرصنة مهنة محترمة كما جاء في وصف **توكوديدس** حيث يقول (***ففي تلك الأيام الخوالي ، حين أصبح الانتقال بالبحر أيسر ، غدت القرصنة لذلك مهنة شائعة عند الهللينيين***)[3]وهكذا تهيأ للإغريق منذ فترة مبكرة من تاريخهم أن يلجؤوا إلى البحر مستعينين به للتغلب على عسر الحياة في المناطق الفقيرة التي يعيشون فيها . امتاز البحر المتوسط بالهدوء عموماً وخاصة في بحر إيجة، ويعد هذا البحر أشد بحار العالم هدوءاً ،***مما شكل هذا البحر عنصراً أساسياً في حياة الإغريق في تجارتهم وملاحتهم وهجرتهم وفي آدابهم وأغانيهم .***

1- **محمد كامل عياد** :**اليونان**، دار الفكر ، دمشق، 1980 ص 45

2- **حسن صبحي بكري** : **الإغريق والرومان** ، **والشرق الإغريقي الروماني** ،عالم الكتب ، الرياض 1984 ،ص 15

3-**توكوديدس** ،**الكتاب الأول** ،ص ص 21-26

و ثمة ملاحظة أخرى عن البحر المتوسط، وهي خلوه من حركات المد والجزر القوية ، وقد يسر ذلك استخدام الموانئ والمراسي وبناء الأحواض وتخطيط المدن الساحلية ، ولا تجد المراكب فيه أية صعوبة كبيرة سواء عند الإقلاع من الميناء أو الرسو على الشاطئ .[1] وهكذا ركب الإغريق البحر في فترة مبكرة من تاريخهم ساعين لتعويض ما كانوا يجدون في بلادهم الأصلية من ضيق في موارد الحياة .

من كل ما سبق ،يمكننا أن نستنتج أن توفر المناخ الملائم لحوض البحر المتوسط والامتيازات التي أغدقتها البيئة الطبيعية على هذا الحوض قد ولد عند الإغريق روح الإقدام والمغامرة بالإضافة إلى جمال المناظر وتنوعها، كل ذلك أثر تأثيراً عميقاً في نفسية الإنسان وعواطفه وذوقه ونظرته إلى الكون ، فزرقة السماء وصفاء الجو في الربيع والصيف، يؤدي إلى وضوح الأشكال الطبيعية وضوحاً جلياً للمفكر والرسام والنحات والعالم ، وهذا ما جعل آثار النحت القديمة بعيدة عن الفوضى والاضطرابات ويتجلى فيها الهدوء والبساطة .

كما يقول نيتشة :(***كانوا بسطاء بساطة العبقرية نفسها ، ومن ثم فهم اساتذة الفن الخالدون***)[2]

من جهة أخرى أن البحر المتوسط هو الذي خلق بتشابكه مع الأرض وحدة العالم الإيجي ، وهو الذي خلق وحدة اقتصادية واسعة تعلم منها الإغريق كيف يبنون السفن ، ويركبون البحر لممارسة صيد الأسماك والتجارة أو العمل بالقرصنة أو تطهير البحر منها أو تأسيس المستعمرات ، فالبحر كان عاملاً جوهرياً في ابتداع حضارة لا تتسم بطابع دويلة بحد ذاتها ، بل حضارة إغريقية تخطت حدود الدويلات ، وأشعرت الإغريق جميعاً بأنهم شعب منطقة واحدة أو وطن واحد هو بلاد الإغريق .

ومع أن البحر كان أداة ربط ووسيلة من وسائل الوحدة فيما يتصل بتبادل التجارة والأفكار ، إلا أنه كان عائقاً كبيراً دون تكوين الوحدة السياسية .

لقد ربط البحر ما بين أجزاء العالم الهلليني التي لا حصر لها ، ولكن أتاح لكل جزء فيه أن يحيا كوحدة مستقلة .[3]

1- **خليل سارة : تاريخ الإغريق**، ص 46 انظر أيضاً :**عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني ،ج1**،ص 8

2-**جون هامرتن: تاريخ العالم**، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،1948المجلد الثالث، ص 178

3- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ،ص ص 48-50

ب– أثر بحر إيجة ودوره في التفاعل الحضاري:

يقول ***أبقراط*** (***Hippokrates***) أحد أشهر أطباء الإغريق في خصائص بحر إيجة ***(إن إقليم بحر إيجة يعد مثالاً أعلى في الاعتدال واللطافة ،وإليه يرجع الفضل في قوة الإغريق وشجاعتهم وحبهم للحرية).*** [1]

يتصف إقليم بحر إيجة بالجفاف بالصيف وباعتدال الطقس في الشتاء وبصفاء الجو وإشعاع النور . والطبيعة هيأت هذا الإقليم ليكون معبراً من آسية إلى أوربة ، فعلى أحد جانبيه يقع ساحل آسية الصغرى الذي يتوغل نحو الغرب بما فيه من خلجان وموانئ كثيرة تتميز بوقوعها عند مصبات الأنهار الخمسة ، أي عند نهاية الطرق التجارية الآتية من موطن حضارات الشرق القديم .[2] ومن الناحية الجيولوجية فإن بحر إيجة يتداخل مع الأرض في عدد من الخلجان العميقة على شواطئ شبه جزيرة الإغريق وآسية الصغرى ، كما أن الأرض تتداخل في أعماقه بالرؤوس وتشكل أشباه الجزر ثم الجزر التي تتناثر وتتوزع في كل أنحائه ، حيث يوجد في البحر الإيجي حوالي 483جزيرة ،[3] وكان لكل جزيرة وكل رأس وكل خليج في بحر إيجة شكل خاص ومظهر مختلف يمكن تمييزها عن بعد ..وبذلك أصبحت هذه الجزر والخلجان بمثابة نقاطاً معينة وإشارات طبيعية ***(نقاط علام)*** لابجال للضلال بينها ، فهي تهدي البحارة إلى معرفة الطريق وتغنيهم عن البوصلة التي لم تكن قد اكتشفت بعد .

إضافة إلى ذلك أن الجزر في بحر إيجة قريبة بعضها من بعض إلى درجة أن الانتقال من جزيرة إلى أخرى لا يستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين ، وتشكل من دون شك الجزر الكبرى الممتدة على طول البحر المتوسط من غربه إلى شرقه ،مثل ساردينية وكورسيكة ومالطة وصقلية وكريت وقبرص نقاط ارتكاز ملاحية بين شواطئ القارات الثلاث التي تحيط بهذا البحر. [4] وقد سهّل بحر إيجة اتصال الإغريق بالعالم الخارجي وهو أشبه ببحيرة تكثر الجزر فيها، وتتصل بالبر ويدخل بخلجانه العميقة في سواحل بلاد الإغريق وآسية الصغرى، وفي شمال هذا البحر مضيقان هما مضيق الدردنيل ومضيق البوسفور اللذان يصلان بلاد الإغريق بآسية الصغرى وسورية ومصر .(خريطة 8)

1-**خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 44

2-**سيد أحمد علي الناصري: الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم من العصر الهيللادي حتى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر**، ط4 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1994م ص 11

3- **عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني** ، ج1، ص 25

4- **محمد كامل عياد ،اليونان** ، ص 26

وإذا ما غادر الملاح الإغريقي بلاده لم تغب عن بصره قط، فكان في مقدوره أن يرى جبالها من أية جزيرة في بحر إيجة ، كما كان يستطيع أن يرى سواحل آسية الصغرى وهو في جزيرة رودس .وإضافة إلى قرب جزر بحر إيجة بعضها من بعض تمتاز بجمال طبيعتها ، وكان لكل منها ميزات طبيعية ،وكانت التيارات البحرية خير مُعين للملاحين الإغريق على التنقل بين تلك الجزر طلباً للرزق أو الهجرة إلى حيث يرغبون ، وإن أقرب الجزر إلى بلاد الإغريق مجموعة من جزر السيكلاديس أو الكيكلاد التي تضم جزر ديلوس الشهيرة بمعبدها ،وأن أقرب الجزر إلى آسيا الصغرى مجموعة جزر سبورايديس وأهمها جزيرة رودس ، وهناك أيضاً جزيرة ساموس، وجزيرة لسبوس ،وجزيرة خيوس (أو طشيوز بالتركية). [1]

وكان البحر الإيجي الذي يزخر بالجزر بمثابة الجسر الذي ربط بين قارتي آسية وأوربة .فالطبيعة هيأت هذه المنطقة لتكون معبراً بين الشرق والغرب ، وعبرها انتقل الناس من آسية إلى أوربة ومعهم انتقلت التجارة والمكتشفات الجديدة ، وكذلك المعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية . وبذلك ساعد الموقع الجغرافي لبلاد الإغريق في أن تقوم بدور المستورد لحضارات الشرق والموزع لها على باقي أنحاء القارة الأوربية.[2]

ومن الناحية الجيولوجية، فإن بحر إيجة يتداخل مع الأرض في عدد من الخلجان العميقة على شواطئ شبه جزيرة الإغريق وآسية الصغرى ، كما أن الأرض تتداخل في أعماقه بالرؤوس وتشكل أشباه الجزر ثم الجزر التي تتناثر وتتوزع في كل أنحائه.[3]

وهكذا نرى أن البحر المتوسط وبحر إيجة الذي يؤلف بحيرة ضمن البحر المتوسط ،كان لهما دور كبير في تسهيل التواصل بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية، وتبادل التأثير الحضاري بينهما ، فكان حوض البحر المتوسط يشكل المجال الذي يمكن للمجتمع الإغريقي والفينيقي أن يتعاملا ويحتكا مع بعضهما بسهولة ويسر كبيرين ، وليس هناك بقعة أخرى أصلح من البحر المتوسط لاتصال البشر بعضهم ببعض ولتسهيل التبادل التجاري بينهم ولانتشار الحضارة وتمازج الثقافات .

1- **حسن صبحي بكري ، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني ،ص** ص 16- 17

2- **سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق** ، ص 10

3-**عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني** ،ج1،ص 8

خامساً –دوافع الانتشار الإغريقي في حوض البحر المتوسط:

شهدت بلاد الإغريق خلال القرون الأولى من الألف الأولى ق .م ، وعلى وجه التحديد خلال القرن الثامن والسابع والسادس ، عملية كان لها أكبر الأثر في حياة الإغريق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل على العالم المحيط بتلك المنطقة ، هذه العملية كانت بمنزلة حركة انتشار حضاري قام بها الإغريق سواء من بلادهم الأصلية (شبه جزيرة البلقان) أم من مدن آسية الصغرى ، وازدهرت حركة الانتشار الإغريقية بعد أن تقدم الإغريق في الملاحة واطلعوا على أحوال الحضارات الشرقية المحيطة بهم من النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ،فلذلك بدؤوا في الانتشار وأخذوا يؤسسون المستوطنات الإغريقية في البحر الأسود وإيطالية وصقلية وفرنسا وإسبانيا وشمالي إفريقية ، ولم ينته هذا التوسع الانتشاري إلا في القرن السادس. وقد اتصل الإغريق سواء في مستوطناتهم في آسية الصغرى أو في علاقاتهم التجارية بالشعوب الشرقية القديمة ، فاقتبسوا عنها أسس الحضارة بكل مظاهرها. كما أن حركة الانتشار كان لها تأثير كبير في تنمية الروح القومية لدى الإغريق ،كأمة واحدة مميزة عن غيرها من حضارات الشعوب الأخرى ، أمة لها تراث فكري، وديني ، وأخلاقي ، وسلوكي مشترك ، فام بفضل الإلياذة والأوديسة ، وبفضل أشعار هسيودوس التعليمية الأخلاقية . ولقد دعم هذا التراث الحضاري الإغريقي بمرور الزمن ، وأصبح وجوداً يفرض نفسه على عوامل الانفصال الجغرافي ، والبحري ، وعلى اللهجات المحلية للغة الإغريقية ، بل وعلى العبادات المحلية والإقليمية ، إذ أن الاحتكاك بالأمم الأجنبية جعلهم يلمسون الفوارق بينهم وبين الشعوب الشرقية ، ويشعرون بالروابط التي تجمع بينهم وتوحدهم ، وبالتالي ساعدتهم على التقارب والتفاهم ، والغريب في الأمر ، أن هذه المستوطنات رغم اتباعها في كثير من الأحيان نظام الحكم السائد في أوطانها الأصلية ، إلا أنها سبقتها في تطورها نحو الديمقراطية والسير في طريق الحضارة ، إذ أن أقدم الدساتير والأنظمة التشريعية لدى الإغريق قد وضعت في المستوطنات . ومن هذه المستوطنات انطلق الشعر والأدب الإغريقيان ، وفيها نشأت العلوم الرياضية والفلسفية ، وبرز أول الخطباء والمؤرخين والعلماء .

ففي المستوطنات ولدت الحضارة الإغريقية وعن طريقها انتقل ميراث الحضارات الشرقية القديمة إلى الإغريق ،[1]كما أن الحضارة الإغريقية انتشرت في العالم عن هذه الطريق .

1- يرى **ج.م.كوك** :أن الحضارة الإغريقية ولدت على ساحل أيونية ، أي بفضل هذه المستوطنات ، حيث خلقت الغربة والشتات والإحساس بالحاجة إلى القومية حفاظاً على الوجود الحضاري في مواجهة الحضارات الشرقية الأخرى .انظر :

J.M.Cook: The Greeks in Ionia and TheEast ,*London,1962*

وبفضل ذلك أصبحت الحضارة الإغريقية قوة جاذبة ، وديناميكية فعالة ، وراحت تبحث عن مناطق الانتشار في ربوع العالم المسكون (Oikoumene) ، وجدير بالذكر أن الانتشار والاستيطان كانا صفة أساسية للحضارة الإغريقية ، لأن ذلك هو الذي أعطاها الروح العالمية وميزها عن الحضارة المصرية القديمة أو حضارات الشرق القديم ، التي فضلت أن تبقى داخل مواطنها ومن أجل مواطنيها .ومن أهم الدوافع التي كانت وراء الانتشار الإغريقي:

1– الدوافع السياسية :

تعد الدوافع السياسية من الدوافع المتشعبة والشائكة في تحليل ماهية دوافع حركة الانتشار الإغريقية، وتقسم هذه الدوافع إلى شقين أساسين خارجي وداخلي .وتنحصر أسباب الشق الخارجي في العوامل التالية:

آ– تدهور إمبراطوريات الشرق القديم ، وتحديداً تدهور السيطرة الفينيقية على شرق البحر الأبيض المتوسط ، التي كانت تحد من نشاط الإغريق في تلك المنطقة .

ب– انهيار الأمبراطورية الآرامية على يد الآشوريين

ج– ضعف الأمبراطورية المصرية التي أفقدتها سيادتها ونفوذها في المنطقة .

د– انهيار علاقات المملكة الليدية التي لم تكن على وفاق مع الإغريق لفترات طويلة ..[1]

أما الشق الداخلي من الدوافع السياسية فيتمثل في سياسة الإغريق الداخلية وما أعقبها من توترات أثرت في كيان المواطن الإغريقي ، فقد كانت الغزوة الدورية في الألف الأولى من أشد الغزوات عنفاً وهمجية ، فخرّبت كلّ شيء ولم تترك أثراً لمظاهر الحضارة .

تجاه هذه الموجة اضطر الآخائيون والأيوليون والأيونيون إلى تغيير مراكزهم والهجرة إلى جزر بحر إيجة وشواطئ آسية الصغرى ، ثم إلى مختلف الأنحاء في حوض البحر المتوسط .[2]

ويؤكد على ذلك ***توكوديدس*** حيث يقول :***(إن البلاد المعروفة اليوم باسم هللاس ، لم تعرف في ماضيها القديم مستوطنات مستقرة ، وإنما كانت عرضة لسلسلة من الهجرات من قبائل مختلفة هرباً من الغزاة الأقوى منهم ، وهذا ما جعلهم دائماً على استعداد لهجرة أوطانهم الأصلية)***[3]

1- **سيد أحمد الناصري : الإغريق** ، ص 151- 152

2- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 326- 327

3- **توكوديدس : الكتاب الأول** ،ص 19

وفي القرنين الثامن والسابع كانت الأوضاع السياسية في كثير من المدن الإغريقية ، تدفع كثيراً من مواطنيها إلى الهجرة سعياً وراء مناطق جديدة ذات وضع سياسي أفضل ، ففي ظل الحكم الأرستقراطي كان هناك تفرقة عنصرية واضحة ،فصلت الطبقات المميزة عن عامة الشعب ،وأوجدت هوة سياسية كبيرة أثرت في حقوق الأفراد السياسية ، حيث فرقت بين المواطن كامل الأهلية من الارستقراطيين وبين ناقصي الأهلية من عامة الشعب ، وما تبع ذلك من نفور واضح بين الحاكم والمحكوم .

ومن جهة أخرى كانت حركة الهجرة والانتشار من مصلحة الحكم الأرستقراطي والأوليجاركي (حكم الأقلية) لأن العناصر الساخطة من عامة الشعب لو بقيت في مكانها لحركت الثورات الشعبية في وجه الارستقراطيين، ويبدو أن ذلك دفع الكثير من الارستقراطيين إلى تشجيع هجرة تلك العناصر الساخطة ، والعمل على تدعيمها وتقديم المساعدات .[1]

وخلاصة القول نجد أن الظروف السياسية وضعت أمام الإغريق فرصة مهمة للانتشار ، فالبحر المتوسط مفتوح أمامهم بلا عوائق ولا معارض ،وعندما زحفت الامبراطورية الفارسية نحو البحر المتوسط ابان القرن السادس ، كان الاستيطان الإغريقي قد ثبت أقدامه ، وأصبحت المستوطنات الإغريقية قوة واقعة وحقيقية وقادرة على الدفاع عن نفسها ، وعلى استعداد لإثارة الغرب الإغريقي للدفاع عنها .

2– الدوافع الاقتصادية:

لاشك أن الدوافع الاقتصادية كانت من أهم الدوافع في قيام حركة الانتشار الإغريقية ، وأن بلاد الإغريق بصفتها الفقيرة التي أملتها الظروف الطبيعية بسماتها ، كانت الدافع الحقيقي لهجرة العديد من سكان الإغريق من أجل حياة أفضل في مناطق رزق جديدة .

بالإضافة إلى ضيق مساحة الأراضي الزراعية التي كانت عاملاً مؤثراً في هجرة السكان ، فالدارس لجغرافية بلاد الإغريق وتكويناتها الطبيعية يجد أن تلك البلاد كانت معظمها من الجزر الصغيرة المتناثرة في البحر وهي لا تكفي لاستيطان الجماعات البشرية التي وفدت عليها. [2] فقد كانت تلك الجزر صغيرة الحجم ، كثيرة السلاسل الجبلية والمنحدرات في الجزر الكبيرة منها وأشباه الجزر كمنطقة البلقان مثلاً .

1– **عاصم أحمد حسين : المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق** ،مكتبة نهضة الشرق 1991م، ص 126

2– **فوزي مكاوي : تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322ق.م** ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م ،ص 12

وهذا ما أدى إلى قلة الرقعة المزروعة التي أصبحت غير كافية مع تزايد عدد السكان المطرد خلال تلك الفترة ، مما دفع السكان إلى الهجرة سعياً وراء البحث عن الغذاء والأرض .[1]

ويجب أن لا نغفل شيئاً مهماً كانت له مؤثراته في حياة الإغريق الاقتصادية ، وكان دافعاً على الهجرة ، ألا وهو مساوئ النظام الاقتصادي الذي كان يفرض بقاء معظم الأراضي الصالحة للزراعة في أيدي الأسر الأرستقراطية النبيلة وحرمها عن عامة الشعب ،هذا بالإضافة إلى الديون التي أثقلت كاهل المعدمين من ضرائب تعسفية دفعت بالكثير إلى فقد حرياتهم .وتحول الكثيرين إلى عبيد ،وربما كان ذلك من الأسباب الرئيسية التي دعت بالكثيرين إلى الهرب والهجرة إلى أبعد المناطق سعياً وراء الرزق وشراء لحرياتهم من نير التعسف الاقتصادي. ولا يفوتنا أن ننوه أن حركة الانتشار والاستيطان لم تكن وقفاً على المعدمين بل شملت بعضاً من النبلاء الذين حرموا بحق قانون الإرث الإغريقي الذي يورث الضياع إلى أكبر الأبناء فقط حفاظاً على حجم الملكية الزراعية ومن ثم وجد الأبناء الآخرون أنفسهم مضطرين للبحث عن أراضي جديدة ، وهؤلاء هم الذين تزعموا حركة الانتشار والاستيطان بحكم أنهم كانوا مستنيرين واسعي الأفق .[2]

وتعتبر التجارة سمة بارزة للدافع الاقتصادي أيضاً ، حيث كان عدد كبير من المدن الإغريقية في حاجة إلى الأسواق العالمية ، لرواج صناعاتهم المتطورة خلال تلك الفترة ،كما أن تلك المدن كانت في حاجة ماسة للبحث عن المواد الخام التي تنقصها ، كالفضة والنحاس والقصدير . وبالرغم من هذا كله يبقى الدافع الأساسي هو الثورة البحرية التي كانت نتيجة للتطور في صناعة السفن ذات الطوابق العديدة من المجدفين خاصة السفن ذات الثلاثة طوابق من المجدفين أو ذوات الخمسين مجدفاً ، مما أدى إلى تضاعف سرعة السفن وزيادة حمولتها واتساعها .[3]

3– الدوافع الاجتماعية:

كان للتركيبة الاجتماعية التي تكون منها المجتمع الإغريقي نصيباً في تشجيع الهجرة إلى الخارج وتكوين مستوطنات جديدة ، فقد كان المجتمع الإغريقي يتكون من ثلاث طبقات اجتماعية متباينة كان على رأسها طبقة الأشراف التي سيطرت على كل شيء في المجتمع ، ثم الطبقة الوسطى التي تتكون من الحرفيين والتجار وأصحاب الدخل المحدود .

---

1 – **ابراهيم عبد العزيز جندي :معالم التاريخ اليوناني القديم** ، ج1 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م ،ص 297

2– **عاصم احمد حسين : المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق** ، ص 127

3– **سيد أحمد الناصري : الإغريق** ، ص 153

وأخيراً طبقة العبيد والأقنان وهي التي تمثل السواد الأعظم من الشعب .وقد ساعدت القوانين التي ظهرت في دولة المدينة على زيادة عدد أفراد هذه الطبقة حيث أباحت للدائن مصادرة حرية المدين مقابل الدين إذا لم يكن لديه ما يكفي لتسديد ديونه بعد أن يسلبه أرضه وحريته ويصبح عبداً للدائن، فرأى الكثير منهم أنه من الأجدى لهم أن يتركوا مدنهم الأصلية وأن يبحثوا عن أراضي جديدة يمتلكونها ويصبحون فيها سادة لاعبيداً. [1]كما أن ازدياد أعداد طبقة العامة قد أوهم الأشراف أن العامة يشكلون عبئاً عليهم ، فعملوا على تخفيف الضغط السكاني من خلال إيجاد مستوطنات لهم في الخارج .[2]

4– تنامي روح المغامرة وحب الاكتشاف:

يجب أن لا نغفل عشق الإغريقي للمغامرات وركوب المخاطر ،والجري وراء الثروة لإرضاء الطموح والغرور، خاصة الشباب منهم ،كعامل له وزنه في تشجيع الهجرة إلى بلاد غريبة وبعيدة، كما أن غريزة المغامرة والسعي لاكتشاف المجهول من قبل العديد من أفراد الطبقة الأرستقراطية في بعض المدن الذين حرموا من المشاركة في الحكم لوجود أقلية (أوليجاركية) أسهم في توحيد جهود هؤلاء ، وانضمام العديد من أفراد الطبقة العامة إليهم ليشاركوهم في تأسيس المستعمرات .[3]

ومما سبق نرى أن أسباب التوسع الإغريقي في غرب البحر المتوسط ناتجة عن الأزمة الاجتماعية الناتجة أساساً عن ضيق رقعة الأراضي الزراعية ، أيضاً تطور المدينة – الدولة كإطار سياسي جعل من الاستيطان عملية رسمية ومنظمة ولاسيما أن الملاحة كانت السبيل الرئيس للمواصلات في بلاد الإغريق والوسيلة المحددة في نشأة اليونان الكبرى.[4]

فكانت الهجرة العامة من أجل إيجاد موطئ قدم أكثر ملائمة للاستقرار والاستيطان فيه،[5] فضلاً عن الدوافع الاقتصادية المتمثلة في التجارة سعياً وراء الثراء والحصول على المواد الخام التي تحتاجها الصناعة ، ولفتح أسواق جديدة لتصريف منتجات الإغريق الصناعية .

1– المرجع السابق نفسه ،ص 136

2– **محمد كامل عياد : اليونان** ، ص 348

3– **ابراهيم عبد العزيز جندي :معالم التاريخ اليوناني** ، ص ص 288– 302

4– **الشاذلي بورونية ، محمد الطاهر : قرطاج البونية** ، ص ص 116– 117 .أيضا **عاصم أحمد حسين : المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق** ، ص 124

5– ***G,Fougeres;les premieres civilization**,paris,1926,p288*

ويرى **ج.هـ سيتفنسن** أنه إذا كان التوسع الإغريقي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط قد واجهته الإمبراطورية الفارسية فإنه – أي التوسع الإغريقي – اصطدم بمنافسة قوية وأشد من قبل قرطاج في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وأضاف أنه رغم قدرة الإغريق على استيعاب الشعوب الأخرى ، إلا أنهم لم يستطيعوا الاندماج مع الفينيقيين.[1]

سادساً– أهم المستعمرات الإغريقية ودورها في التفاعل الحضاري :

1–بيزنطيوم :

لقد قدر لهذه المستوطنة بيزنطة أو بيزنطيوم الصغيرة التي أقامها أهل ميجارا على الجانب الأوربي من مضيق البوسفور ،أن تصبح وريثة لتراث الحضارة الإغريقية بل وللإمبراطورية الرومانية ، بعد زوالها في الغرب ، مكونة حضارة متميزة سياسة ودیناً ، وفناً عرفت بالحضارة البيزنطية وسميت (بيزنطة) نسبة إلى بيزاس بن نيسوس ملك ميجارا .

أقام المستوطنون الإغريق مستوطناتهم فوق المرتفع الشرقي من مرتفعات المدينة السبع ، التي تحتويها الآن مدينة اسطنبول ، وكان البحر يحيط بها من ضلعيها ، وكان لها ميناء طويل مقوس في الشمال الغربي ، عرف باسم القرن الذهبي ، وفي الجنوب الغربي من المستوطنة يقع بحر مرمرة ، وبين بحر مرمرة والقرن الذهبي يقع مضيق البوسفور ، وبمرور الزمن اتسعت الامبراطورية غرباً ، وضمت لها مرتفعين آخرين من تلال المدينة ، ثم احاطت نفسها بأسوار ضخمة ومنيعة ومبنية من كتل ضخمة من الحجر ، أكسبها شهرة بأنها مدينة لن تسقط أبداً ولايزال بقايا هذا السور العظيم شاهداً على ضخامة البناء الذي كان يحيط بالمدينة كالهلال من ناحية البحر ، ويتخلله سبعة أبراج دفاعية بنيت بطريقة هندسية بحيث تكبر الصوت حتى يمكن للحراس التخاطب وهم على مسافات بعيدة ، وكان للمدينة ميناءان محصنان ، يمكن إغلاقهما بسلاسل حديدية ضخمة وتعطيل الملاحة ، أما مناخها فهو معتدل ، فليس هو بالشديد الحرارة صيفاً ، ولاشديد البرودة شتاءً . جاء المستوطنون الأول إلى هذا المكان الحصين في منتصف القرن السابع 658،وكان مستوطنو خالكيدون المواجهة لها على الجانب الآسيوي الشرقي قد سبقوهم بقليل .[2]

1– **ج.هـ، ستيفنسن : تجارة العالم القديم والبحر المتوسط** ،كتاب تاريخ العالم، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (د.ت) مج2 ، ص 153

2– فيما بعد سخر الإغريق من غباء المستوطنين الميجاريين لعدم إدراكهم أهمية بيزنطة وآثروا الهروب من خطر القبائل التراكية والنزول على الجانب الآسيوي الشرقي حيث أسسوا خالكيدون التي سماها الإغريق سخرية (بمدينة العميان) لأن موقع بيزنطة كان على مرمى البصر منهم ولم يدركوا أهميته . انظر : **سيد أحمد الناصري ، الإغريق** ،ص 167

والذين جاؤوا من ميجارا . ومن مفارقات التاريخ أننا لانعرف على وجه الدقة هوية المستوطنين الأول الذين أسسوا بيزنطة ، ولكن نسبة كبيرة منهم جاءت من ميجارا . والباقي خليط من جاليات تتحدث الإغريقية بلهجة دورية ، كذلك لانعرف الكثير عن تاريخ المستوطنة المبكر ، لأن مستوطنيها انشغلوا في مقاومة القبائل التراكية المعادية ، وفي تحصينها براً وبحراً ، ومن الغريب أن بيزنطة أيدت الفرس أثناء حملتهم ضد بلاد الإغريق ، وقدمت للملك الفارسي بعض السفن ، ولكنها عادت وتمردت على الفرس ، فاستولى عليها القائد الفارسي (أوتانيس) وأدخلها في حوزة الامبراطورية الفارسية.

كان ميناء بيزنطة مركزاً تجارياً هاماً وحيوياً سواء للقمح أو الأسماك المملحة ، أو عسل النحل البري ، كله يتجه إلى أثينة مركز الاستهلاك ، وكانت أثينة تصدر لها زيت الزيتون ، والمنسوجات الصوفية والنبيذ ، بينما كانت بيزنطة تقوم بتوزيع هذه المنتجات على بقية المستوطنات في البحر الأسود . وبذلك أصبحت تجني أرباحاً طائلة من وراء ذلك ، ومن المكوس التي كانت تفرضها على السفن التي تمر عبر البحر الأسود ، الذي سيطرت على مداخله تماماً . ولما كانت المدينة مقامة على تربة صخرية جافة قليلة المياه ، فقد اعتمدت في ري حقولها في السهول المحيطة بها على تخزين مياه المطر ، وبفضل هذه الخزانات الجوفية زرعت المدينة السهول بالقمح الجيد وبالكروم الممتازة ، ولذا صورت على عملتها ديميتر ربة القمح ، وديونيسيوس رب الكروم والخمور ، بالإضافة إلى ذلك اشتهرت المدينة بأشجار التين ،كما اشتهرت بيزنطة بأنها مدينة العقاقير والسحرة والعرافين ، ولقد ألهى الرخاء مواطنيها عن الصراعات والحزازيات السياسية، فوضعت قوانين عادلة، ساوت بين كل المواطنين فلا تفرقة في الفقر، أو الثراء أو الوضع الاجتماعي ،وكان معظم سكانها يتمتعون بحقوق المواطنة في المدينة.

وفي القرن الثاني،بدأت علاقة بيزنطة بروما، حيث عقدت بينهما معاهدة صداقة وتعاون، وأصبحت بيزنطة قاعدة روما العسكرية في آسية الصغرى، ونعمت المدينة في السلام والرخاء الروماني أبان القرن الثاني الميلادي، إلى أن أصبحت مداراً للقتال بين الجنرالين ينجر ومنافسه سيبتموس سيفيروس عام 193م، ولما كانت المدينة من مؤيدي القائد الاول، فقد فتك سيبتموس سيفيروس بها حتى بعد استلامها عام 196م بقسوة أذهلت العالم المتحضر، حيث سلبها امتيازاتها وحولها إلى قرية تابعة لمدينة بيرنثوس المجاورة لها، وبالرغم من أن سيفيروس حاول بعد ذلك إصلاحها وتعميرها بكافة وسائل الترفيه، من مسارح وحمامات ومعابد .وفي القرن الثالث الميلادي تعرضت لخطر القوط المهاجمين الذين لم يستطع الرومان صدهم، ولما قرر دقلد يانوس إعادة تقسيم الامبراطورية اختار بيزنطة لتكون عاصمة الجزء الشرقي من الأمبراطورية الرومانية.

وفي عام 323م بدأ العهد البيزنطي والذي أصبحت المدينة مركزه وعاصمته. ومن أعظم العبقريات التي أخرجتها المدينة في مجال العلوم والفنون والثقافة والأدب، الناقد الأدبي (أرسطوفانيس البيزنطي) والمتخصص في دراساته الأدبية للإلياذة، والذي جاء إلى الاسكندرية أبان عصر بطليموس الثاني أو الثالث، وخرج من هذه المدينة أبطال في الألعاب الرياضية، ومن أشهر الآلهة الإغريقية التي عبدت فيها أفروديت ربة الجمال وديميتر وابنتيها برسيفوني ربتا القمح وهيرا زوجة زيوس ، وبوسيدون رب البحار ، وقد عرف عن أهل بيزنطة حبهم للخرافات والأساطير وأعمال الشعوذة وغرامهم بالجدل والنقاش العقيم (فيما يعرف اليوم بالجدل البيزنطي)[1] وأصبح ذلك فيهم غريزة وصفة من صفاتهم ، وقد ظهرت قدرتهم وولعهم بالنقاش أثناء الجدل الذي قام بين الكنيستين الشرقية والغربية ، وبذلك عرفت بأنها مدينة الهرطقة والتحدي .[2] وكانت بيزنطة مقراً لبطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، وعرف هذا المقر بكنيسة (آيا صوفيا) (جامع آيا صوفيا حالياً) وكان محمد الفاتح العثماني قد أسقطها في 29 مايو 1453م ، وأطلق عليها (إسلام بول) ثم أطلق عليها العثمانيون (الآستانة) وحالياً يطلق عليها (أسطنبول) . ويقال أن قسطنطين الذي أصبح اسم المدينة بيزنطة على اسمه (القسطنطينية) عندما وصل إلى بيزنطة علم أن كنيستها شهدت اثني وعشرين اسقفاً من قبل. ومن الأباطرة السوريين الذين توالوا على عرش بيزنطة : ليون الثالث (717– 741 م) قسطنطين الخامس (741– 775م) ليون الرابع (775– 780م) قسطنطين السادس (780– 797م) إيرين (زوجة ليون الرابع)(797– 802م) .[3]

1– أطلق مصطلح (الجدل البيزنطي) بسبب أن البيزنطيين عندما كانوا يتعرضون للاحتلال من قبل السلطان محمد الفاتح الذي افتتح القسطنطينية عاصمة المسيحية آنذاك والتي هي أسطنبول اليوم كان هناك اجتماع بين أحبار المسيحية لتحديد جنس الملائكة هل كانوا ذكوراً أم إناثاً ، وأيهما كانت الأولى البيضة أم الدجاجة ، وعندما وصل المحتلون إليهم كانوا لايزالون يتناقشون بحدة على ذلك الموضوع الذي لم يكن بمكانه في تلك الفترة وتعرضهم لهجوم محمد الفاتح وكان مثل هذا الجدل العقيم هو السبب في سقوط بيزنطة . ويعطي هذا المثال على الأشياء التي ترد في غير مكانها ومن دون أي نتيجة .

2– **سيد أحمد الناصري: الإغريق** ،ص ص 166– 170

3–***Jonathan Harris: Constantinopole capital of Byzantium***
(Hambledon/Continum) London 2007, p78

تلك هي المستوطنة الصغيرة التي قدر لها أن تشهد حضارتين مختلفتين ، وقدر لاسمها أن يرتبط لألف عام بحضارة عظيمة ، حافظت على كل التراث القديم ، وبقيت صامدة في وجه الغزاة الطامعين ، ولكن الذي لاشك فيه أن الفضل يرجع في الأصل إلى مجموعة المستوطنين الإغريق الذين أسسوها .

وفي آخر الأمر يمكن القول : أن منطقة البحر الأسود كانت منطقة حيوية للإغريق كمصدر غذائي ، خاصة بالنسبة لإنتاج القمح الذي اشتهرت به حقول هذه المنطقة الخصبة، ولهذا شجع الآرخون (صولون) استيراد القمح من هذه المنطقة ، وفي عصر الطاغية (بسستراتوس) شجع على إرسال حملات استيطانية في هذه المنطقة ،[1] خاصة وأن الشرق الأدنى أصبح مهدداً من قبل الفرس ، وأصبح الاعتماد على قمح النيل أمراً غير مضمون ، ولما سقطت مصر في حوزة الفرس أصبحت منطقة البحر الأسود وجنوب روسيا هي المنطقة البديلة لجلب القمح إلى بلاد الإغريق ، ولذا ارتبط ضمها إلى أثينة بقيام الامبراطورية الأثينية سواء الأولى أو الثانية .

2– قورينة:

وهي الآن مدينة (شحات) الحالية بمقاطعة برقة الليبية ، هي تلك المستوطنة الجميلة التي وصفها الشاعر بندار (حدائق الربة أفروديت) وقد أسس هذه المستوطنة مجموعة من مهاجري جزيرة (تيرا) (وهي الآن جزيرة سانتورين الحالية) بناء على نصيحة من كهنة الإله أبولون بأن يبحثوا لهم عن مستوطنة على ساحل أفريقية الشمالي إلى الغرب من حدود مصر ،وذلك أبان القرن السابع قبل الميلاد .وبعد أن ذهبوا يئسوا من الإقامة فيها فعادوا من حيث أتوا ، بل وتجولوا في البحر سنين عديدة ، ثم اضطروا للعودة إلى قورينة مرة أخرى وذلك في عام 631 حسب ما تروي الأساطير .

كانت قورينة هي المستوطنة الأولى للإغريق في شمالي إفريقية محصورة بين ساحل البحر المتوسط وحافة الصحراء الليبية ، وتروي الأساطير أن اسم قورينة مشتق من اسم ينبوع ماء هناك اسمه كوري (Cyre) وتقول أسطورة أخرى ، أن قورينة كانت في الأصل حورية من حوريات البراري والأدغال ، وصديقة لربة الصيد أرتميس (Artmis) وكانت تعيش في أدغال جبل بليون المقدس (Pelion) ، وذات يوم رآها أبوللون تقاتل أسداً فأعجب بها ، وهام بها حباً ثم حملها إلى ليبيا ، حيث تزوج بها ، وجعلها أميرة على المنطقة ،بل وأنجب منها ابناً اسمه أرسطايوس أصبح رباً للمزارع والمراعي ، على أي حال أقام المستوطنون الدوريون من قورينة ربة حامية

1– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 440

على البلاد جنباً إلى جنب مع أبوللون رب الاستيطان ، الذي انتقلت عبادته مع المهاجرين من أسبرطة وتيرا حيث عبد تحت اسم أبوللون كارنا يوس (ApollonKarnaios) [1]من الواضح أن المستوطنين الإغريق اختاروا مكانهم لموقعه الاستراتيجي ولتضاريسه، ولثراء تربته ، وجمال جباله ، التي تتخللها الينابيع ، وتنمو فيها المراعي الخصبة ، ووضعوا أساس مدينتهم في مكان يبعد عشرة أميال من ساحل البحر ،على ربوة تندرج من الجنوب صوب الشمال ثم تنحدر بانكسار شديد صوب البحر، لتصبح أكربولاً مناسباً للمدينة ، يرتمي البحر تحت قدميها . وتتكون المدينة من هضبتين يجري بينهما طريق يربط بين قلب المدينة وشاطئ البحر، كذلك بنوا معبداً للمؤسس الأسطوري للمستوطنة وهو رجل يدعى ارسطو طاليس .وقد عرف التل الجنوبي الغربي (بجبل الريحان) [2]وأصبح مركز الحياة الحقيقية للمدينة ، ولما توسع العمران فيها امتدت المباني إلى الجبل الشمالي الشرقي حيث بنوا فوقه معبد للربة أرتميس شقيقة أبولون وصديقة كوري . وكذلك بنوا عليه معبداً للربة المصرية إيزيس ، التي دخلت عبادتها إلى ليبيا تحت تأثير الحضارة المصرية. أطلقت الأساطير على زعيم المستوطنة اسم ارسطوطاليس ، ولقب باسم باتوس (Battus) التي يرى البعض أنها تعني لقب الملك بلهجة السكان الأصليين ، بينما يقول آخرون أنها تعني (المتلعثم) لأن أرسطو طاليس كان يعاني من مرض يجعله ينطق الحروف بصعوبة ، ونصحه كهنة أبولون بالذهاب إلى أفريقية ، وهناك شاهد الأسد الرهيب فصرخ مرعوباً ، وحلت العقدة من لسانه ، فبقي في المكان وأسس المستوطنة. [3]

وقد استمر حكم أسرة باتوس حوالي قرنين من الزمان إلى أن سقطت الملكيات في المدن الإغريقية ، وبدأ قيام الحكومات الارستقراطية لتحل محلها ، عندئذ سقط حكم هذه الأسرة أيضاً مثلما الحال في باقي بلاد الإغريق ، وذلك أبان منتصف القرن السادس ، وقد عبد باتوس كبطل قومي، وأقيم له ضريح في السوق العامة للمدينة ، بينما دفن باقي ملوك الأسرة في جبانة ملكية مجاورة للقصر ، وخلفه على العرش ابنه أركيسيلاس (Arcesilas) ، ومن بعد هذا الأخير تولى باتوس الثاني الملقب بالسعيد ، والذي في عهده تدفق الإغريق على المستوطنة ذرافات ووحدانا لدرجة أزعجت القبائل الليبية ، فطلب ملكهم النجدة من الملك المصري أبريس (Apries) فأرسل الملك المصري جيشه الذي كان يتكون أغلبه من المرتزقة الإغريق ، الذين رفضوا أن يقاتلوا أشقاءهم الإغريق ، فانهزم المصريون أمام إغريق قورينة .

---

*1– **R.Goodchild: Cyrene and Apollonia**, 1954,p8*

*2-**S.Stucchi: Dieci Anni di missone**, Tripoli,1957,p 51*

3- **مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم** ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1966م، ص 126

وقد أدت هذه الهزيمة إلى عزل الملك المصري (أبريس) وتعيين أماسيس (أحمس الثاني) قائد الحملة المصرية ملكاً على مصر ، وكان مجيء أماسيس في صالح الإغريق ، لأنه كان مولعاً بالثقافة الإغريقية .بل أنه أقام دعائم حكمه على الإغريق الأيونيين ، ولهذا منحهم في مصر حق تأسيس مدينة هي مدينة (**نقراطيس**) ، بل ويقال أن هذا الفرعون تزوج من إغريقية من قورينة ، اسمها (**لائوديكي**) وعامل القورينيين معاملة خاصة ، وأغدق عليهم الهدايا ، من بينها تمثال من الذهب للربة أثينة ، وآخر لأماسيس نفسه كما أرسلت زوجته لائوديكي تمثالاً لأفروديت صنع في مصر ، وبقي في قورينة حتى وقت زيارة هيرودوت لهذه المدينة بعد قرن من هذا التاريخ .[1]

لقد كانت قورينة مستوطنة غنية ، ومركزاً للتجارة بين أفريقية السوداء وبين بلاد الإغريق[2] وقد تغنى الشاعر بندار بثرائها وبوفرة محاصيلها خاصة القمح ، وأسهب هيرودوت في وصف خيراتها خاصة بساتين الفاكهة وأشجار الزيتون ، وأشجار السرو ، ونبات السلفيوم الذي كان يكسو روابيها ، وهو نبات طبي قريب الشبه من الأعشاب الهندية الطبية تستخدم في صناعة العقاقير .كما اشتهرت المدينة بعسل النحل والزهور ونبات الزعفران حتى تخيلها الإغريق بأنها حدائق إفريقية الأسطورية . كما اشتهرت المدينة بالمراعي الشاسعة التي تربى عليها قطعان الماشية والأغنام ، خاصة الخيول الأصيلة ، ولهذا اشتهر ملوكها بحبهم لسباق العربات في المباريات الرياضية الأولمبية ، التي كانت تقام بين الإغريق ، حيث تغنى بندار الشاعر بانتصاراتهم في هذه المباريات. [3]لقد كشفت أعمال التنقيب عن الآثار عن مدينة مزدهرة متسعة ، لها ميناء كبير على البحر المتوسط، هو ميناء أبوللونيا (**Apollonia**) ، بل وخرجت من المدينة عدة حملات استيطانية إلى ساحل أفريقية الشمالي.فإلى جانب برقة ، أسست مدينة هسبيرس(**Hysperes**) في عهد الملك اركيسيلاس الرابع. وقد ارتبط اسم هذه المستوطنة بأسطورة الجنة ذات الحدائق وأشجار التفاح ، ولكن اسم المدينة عدل إلى اسم(**برينكي**) زوجة بطليموس الثالث (ومكانها الآن مدينة بنغازي) ومن المستوطنات الجديدة توخيرا (**Tauchira**) (مكانها الآن توكرة) كما أسست برقة بدورها مستوطنة فرعية هي بطلمية (**Ptolemais**) (مكانها الآن طلميثة) ، وذلك في الشمال الشرقي منها ، وقد زادت بطلمية في الأهمية حتى غطت على برقة ذاتها .

1- **سيد أحمد الناصري : الإغريق** ،ص 151

2- **رجب عبد الحميد الأثرم: حالة قورينة (برقة) منذ القرن السابع ق .م وحتى عام 96ق .م** ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1975م، ص 58

3- **سيد أحمد الناصري : الإغريق** ، ص 153

وأخيراً حدث اتحاد بين قورينة وفروعها : ميناء أبوللونيا ، وبرقة ، وبطلمية ، وتوخيرا ، وبرنيكي ، عرف باتحاد المدن الخمسة (**Penta polis**) ، وبقيت قورينة المدينة الرئيسية لهذا الاتحاد .[1] لم يشغل الثراء ورغد العيش أهل قورينة عن البحث في العلم والمعرفة ، فقامت بها مدرسة للطب والعقاقير منذ القرن السادس ق.م ، كسبت شهرة كبيرة ، واعتبرها الإغريق في المرتبة الثانية بعد مدرسة (**بيثاجوراس**) التي كانت موجودة في مدينة كروتون في صقلية . أما في مجال الفلسفة ، فقد نبغ في قورينة الفيلسوف (**أرستيوس**) أحد تلامذة سقراط الحكيم ، الذي غادر أثينة بعد موت معلمه ليعود إلى قورينة ، حيث أسس مدرسة متميزة في الفلسفة هي مدرسة اللذة (**Hedonism**) وهي مدرسة تناقض المدرسة الكلبية التي تدعو إلى التقشف وكبح جماح الرغبات . ومن مدرسة اللذة والألم ، خرجت المدرسة الآبيقورية فيما بعد ، وفي القرن الثاني ق .م ظهر في قورينة مدرسة فلسفية ثانية على يد الفيلسوف (**كارتياديس**) الذي نادى بمذهب الشك المطلق قبل المعرفة (**Sceptisim**) وهو مذهب يناقض الرواقية التي تنادي بالمعرفة والتصديق والفضيلة والإيمان. لقد ساءت أحوال قورينة في آواخر عصر البطالمة بسبب الصراع على العرش ، حتى كتب بطليموس أبيون (وهو أحد ابناء بطليموس الثامن الشهير بالمترهل من إحدى محظياته) وصيته التي بمقتضاها آلت قورينة وأراضيها إلى الرومان عام 96ق.م، ولكن الاضطرابات عادت إلى المدينة ، مما دعا سوللا الدكتاتور الروماني إلى إرسال حملة لقمع الثورة فيها عام 86ق .م بقيادة (**لوكللوس**) أحد كبار ضباطه ، ولم يمض على ذلك كثير حتى تحولت قورينة إلى ولاية رومانية ، ضمت إلى جزيرة كريت ، وهكذا ينتهي تاريخ هذه المدينة الحافل بالأحداث ، لتصبح جزءاً من الإمبراطورية الرومانية [2]

3–نوكراتيس :

على خلاف المستوطنات الإغريقية الأخرى ، قامت نوكراتيس على ضفاف فرع النيل الغربي ، وبالقرب من سايس (**Sais**) صا الحجر عاصمة الأسرة الصاوية . ولم تعرف المدينة مؤسساً ، ولاطقوساً ، ولا أشعل لها موقداً أخذت ناره من موقد في مدينة أم ، ولاتدخلاً من كهنة أبوللون في اختيار مكانها .[3]

1– لمناقشة ذلك انظر : **ابراهيم نصحي** : **تأسيس قورينة وشقيقاتها** ، مطبوعات الجامعة الليبية ، بيروت، 1970

2– عن قورينة في العصر الروماني انظر : **عبد الكريم الميار** : **قورينة في العهد الروماني** ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، منشورات الشركة العامة للنشر ، طرابلس 1973م

3– **سيد أحمد الناصري**: **الإغريق** ، ص 160

إنما يرجع الفضل في تأسيسها إلى ملوك الأسرة الصاوية أنفسهم ، وهو رغبتهم في تجميع الجنود والتجار الإغريق في مدينة قريبة من عاصمتهم ، حتى يكونوا تحت بصرهم واحتراماً لمشاعر المصريين الذين أثارهم اعتماد هذه الأسرة على الأجانب خاصة في الجيش .وكان الفرعون المصري بسامتيخ الأول (665- 611) هو أول من قام باستخدام أعداد كبيرة من الجنود الإغريق المرتزقة ، واضطر في بادئ الأمر إلى إسكانهم في مستعمرات خاصة عند (**دفنة**) حيث كانوا يعيشون معزولين عن السكان ، على أن الخدمات الكبيرة التي قام بها هؤلاء المرتزقة في توطيد عرش (بسامتيخ الأول) دفعه إلى إدخالهم في حرسه الخاص ، كما جعلته يسعى إلى التقريب بينهم وبين المصريين . ولهذه الغاية جاء بعدد من الأطفال المصريين واسكنهم مع الجنود الإغريق ليستطيعوا تعلم اللغة الإغريقية ويصبحوا تراجمة ، كذلك أخذ يشجع التجار الإغريق على المجيء إلى مصر لأن المكوس التي كان يستوفيها الجباة عن البضائع كانت تدر أموالاً طائلة على الخزينة ، و لما ارتقى اماسيس (**أحمس الثاني**) (569- 528ق .م) العرش والذي اشتهر بصداقته للإغريق اتخذ بعض التدابير التي كان يبدو لأول وهلة أنها ضد الإغريق ، ولكنها أدت في النتيجة إلى تثبيت اقدامهم في مصر ، فقد ألغى(**أماسيس**) معسكرات (دفنة)وأمر بتهديم مصنع السفن الإغريقي الذي أنشئ في عهد (نخاو) ومنع دخول السفن الإغريقية إلى النيل ، ولم يسمح للإغريق بالتجارة إلا في مكان محدد عند مصب النيل الغربي حيث كان التجار من مدينة (**ميليتوس**) قد أسسوا مركزاً للتبادل منذ سنة (750 ق .م) على حد قول استرابون وهيرودوت. [1]

فأخذ الإغريق يجتمعون في هذه البقعة التي انتقلت في مدة قصيرة إلى مدينة كبيرة سميت (**نوكراتيس**) أي (ملكة البحر) . وقد بنيت فيها عدة معابد إغريقية ضخمة ، وبلغ عدد سكانها خمسين ألفاً . وقد جعل(**أماسيس**) حرسه الخاص كله من الإغريق الذين سكنوا في (**ممفيس**) وأصبح لهم حي في العاصمة وتزوج (أماسيس) أميرة إغريقية ، وصار يرسل الهدايا إلى المعابد الإغريقية ، ومنح مدينة (**نوكراتيس**) حقوقاً واسعة في الحكم الذاتي .[2] كانت (**نوكراتيس**) مدينة تجارية وصناعية في الوقت نفسه ، وقد أسست فيها مصانع كثيرة للأواني الخزفية والفسيفساء .

***1– Herodotus**,II,178;-**Strabon**,xvII,18*

2- **محمد كامل عياد**: **اليونان** ،ص 129

وكانت تستورد إلى مصر مختلف البضائع الإغريقية وتصدر إلى بلاد الإغريق المنتجات المصرية من حبوب وورق بردي ومعادن ثمينة وعاج وريش نعام . واشتهرت المدينة بملاحيها ونسائها الجميلات وباعة الأزهار فيها، ولاشك في أن وجود هذه المدينة قد ساعد كثيراً على اقتباس الإغريق للحضارة المصرية . لقد كسبت (**نوكراتيس**) سمعة عالية وعالمية في العالم الإغريقي كمركز للهو والمتعة ، وتردد ذكرها في الكتب والروايات الإغريقية ، وعندما حرق معبد أبوللون في دلفي كانت (**نوكراتيس**) على قائمة المدن التي سارعت بالتبرع لإعادة بناء هذا المركز الديني الهام . ويؤيد هيرودوت ذلك بقوله:(***لما نهض الإغريق لتجديد عمارة معبد دلفي بعد حريقه ، شرعوا في جمع التبرعات لهذا الغرض . وقد ذهبت التقديرات إلى أن تكاليف المشروع ستبلغ (300تالانت)* وقد قدم أهل دلفي ثلث المبلغ هبة ، ومضوا يعملون في جمع التبرعات من بلد إلى بلد ، فلم تقصر مصر في التبرع لهذا الغرض ، وكانت هبة أماسيس ألف مثقال من حجر الشب ، كما قدم الإغريق من سكان مصر عشرين مينا** ، ولما تم تبادل عهود الصداقة والتحالف ، أعلن أماسيس عزمه على اتخاذ زوج إغريقية دليلاً على حسن النية)***[1] .ولابد من القول أن هذه العلاقات الوثيقة بين الإغريق والمصريين لم تتم فجأة، ومنذ القرن الثامن ق .م ، ونتيجة بعض الظروف التاريخية التي في ظلها نمت واشتدت هذه الاتصالات ، حتى أصبحت ضرورة سياسية في كل من مصر وبلاد الإغريق على السواء، ومن أهم هذه الظروف :

- **العداء الذي يكنه كل من الإغريق والمصريين ضد الفرس عدوهم المشترك .**
- **كانت مصر تشكل أكبر مركز للتصدير العالمي للقمح في العالم القديم ، بينما كانت بلاد الإغريق من أقلها إنتاجاً له بفعل تربتها القاحلة والفقيرة .إذ أن متوسط إنتاجها لايتجاوز عشر حاجتها السنوية ، فلذلك كانت المدن الإغريقية في حاجة دائمة لاستيراد القمح المصري**
- **اعتماد بلاد الإغريق اعتماداً كبيراً على استيراد ورق البردي من مصر ، التي كانت الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة له في العالم القديم بأسره ، وكانت بلاد الإغريق منذ نهضتها الثقافية الكبرى في القرن الخامس ق .م ، في حاجة ماسة إلى هذه السلعة .**

---

* التالانت=6000دراخمة

**المينا=100دراخمة

1- **هيرودوت** ، الكتاب الثاني ،ص 234

- **كان الإغريق قد احترفوا الجندية والارتزاق منذ زمن بعيد ، نتيجة لانعدام موارد الرزق وتفشي الفقر في بلادهم ، فاستعان بهم المصريون للقضاء على أعدائهم ومقاومة الخطر الفارسي .**
- **غنى بلاد الإغريق بمناجم الفضة ، التي استخدمت في سك النقود ، وأصبحت الوسيلة العالمية للتبادل التجاري ودفع الأجور ، على العكس من ذلك ، كانت مصر تفتقر إلى هذا المعدن وكانت في حاجة إليه لدفع رواتب أجور جنودها والجنود المرتزقة .**[1]

أيضاً تتميز نوكراتيس بالقوانين الإغريقية الصارمة والمحافظة ، التي حظرت على مواطنيها التزاوج من غير الإغريقيات حفاظاً على العنصر الخالص .

ومن الملاحظ أن دستور نوكراتيس لم يتأثر بالتطورات السياسية والتنظيمية التي خبرتها المدن الإغريقية على يد صولون وبيركلس ويبدو أن سكان نوكراتيس فضلوا البقاء محايدين إزاء الصراع الفكري والسياسي بين أثينة وإسبرطة ، لأن وضعهم في مصر يقتضي التماسك ، كما أن الفرس لم يسمحوا بإدخال الديمقراطية الأثينية فيها خوفاً من انتقال عدواها إلى المصريين ، مما يؤدي إلى الثورة والمطالبة بالتحرر. ومن المعروف ، أن مصر سقطت في براثن الفرس عام 525ق .م وظلت هكذا – باستثناء فترات قصيرة من الاستقلال – حتى دخل الإسكندر مصر عام 332ق.م[2]

ويتضح من الآثار أن نوكراتيس مرت بحركة رواج وازدهار إبان العصر البطلمي ، خاصة أبان عصر (**فيلادلفيوس**) ، وأصبحت مركزاً تجارياً دولياً ، وذلك واضح من كثرة المواد والآثار المستوردة من كافة أنحاء العالم الهللينستي ، كما أخرجت المدينة فريقاً من رجال الفكر والفن والعلم من أمثال (**فيليستوس**) و(**أبوللونيوس**) وعالم الاجتماع (**بوليمارخوس**) و (**خارون**)و(**ليكياس**) في العصر الروماني ، كما أخرجت المدينة (**خايريمون**) والكاتب الشهير (**أثينايوس**) والمؤرخ (**يوليوس بولكس**).ولكن كغيرها من مدن مصر ، بدأ التدهور يلحق بنقراطيس في نهاية القرن الثاني الميلادي ، عندما حاق التدهور بالإمبراطورية الرومانية ، فانهار المعبد الكبير ، وهجرت منازلها المتجاورة والمتلاصقة ، والتي كانت مقامة فوق روابي المدينة ، واختفت مرافقها

1- **مصطفى العبادي: مصر في العصر الهللنستي** ، بيروت ،1988م ، ص 10 ثم انظر :

Karl Roebuck;The Grain Trade beiween Grecce and Egypt,**C**.**PH**.xlv,1950,p241

2- **سيد أحمد الناصري :الإغريق** ، ص 163

ومدرستها ، حتى اضطر(**بردكلوس**) آخر أساتذتها إلى الهجرة إلى أثينة حوالي عام 190م ، كما أن ثورة فلاحي الدلتا والمعروفة بثورة الرعاة (**Bucolis**) استهدفت المدينة، وألحقت بها أضراراً بالغة في عام 175م. ونستطيع أن نقول أن المدينة تضاءلت ما بين 150- 250م ، لكن أغلب الظن أنها لقيت ضربة قاضية أبان ثورة رعاة الدلتا الوطنيين ، وبقيت بعد منتصف القرن الثالث الميلادي ذكرى ، لأن أسطفان البيزنطي أشار إلى وجودها في نهاية القرن الخامس الميلادي ، ويدل على ذلك وجود الموازين البيزنطية ثم وجود بقايا كنيسة ، وبعض الرسوم المسيحية الأخرى ، ولكنها ظلت تتضاءل حتى اختفت أبان القرن الثامن الميلادي بفعل زحف الإصلاح الزراعي في العصر الحديث عليها حتى بقيت أطلالاً تطل على الحاضر في حسرة حزينة.[1] هكذا تدهورت نوكراتيس إلى عدة قرى صغيرة، تغطي الآن قرى كيمان ، كوم جعيف، ونبيرة، وتل نقرش التابعة لمركز إيتاي البارود محافظة البحيرة.[2]

4– سيراكوزة :

لقد قدر لمدينة كورنثة الإغريقية أن تؤسس سيراكوزة (**Syracusae**) في الجزء الأدنى من ساحل صقلية الشرقي ، والتي أصبحت في القرن الرابع ق .م عاصمة للمدن الإغريقية المتحدة في صقلية ، ويقول توكوديدس أنها أسست حوالي عام 734 [3] وسرعان ما أصبحت من أكثر مدن جنوب إيطالية ازدهاراً لكثرة خيراتها الزراعية ، وصادراتها التجارية ، فقامت بإنشاء مستوطنة متفرعة عنها هي كامارينا (**Camarina**) على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية ، ويؤيد توكوديدس ذلك بقوله (***وكان قيام كامارينا أول الأمر على يد السيراكوز ، بعد مئة وخمس وثلاثين سنة – على ما يقدر المرء – من تأسيس سيراكوزة ، ومؤسساها داكون ومنيكولوس***) [4]وقد حكم سيراكوزة عند بداية تأسيسها حكومة أوليجاركية أرستقراطية من ملاك الأراضي عرفوا باسم (**Gamaroi**) انتزعوا الأراضي من سكان صقلية الأصليين ، وحولوهم إلى طبقة من المستعبدين (**Kyllyrioi**) مما شجع على قيام الثورة الاجتماعية حوالي عام 485 ، حيث اتحد فقراء الإغريق وسكان صقلية الأصليون معاً ، وطردوا الطبقة الأرستقراطية الحاكمة وقد استعان هؤلاء الثوار بزعيم هو جيلون (**Gelon**) ، ساعدهم على طرد هؤلاء الإقطاعيين ونصب نفسه طاغية على سيراكوزة حوالي عام 491.

1– **von Bissing; Naukratis**.B.S.A.1951.P33

2–**سيد أحمد الناصري** :**الإغريق** ، ص 165

3– **توكوديدس** : الكتاب السادس ، ص 480

4– المصدر السابق : الكتاب السادس ، ص 482

بعد أن تنازل عن حكم مدينته الأصلية جيلا (**Gela**) لشقيقه هيرون (**Hieron**) وفي عهد جيلون بلغت سيراكوزة أوج عظمتها وازدهارها ، وأصبحت تملك أكبر أسطول بحري بين الإغريق جميعاً واجه به خطر القرطاجيين الذين فتحوا جبهة جديدة عندما غزى الملك (**حامليكار**) صقلية بجيش كبير ، ولكن جيلون وحليفه ثيرون (**Theron**) طاغية مدينة (أكراجاس) تمكنا من هزيمته قرب هيميرا* (**Himer**) وذلك في عام 480 ، وأنقذت صقلية كلها من خطر القرطاجيين ، وأصبح جيلون بطلاً قومياً وقائداً على كل المدن الإغريقية في صقلية . بل وكسب شهرة كحاكم شعبي محبوب ومثالي حتى موته سنة 478،ويرجع الفضل في توسيع رقعة سيراكوزة إلى جيلون ، إذ أنه شجع سكان المدن الإغريقية الأخرى على الهجرة إلى سيراكوزة ، حيث أقام أحياء جديدة لتستوعب السكان الجدد ، وأصبحت سيراكوزة أكبر مدينة في غرب البحر المتوسط ، ولاينافسها في ذلك سوى قرطاج .[1] وبعد موت جيلون حكم هيرون الأول، الذي مد نفوذه إلى جنوب إيطالية ، وجعل من صقلية عاصمة للثقافة والفنون الإغريقية تنافس أثينة نفسها ، وأصبحت لسيراكوزة إمبراطورية، ولكن هذه الإمبراطورية لم تستمر طويلاً ، إذ أنها تدهورت بعد موت هيرون عام 467ق .م ، ودخلت الديمقراطية كنظام جديد ، ولكن بعد تهديد القرطاجيين لسيراكوزة عادت البلاد إلى نظام حكم الطغاة ، ونصب ديونيسيوس (**Dionysius**) الأول طاغية أو قائداً منفرداً بعد عام 406ق.م، ولكنه هزم على يد القرطاجيين .مما جعله يسرع لعقد هدنة مع القرطاجيين ، ليبدأ في صراع مرير مع الأغنياء حيث صادر أراضيهم ، ووزعها على العبيد والمعدمين . وقام بعدة حملات ضد المدن الإغريقية في صقلية لإخضاعها له ، وراح يستعد لطرد القرطاجيين ببناء الأسطول والتحصينات والقلاع ، حيث اصبح أقوى حاكم في صقلية بعد تعيين نفسه أرخوناً عاماً عليها ، بل تطلع إلى السيطرة على جنوب إيطالية ، وأقام عدداً من المستوطنات على ساحل الأدرياتيك ، وساعد إسبرطة ضد أثينة وطيبة ، كما أقام علاقات مع مدينة روما الناشئة ، وقد عرف ديونيسيوس بأنه أديب ومؤلف وشاعر مسرحي وعرضت مسرحياته في أثينة وأولمبية وصقلية ، وكسب عنها جوائز في المهرجانات الأدبية .

---

* معركة هيميرا : مثلت أكبر معركة خاضتها قرطاج في ذلك الوقت من حيث العتاد والجيش ضد محاولات الإغريق الرامية للحد من نفوذ قرطاج التجاري في صقلية الذي كان يمثل ضغطاً كبيراً على المدن الإغريقية ، وقد تمكن الإغريق من إحراز النصر على قوات قرطاج البرية والبحرية .للمزيد انظر للمزيد انظر : **عادل عمران محمد زايد : التواجد القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد** ، رسالة دكتوراه ،إشراف الدكتور عبد المجيد حاج حمدان ، جامعة دمشق ، 2012م ، ص 99

1- **سيد أحمد الناصري ،الإغريق** ، ص 143

ولما مات ديونيسيوس الأب ، تولى ابنه ديونيسيوس الابن الحكم في عام 367 وهو في الثلاثين من عمره ، وكان أول عمل قام به هو وقف الحرب مع القرطاجيين ، وكان ديونيسيوس الثاني ضعيفاً ، ولكنه كان شغوفاً بالأدب والفكر والثقافة الإغريقية .

فقد كان شاعراً وفيلسوفاً وأديباً ، وكان دائماً يدعو مشاهير الفلاسفة إلى سيراكوزة ومنهم الفيلسوف افلاطون للاستفادة من علومه وثقافته ، حتى سنة357 وقع انقلاب قاده (**ديون وكاللييوس**) وذهب ديونيسيوس إلى المنفى وظل فيه حتى سنة 347.وظلت أحوال سيراكوزة في حالة صراع وتنافس على الحكم وصراع داخلي بين أنصار الرومان وأنصار القرطاجيين حتى تدخل الرومان وحصارهم لسيراكوزة ، وقد حاول أهل سيراكوزة مقاومة الحصار الروماني ، ولكن القائد العسكري للرومان (**ماركيللوس**) دخلها عنوة بعد استسلامها في سنة 211 ، وأصبحت سيراكوزة مقر الحاكم الروماني لولاية صقلية ، وفي سنة21 أرسل الأمبراطور أغسطس مستوطنين من الرومان إليها حيث أنشأ فيها مستعمرة رومانية ، وظلت سيراكوزة تتضاءل، بسبب الاستغلال الروماني لصقلية[1]. حتى هاجمها قبائل الفرنجة (**Franks**) سنة 280م ونهبتها ودمرتها ، عندئذ بدأت المسيحية في الانتشار فيها ، ومن ثم وصل المسلمون إليها في عصر الأغالبة وأطلقوا على سيراكوزة اسم (**سرقوصة**) وهو الاسم العربي للمدينة ، هذا هو تاريخ المستوطنة من القيام حتى التدهور.[2] ومن المستوطنات الإغريقية الهامة في صقلية مستوطنة (**ميجارا هوبلايا**) التي أنشأتها مدينة ميجارا على الساحل الشرقي للجزيرة ، وذلك إبان نهاية القرن الثامن ق .م ، كما قامت خالكيس بإنشاء مستوطنة زانكلي (**ميسانا**)في الركن الشمالي الشرقي من الجزيرة وعند طريق كعب الحذاء الإيطالي ، ويؤيد ذلك توكوديدس بقوله:(***أما زانكل فقد أسسها في الأصل قراصنة من كوماي ، وهي مدينة خاليكيدية، في أوبيكا ، ثم جاءها جمع كبير من خالكيس وبقية يوبويه وانضموا إليهم في عمارة تلك البقعة . وقد سميت منذ البداية زانكل ، لأن الصيقيل (أي الصقليين) أطلقوا عليها هذا الاسم لشبه موقعها بالمنجل ، ويلفظ عندهم (زانكلون))***[3]

وفي مواجهة هذه المدينة قامت خالكيس بإنشاء مستوطنة (ريجيوم) على الأرض الإيطالية وبذلك سيطرت على المضيق المائي الذي يفصل بين مياه إيطالية وصقلية ويعرف (***بمضيق ميسانا***).

1- وصف شيشرون جزيرة صقلية بانها الثدي الذي يرضع منها الشعب الروماني .

2- **سيد أحمد الناصري ، الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم** ، ص 146

3- **توكوديدس** : الكتاب السادس ، ص 482

ومن المستوطنات الأخرى مستوطنة (**هيميرا**) على الساحل الشمالي لصقلية ، كما أنشأ المهاجرون من كريت مستوطنة (**جيلا**) على الساحل الجنوبي للجزيرة ، ويقول **توكوديدس** حول ذلك (***وبالنسبة إلى جيلا فقد قام انطيخوس –وهو من رودس– وانطيموس وهو من كريت بتأسيس تلك المستوطنة بقيادتهما المشتركة ، وكان ذلك في السنة الخامسة والأربعين من تأسيس سيراكوزة ، ودعيت باسم جيلا نسبة غلى نهر جيلاس***) [1]وقامت جيلا بدورها بإنشاء مستوطنة أكراجاس . ويوضح أيضاً **توكوديدس** بقوله : (***وبعد مائة وثمانية أعوام – إن لم يخطئ المرء في الحساب– من تأسيس المدينة قام أهالي جيلابنباء مدينة أكراجاس، نسبة إلى نهر أكراجاس ، واتخذوا دستوراً لهم على غرار دستور جيلا***)[2]كما قامت مستوطنة (**ميجارا هوبلايا**) بإنشاء مستوطنة سيلينوس في غرب صقلية .

هكذا انتشرت المستوطنات الإغريقية في شتى أنحاء الجزيرة دون أي خطة محددة ، أو سياسة معينة. ولكن حيثما اتفق . ويجب أن نقول أن غرب صقلية بقي في أيدي الفينيقيين .

ويؤيد **توكوديدس** ذلك في قوله:(***وكان هناك فينيقيون يعيشون في صقلية ويحيطون بها كلها، وكان هؤلاء قد احتلوا ألسنة البر الممتدة في البحر والجزر الصغيرة القريبة من الشاطئ واتخذوا منها مراكز للتجارة مع الصيقيل ، ولكن الفينيقيين هجروا مستوطناتهم واخذوا يتجمعون في موتيا وسلوييس وبانورموس ، بعدما بدأ الهيللينيون يتدفقون بأعداد غفيرة قادمين عن طريق البحر ليستقروا في الجزيرة)***[3]لقد كانت المستوطنات الإغريقية في جنوب إيطالية وشمال صقلية مستوطنات مزدهرة وغنية، لوقوعها في مناطق سهول بركانية ، و لسيطرتها على المنافذ التجارية ، حتى أضحت منافساً كبيراً للقرطاجيين والفينيقيين ، ولكن هذه المستوطنات نقلت معها الخلاف والشقاق من بلاد الإغريق .[4] وبمرور الزمن ازدهرت المستوطنات المختلفة ، وأصبح جنوب إيطالية يعج بالمدن الإغريقية، لدرجة أن الرومان أطلقوا عليها اسم اليونان العظمى (**Magna Graecix**) ، ومن الطريف أن الرومان اتصلوا بالإغريق الصقلين وأطلقوا عليها الاسم الذي عرفوا به وهو الإغريق (**Greece**) [5]

1- المصدر السابق ، الكتاب السادس ، ص 481

2- المصدر السابق : الكتاب السادس ، ص 481

3- المصدر السابق : الكتاب السادس ، ص 480

4- **سيد أحمد الناصري : الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم** ، ص 147

5- المرجع السابق نفسه، ص 147 ولتفاصيل أكثر حول المستوطنات الإغريقية في صقلية انظر **توكوديدس** :الكتاب السادس،ص ص 480- 484

سابعاً :النتائج العامة

خلاصة القول نجد أن حركة الانتشار الفينيقي والإغريقي حققت نجاحاً هائلاً ، إذ انتشرت القوتان عبر البحر المتوسط، وحقق كلاً منهما فوائد جمة .سواء على الصعيد الاقتصادي أو الحضاري ،وكان لكل منهما دوافع دفعت بهما للخروج إلى البحر المتوسط وتأسيس مراكز لهم فيه. ومعرفة الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر المتوسط مبكرة ، حيث استوطنوه وأسسوا مراكزهم التجارية فيه قبل الوجود الإغريقي .وقام تنافس الفينيقيون والإغريق في التجارة والاستعمار في غرب البحر المتوسط ، كما تنافسوا من قبل في شرقيه وفي حوض البحر الأسود . واستغرقت هذه المنافسة مدة طويلة في الألفية الأولى ق.م .وقد ساعد موقع الساحل الفينيقي بين حضارات الحوض الشرقي للبحر المتوسط، في لعب دور الوسيط بين هذه الحضارات بعضها والبعض الآخر ، فموقعها جعل منها ملتقى تيارات حضارية، و أثبت التاريخ أن الفينيقيين قاموا بدور كبير في تبادل مختلف مظاهر الحضارة في أنحاء العالم القديم. وظلت فينيقية تقوم بدورها في نقل السلع بين أنحاء العالم القديم، وتؤسس المستوطنات وتجمع المواد الخام من مواطنها الأصلية لصناعتها في بلادها حتى بعد أن سقطت في يد آشور في القرن الثامن قبل الميلاد، بل إن هذه الامبراطوريات الغازية استغلت نشاط فينيقية البحري لمصلحتها، و المدن الفينيقية لم تفقد نفوذها إلا بعد قيام المدن الإغريقية وبدء حركة الاستعمار الإغريقي في شرق البحر المتوسط.إذ شهدت بلاد الإغريق خلال القرون الأولى من الألف الأولى قبل الميلاد ، وعلى وجه التحديد خلال القرن الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد ، عملية كان لها أكبر الأثر في حياة الإغريق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل على العالم القديم المحيط بتلك المنطقة هذه العملية كانت بمنزلة حركة انتشار حضاري قام بها الإغريق سواء من بلادهم الأصلية (شبه جزيرة البلقان) أم من مدن آسية الصغرى .وأخذوا يؤسسون المستعمرات الإغريقية وفي هذه المستعمرات ولدت الحضارة الإغريقية وانتشرت في العالم القديم .وبفضل هذا الانتشار أوصل الاغريق حضارتهم ولغتهم إلى كل ركن من أركان المعمورة ، وانتشرت هذه الحضارة ولغتها بين كثير من الشعوب غير الإغريقية ،وبهذا حققت حضارتهم ولغتهم الصفة العالمية ، وفي نفس الوقت تفاعلت حضارتهم مع حضارات العالم الأخرى فأثرت وتأثرت ، وكان لذلك دور كبير في التقدم الحضاري .من جهة أخرى نرى أن البحر المتوسط وبحر إيجة الذي يؤلف بحيرة ضمن البحر المتوسط، كان لهما دور كبير في تسهيل التواصل بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية، وتبادل التأثير الحضاري بينهما ، فكان حوض البحر المتوسط يشكل المجال الذي يمكن للمجتمع الإغريقي والفينيقي أن يتعاملا ويحتكا مع بعضهما بسهولة ويسر كبيرين ، وليس هناك بقعة أخرى أصلح من البحر المتوسط لاتصال البشر بعضهم ببعض ولتسهيل التبادل التجاري بينهم ولانتشار الحضارة وتمازج الثقافات .وهكذا تهيأ للفينيقيين والإغريق منذ فترة مبكرة من تاريخهم أن يلجؤوا إلى البحر مستعينين به للتغلب على عسر الحياة في المناطق التي يعيشون بها .

الفصل الثاني
التأثيرات الفنية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

الفصل الثاني
التأثيرات الفنية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

تمهيد :

أولاً : الفن الفينيقي

ثانياً : الفن الإغريقي

ثالثاً : التأثير المتبادل في المجالات الفنية بين الفينيقيين والإغريق

1. الفن الجنائزي
2. فن صناعة الأقنعة
3. فن صناعة الأرجوان
4. فن صناعة الزجاج
5. فن صناعة الفخار (الخزف)
6. فن صناعة المعادن (التعدين)
7. فن صناعة النقود
8. فن صناعة السفن
9. فن صناعة الحلي
10. فن البناء

آ . العمارة الفينيقية

ب . العمارة الإغريقية

ج . بناء المدن في العصر الهللينستي

رابعاً : النتائج العامة

تمهيد :

من العوامل الفاعلة في منحنى التأثر والتأثير المتبادل بين الفينيقيين والإغريق التجارة التي تعد وسيلة هامة لنقل الحضارة من بلد لآخر ، وتكمن أهميتها من كون عملها يتمثل بناحيتين مادية ومعنوية ، يتم من خلالها تبادل البضائع من مواد خام أو مصنوعات ، كذلك تحقق المناخ الملائم للتبادل الثقافي والتأثير الحضاري بين الشعوب .ونتج عن الانفتاح الاقتصادي بين الفينيقيين والإغريق في المجال التجاري تأثيرات متعددة وخاصة على الصعيد الفني .وشكلت الآثار مصدراً أساسياً لمعرفة مدى التأثير الحضاري المتبادل بين الحضارتين ، وشملت هذه الآثار الأواني وأدوات الزينة والمعابد ولوحات فنية وتزيينية وتماثيل وغيرها ،ساهمت جميعها في إبراز العلاقات بين الحضارتين ومدى التأثير والتأثر الحضاري بينهما . يقول **محمد كامل عياد** :***(أخذ الفينيقيون يجوبون في كل أنحاء البحر المتوسط وتقدموا في فن الملاحة وصنع السفن، وازدهرت لديهم مختلف الصناعات مثل النسيج والصباغة والزجاج ، وكان النشاط التجاري يدفعهم للاختلاط بجميع الأمم في حوض البحر المتوسط والقيام بدور الوسيط في تمازج الحضارات وانتشارها .ولاعجب إذا رأينا الإغريق تبهرهم بضائع الفينيقيين ويرحبون بالسفن الفينيقية التي كانت تحمل إليهم الأواني الخزفية والزجاجية الملونة والتحف المصنوعة من العاج وبصورة خاصة الأقمشة الأرجوانية .لقد كان طبيعياً أن يتعلم الإغريق أشياء كثيرة من الفينيقيين مثل صنع السفن الكبيرة والصباغة)***[1]

ومن ناحية أخرى لعبت الجالية الإغريقية دور كبير في المستوطنات الفينيقية ، فقد قصد هذه المستوطنات التجار والصناع والحرفيون والفنانون والمعلمون والأطباء والمهندسون والفارون من الظلم الاجتماعي في بلدانهم، واختلط هؤلاء بالسكان الفينيقيين إلى حد الانصهار ، ويدل على ذلك حالات التزاوج التي كانت تتم بينهم وبين أولئك الأجانب وعلى أعلى المستويات ، فقد كان القائد القرطاجي "حامليكار" قائد معركة هيميرا480 من أب قرطاجي وأم إغريقية من سيراكوزة [2]

وهكذا كانت هناك علاقات هامة جداً بين الفينيقيين والإغريق ، ويأتي الفينيقيون في الدرجة الثانية بعد المصريين من بين الشعوب التي اتصل بها الإغريق واقتبسوا الحضارة عنها .

1- **محمد كامل عياد** : **تاريخ اليونان** ، ص 132

2- **مفتاح محمد سعد البركي** : **الصراع القرطاجي الإغريقي** ، ص 270

وقد استطاع الفينيقيون بين سنة 1000– 700 ، أن يسيطروا على تجارة البحر المتوسط ، وكانوا المبادرين الأوائل في المغامرات البحرية والمبادلات التجارية على طول خط هذا البحر ومنها بلاد الإغريق. يقول **هيرودوت:(*شرع الفينيقيون حال استقرت أحوالهم على شواطئ البحر المتوسط في خوض رحلات بحرية طويلة للمتاجرة بما كانت سفنهم تحمله من بضائع وسلع من مصر وبلاد آشور وقد اعتادوا أن يلقوا مراسيهم في كثير من المدن الواقعة على الساحل ومنهم أرجوس ، وكانت لهم الصدارة بين الدول المتحدة اليوم تحت اسم الهيلاس*).** [1]

وهكذا جاب الفينيقيون أنحاء البحر المتوسط ، وتقدموا في فن الملاحة وصناعة السفن وازدهرت لديهم مختلف الصناعات ، مثل النسيج والصباغة والزجاج واتسعت تجارتهم ، وكان النشاط التجاري يدفع الفينيقيين إلى الاختلاط بجميع الأمم في حوض البحر المتوسط ، والقيام بدور الوسيط في تمازج الحضارات وانتشارها، ودلت الاكتشافات الأثرية على وجود علاقات راسخة بينهما منذ النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد حيث قامت علاقات بينهم في أوجاريت، ولعبت جزر البحر المتوسط دور كبير في ذلك التواصل الحضاري ، وخاصة جزيرة قبرص فكانت همزة الوصل بينهما .[2]

وتحول البحر المتوسط خلال الألف الأولى إلى بحيرة فينيقية * تغص بالسفن التجارية التي نقلت في جعبتها منتجات العالم ، ونقلت أيضاً فنون العالم وثقافته وحضارته، مما أدى إلى حدوث تمازج حضاري وثقافي واسع ، لأن الفينيقيين قاموا بدور الوسيط في التجارة العالمية ، ويمكن القول أن الفضل في نمو الفنون في حوض البحر المتوسط يرجع إليهم.

1– **هيرودوت** : الكتاب الأول ، ص 29

2– **أ.ش شيفمان : ثقافة أوجاريت** ،ترجمة حسان ميخائيل اسحق ،دار الأبجدية ،دمشق ط1، 1988ص 127، **هورست كلينغل :آثار سورية القديمة** ،ترجمة قاسم طوير،منشورات وزارة الثقافة، 1985ص 50،انظر ايضا**محمد عادل رحال ،تجارة وتصنيع المعادن في أوجاريت** ،بين 1400– 1200ق .م ، رسالة ماجستير ،إشراف جهاد عبود، جامعة دمشق ، 2016 ،ص 187

* عندما فقد الكريتيون السيطرة على البحر حوالي القرن الثاني عشر ق.م ، كان الملاحون الفينيقيون على أهبة الاستعداد على أن يخلفوهم ، وقد فعلوا ذلك ، وهذا دليل على الموروث الكبير الموجود لديهم الذي مكنهم من النجاح في استلام قيادة الملاحة في ذلك الوقت ، وبدون منافس وبالتالي أصبحوا سادة التجارة في البحر المتوسط .للمزيد انظر :

***William.A;. Ward, The Spirit of Ancient Egypt**, published By Khayats, Beirut, Lebanon, 1965, p22*

يقول **ول ديورانت** في مقدمة الجزء الثاني من المجلد الأول من كتابه "قصة الحضارة" ***(أن الإغريق لم ينشئوا الحضارة إنشاء لأن ما ورثوه منها أكثر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلل لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين ، وجاءت إلى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب)*** [1]

بعد بداية القرن الرابع بدأ التجار الإغريق ينتشرون في الساحل الفينيقي ، فطغت المنتوجات الإغريقية على أسواق المدن الفينيقية ،وبالتالي انتقلت التأثيرات الإغريقية إلى الفينيقيين، وفي العصر الهللينستي ازداد التأثير الحضاري بين الفينيقيين والإغريق.[2] فبعد غزوات الاسكندر ظهرت تيارات فنية جديدة تنشر الحضارة الهللينية ، وكان من المحتم بعد هذا الاحتكاك أن يحدث تغيرات أساسية في مجال الفن .

أولاً :الفن الفينيقي

يعد الفن الفينيقي أحد فنون الشرق القديم وتدل آثاره المكتشفة على ذوق الفنان الفينيقي وحسه الجمالي ومهارته اليدوية وخبرته المهنية وآفاقه الثقافية .يقول موسكاتي ***:(لا شك أن الفينيقيين في الألفية الأولى أعظم المنتجين للأشياء التزينية في الشرق الأدنى القديم ،أهمها الصفائح العاجية والطاسات المعدنية والمجوهرات والأختام)***[3]وفيما إذا تعرفنا على أحوال الفينيقيين نكتشف الدور الرائد الذي لعبوه في تاريخ البشرية ، فقد فتحوا آفاقاً لم يعرفها أي شعب غيرهم من قبل سواء في الاقتصاد أو في الانتشار أو في العلم ، تعاطوا الاعمال التي عرفتها شعوب عصرهم وأضافوا إليها كثيراً ، فارتفعوا بعلاقاتهم إلى المجال العالمي الواسع. ويتبين لنا أن الصفة البارزة للفن الفينيقي هي أنه اعتمد على فنون الأمم المجاورة ،واقتبس منها الكثير وطورها حسب خصائصه وبيئته ، لذلك وجد الباحثون صعوبة في تحديد هوية هذا الفن، ويرجع سبب ذلك للعلاقات التي ارتبط بها الفينيقيون مع الأمم الكبرى المجاورة لهم ،على مختلف المستويات وبكل مظاهرها.[4]تقول ***مادلين هوراس : (لايخدعنا عن الفينيقيين شيء بقدر ما تخدعنا فنونهم ،فلا يمكن إنكار أن فنانين فينيقيين ولدوا في فينيقية وثقافتهم فينيقية ،كانوا يتميزون بهذه الخصال وتألقوا فيها ، ولكن حينما نتلمس تمييز ابتكاراتهم الفنية ،أو تحديد مميزات فنهم فإننا نواجه صعوبات جمة)*** [5]

1- **ول ديورانت : قصة الحضارة**،ترجمة محمد بدران ،دار الجيل ،بيروت ،1988م ، مج 1، ج2، ص10

2- **جميل جبر : جبيل في التاريخ** ، ص 112

3- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص 88

4- Donald Harden : The Phoenicians,p 180

5- **مادلين هوراس: تاريخ قرطاجة** ، ترجمة ابراهيم باش ،منشورات عويدات ،بيروت ط1 1981م ، ص 151

لكن كما كان الفن الفينيقي متداخلاً ومركباً ، كذلك كانت فنون الأمم المجاورة ، فالجوار جعل فنون هذه البلدان جميعاً تتماثل في كثير من الخطوط والأشكال دون أن يفقد أحدها طابعه الخاص، لقد تأثر الفن الفينيقي بحضارات البلدان المجاورة ، وتأثر بأساليب فنونها ،لكنه صهرها جميعاً في قالب خاص.[1]

ولابد من ذكر أن الكثير من الباحثين الغربيين عملوا على اتهام الفينيقيين بقلة الابتكار والإبداع على الرغم من كثرة الآثار المكتشفة في مختلف أرجاء البحر المتوسط وأماكن انتشار الفينيقيين .يقول فوجيه :* ***(لاحظ لهم قط من الابتكار ولم يكونوا إلا وسطاء مباشرين أو غير مباشرين وكانوا عمالاً مهرة أكثر منهم فنّانين خالقين ،فالفينيقيون كانوا على الأخص ناشرين للفنون بين الشعوب)***[2]. و قام بعض الآثاريين الغربيين مثل كونتنو ومادلين وغيرهم ،بنسب كل قطعة فنية فاخرة مكتشفة في الأرض الفينيقية ،أو في الممالك البعيدة إلى أنها قطعة فاخرة وبديعة نفذت من قبل فنانين إغريق بناء على طلب تاجر فينيقي ثري من جهتنا نؤيد الرأي الذي ذهب إليه الباحث اسمندر حين قال :***(أن الفن الفينيقي لم يكن بعيداً عن التأثيرات الخارجية من الامبراطوريات المحيطة به، هذه التأثيرات كانت متبادلة ومتجاذبة ،سيما وأن الفينيقيين كانوا ذوي باع طويل في التجارة ونقل النفائس الفنية ذات المستويات المتعددة إلى مختلف أصقاع العالم القديم ،وكانت لهم جاليات تجارية في دول العالم القديم تشرف على تجارة القطع الفنية لمن يرغبها من هواة جمع الأشياء الفاخرة، وكما يقول المؤرخون : هم أول من قام بصناعة وتجارة وتسوق القطع الفنية ذات الصبغة الترفيهية ،فالفن عندهم امتاز بمزايا عالمية خلال الألف الأولى قبل الميلاد ، لكن لا يمكن لأحد أن ينكر دورهم في إدخال لمسات فنية رائعة على ما أخذوه من الدول المجاورة وآثارهم تشهد على ذلك ،ولا ندري لماذا يحاول هؤلاء الغربيون إنكار دور الشعوب العربية القديمة في تقدم الحضارة ، ولابد أن نظرتهم هذه هي نظرة عنصرية)***[3]. وتبقى الفنون الفينيقية على تعددها كالنحت والعمارة وصناعة الحلي والفخار وغيرها خير دليل على انفتاح هذه الشعب على كافة الشعوب الأخرى التي عاصرته وشاهداً على تواصله معها، ذلك أن هذه الفنون تحمل عناصر استعارها الفنان الفينيقي من شعوب أخرى سبقته إلى استخدامها.

1- **صلاح كامل : الفن اللبناني** ، منشورات قسم الفنون في وزارة التربية الوطنية ،لبنان 1956م ، ص 9

* فوجيه : محاضر في أكاديمية النقوش والفنون الجميلة (باريس)

2 :**أيمن اسمندر : التقاليد الفنية للرسم والتصوير في الحضارة الفينيقية ما بين 1500– 500 ق.م** ، رسالة دكتوراه ، إشراف عبد المنان ثما ،جامعة دمشق، كلية الفنون الجميلة ، 2009م ،ص 166

3- المرجع نفسه ، ص 58

فالمعابد الفينيقية المكتشفة في المستعمرات تدل على أن تمسك سكانها بمعتقداتهم الدينية ،وحملها معهم أينما استوطنوا، لم يمنعهم من تطعيم معابدهم التي بنوها هناك بعناصر معمارية جديدة اقتبسوها من التقاليد المعمارية المحلية لسكان المناطق حيث شيدت هذه المستعمرات .[1]وفي ميادين فنون النحت والزخرفة فقد بذل الفنان الفينيقي جهده لإرضاء ذوق سكان المستعمرات الاصليين ،هذا الأمر يبدو ظاهراً بوضوح في إخراج الموضوعات الفنية التي زين بها الأواني النفيسة التي صنعت للتصدير إلى الخارج .ومن ناحية أخرى فقد ازدهرت صناعاتهم المحلية وقاموا بتصديرها ، وخاصة صناعة الزجاج والحلي والصناعات النسيجية ذات الأصباغ الملونة التي استخرجوها من صدف المريق الذي تفرعت من فكرته عدة أصباغ أخرى ،أما صناعة المراكب فكانت تشتهر بطابعها الحرفي والفني ،وما زالت بعض مصانع المراكب تعتمد تقنيات مشابهة لتلك الفينيقية في تصنيع المراكب .[2]وكان من شأن هذا الانفتاح الواسع على الشعوب الأخرى أن يطمس الشخصية الفينيقية، لولا أن الفينيقيين ظلوا أوفياء لثقافتهم ووطنهم، وتبدو اصالتهم كما بدا انفتاحهم في كافة أعمالهم الفنية ونشاطاتهم السياسية.[3]

ثانياً :الفن الإغريقي

كان الإغريق يربطون بين الجمال والفضيلة ويؤمنون بالصلة التي تجمع بينهما ، وعلى هذا شيد الإغريق أخلاقياتهم على أسس جمالية ، وبوؤوا الفنون مكانة سامية في مجتمعهم ، مما حرك فيهم الولع لممارستها .[4]

كان الإغريقي يرى أن الفن هو قبل كل شيء تجميل طرق الحياة ووسائلها وكان وضوح ادراكه للدولة يوحد بينه وبين قوة المدينة وعظمتها ،فلذلك استخدم آلاف الفنانين لتجميل أماكنها العامة، وتعظيم أعيادها وإحياء تاريخها وتكريم آلهتها، ومن أجل هذا لم ينشأ الفن الاغريقي ليوضع في المتاحف ويتأمل الناس به، لكنه نشأ لكي يخدم مصالح الناس ومشروعاتهم الحقيقية. لذلك كان الفنان الاغريقي في حقيقة أمره صانعاً ماهراً لأجل الفن الذي يفهمه جميع الناس ،فلم يكن الفنان الاغريقي مبدعاً فحسب، بل عاشقاً الدقة والإتقان فيما ينجز من إبداعات فنية ،واستخدم في فنه آلات العمل البسيطة المصنوعة من البرونز كالمثاقب البسيطة والأنبوبية وحجر الجلخ ومواد أخرى للصقل .

1-**جورج كونتو** : **الحضارة الفينيقية** ، ترجمة عبد الهادي شقيره ، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ،ط1،1997م ص112

2- **سباتينو موسكاتي** : **الحضارة الفينيقية** ،ص13

3- **محمد الصغير غانم** :**التوسع الفينيقي في البحر المتوسط**، دار النمير للنشر والتوزيع دمشق2003م ص49

4- **ثروت عكاشة** : **الفن والحياة** ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1، 2002م ، ص 11

وفي النصف الأول من القرن الخامس انتقل الفن الاغريقي من أشكاله التقليدية وطراز الصور السوداء على الفخاريات والمزهريات ،لتحمل نقوشاً بديعة للفنانين الإغريق تكمن في طياتها طبيعة الحياة الإغريقية نفسها. فقد غلبت على الرسوم تكوينات الأشخاص والصور المأخوذة من الممارسات اليومية اقتصادية أم اجتماعية أم غرامية أو من القصص الميثولوجية الإغريقية . إن المظاهر العامة للفن الاغريقي تعطينا انطباعاً عاماً عن جوهر المجتمع الاغريقي وهو اتجاه يعكس (عصر بريكلس) بكل ما فيه من رخاء ،ومن راحة نفسية تجعل الفنان يشعر أن لديه الوقت الكافي ليهتم بكل شيء ،ويحاول أن يبرز الجمال في كل شيء وترينا أيضاً بوضوح كيف أن الإغريقي كان يكيف نفسه مع عالمه وبصورة عجيبة ولسنا نشك في أنه كان عالماً يتميز بفقدان العدالة وبالحروب وبالفقر وبالمرض. ولكن إذا دخلنا هيكل (**البارثنون**) Parthenon فإننا لا نجد فيه ما يجعلنا نستشعر أنه كان عالماً كئيباً بل الأمر على نقيض هذا، **إذ نحس أننا في حضرة الانسان المثالي الإنسان المطمئن إلى ذاته والواثق من أنه يستطيع أن يتغلب على الصعاب وأن يخطط لمستقبل يرضي رغباته.** [1]وظهر الفن في نطاق العمل الصناعي وطرأ عليه تحسن لا نظير له بسبب التغيرات التي استدعتها الظروف التاريخية للإغريق في تلك الفترة بنهاية الحرب الفارسية الإغريقية في القرن الخامس.وهي تشمل : تحرير الجزر والمدن الإغريقية في آسية الصغرى وإنشاء الاتحاد البحري الأثيني ، والازدهار السياسي والاقتصادي لمجموعة المدن الإغريقية وعلى الأخص ، **أثينة وكورثنة**، وهذا كله تطلب عمليات بناء هائلة في مجالات الحياة الإغريقية. كما استدعى النشاط الفعال للسياسة الخارجية في المدن الإغريقية إلى تقوية الظروف المناسبة للتطور اللاحق في بناء الجيش والاسطول العسكري والتجاري .مما أدى بدوره إلى تحديد ضرورة الصناعات المتخصصة في مجال الأعمال الخشبية والتعدين والنسيج الخ..[2]وقد اعترف الكتاب القدماء بأهمية دور طبقة الصناع، ويعد أرسطو هذه الطبقة جزءاً من جهاز الحكومة إلى جانب المزارعين والتجار (**هذه الطبقة تعني بالصناعات التي لاتعمر مدينة بدونها ومن الصناعات مالا غنى عنها ومنها ما يرمي إلى الترف ورغد العيش.**)[3]وفي هذه الصناعات تجلى الفن الإغريقي. ويمثل ارسطوفانس أهم المصادر التي ترسم لنا الاوضاع الاقتصادية المتطورة في أثينة من خلال كوميدياته المتعددة. فمعلوماته تعكس لنا الحياة الأثينية بكل مقوماتها في القرن الخامس وبداية القرن الرابع.

1- **خليل سارة : تاريخ الاغريق** ، ص 575

2- **خليل سارة :الاقتصاد اليوناني** ، ص 63

3- **أرسطو** ، **السياسة** ، 3/4، 1291،2آ

والأهم من ذلك أن هذه الكوميديات تعطينا تصورات واضحة ليس فقط على صعيد عمليات تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة فحسب، وإنما على صعيد تقسيم العمل الداخلي والدقيق في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والملكية الخاصة والطبقات الاجتماعية. ومن خلالها نتعرف على المستوى الاقتصادي المتطور الذي وصلت إليه دولة المدينة الإغريقية في القرن الخامس.في كوميدية (الثروة) بإمكاننا أن نشير إلى قائمة طويلة من أصحاب المهن الصناعية في أثينة فعلى سبيل المثال نجد:

الحجارين، والحطابين، وصانعي السفن، وصانعي الجوخ، والحدادين، والحذائين، والخبازين، وصانعي الأجبان، والدباغين، ونساجي الصوف، وصانعي السجاد، والصاغة ، والخزافين، والطحانين.[1] فهذه قائمة طويلة، وإن لم تكن تفي بالغرض المطلوب لكل المهن الصناعية في أثينة إلا أنها تعطينا تصورات واضحة حول عمليات تقسيم العمل في النطاق الصناعي . وتجدر الإشارة أيضاً في كوميديات أرسطو فانس إلى ماوصل إليه التطور الصناعي في أثينة من مستوى مرموق على الصعيد المهني ،فهي لا تشير فقط إلى بعض المهن الصناعية بشكل عام، وإنما إلى الاختصاصات الدقيقة أو الداخلية في مهنة واحدة .

فعلى سبيل المثال تذكر لنا هذه الكوميديات أنه في نطاق مهنة النجارين وجد من الصناع من تخصص في صناعة الدواليب الخشبية ،ومنهم من تخصص في صناعة الأسرة الخشبية ،أما في مهنة نسج الصوف نجد من الصناع من تخصص في عمليات النسج ،ومنهم من تخصص في عمليات الصباغة. وفي المهن الخزفية نجد من الصناع من تخصص في صناعة المصابيح الخزفية فقط، وإلى جانب الحدادين نجد من تخصص في صناعة بعض الأدوات المعدنية لأجل النشاط الزراعي ،وعلى الاخص صناعة المحاريث المعدنية .أما في مجال صناعة الأسلحة نجد من تخصص في صناعة السيوف والتروس.وهذا مما يدلنا على مبلغ التطور الصناعي الذي وصل اليه الصناع الإغريق في هذه الفترة .[2]وفي الوقت نفسه فإن التنظيم الواضح للأشكال المستقلة للإنتاج الصناعي سمح لدرجة ما بزيادة إنتاجية العمل وخاصة إذا ما عرفنا أن القرن الخامس ق.م اتصف بنهوض عاصف في عمليات البناء وفي كل مجالات الحياة الإغريقية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال عمليات تنظيم البناء،فالبناؤون والمثالون الذين بنوا المباني العامة وغيرها من الأضرحة والمعابد كانوا يعملون وفق اتفاق خاص تحت إدارة المراقبين الحكوميين أو وكلاء خصوصين للأعمال العامة.[3] وتعود بدايات الازدهار الصناعي في أثينة إلى فترة حكم صولون في القرن السادس ،الذي بذل ما في وسعه ليجعل من أثينة مركزاً صناعياً.

1- **أرسطو فانس ، الطيور** 1134، 490، **الثروة** 514، 163،531،162،166، 167

2- **المصدر نفسه ، الثروة**، 163، 513،527،530، **السحب** 1065، **الطيور** 440

3- **الفرد زيمرن : الحياة العامة اليونانية** ، ص 313

فالثروة في رأيه هي أولى احتياجات أثينة ،وأفضل طريقة لجمع هذه الثروة هي خارجية أي عن طريق البضائع وجذب نشاط التجار والصناع الأجانب ،فهذه الثروة لم يستطع صولون مقايضتها بما تنتجه أثينة من منتجات زراعية نظراً لفقر تربتها وعدم كفايتها للسكان وإنما بالمصنوعات، وتكمن الصعوبة هنا وإن كان في أثينة الكثير من الخامات الرخام من جبل بنتليكوس والفضة من لاوريوم ، وأنواع من أجود صلصال الإغريق اللازم لصنع الأواني ، إلا أنه لم يكن في أثينة من الأيدي مايكفي لصنعها فهي كانت بحاجة إلى المزيد من الصناع المهرة ،لذا عمل صولون على تشجيع الصناع الأجانب ،فهو أراد مستوطنين أجانب يمكثون في أثينة ليزيدوا ثروتها بدلاً من مجرد جامعي ثروة يجمعون أموالهم ثم يعودون إلى أوطانهم ،وأصدر القوانين الخاصة التي تسهل هجرة الصناع الأجانب ومن أهمها : **إعطاء حق المواطنة الأثينية لكل أجنبي مقيم في أثينة يمارس الصناعة** .[1]وهكذا كما يقول **بلوتارخوس** ***(لقد غصت المدينة بأشخاص تجمعوا من كل الجهات ومرد ذلك إلى الاطمئنان العظيم الذي أظل أثينة ،وبدأ صولون بتوجيه الناس إلى الفنون والصناعات ولهذا الغرض سن قانونًا ينص على أن الابن ليس مضطرا لأن يعول أباه مالم يكن علمه حرفة)***[2]حيث كان يسيطر الطابع الوراثي على بعض الصناعات كما هو ظاهر في بعض المهن كالطب والموسيقا والحدادة وبناء السفن، لأنها معقدة وتتطلب خبرة طويلة ليتمكن الصانع من اتقانها وهي تنتقل من الآباء الى البنين كالإرث . وفي الوقت نفسه بدأ العمل العبودي يتغلغل في مختلف المجالات الصناعية بشكل أوسع وفي جميع الاختصاصات ، وهذه من أبرز السمات التي اتصفت بها الصناعة الإغريقية في القرن الخامس ق.م، وبالتالي ينبغي الإشارة إلى أن حقيقة الاختصاصات الداخلية في الصناعة تشهد أن الإنتاج الصناعي قد ارتفعت وتيرته وبلغ حداً من التطور لامثيل له، فأنتجت السلع ذات الجودة العالية وانعكس هذا على حياة الطبقات العليا في المجتمع وقد بدأ بناء **البارثنون** في عام 447 وهو تحفة العمارة الإغريقية الكلاسيكية ويدل بناؤه وروعة النقش في تمثال الإلهة أثينة على أن الفن الإغريقي قد بلغ ذروة الإتقان ،وخاصة أعمال فيدياس *.[3]

1-**Plutarch'S**,**Solon**, Tarnslation By Bernadotte Perrin, v 1, L.C.L.1914,P 430

2- **Plutarch'S**,**Solon**,P410

***فيدياس** : وصل فن النحت الإغريقي إلى قمته على يد فيدياس 490-430ق .م ،قام بنحت ثلاثة تماثيل اثنان للآلهة أثينة ،والثالث للإله زيوس وبفضله وصل الفن إلى درجة الكمال .للمزيد انظر خليل سارة : تاريخ الإغريق ، ص 572

3- غ.آ **كوشلينو** : **البوليس الإغريقية وقضايا تطور الاقتصاد** في كتاب :اليونان القديمة ، المجلد الأول ،موسكو ،1983م ، ص 222 بتصدير من **خليل سارة : الاقتصاد اليوناني**، ص 72.

ومن ناحية أخرى كانت الصناعة أحد فروع الاقتصاد الإغريقي الذي استخدم فيه العمل العبودي أكثر من الفروع الأخرى وهذا ما يوافق عليه معظم العلماء.[1]ومشاركة العبيد في العمل الصناعي ساهم في نقل التأثيرات الفنية بين الفينيقيين والإغريق. فقد كان التبادل التجاري في الرقيق وسيلة من وسائل نقل الثقافات والحضارات في حوض البحر المتوسط ، وكان النخاسون يتولون تربية الرقيق وتعليمهم فنون الصناعة المختلفة،ثم يعرضونهم في الأسواق.[2] ومن الطبيعي أن يختلف ثمن الرقيق باختلاف العمر والجمال والصحة والقوة والمهارة اليدوية والملكات العقلية ،وكان لهذه السلع البشرية مراكز تكاد تكون متخصصة ، فالمهرة في الصناعات اليدوية يباعون في أسواق ليسبوس ، والمهرة في أعمال المناجم والصناعات المعدنية يباعون في الأسواق الفينيقية، هذا إلى أن فينيقية تخصصت في تصدير الرقيق الماهر في زراعة الحدائق وفي قطع الغابات وفي النسيج والصناعة. أما الساحل الإغريقي فكان يصدر معلمين للصبية ورجالاً مهرة في الموسيقى والفن ونساخين للمكاتب وغيرها من الاعمال الكتابية اللازمة للوكالات التجارية.[3]

ويقول بعض كبار مؤرخي الفن الاغريقي أنه لم يكن بإمكان الفن الاغريقي أن ينشئ مثله الأعلى لو ظل منطوياً على نفسه ومنعزلاً عن فنون البلاد التي سبقت حضارتها الحضارة الهللينية ،وقد لعب الملاحون الإغريق والفينيقيون الدور الاول في التأثير المتبادل بين الفنون الشرقية والإغريقية قبل أن يحصل التماس المباشر بين الفنين الشرقي والإغريقي في الفترة الهللينستية .ولما كان الإغريق شخصية فنية مستقلة فقد عكفوا على تقليد النماذج التي وردت إليهم من الشرق مع تحوير ما جاء فيها وبخاصة في مجال الحركة في التصوير والنحت وأوجدوا لأنفسهم مدرسة فنية مستقلة ذات أصول شرقية واضحة ،وبخاصة في مجال اعتماد الأشكال الحيوانية المتقابلة ،والأشكال النباتية التي حلت في أعمال الفنانين الإغريق المبتكرين . [4] وهكذا نجد أن العلاقة بين الفينيقيين والإغريق اتسمت بالتداخل والتأثر والمنافسة التجارية.ولابد من ذكر الوجود الإغريقي في المستوطنات الفينيقية وخاصة في مدينة قرطاج ، فقد مثلته جالية كبيرة لعبت دوراً مهماً في حياة المجتمع الفينيقي عامة والقرطاجي خاصة ، وكان لها تأثير في شتى مناحي الحياة خاصة الجانب الفني منها .

1- خليل سارة : الاقتصاد اليوناني القديم ، ص 72

*2- **G,Rawlinson, History of phonicia, p 245***

3- محمد السيد غلاب :الساحل الفينيقي وظهيره، ص 445

4-سليم عادل عبد الحق : الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق ، المديرية العامة للآثار والمتاحف مطبعة الترقي ، دمشق ، 1950م ، ص 6وانظر أيضاً : **مفيد رائف العابد : الاثار الكلاسيكية**، جامعة دمشق 1998ط4، ص51

فقد تقاطر الحرفيون والصناع والمعلمون بشكل كبير على قرطاج إلى الحد الذي بلغت فيه مساهماتهم في بناء المجتمع القرطاجي إلى ظهور التأثير الإغريقي بشكل واضح في الفنون وبعض الصناعات القرطاجية .فقد كان الكثير من هؤلاء العمال المهرة والذين اصبحوا ذوي خبرات عالية بفضل النشاط الاقتصادي المزدهر لقرطاج يتوافدون على العاصمة البونية من مختلف أنحاء البلاد الإغريقية وعلى وجه الخصوص من المستعمرات الإغريقية في صقلية بسبب الصراعات المستمرة التي كانت تدور بين تلك المستعمرات ، وتولي بعض الطغاة الحكم فيها فمنهم من جاء باحثاً عن لقمة العيش بعد أن عجز في الحصول عليها من بلاده ،ومنهم من جاء فاراً من العبودية التي كان يفرضها القانون الاجتماعي الإغريقي نتيجة الديون المتراكمة عليه ، ومنهم من جاء لاجئاً سياسياً فاراً من ظلم الطغاة في تلك المستوطنات .

إن قرطاج كانت العدو الأقوى للطغاة الاغريق فإن اللجوء إليها كان يعنى الأمان الكامل بالنسبة لهؤلاء، كما أن قرطاج هي الأقرب جغرافياً إليهم وبذلك أصبحت تلك الجالية تمثل شريحة لابأس بها داخل المجتمع القرطاجي وكانت تضم شرائح مهنية مختلفة على رأسها الحرفيون والصناع الذين استطاعوا أن يتركوا بصمات إغريقية على الصناعات القرطاجية منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث ظهرت التأثيرات الاغريقية بوضوح في بعض التماثيل المعبرة عن الجانب الديني إلى الحد الذي اعتبر فيه بعض الكتاب والمؤرخين أن اغلب الموجودات القرطاجية كانت إغريقية الصنع واتهموا الفينيقيين عموماً والقرطاجيين خاصة ببلادة الذهن وأنهم اعتمدوا على استيراد حاجاتهم من بلاد الإغريق لأنهم لا يستطيعون مجاراة تلك الصناعة، وأنها تفوق صناعاتهم جودة .[1]

ومع أنه لا يمكننا نفي استيراد القرطاجيين للمصنوعات الإغريقية إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي والتسليم به، ومن المرجح أن الطابع الإغريقي للفن والصناعات القرطاجية إنما جاء نتيجة تواجد الكثير من العمال والصناع الإغريق في المصانع البونية فأضفوا على تلك الفنون والصناعات مسحة من الطابع الإغريقي لا أكثر، بينما مثل القرطاجيون طبقة السادة وأصحاب تلك المصانع ،بالتالي أفسح المجال أمام الفكر الإغريقي للظهور في ذلك الإنتاج ويؤيد ذلك كثرة عدد الجالية الإغريقية في قرطاج حيث سمح القرطاجيون لتلك الجالية بممارسة شعائرها الدينية بحرية كاملة.[2]

فيما يلي شرح لأهم مظاهر الفن من خلال الآثار المكتشفة والتأثيرات المتبادلة بين الحضارتين:

---

*1- **G ;picard,: le monde de carthage**,p.37*

2- مفتاح محمد سعد البركي : الصراع القرطاجي الاغريقي ،ص ص272-274

ثالثاً : التأثير المتبادل في المجالات الفنية بين الفينيقيين والإغريق :

1- الفن الجنائزي:

دأب الباحثون الغربيون على الحط من قيمة فنون الشرق بشكل عام وفنون الفينيقيين بشكل خاص مثل مادلين هوراس ميادن وفوجيه، وأحياناً جورج كونتنو وسباتينو موسكاتي ، ويتضح هذا الموضوع عندما تتم المقارنة بين الفن عند الفينيقيين والفن عند الإغربق ، وبالتالي كانوا يسعون دائماً للتقليل من قيمة وأثر الفن الفينيقي ، وظهر ذلك جلياً في الفن الجنائزي .

فمثلاً عندما عثر في إحدى المدافن الفينيقية في صيدا على عدد من التوابيت في الغرف الجنائزية، علق جورج كونتنو بالقول :*(إنها ليست فينيقية الصنع لأنها تعكس تأثير الفن الإغريقي)* ويبدو أن كونتنو كان قد سحر بجمال هذه التوابيت وروعة صنعها، وعندما درست هذه التوابيت من قبل عدة علماء أمثال (ت- رايناخ) و(دوسو) أعطى كل منهم فترة زمنية تعود إليها التوابيت مختلفة عن الآخر ، فقد اعتمد رايناخ على حجة مستمدة من الأسلوب الفني ويقترح تبعاً لذلك وضع التوابيت في القرن السادس قبل الميلاد ، وبرأينا فإن اعتماد الاستاذ رايناخ على دليل فني في إرجاع التوابيت إلى القرن السادس قبل الميلاد يعد لمحة ذكية جداً،لأن الفن والتقانة التي صنعت بها هذه التوابيت يمكن أن تعطي كماً وافراً من المعلومات والتفاصيل عن الزمن التي صنعت به ، وعلى الأغلب أن الفترة التي حددها هي صحيحة .

أما **دوسو** فقد قال :*(إن التوابيت تعود للفترة 470- 410)* لكن يبدو أنه وضع فرضيته دون مسوغات وكان الهدف من ذلك إرجاع هذه التوابيت إلى فترة الاحتلال الإغريقي للمنطقة الفينيقية، وبالتالي يمكن نزع الأصالة عنها ، واعتبارها أنها منفذة في بلاد الإغريق بناء على طلب تاجر فينيقي كما جرت العادة عند أغلب هؤلاء الغربيين. من جهة أخرى الفرق الزمني بين تقدير دوسو للأضرحة مابين 470- 410 وبين غزو الاسكندر 333 ،يتجاوز على الأكثر 140 عام ؟ وهذا دليل قاطع على عدم صحة التأثر بالفن الإغريقي في هذه الفترة[1].ومن أهم التوابيت المكتشفة في صيدا :

آ- طراز ناووس النائحات :

وهو طراز مصنوع من الرخام ،(شكل 2) وغطاؤه على شكل سقف الجملون (شكل 4)وزخرفته عبارة عن طوابير من الفرسان والعربات في هيئة موكب التشييع الجنائزي ، وعلى التابوت تماثيل نساء في هيئة التفكير والألم وللتابوت بشكل عام شكل المعبد ، ويبرز شكل المعبد من وجود سلسلة من أنصاف أعمدة أيونية على

1- **أيمن اسمندر** : **التقاليد الفنية للرسم والتصوير في الحضارة الفينيقية** ،ص ص 385-387

الجوانب الأربعة، حيث نرى على جوانب التابوت ثماني عشر امرأة تظهرن بين أعمدة أيونية في وضعيات مثيرة للأسى تكاد تكون جميعهن بهيئة واحدة وإن بَدون في وضعيات مختلفة ، وكما نقش فوق غطاء التابوت مناظر صيد نُقشت مشاهد جنائزية على أسفل القاعدة .[1]

ب- تابوت النسب الذهبية :

اكتشف عام 1887م بالقرب من مدينة صيدا ،(شكل 3) لقد سماها جورج كونتنو عندما تحدث عنها بتوابيت الاسكندر ، وقد علل هذه بأنه قد نحت أو رسم من ضمن المشاهد المصورة على جسم التابوت الاسكندر وهذه تعتبر تسمية خبيثة فهي توحي للوهلة الأولى أنها توابيت إغريقية وأنها تنتمي للفن الإغريقي رغم أن الواقع هو غير ذلك تماماً . وهذا التابوت هو من أجمل التوابيت مصنوع من الرخام البنتليكي ، ولقد صور الفنان على أحد جانبيه الطوليين معركة بين الفرس والإغريق ، ظهر فيها الاسكندر بغطاء رأس من جلد الأسد ومن حوله المقاتلون ، وعلى الجانب الآخر منظر صيد الأسد والوعل يشترك فيه الاسكندر المقدوني أيضاً ،أما الجانبان الآخران فقد تمت زخرفتهما بمنظر معركة ومنظر صيد الفهد ، وعلى جبهات الجانبين الصغيرين أيضاً مناظر معارك ، أما سجاف التابوت وأفريزه الأعلى المجاور للرسوم البارزة من أعلى فزخرفته عبارة عن شريط بارز مزين بعناصر زخرفية وافرة ، والغطاء على شكل سقف الجملون وعليه رؤوس صغيرة لنساء وعلى شكل أفريز زخرفي ، وعلى جوانب الغطاء الأربعة تماثيل أسود رابضة على هيئة قواعد عليا .[2]

وقد حاول عدد من المؤرخين الغربيين أمثال **كونتنو** نسب هذا العمل إلى الإغريق، لكن هناك عدد من الأدلة التي تبطل أدعاءاتهم منها :

* اعتبار الشخص المعتمر لجلد الأسد في المشاهد هو الاسكندر ، هو أمر يشك به لأن هذه الحالة لم يكن الاسكندر وحده في التاريخ هو الذي فعل ذلك ، لكن الآثاريين الغربيين درجوا على اعتبار هذا الشخص هو الاسكندر المقدوني ، ومن خلال التماثيل الحجرية في متحف طرطوس والتي تمثل أشخاصاً من عمريت ، نجد أن معظم هؤلاء قد ارتدوا لباساً يغطي الجزء العلوي من الجسم عبارة عن جلد أسد ؟ وبالتالي فإن هذا اللباس يمثل تقليداً فينيقياً واضحاً .
* إن مواضيع الصيد بكل أشكالها هي مواضيع فينيقية أو لنقل شرقية بحتة .

1-ثروت عكاشة : الفن الإغريقي ، ص 486

2- اسماعيل حقي بك ومجموعة من الأدباء : لبنان مباحث علمية واجتماعية مج 1 ،ج 1 ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت، ط3 ، 1993م ، ص ص 136-137

* الضريح يضم على جوانب الغطاء الأربعة تماثيل أسود رابضة على هيئة قواعد عليا ، وهذه الحالة التزينية للضريح يمكن اعتبارها تقليداً فينيقياً أيضاً وأكبر مثال على ذلك تابوت أحيرام الذي يعود للقرن العاشر قبل الميلاد .(شكل 5)

* إن البراعة والجمال والتنسيق البديع لكل العناصر المشكلة لجدران وغطاء وقواعد هذه الأضرحة بالإضافة إلى الدقة المنفذة والمحفوظة بشكل ممتاز دون أن تتأذى دليل على أنها نفذت في الأرض الفينيقية .

* إن التاريخ المتفق لهذه التوابيت هو القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد ، وهو سبب كاف لرفض تسميتها ب توابيت الاسكندر أو حتى اعتبار أن الشخصية المصورة على جوانب التابوت تمثل الاسكندر .. لأنه وببساطة لم يكن قد ولد أصلاً في القرن الخامس قبل الميلاد.

إن الأدلة السابقة تثبت أن الفن عند الفينيقيين في مجال النحت والتصوير قد وصل إلى مستويات توازي إن لم تتفوق على الفن الإغريقي في الكثير من المجالات ، كما تثبت أن هذا الفن قد تم طمسه والاستيلاء عليه عن طريق الكثير من الأساليب .[1]

ونحن لاننكر التأثير الإغريقي ولكن هذا التأثير لا يعني أنها صنعت في بلاد الإغريق أو على يد فنانين إغريق ، ويظهر التأثير أنها منحوتة على هيئة المعابد الإغريقية ، فيصورونها كصورة معابد صغيرة ،فترى الناووس في نقوشه وواجهته وأعمدته وأفاريزه وغطائه المثلث الشكل في أعلاه كأنه المعبد الإغريقي في هندسته وأقسامه المختلفة.

وهناك ناووس يسمى بناووس المرزبان لأن صوره المنقوشة على جوانبه تمثل مرزباناً، يظن أن ملوك الفرس أقاموه والياً على أنحاء الشام ،والمرزبان المذكور ترى صورته على ثلاثة وجوه في هيئة الحاكم وهو جالس على عرش على رأسه التاج وفي يده الصولجان ،وفي هيئة القائد المحارب اذ هو ممتط جواداً ويقاتل الأعداء، وفي هيئة الميت ،وحوله في هذه الصور خدم وإماء وفرسان وعجلات في هيئات وحركات شتى، فهذا يحارب عدواً فيصرعه وكاد يقتله ،وذاك يصطاد فهداً، و رجال ونساء يهتمون بالخدمة ، وكل هذه الصور غاية في الدقة تكاد تظن أنها حية، والناووس كان مصبوغاً بألوان زاهية ذهب بمعظمها الزمان، وشكله من أشكال النواويس الإغريقية الممثلة للمعبد الإغريقي ، إلا أن باطنه على هيئة النواويس الفينيقية .

1-**أيمن اسمندر** : **التقاليد الفنية للرسم والتصوير في الحضارة الفينيقية** ، ص ص 390-392

وفي ذلك دليل على أنه كان وسطاً بين الفن الفينيقي والفن الإغريقي، أما تاريخه فيرقى إلى القرن الرابع قبل الميلاد .ومن جهة أخرى كانت القبور الفينيقية ولاسيما في المراحل الباكرة لا تعلّم بآثار أو نصب فوق الأرض تدل عليها ، خوفاً من نابشي القبور ، فإذا ما وُسمت أو عُلمت ، كانت الآثار أو المعالم من خشب أو أي مادة فانية أخرى ، ذلك أنه لم يطل الوقت كثيراً حتى بدأت تظهر شواهد القبور كما في مقبرة سان مونيك في قرطاج ، بتأثير العادات الإغريقية[1]حيث تمتاز المدافن الإغريقية برموزها الدالة على الموت والحداد ومن ذلك الأنصاب الأسطوانية الشكل كان الإغريق ينصبونها فوق قبورهم عليها غالباً أسماء الموتى وهي عادة إغريقية قديمة عرفها البونيون عند جيرانهم في صقلية عثر على الكثير منها في المدن الفينيقية ، وكذلك بعض الرموز المشيرة إلى الموت كمشاعل مقلوبة وزجاجات الدموع ومنها صورة النسر المدفني كأنهم أشاروا بصورته إلى خلود النفس بعد الموت.[2]

2- فن صناعة الأقنعة:

تعتبر الأقنعة من الآثار المعروفة التي رافقت الحضارات القديمة ، ،ومن آثار الفينيقيين سواء في شرق البحر المتوسط أو في غربه ، يمكن العثور على الكثير منها التي تحمل طابع ديني، وتحوي في مضمونها وفي أسلوب تنفيذها على عناصر المبالغة الساخرة ، ويمكن الإشارة بشكل خاص إلى تلك الأقنعة الفخارية ذات الوجوه الضاحكة والتي كان الهدف منها أغلب الظن إخافة الشياطين لكي تؤمن الهدوء للأحياء والأموات .

وكانت عند الإغريق عادة ارتداء القناع أثناء الاحتفالات موجودة منذ زمن بعيد ، واستخدمه الفنانون الإغريق في فن المسرح ، ويبدو أن أقدم المسارح كانت تقام بالقرب من أماكن العبادة ، حيث كانت تعرض بعض المسرحيات الدينية ، والواقع أن الأقنعة كانت تهيئ للممثلين فوائد عدة ، فكانت تمكنهم من تأدية أدوار مختلفة بتغيير مظهرهم ، وكانت الأقنعة تساعدهم في تضخيم الأصوات وإكسابها الرنين المطلوب ، مما كان يساعد الممثلين على إيصال أصواتهم في ساحة العرض.[3] (شكل 7)

إن الوجوه الاصطناعية المصنوعة من مواد مختلفة معروفة من عبادات وعادات العديد من الشعوب، وظيفتها الأهم تكمن بالتأكيد في إعطاء حاملها مظهراً آخر، وبتحويله بذلك إلى إنسان آخر أو جني أو إله أو حيوان ، وكان بالإمكان أيضاً استخدام القناع كقناع للموتى كما هو الحال عند المصريين والميكينيين الذين

1- **دونالد هاردن** ، **الديانة الفينيقية** ،موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الثاني ، مجموعة من المترجمين ، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ط1، 2004م ص 123- 127 انظر أيضاً: **فينفريد الليغر**: **قرطاجة** ،ص52

2- **اسماعيل حقي بك** : **لبنان مباحث علمية** ، ص 135

3-http://www.marefa.org/index.php-

كانوا يضعون أقنعة على وجوه موتاهم لإعطاء الملامح استمرارية ولتسهيل الحياة للميت في الدار الآخرة، وربما أيضاً لتمكين الروح عندما تعود إلى القبر من العثور على جسدها بسهولة.غير أن الأقنعة الفينيقية ينبغي أن يكون لها معنى آخر فقد وضعت إلى جانب الموتى أو إلى جانب رؤوسهم أيضاً ،وأحياناً تحت الرأس والوجه متجه إلى الأرض ،وتظهر أيضاً كأنها كانت معلقة فوق مدخل حجرة القبر ومن المثير للانتباه حقيقة العثور على العديد من الأقنعة في قبر واحد .[1] وأكثر من ذلك أنه كان بالإمكان وضع أقنعة نساء مع رجال،وأقنعة رجال مع نساء وقد شاعت محاكاة الأقنعة المصرية كصور شخصية portrait وصارت الأقنعة لاحقاً تزين أيضاً بحلقات أنف وأذن، ويظهر الشعر كدائرة أو لولب مثبت في الطين ،ومنذ حوالي 500ق.م يصبح التأثير الإغريقي ملحوظاً تقريباً في أقنعة لرجال ذي أوجه مثلثية متطاولة محاطة بلحية ولها عينان لوزيتان وأنف طويل وفم مبتسم ،إلى جانب الأقنعة الواقعية ذات الفتحات للعينين والفم ، بالإضافة إلى الثقوب الصغيرة للتثبيت هناك ما يعرف باسم الأقنعة ذات الثقب الواحد باستثناء ثقب صغير كان يستخدم لتعليق القناع ،ولم يكن لهذه الأقنعة أي فتحات على المرء أن يميز في هذا النوع من الأقنعة الرجالية والأقنعة النسائية ، بالإضافة إلى ذلك أقنعة منتفخة حسب النماذج الإغريقية. ومن المحتمل أن فينيقية كان لها صناعتها الخاصة في هذا المجال ومع ذلك يجب أن نلاحظ أنه على الرغم من أن الموضوعات مختلفة ظاهرياً ،لكن بعد أن صبغها الفن الإغريقي بصبغته وأعطاها قالبه. وعلى هذه الصورة تظهر تلك النسخ الجميلة المكتشفة في أوتيكا وقرطاج .[2] فقد عثر في قرطاج على أقنعة زجاجية، صنعت من عجائن الزجاج ومشكلة من عدد من الألوان وهي تعود للقرن السادس قبل الميلاد ،وتتراوح ارتفاعاتها مابين 5-6سم وهي محفوظة في متحف قرطاج بتونس. [3] ووجدت أقنعة للرجال من الخزف وهذه الأخيرة تمثل خاصة وجوهاً غير ملتحية أو مكشرة أو توحي بالرعب أو وجوهاً مشوهة بابتسامات هازئة أو منفرة ذات عينين على شكل هلال مقلوب واذنين مصلومتين وخدين فيهما ثلوم وأخاديد مع عصابة على شكل عوارض متصالبة تغطي الجبهة ،كما يلاحظ أيضاً بعض الأقنعة الضاحكة وقناعان آخران متشابهان يمثلان وجهاً تزينه لحية وفيه عينان لوزيتان وتعبير ذكي ورزين وابتسامة غامضة . ونلاحظ أن العديد من هذه الأقنعة تحمل حلقة في الأنف تعتبر حلية ذات فائدة جمالية ،والواقع أن كل هذه الرسوم كانت تعتبر متمتعة بقوة سحرية مخصصة لإبعاد الشياطين الأشرار.[4]

1- **فينفريد الليغر: قرطاجة** ،ص ص 56- 58

2- **فرانسوا دوكريه : قرطاجة :الحضارة والتاريخ** ، ص86

3- **أيمن اسمندر: التقاليد الفنية للرسم والتصوير في الحضارة الفينيقية** ،ص 193

4- **فرانسوا دوكريه : قرطاجة :الحضارة والتاريخ** ، ص86

3- فن صناعة الأرجوان :

أبدى الفينيقيون مهارة في الحصول على صبغة الأرجوان من الرخويات، وصباغة الأقمشة الصوفية والقطنية كان فناً حقيقياً ،فقد حول الفينيقيون هذه المهنة إلى فن ،وأصبحوا معلمين مهرة لا يضاهون، وحافظوا من قرن إلى آخر على أسرار هذه المهنة .

فحقق الفينيقيون شهرة واسعة في فن النسيج ، والأزياء والألوان فصنعوا الأقمشة الملونة المنسوجة من القطن والكتان والصوف ، وصمموا أجمل الأزياء في العالم القديم .وعرفوا بحياكة أجمل الثياب وأمتنها وأكثرها إبهاراً بالألوان المشرقة ، بعكس الثياب الإغريقية التي كانت أقل جمالاً وجودة .

وكانت هذه الصناعة تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد الفينيقي ، وعثر المنقبون على الكثير من الأثقال التي كانت تستخدم في الأنوال القديمة ، و ثبت أنهم استخدموا الأنوال في صناعة النسيج منذ الألف الثالثة قبل الميلاد [1] ويكفي أن نذكر أن الفينيقيين أدخلوا القطن إلى بلاد الإغريق في أوائل العصر الهللينستي باسمه ، وكانوا ينتجون الكتان في سورية الجنوبية في القرن العاشر قبل الميلاد. [2]

وقد لاقت الأنسجة الفينيقية رواجاً كبير عند الإغريق .يقول **هيرودوت** :***(أن سفير إيونيا حين أتى إسبرطة إرتدى معطفاً أرجواني اللون ليلفت إليه أنظار الجمهور).***[3] أطلقت كلمة الأرجوان قديماً على جميع الألوان المستخرجة من أصل حيواني (الأحمر القاني إلى البنفسجي) وكانت تعتبر في الأزمنة القديمة نوعاً عظيماً من أنواع الترف ، وعلامة من علامات الامتياز والسيادة .

ويذكر فرجيليوس في الإنياذة ***(أن الملكة ديدو ملكة قرطاج عندما استقبلت إيناس الطروادي ورجاله أعدت لهم مأدبة عظيمة فكانت هناك الحشايا المكسوة بالطراز الأرجواني ، واتكأ إيناس ورجاله على فرش أرجوانية .)*** [4]

1- **محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية** ، ص 396

2- ***J.H.Breasted,ancient time****- New York,1935,p203*

انظر أيضاً : فيليب حتي: تاريخ لبنان ، ص131

3- **هيرودوت : التاريخ** ، الكتاب الأول - 152

4- **فرجيليوس :الإنياذة** 8، ص 82

وهكذا ازدهرت صناعة الأرجوان وأضحت تمثل تجارة فينيقية هامة ،بدليل أن ملوك وأباطرة اليونان والرومان كانوا قد ارتدوا اللباس الملكي الارجواني الذي صبغه الفينيقيون إعجاباً به واعترافاً بمكانته المتميزة، فالصناعة الأرجوانية الفينيقية كانت متفوقة على صناعة معاصريها ولهذا عرفت إقبالاً هاماً من قبل حكام البلدان المعاصرة والمجاورة لهم .[1] وانتشرت هذه الصناعة عند الإغريق بشكل واسع .ومما يؤكد ذلك ، أنه عند عودة **أجاممنون** منتصراً من حرب طروادة قامت زوجته بفرش الأرض بالأرجوان فيقول **أيسخيلوس** :

يامن وطئت تحت قدميك
طروادة الغاضبة الشقية
لا ... لن تمس اليوم قدماك
تراب أرض ، فالتراب نجس
إليّ يابنات ...ياعذارى
ولتفرشوا على مدى الطريق
بساطاً للعاهل العريق
لتفرشوا البساط أرجواناً [2]

من جهة أخرى كان الأرجوان رمز الآلهة والكبرياء يقول **أجاممنون** رداً على أمر زوجته :

لا تفرشي هذا البساط القاني
فالأرجوان نعمة الملوك
يجعل كل خطوة أخطوها
تفيض رهبة وكبرياء
فهذه الأبهة العظيمة
تليق بالآلهة الكريمة
ولا يجوز أن يسير فان
على بساط المجد كالأرباب [3]

1- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ،ص44
2- **أيسخيلوس : أجاممنون** ، ص 104
3- **المصدر نفسه**، ص 105

ويعتبر الفينيقيون هم أول من اكتشف تلك الصبغة ،إذ تقول الأسطورة أن إلههم **ملقارت** لاحظ ذات يوم إحمرار أنف كلبه عقب لعقه بعض الأصداف ، وذكر **سترابون** عند زيارته لمدينة صور.

(أن أرجوان صور هو الأجود مقارنة بالأصداف التي جمعها في الساحل ،وأن هذه الصناعة عادت على الصوريين بالثراء والثروة والشهرة) [1]. فأصداف المريق التي تصطاد في سواحل صور كانت مطلوبة كثيراً وأرجوانها مصنف بالأرجوان الملكي **pourpre royale**وكان يختلف عن أرجوان مريق شواطىء الإغريق التي تميل إلى اللون البنفسجي في حين مريق سواحل المحيط الاطلسي كانت المادة التي يفرزها سوداء اللون.[2] وتشتق اصباغهم من نوعين من الأصداف هما **المورکسmurex والباكسينيوم buccinum**. وتزخر السواحل الفينيقية بثمانية أنواع من الأولى وستة من الثانية ،ولم تكن عملية صيدها هينة كما أنها كانت تحتاج لإعداد طويل حتى يمكن استخراج الصباغة منها.[3]

و عملية إعداد الصباغ لم تكن معروفة حيث سكتت المصادر الفينيقية عن ذكرها، إلا أن **بليني** وصفها قائلا:(***أن أنسب المواسم لصيد المحار المستخرج منه الصباغ تكون أواخر فصل الشتاء ، وأنه يجب صيده حياً لأنه بعد موته يفرز السائل الأرجواني ويفقده، ثم تنزع الغدد المتعلقة بفرز هذا السائل منه وتجمع في أماكن خاصة ويضاف إليها الملح بمعدل نصف كيلو غرام لكل كيلو غرام من تلك الغدد منعاً للتحلل، وتترك ثلاثة أيام ثم تغلى في مراجل من القصدير وأثناء الغلي تزال الرغوة الصادرة عنه من وقت لآخر وفي حوالي اليوم العاشر عندما تصبح كل محتويات المرجل في حالة سائلة يوضع معه النسيج المعد للصبغ ويترك خمس ساعات ليتمكن من امتصاص الصبغة ،ومن ثم يستخرج ليمشط ويعاد ثانية حتى يتشرب اللون تماماً ،ويعد الصباغ على أحسنه عندما يتخذ لون الدم المتخثر)*** [4].

كانت أسعار الأصبغة الأرجوانية باهظة جداً . وينطبق هذا الأمر على الأقمشة الأرجوانية. [5]

1-سترابون : **الجغرافية** ، الكتاب السابع عشر ، ترجمة محمد مبروك الذويب ، جامعة قاريونس ،بنغازي ،ليبيا 2001م ، ص 50

*2-**CH: Seignobon; Histoire ancienne des peuples de L' orient;** librairie armand colin **;**Paris 1912. p330*

*3- **G,Rawlinson, History of phonicia**, ,pp.245-247.*

*4-**Pliny; the Natural History** ,L.C.L. IX 60-61*

5- أ . **سازونوف** ، **ك** . **ماتفييف: فينيقيا بلد الارجوان** ، ترجمة يوسف الجهماني ،دار حوران للطباعة ، دمشق، ط1 ، 2001م ، ص 95

وتصدر عن عملية التصنيع روائح كريهة جداً لذا أقيمت مواقع تحضير هذا الصباغ على مسافة بعيدة نسبياً عن المدن.[1]

ومن الغريب أن طبيعة استيطان الفينيقيين واستقرارهم في بلاد الإغريق قديماً ، كان مرتبطاً بعادات هذه الحيوانات البحرية ، فهي تختفي في أشد أوقات الصيف حرارة ، ولا تنتج ألوان صباغة جيدة في الربيع ، ولذا كان أنسب أوقات صيدها في الخريف والشتاء ، وبما أن القدماء لم يعتادوا أن ينزلوا إلى البحر شتاء فقد كان يقوم بصيدها الأهالي أو بعض الغرباء القاطنين على الشواطئ ... وأمر آخر هو أن المادة الملونة لا يمكن أن تستخرج إلا والحيوان حي ، إذن فلا بد أن تتم عملية استخراج الصبغة المعقدة في المكان الذي تعيش فيه الأصداف ، ولازال ممكناً إلى الآن أن نرى مصانع استخراج اللون الأرجواني من كميات الأصداف المحطمة الملقاة على سواحل بحر إيجة ، التي لا مد فيها ولا جزر.[2]

4- فن صناعة الزجاج

كان فن صناعة الزجاج أهم الفنون التطبيقية التي برع بها الفينيقيون ، وتفوقوا بها على شعوب العالم القديم بشكل واضح ، ولقد اختلف الآثاريون والمؤرخون حول أسبقية اختراع الزجاج ، فنسبه بعضهم مثل جورج كونتنو إلى المصريين القدماء .[3]وأنكر كونتنو على الفينيقيين اختراعهم ، ولم يقدم مسوغات وأدلة قاطعة .

أما المؤرخون القدماء ولاسيما **بليني** ، فقد أكد أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا الزجاج ونشروه في كل أنحاء العالم القديم ،يقول **بليني**:

(يروى أن سفينة كانت تحمل على متنها تجاراً في النطرون أرست قرب الشاطئ، ولما تفرق التجار هنا وهناك يتهيأون لصناعة طعامهم ، لم يجدوا حجارة تستند عليها قدورهم ، فأخذوا كتلاً من حمولات سفنهم ، فلما التهب النطرون واختلط برمل الشاطئ تكونت جداول شفافة من سائل غير معروف تجري ، فذلك أصل البلور)[4] .

1- **سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقة** ، ص44انظر أيضاً:**محمد بيومي مهران :المدن الفينيقية** ، ص152

2- **الفرد زيمرن : الحياة العامة اليونانية** ، ص 26

3- **كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ص 268**

4-***Pliny: the Natural history*** ,,xxxvI,194

ومما يؤكد أسبقية الفينيقيين لهذا الاختراع الهام ، هو الاستخدام المتعدد الجوانب والمستويات لهذه المادة ، وإنتاجهم لكميات كبيرة ومتنوعة ، فصنعوا منها الأدوات الزجاجية المخصصة للاستعمال العادي مثل الكؤوس والزجاج المستعمل للسوائل . ومما نجده في القبور ويطلق عليها اسم **بكاءات** أو **دماعات**.

وسواء كان الفينيقيون هم الذين اكتشفوا الزجاج أم المصريون ،ففي الواقع أن التجار الفينيقيين كانوا قد تاجروا وصنعوا الكثير من القطع الفنية الفاخرة ذات الصبغة الترفيهية .وقد أدى تقبل الأسواق لهذا السلع إلى تقدم صناعتها، فصارت من أهم صناعات الفينيقيين ومصادر ثروتهم ، وتنطوي الأواني الزجاجية الفينيقية على مهارة عظيمة . وكان الصيدونيون أول من صنع الزجاج ولاسيما الشفاف منه ، وأنشأوا لصناعته المعامل المهمة، وكانت مصانعهم في صيدون من أشهر المعامل في العالم المعروف وقتئذ .[1]

يقول **رينه دوسو** :***(أن أهل صيدا قد ابتكروا الزجاج المنفوخ الذي يزودنا بتحف زجاجية رقيقة وشفافة)***[2]

وكان الزجاج طيعاً في أيديهم فأخرجوا منه الأواني المزخرفة والأكواب، وأطباقاً وكؤوساً ، وعثر في معبد بعلة جبيل على فازات مزخرفة بالرسومات الحيوانية ، وعليها كتابات يتميز أسلوبها بالحيوية والحركة [3]، وغدت الأقراط والأساور والعقود المرصعة بأحجار زجاجية شديدة الشبه بالحجارة الكريمة منتشرة لديهم.[4]

صنع الفينيقيون ثلاثة أنواع من الزجاج ، الزجاج الشفاف ،[5] والزجاج المصنفر الذي يخترقه الضوء ولا تستطيع العين أن تميز الأشياء من خلاله، والزجاج القاتم الذي يشبه الخزف الصيني ، وقد صنعت المرايا من النوع الأول كما صنعت الأكواب والآواني ، وقد عثر على نماذج عديدة منها في مقابر الفينيقيين بقبرص وصور ،ويوجد في متحف اللوفر مجموعة من القطع الزجاجية والبلورية الملونة التي تحوي الأحجار الكريمة والعقيق ، والتي كانت القلائد تصنع منها .ونقلت هذه المجموعة من مستوطنات فينيقية في جزيرة سردينية ومن الساحل الفينيقي نفسه . [6]

1- **منير الخوري** ، **صيدا عبر حقب التاريخ** ، ص 32، **محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية** ، ص153

2-***R.Dossaud.un noveau nom de verrier sidonien*** *,syria,I,paris ,1920,p 230*

3- **يوسف السودا** : **تاريخ لبنان الحضاري** ،دار النهار للنشر ،بيروت ،ط2، 1979م،ص 113

4-**لبيب عبد الساتر** : **الحضارات** ، دار المشرق ،بيروت ،ط4، 1997م ،ص 97

5- ***R.Dossaud,un noveau nom de verrier Sidonien*** *,Syria,I ,p230*

6- **محمد السيد غلاب** :**الساحل الفينيقي وظهيره** ،ص ص 442-443

من جهة أخرى لعب الفينيقيون الدور البارز في نشر وتطوير تقنية صناعة العجين الزجاجي ، حيث تحتوي العجينة الزجاجية على السليكات **Silicat** وأوكسيد الصوديوم **Oxyde Sodium** وأوكسيد الكالسيوم **Oxyde Calcium** الموجودين خصوصاً في شواطئ فينيقية وقد ابدعوا في الصناعات الزجاجية حتى وصل الاعتداد لديهم إلى توقيع أسماءهم على منتجاتهم الصناعية .[1]

لقد وصل الفينيقيون إلى درجة تقنية وفنية عالية استخدموها في صناعة عمودين من الزجاج تحدث عنهما **هيرودوت** عند زيارته لمعبد ملقارت الكبير في صور (حوالي 450ق .م) أحد العمودين كان من الزمرد الخالص الذي يشع ليلاً ،ويعتقد أن هذا العمود إنما كان من الزجاج الصوري الشفاف ،وأن مصابيح مضيئة كانت تشع من داخله .[2]ولعب المهنيون الفينيقيون دوراً كبيراً في نقل هذه الصناعة إلى الإغريق ، ولم يعرف نفخ الزجاج إلا في القرنين الثاني أو الأول ق.م ، وكان الزجاج قبل ذلك يشكل بجهد كبير باليد. ، ويذكر بعض المؤرخون أن طريقة نفخ الزجاج انطلقت من صيدون.[3]وكانت طريقة الصناعة كالآتي تشكل الآنية الزجاجية في حالة سائلة وبينما هي ما تزال ساخنة يضاف على سطحها خيوط من الزجاج الملون متحدة عن طريق الدوران وتعمل الرسوم المتنوعة بواسطة سحب السطح باتجاهات مختلفة بأداة حادة . واتبعت نفس طريقة الصناعة فبي العصر الهللينستي ولكن تغيرت الأشكال والزخارف نوعاً ما وأصبحت أعناق أواني الألباستر أكثر طولاً وفقدت الأشكال دقتها السابقة، وكانت المقابض كبيرة ومتقنة الصنع غالباً، وتسبب الجمال الأنيق الذي تتسم به هذه الأواني الزجاجية في جعلها ملائمة لزجاجات المرهم وكان ذلك هو الغرض الرئيسي منها على ما يبدو. واستخدم الزجاج في تطعيم الزخارف المعمارية (**مبنى الارخثيوم**) ومن الواضح أن الزجاج كان مادة ثمينة في ذلك الوقت ولما كان قابلاً للانصهار فقد أعيد تشكيله في عدة أغراض، واستخدم كمادة إضافية ملائمة للرخام والمعدن تزيد المظهر العام جمالاً، بسبب ألوانها المتنوعة مثل الاحجار الملونة ..[4] وخلال العصر الهللينستي تابعت المدن الفينيقية إنتاج أصناف ممتازة من المصنوعات الزجاجية مثل الكؤوس والأطباق والحلي الزجاجية غير أن منشآت سلوقس الجديدة استطاعت أن تخطف من هذه المدن

1- **فيليب حتي : لبنان في التاريخ، منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر** ،ترجمة أنيس فريحة،مؤسسة فرانكلين للطباعة ،بيروت، 1959م، ص 121

2- **هيرودوت في مصر** ، ترجمة محمد صقر خفاجة ،القاهرة 1966م ، ص 140

3– أ . سازونوف ، ك . ماتفييف : فينيقيا بلد الارجوان ،ص ص 97-98

4- **جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الاغريقي** ، ترجمة جمال الحرامي، دار الأماني للنشر ، دمشق 1987 ،ص ص 519- 520

بعض بريق شهرتها في هذا المجال ،فآلت الصدارة في صناعة الزجاج وخاصة المطعم منه بالذهب من صيدا وصور إلى بعض هذه المنشآت الجديدة وأخصها انطاكية .[1]

5- فن صناعة الفخار (الخزف):

تعود أقدم عملية تصنيع للفخار في بلاد الشام إلى المراحل الأخيرة من العصر الحجري الحديث في مواقع سورية ولبنان ، حيث توصل الإنسان آنذاك إلى صناعة أواني فخارية من الصلصال ، أطلق عليها فيما بعد اسم **الفخار الأسود المصقول Dark Faced Burnished Ware** والفخار هو انعكاس لحياة صانعه ومستخدمه من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو الدينية ، فتقنية التصنيع تدل على المستوى الاقتصادي للشعوب ،وانتشاره إلى مناطق متعددة يدل على مدى انتشار حضارة تلك الشعوب ، وتعدد أنواعه يدل على غايات استخدامه سواء كانت معدة للاستخدام اليومي أو الديني وكل فترة زمنية لها ميزاتها الفخارية الخاصة مع عدم إغفال إمكانية وجود تشابه وتداخل بين فترة وأخرى وورد عن **سترابون** :

(إن فن صناعة الفخار في فينيقية كان بعيداً من حيث النوعية مقارنة بصناعة الزجاج ، غير أن الفينيقيين كانوا ينتجون مصنوعات تجارية متوسطة النوعية ، الهدف منها هو بيعها لشعوب البحر المتوسط ، بأثمان معقولة وبكميات كبيرة للحصول على أرباح أكثر) [2]

ويظهر في خزفهم مختلف المؤثرات الفنية التي كانت تحيط بهم ، من الفن المصري ومن الفن الآشوري والفن الإغريقي ، إلا أنهم تميزوا في العصور المتأخرة لتاريخهم بأنواع خاصة من الخزف المبطن بالميكا.[3]وقد برع الصيدونيون في صنع الأواني الخزفية فكانت من أخص أصناف تجارتهم ، وقد استخدم القصدير في تلميع الخزف وإكسابه بريقاً خاصاً وكسب الإغريق هذه الحرفة من الفينيقيين لأن هناك تشابه كبير في مصنوعاتهم [4]حيث كان الإغريق بعد انتشارهم في البحر المتوسط يتعلمون من الفينيقيين فن الملاحة وإنشاء السفن وصناعة الأواني الخزفية وأساليب التجارة ،ولم يمض وقت طويل حتى فاق التلامذة اساتذتهم، فصار الإغريق يصنعون سفناً أعظم وأسرع بكثير من السفن الفينيقية كذلك امتازت الأواني الخزفية الإغريقية على النماذج الفينيقية بدقة الصنعة وبراعة التزيين وجمال الصور .[5]

1- **مفيد رائف العابد:سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر الى بومبيوس 333-64ق.م**.ص346-347

2-***Strabon, Geographie**, IIIv,p11*

3- **محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ، ص 443

4- **محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية** ، ص 401وانظر **منير الخوري : صيدا عبر حقب التاريخ**، ص 32

5- **محمد كامل عياد : اليونان** ، ص ص 219-220

من جهة أخرى لم تلقى دراسة الخزف الفينيقية نفس درجة الاهتمام التي كرست للفخار الإغريقي ، ويرجع ذلك أساساً إلى طبيعته وإلى أشكاله التي لا يمكن أن تتنافس مع جماليات الإنتاجات الإغريقية الأكثر جمالاً وجاذبية .

فقد اعتبرت الصناعة الخزفية إلى جانب الصناعة التعدينية أهم فروع الصناعة الإغريقية. ويحدثنا كسنوفون عن المفارقات الكبيرة في عمليات تقسيم العمل الدقيق بين المدن الكبيرة والصغيرة .[1]ففي الصناعة الخزفية أحدهم يعمل في حلقات الطوب الفخاري والثاني يقوم بزخرفة الفخار والثالث يعمل في أفران الحرق .

ويشير **ك.م كالوبوف** إلى أن هذه الظواهر التكنيكية لتقسيم العمل كانت عرضية ومصادفة، ولكن برأينا أن الاختصاصات الداخلية الدقيقة للإنتاج الصناعي في القرن الخامس ق.م كانت قد تكونت بشكل واضح ،وما ورد اعلاه من عمليات تقسيم العمل الدقيق أفضل شاهد على ذلك .[2]

ومن جهة أخرى يشير **كسنوفون** إلى أن ***(الفن وصل إلى درجة الكمال في المدن الكبيرة)*** [3]ومما ساعد إلى حد كبير الاختصاصات الدقيقة وخاصة في تلك المنتجات الصناعية ذات الجودة العالية التي وصلت إلى ذروة النضج والكمال والتي اعتبرت مرحلة هامة في عملية تقسيم العمل ،وهذا بدوره إشارة إلى الإنتاج السلعي الموجه ولكن بالحدود التي سمحت به المعدات التقنية المتوافرة في تلك الفترة ،وقد لوحظ أن الانتاج الصناعي الإغريقي وخاصة الإنتاج الخزفي قد بلغ ذروة العطاء في القرن السادس ق.م ،وظل هذا التطور في مجال الصناعة مستمرا دون انقطاع . وفي أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع كانت تلك فترة تحول عمت عالم البحر المتوسط، حيث تأسست المستعمرات في الشرق والغرب ، وتحسنت الاتصالات الداخلية وأقيمت علاقات مع حضارات الشرق القديم مثل مصر وبلاد ما بين النهرين و الساحل الفينيقي ، ويتضح التأثير الشرقي الناجم عن ذلك في الرسومات الزهرية مثل اللوتس وسعف النخيل والحيوانات الشرقية المخيفة الشكل، والحيوانات المفترسة مثل السفينكس والنمور والأسود ،ويعكس الفخار في هذا العصر صورة مختلفة وكان هناك عدد من المراكز الهامة لصناعة الفخار امتازت بطرزها المميزة وطرقها الفنية . وكانت كورنثة أقوى مدينة إغريقية سياسياً وتجارياً في القرن السابع وأوائل القرن السادس ق.م ،وامتد نفوذها إلى الشرق والغرب وأصبحت إحدى المراكز الرئيسية للتجار الفينيقيين.

1- **كسنوفون ، تربية قورش 2،5/8**

2- **ك.م كالوبوف : اقتصاد اليونان القديم في القرنين الخامس والرابع** ق.م ، من كتاب تاريخ العالم القديم ، مج2،ج1، اليونان القديمة ، موسكو 1936م ، ص 297"بتصدير دكتور خليل سارة : الاقتصاد اليوناني

3– كسنوفون : تربية قورش ، 2،5/8

من خلال طراز ما قبل الكورنثي تطور الطراز الكورنثي للنصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس، ونظمت الزخارف في هذه الفترة في سطور تغطي معظم السطح وأصبحت الأواني أكبر حجماً وعملت الرسومات بطراز واضح يمتاز بالذوق الشرقي ،وتألفت المواضيع الرئيسية من الحيوانات الخرافية والوريدات والنقاط وزخارف أخرى مبعثرة على أرضية الصورة الأساسية ،ولعل ذلك تقليد للمنسوجات الشرقية وشاعت مناظر الأشكال الإنسانية نوعاً ما ،وتضمنت راقصات وفرسان مسلحين ومناظر من أساطير طروادة.[1]يعد الفخار الكورنثي والفخار الأتيكي أوسع أنواع الفخار الإغريقي حضوراً في منطقة البحر المتوسط عامة . وقد ربطت العاصمة البونية علاقات تجارية وطيدة مع المدينتين المنتجتين لهذين الصنفين من الفخار.[2] وفي مطلع القرن السادس أخذت آنية أتيكة تشيع وتنتشر في حوض البحر المتوسط منتزعة بذلك مكانة كورنثة ،وما يزال العصر الحديث بكل ما يحمل من أساليب ووسائل قاصراً عن بلوغ ذلك المستوى الفني الذي كان لأتيكة ،ولعل مزج العجينة الحمراء بالبيضاء المتبع حالياً في صنع الأواني الخزفية في أثينة كان هو الأسلوب المتبع قديماً ، وتدل حمرة الطينة على ما تحتوي عليه من جزء كبير من الحديد، كما تكشف شدة تلاحم جزئياتها عن الدقة التي كان يتم بها سحقها .وكان الدولاب ذو العجلة هو المستخدم في صنع الكثرة من تلك الآنية عدا القليل الذي كان يصب صباً .[3] أما الصناعة الفخارية الرفيعة المستوى فقد قطعت في القرن الخامس ق.م شوطا بعيداً في مضمار التطور أي في الوقت الذي تبدلت فيه بعض الأساليب التكنيكية لصناعة الأواني الفخارية. فقد اعتبر طراز صور الأشكال السوداء آخر ما ظهر في أتيكة في القرن السابع ق.م ،ووصل إلى أقصى ازدهاره في القرن السادس ق.م ،وفي نهاية هذا القرن حدثت تطورات جديدة في مجال الصناعة الفخارية الرفيعة المستوى وكان ذلك تقريباً في عام 530ق.م على يد الخزاف الأثيني اندوكيد الذي انتجت ورشته إلى جانب الأواني المصنعة في طراز صور الأشكال السوداء المزهريات المنقوشة بمواضيع الأساطير الإغريقية في أساليب تكنيكية جديدة ، مستخدماً فيها طراز صور الأشكال الحمراء ،وبإمكاننا أن نعير اهتمامنا إلى وجود مزهريات مزجت كلاً من الأسلوبين ، وبالتدريج فإن طراز صور الأشكال الحمراء أخذت تنافس بدورها صور الأشكال السوداء التي استمر تصنيعها فقط في بعض أشكال الأواني ،إن ازدهار طراز صور الأشكال الحمراء كان متلائماً ومتوافقاً في القرنين الخامس والسادس ق.م عندما لعبت أثينة الدور الخزفي القائد.

ا – **جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الاغريقي ،ص** ص 387- 402

2- **الشاذلي بورنية ، محمد الطاهر : قرطاج البونية** ، ص 225

3– **ثروت عكاشة ، الفن الإغريقي** ، 564

ففي النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وصل طراز صور الأشكال الحمراء إلى ذروته في مزهرية أخيل وبنثيسيليا وكأس إيسوب والثعلب المحفوظ في متحف الفاتيكان وصورة أرفيوس بين التراقين المحفوظة في متحف برلين وأجمل من هذه كلها قوارير الدهن البيضاء التي صنعت في منتصف ذلك القرن ،وكانت هذه القوارير الرفيعة تصنع للموتى خاصة، وتدفن معهم عادة أو تلقى فوق لوحة الحطب التي تحرق عليها أجسامهم حتى يمتزج ما فيها من الزيت المعطر بلهب الحطب . [1]

اذاً فإن تكتيك صناعة المزهريات كان قد وصل إلى أقصى إتقان وفن ،حيث كانوا قد استخدموا في صناعة المزهريات ذات طراز صور الأشكال السوداء طلاء أسوداً براقاً لأن الطلاء الأتيكي تميز بالشهرة وبالجودة العالية، فكان يعطي لوناً ناعماً عميقاً أسود وأحياناً ظلالاً زيتونية بديعة مكسباً المزهرية لمعانها التي استطاعت أن تعكس بمنظرها كمرآة حقيقية جميلة . وقد توفر مثل هذا الطلاء العالي الجودة بكثرة في القرن الخامس ق.م ،وإلى جانب الطلاء استخدموا مختلف أنواع الصبغات (**وبشكل خاص المسحات الأرجوانية والبيضاء الخالصة**) .[2]وهنا يظهر التأثير الفينيقي في استخدام الألوان التي برع في صنعها الفينيقيين . وفي كثير من الحالات كانت تظهر على المزهريات تواقيع كل من صاحب الورشة والخزاف، ويلاحظ بين الخزافين من لم يكن أثينياً بل ولا إغريقي الأصل حتى من الرؤساء أنفسهم بل ومنهم من كان ذائع الصيت مثل بريجوس وأماسيس وغيرهما. [3]

و في عصر بركليس ترك صناع المزهريات الرسوم التقليدية القديمة المشوبة بالأساطير الدينية ومن هؤلاء بريجوس وميدياس واختاروا لهم مناظر من حياة الناس في عصرهم ، وأكثر ما كانوا يسرون منه حركات النساء الرشيقة ولعب الاطفال الطبيعي فكانوا يظهرون من الجسم منظره الجانبي أو يظهرون ثلاثة أرباع منظره الكامل وكانوا يظهرون الضوء والظل باستعمال محلول للطلاء الزجاجي سواء أكان خفيفاً أو ثقيلاً ويرسمون الصور بحيث تبين الخطوط الخارجية والعمق وثنايا أثواب السيدات.[4]

1- **ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص 135**

انظر أيضاً : **عائدة سليمان عارف : مدارس الفن القديم** ،ص ص 231- 232- 236

2- **آلفرد زيمرن :الحياة العامة اليونانية** ، ص 316

3- **المرجع نفسه** : ص 318

4- **ول ديورانت : قصة الحضارة** ،ج2،مج2 ص 136

وقد اهتموا بتصوير مظاهر التعليم وخاصة في القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث صور البيداجوج* يمارس دوره التربوي في رعاية الطفل والحفاظ على سلوكه .[1] وقد لعب الإنتاج الخزفي دوراً كبيراً في نظام الصناعة الأثينية فالخزف الرفيع كان من مواهب السكان المحليين ، وبالتالي شكل إحدى مواد التصدير الهامة ونال أصحاب الورشات الخزفية من المواطنين أوضاعاً اجتماعية مرموقة. وإلى جانب الخزف الفخاري الرفيع المستوى كانوا قد انتجوا كما لوحظ مجموعة كبيرة من الأواني الفخارية والتي استخدمها فقراء الناس و العبيد لأجل إعداد الطعام ،وكانت قد نظمت جيداً عملية إنتاج الأواني الفخارية المخصصة لحفظ الخمر المصدر والزيت والحبوب وغيرها ،كما يمكن الافتراض بأنه توفر عدد كبير من العمال المتخصصين في إنتاج مثل هذه المواد خلال العصر الكلاسيكي ،وغدت أثينة وكورنثة من أهم المراكز الحساسة لتجارة الترانزيت لمثل هذه المواد.[2] وكان فرع الفخار المعماري المخصص للبناء من أهم فروع الإنتاج الفخاري بسبب النهضة العمرانية وضخامة البناء الدالة على القوة في عصر الانتصارات التي حققها الإغريق على أعدائهم وقد وجد في أثينة ورشات حكومية متخصصة في صناعة الخزف الفخاري إلى جانب الورشات الخاصة العاملة في هذا المجال .[3] بلغت المنتجات الإغريقية كل المناطق الواقعة تحت سيطرة الفينيقيين أو الواقعة تحت دائرة تأثيرهم وهو ما يحيلنا للقول بأن الحرفيين هم بالأساس إما من الفينيقيين أو المتأثرين بهم. لذلك من المرجح أن تراعى المبادلات أذواق هؤلاء الحرفيين ، وطبيعي أن يكون الفينيقيون أكثر العناصر قدرة على مراعاة هذا الجانب.[4]وفي العصر الهللينستي تأثرت فينيقية بالإغريق ،وخاصة في استخدام الطينات الحمراء الناعمة الملمس لإخراج أدق المصنوعات الفخارية ، ولابد أن تكون قد جهزت بواسطة طرق تشبه أحدث الأساليب حديثاً، أما أشكال الأواني فتمثلت في أواني وقدور كبيرة ذات مقابض على الجانبين صغيرة وتنتهي أحياناً برؤوس آدمية أوحيوانية.

*البيداجوج : تعني في اللغة اليونانية القديمة ملازم الطفل في ذهابه إلى المدرسة وإيابه إلى البيت ، وتعني في أحيان أخرى المربي أو المدرب أو المعلم ، وكانت مهمته ذات شقين أحدهما هو حماية الصبي من أهل السوء ومخاطر الطريق ، والشق الثاني كان رعاية سلوك الصبي في البيت والطريق إلى المدرسة . انظر : **مصطفى زايد : التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 2006م ، ص 56 وانظر أيضاً:

F.Beck; Greek Education 450– 350 B.C *London,1964,p109*

1- **مصطفى زايد: التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية** ، ص 68

2- **ول ديورانت : قصة الحضارة** ، ج2 مج 2، ص 135

3- **ك.م كالوبوف : اقتصاد اليونان القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م** ،ص324

4- **الشاذلي بورنية ، محمد الطاهر : قرطاج البونية : تاريخ حضارة** ، ص 221

وأغلب هذه الأواني كانت مخصصة لحمل النبيذ والماء أو الزيت و العطور أو السوائل الأخرى .كما ظهرت بعض الأشكال الجديدة التي تمثلت في الكؤوس ذات المقبضين على الجانبين ،التي كانت تقدم جوائز للمنتصرين .[1]

6- فن صناعة المعادن (التعدين):

تعتبر صناعة التعدين من الصناعات التي جمعت شعوب الشرق القديمة فيها تجربة واسعة، فانتقل تراثها إلى سائر شعوب البحر المتوسط على يد الفينيقيين وظهرت بعض الحكايات المحلية التي تؤيد هذا الافتراض، فيحكى مثلاً أن شخصية تكاد تكون أسطورية هي شخصية كادموس ابن أحد ملوك الفينيقيين جاء إلى بلاد الإغريق بصناعة التعدين ،وهو أول من استعمل مناجم الذهب والفضة في جبال بانجايون **pangaion** في مقدونية ويحكى أيضاً أن أميراً فينيقياً آخر هو تاسوس استغل مناجم الذهب في جزيرة تقع في القسم الشمالي في البحر الإيجي فسميت باسمه وهي جزيرة تاسوس.[2]يقول ***كلود شيفر (كان الفينيقيون لايبارون في صنع المعادن في عصر البرونز والنحاس بكثرة)***[3]وقد دلت اللقى الأثرية التي عثر عليها في أوجاريت على مدى رقي صناعة المعادن، وخاصة الصناعات الدقيقة كصياغة الذهب والفضة وتطريق المعادن وأهمها البرونز .

وقد أشير إلى صناعة المعدن في الأساطير والملاحم الشعبية بشخص الإله كوثار – كوثر – كوشار – كوثار وخاسيس **K-tr-w-hss** وهو إله الحرف المختص بالبناء والصناعة ، فلم يكن أحد يجاريه في طرق المعادن وقطع الخشب ودبغ الجلود وصنع الفخار ، وكان يناصر أصحاب الحرف ويصادق البشر ، وهو عند الإغريق هيفايستوس **Hephaestus** الذي في الأصل إلهاً آسيوياً لنار البراكين ثم أصبح إله النار ولاسيما نار الحدادة وأخيراً إلهاً للحدادة. [4] وعند مستهل الألف الأولى بلغ الفينيقيون شأناً رفيعاً في عالم الصناعة والفن ،فلم يشق لهم غبار في التعدين وكانوا يستعملون النحاس والبرونز في صناعتهم بحذق ومهارة عظيمين، وقد أجري تحليل كيماوي على شفرة فأس وجدت في أوجاريت تبين منها أن الفينيقي لم يكن يعرف صهر المعادن فحسب بل كان يعرف طريقة لمزج معادن اخرى مع الحديد لصنع الفولاذ.

1- **التطور التاريخي لحرفة الفخار http://ol.asu.edu.eg/**

2- **جورج سارتون : تاريخ العلم، ج1**، ترجمة مجموعة من العلماء ، دار المعارف بمصر ، 1975، ص266

3- **محمد عادل الرحال : تجارة وتصنيع المعادن في أوجاريت** ، ص 108

4- **محمد حرب فرزات : محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم** ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ، 1988م ص 51 وانظر أيضاً : **فؤاد جرجي بربارة : الأسطورة اليونانية** ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط2 ، 2014م ، ص 142

وقد رحل الفينيقيون إلى أماكن بعيدة ليحصلوا على معادن كالفضة والذهب ولا سيما القصدير لمزجه مع النحاس لصنع البرونز حتى أنهم بلغوا المحيط الاطلسي ، وعندما كان فراعنة مصر يعددون غنائمهم من فينيقية كانوا دائما يذكرون آنية من فضة ومواعين من ذهب وكانت الفضة تستعمل كنقود ، وما إن شرع التجار الفينيقيون باستيراد التعاويذ والتماثيل والأختام والخرز والآنية والمزهريات والأسلحة حتى بدأ صناع المعادن بتقليد أشكالها وقد أعجب الإغريق بجمال صنع الأدوات المعدنية ،وأكثر ما تبقى لنا من بقايا هذه الصناعة المعدنية آنية من الذهب والفضة وجواهر محفور عليها صور وتماثيل .

ومما يزيد أهمية الفن الفينيقي شيوعه في جميع بقاع حوض المتوسط حيث كان يسير جنباً إلى جنب مع سير التجارة . وقد كان الصناع الفينيقيون يجيدون صنع الأسلحة المزخرفة والمركبات المطعمة بالذهب والفضة ، في القرن السابع ق.م كان المصريون يقلدون عناصر الفن الفينيقي. [1]

ونستطيع أن نعتبرهم من أوائل شعوب العالم اشتغالاً بالتعدين وبصناعات المعدن الدقيقة ،وقد كانت فينيقية في موقع جغرافي حسن ، استطاعت فيه أن تستفيد من خبرة الحيثيين والقبارصة والميكينين في التعدين، وكانت قريبة من موارد الحديد في الأناضول .

والكتاب الإغريق يرددون أن الفضة كانت تغطي مساحات كبيرة من سطح الأرض في أسبانيا ، ولم يكن أهل أسبانيا الأصليون يعرفون ما يصنعون به ، بل لم تكن له قيمته التي يقدرها الفينيقيون أو المصريون أو غيرهم من شعوب شرق البحر المتوسط .[2]

ويقول **بليني** أن أول نشاط تعديني للفينيقيين كان في جزيرة قبرص حيث اشتغلوا باستخراج النحاس الذي اشتق اسمه في اللغات الأوربية من اسم الجزيرة نفسها .[3]

أما **هيرودوت وتوكوديدس وديودور الصقلي** فقد ذكروا في مؤلفاتهم أن الفينيقيين اشتغلوا في تعدين النحاس في الجزء الشرقي من قبرص ، بل أنهم جدوا في البحث عن معدن الذهب في الجزيرة .

1– **فيليب حتي : تاريخ لبنان** ،ص ص124- 125

2– **محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ،ص ص 436- 437

3 – ***Pliny: the Natural history***،XXXIV,2

ويبدو أنهم لم يلاقوا نفس التوفيق الذي لاقوه في بحثهم عن النحاس والفضة في هذه الجزيرة .[1]وقد ترك لنا الكتاب الاغريق وصفاً دقيقاً للمعادن وطرق حفرها وتدعيمها بالدعامات لكيلا تنهار على المعدنين ، ووسائل تسخير الاهالي والعبيد في العمل فيها ، ودقة الفينيقيين في تعقب الطبقات التي توجد فيها خامات المعادن مهما اعترضها من فوالق وانكسارات .وقد وصف **ديودور الصقلي** الأنفاق التي حفرت في المرتفعات والمصارف التي حفرت لتصريف المياه المتفجرة في المناجم ، كما وصف الأدوار العديدة التي كان يمر بها خام المعدن حتى ينتهي إلى حالة صالحة للصناعة ، وما كان يكابده الرقيق من سوء حال في تلك الأعمال المضنية تحت إشراف أسيادهم الفينيقيين.[2]

في نظر الإغريق تبدو مدينة صيدا سوقاً كبيراً للبرونز حتى أنك ترى المؤرخ يتساءل هل من علاقة بين اسم صيدا واللفظة الفينيقية التي تعني البرونز ،ففي بطون سفنهم يكدس الملاحون الفينيقيون بضاعة مغرية وثقافة قيمتها لا تخفى على الاغريق ،فقد أشار هوميروس في الالياذة إلى وعاء من فضة قدم جائزة لبطل فاز في مباريات رياضية ،وهو يفوق أوعية العالم جميعها روعة وجمالاً ،فلقد تولى صنعه مرصعون من صيدا وأحسنوا ترصيعه ثم أخذه فينيقيون وعبروا به البحر وعرضوه في الموانئ.[3] ويرجح كل الترجيح أن الإغريق جاروا الصناع الفينيقيين، واشتغلوا معهم جنباً لجنب في مراكز فينيقية بجزر بحر إيجة .وتعلموا كيف يصنعون قوالب مجوفة من البرونز وأشياء أخرى كثيرة كانت تعود على التجار الفينيقيين بالأرباح الطائلة .[4]وقد اعتبر استخراج المعادن وتصنيعه أحد الفروع الهامة للصناعة الإغريقية ، والتي تطورت بدءاً من الفترة الميكينية– الكريتية .[5]

واحتوت أراضي البلاد على ثروة كافية من المعادن ، ويتحدث ايسخيلوس في روايته "الفرس " عن هذا الموضوع عندما تسأل ملكة الفرس في معرض حديثها عن ماهية هؤلاء الإغريق ، وهل في أوطانهم ثروة كافية ؟ فتجاوب جماعة المنشدين ، إن لديهم من الفضة مايمكن أن يقال عنه أنه نبع ، إنه كنز في الأرض.[6]

---

*1-**Pliny,Natural,History**, VI,56;**Strabon**; **Ge`ographie**,XIV,5&28;*

*2– **Dioderus Siculus**.XVI* **–Pliny**, ***Natural,History***. XXXIV,18

3- **محمد حسين فنطر: الفينيقيون بناة البحر المتوسط** ، ص81-82انظر أيضاً: **فينفريد الليغر : قرطاجة**، ص40

4– **جيمس هنري برستد : العصور القديمة** ،ص ص 289- 292

5- **ك.م كالوبوف : اقتصاد اليونان** ، ص306

6- **ايسخيلوس : الفرس** ،ص ص 237-238

وقد وجد النحاس في كريت .[1] وفي يوبويه وضواحي خالكيدية وكما يتحدث سترابون قائلاً (***كان هناك منجم رائع ، تضمن النحاس والحديد معاً ، حيث يقال لايوجد مثله في أي مكان***) [2] والقصدير في ضواحي دلفي ، والفضة في أتيكة وقبرص وسفنوس والبونت .[3]

أما الذهب فقد كان قليلاً ، وكانت أكثر المناطق غنى بمناجم الذهب جزيرة سفنوس كما ذكر هيرودوت وكان فيها مناجم الذهب والفضة .[4] وبشكل خاص كانت بلاد الإغريق غنية بفلزات الحديد ، ووجدت أكبر مناجمه في لاكونية ، واستخرجت فلزات الحديد أيضاً من جزيرة يوبوية (حيث وجدت أيضاً مناجم النحاس) [5] وقد أشار المؤرخون القدماء إلى الصناعات التعدينية في بلاد الإغريق ، كصناعة الأسلحة والصياغة والمناجيل والمسامير .. الخ. [6]

وهكذا نجد أن الإغريق استطاعوا الوصول إلى نجاحات كبيرة في مجال الصناعات التعدينية ،وقد تحقق ذلك بفضل الأساليب التي استخدموها .

7- فن صناعة النقود :

استخدم البشر عبر التاريخ القديم مواد مختلفة كسلع للتبادل فيما بينهم كالماشية والقمح واللبن والتبغ وغيرها من المواد التي كانت تعمل عمل النقود ، وأول مكان اخترعت فيه النقود كان في ليديا Lydia في آسيا الصغرى وذلك سنة 680.يقول **هيرودوت** :(***كان الليديون أول من عرفنا أنهم سكوا واستعملوا عملة من الذهب أو الفضة***)[7]

ويعني ذلك أنهم سكوا النقود من الذهب والفضة معاً ، أي من خليط منهما يعرف باسم الذهب الأبيض أو الالكتروم ومازالت هذه النقود في المتاحف العالمية حتى الآن .[8]

1-**Strabon**,**Geographie**, XIV.1,7

2-**Strabon**,**Geographie**, X.1.9

3- **هيرودوت** ا:لكتاب الثالث 57

4-المصدر نفسه : الكتاب الثالث ،ص 57

5-Strabon,**Geographie**, X.1.9

6- **أرسطو فانس** : الثروة 163- 164، 513، الطيور 440،

7- **هيرودوت** : الكتاب الأول ص 94،

8- **آلفرد زيمرن** : **الحياة العامة اليونانية** ، ص 364

والنقود المسكوكة في ليديا تحمل رموز محددة تشير إلى وزنها وقيمتها وجهة إصدارها وتاريخ ظهورها.[1] ولكن وجود علامة محددة تضمن نقاوة النقود المسكوكة ووزنها وقيمتها، لم يعرف إلا عن طريق المدن التجارية الأيونية في القرن السابع ق.م فيما يبدو ويرجح أن يكون بعد سنة 650 ، فقد استخدمت علامة بسيطة مثل مربع غائر لهذا الغرض، ولكن المعروف أن هذه العلامات سرعان ما تحولت إلى شعارات فنية في بلاد الإغريق، واختارت كل مدينة رسماً مناسباً كان في البداية رمز آلهتها المحلية ، مثل حيوان أو نبات أو أي موضوع آخر، ثم تحول هذا الشعار إلى رأس أو شكل الآلهة نفسها أو بطل مفضل أو مجموعة اسطورية.[2]وتعد المسكوكات الاغريقية أبرز ما انتجه الإغريق وتنعكس حرية واعتماد العديد من دول المدينة بعضها على بعض في المواضيع المتنوعة ،وفي تشابه الأنماط المتتالية على قطع العملة . وهكذا بدأ استخدام العملة في التجارة في بلاد الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد وشاع في بداية القرن السادس ق.م ،عندما بدأ الأمن يتوطد والمواصلات تتحسن شعرت دول المدن الإغريقية بالحاجة جدياً إلى مقياس عام معترف به في معاملاتهم اليومية ، لقد سئموا عمليات المقايضة العينية وأخذوا يجعلون ذهبهم وفضتهم وحليهم المختلفة الأنواع والأحجام في أشكال بسيطة يمكن حملها وتصديرها إلى الخارج بقيمة معترف بها واختاروا لذلك المعادن النفيسة قصداً وخصوها وحدها بعملية التبادل ، وهذا ما أدى بالطبع إلى انقلاب في العادات الاقتصادية . وكانت إيجينا (Aegina) أول دولة إغريقية تستعمل النقود المسكوكة من الذهب والفضة معاً ، التي تعرف باسم الالكتروم ، ولم يكن الذهب فيها بنسبة ثابتة ، فقد كان يختلف بنسبة 80- إلى 52في المائة من الخليط، وهذا ما كان مناسباً لحكومات دول المدن التي أمكنها أن تقتصد في الذهب.[3] وفي كل الأحوال لم تكن تلك القطع النقدية منتشرة انتشاراً كبيراً ، إذ أن الدول الإغريقية فضلت النقد الفضي ، وكانت الفضة تخلط بالرصاص والنحاس ، كما خلط الذهب بالفضة .وفي القرن السابع قبل الميلاد ، وعندما بلغت التجارة تطوراً كبيراً تطور هذا النوع من العملة النقدية ويقول ديموستينس:(***إن معظم الدويلات تضرب النقود الفضية مخلوطة صراحة بالنحاس والرصاص)*** [4]

1- ***Christopher Howgego; Ancient History From coins*** , *London and New York First Published,1995,p 2* انظر أيضاً:

آلان بيرفيت: المعجزة في الاقتصاد "من المدن الفينيقية " ترجمة بسام حجار،دار النهار،بيروت،1997،ص 60

2- جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الإغريقي ، ص 331

3- آلفرد زيمرن : الحياة العامة اليونانية ،ص 365

4- Demosthenes,24/214

أما النقود التي كانت تسك من الذهب الخالص فكانت في حالات استثنائية .[1](شكل 16)أما بالنسبة للفينيقيين فإنهم لم يهتموا بفكرة استخدام العملة مبكراً رغم ميولهم ونزعاتهم التجارية القديمة، واتصالاتهم الكثيرة واحتكاكهم مع أقوام بدائية في معاملاتهم التجارية اكسبتهم مهارة في استخدام اسلوب المقايضة ، وحتى عندما كان الفينيقيون خاضعين لسيطرة الفرس لم يقوموا بأية محاولة لصك عملة لأنهم لم يروا فائدة من ذلك ولأن تجارتهم مع بلاد الاغريق كانت قد اضمحلت تماماً.[2]حيث بدأ الفرس في استخدام العملة على أيام الملك (دارا الاول) (522-486) عند نهاية القرن السادس قبل الميلاد ،ورغم أن فينيقية كانت في ذلك الوقت تابعة للفرس فإن (دار الاول) لم يحاول أن يضرب العملة باسمهم. [3]وحوالي منتصف القرن الخامس ق.م ضربت أول عملة فينيقية في صور وتبعتها صيدا وأرواد وجبيل في أواخر القرن الخامس ق.م وأوائل القرن الرابع ، وربما يدل على هذا الضعف السياسي الذي أصاب الأمبراطورية الفارسية ، وانبعاث التجارة الفينيقية مع بلاد الإغريق، أما باقي المدن الفينيقية فلم تضرب عملتها حتى الفترة الهللينستية وقد كانت هذه النقود مصنوعة من الفضة أو البرونز، أما العملة الذهبية السائدة آنذاك (الدراخما) نسبة إلى دارا الفارسي. [4] وعلى أية حال فإننا نجد على النقود الفينيقية وهي قائمة على تقليد النقود الإغريقية –رموز آلهة تلك المدن فضلاً عن رموز بحرية وأجسام وحيوانات ،وهكذا فإن أقدم العملات وترجع إلى النصف الثاني للقرن الخامس– إنما هي تلك القطعة- المحفوظة بالمتحف البريطاني-وهي من (صور) وعلى أحد وجهيها (دولفين) وأمواج وأصداف، وعلى الوجه الآخر بومة داخل مربع . وعثر في مدينة أرواد على قطعة على أحد وجهيها معبود له ذيل سمكة ،وعلى الوجه الآخر زورق وفرس البحر وتؤرخ ببداية القرن الرابع .(شكل 17)وعثر في (صيدا) على قطعة من العملة على أحد وجهيها عراك وزورق وأسدان وعلى الجانب الآخر أحد ملوك الفرس وهو يضرب سبعاً وتؤرخ هذه القطعة بأوائل القرن الرابع. [5]

وقد بدأ استخدام العملة في جبيل منذ أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع ، وكانت هذه النقود مصنوعة من الفضة أو البرونز ، وظهر على بعض النقود الفضية تأثير مصري ،إذ برز رسم أبو الهول على الوجه ، وعلى الظهر زهرة اللوتس ، وتبدل الرسمان في الإصدارات اللاحقة فحمل الوجه رسم

1- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص 56

2- احمد حامدة : التجارة الكنعانية الفينيقية في البحر المتوسط ،ص ص72-75

3- محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية ،ص 379

4- سباتينو موسكاتي :الحضارة الفينيقية ، ص136

5- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ،ص 379

سفينة والظهر رسم عقاب حمله إيل ،أو رسم أصداف الموريكس وأسد يهاجم ثوراً [1](شكل 15) أما المدن الفينيقية في الغرب فقد بدأت صك عملتها في وقت لاحق، وكانت أول نقود قرطاجية تتكون من ذهب على الطريقة الفينيقية ومن دراخما فضية على مقياس عملة اتيكة، وقد ضربت هذه النقود في صقلية في نهاية القرن الخامس ، عندما كانت قرطاج في حاجة إلى نقود لتدفع المرتبات لجنودها ، وقد صكت هذه المجموعة من النقود على الطريقة الفينيقية من ذهب وبرونز والكتروم .أما العملات الفضية فقد كانت نادرة حتى أواخر القرن الخامس ق.م، حين استولى حميلكار على مناجم الفضة الاسبانية . ومنذ نهاية القرن الثالث سادت النقود البرونزية في قرطاج وانتشرت إلى أماكن عديدة حتى بريطانية.[2]وهناك في المتحف البريطاني قطعة عليها رأس المعبودة (تانيت) وعليها غطاء رأس بوني وعلى الوجه الآخر أسد وشجرة نخيل ونقش مكتوب باليونانية (رجال المعسكر) وتؤرخ القطعة بمنتصف القرن الرابع قبل الميلاد . وهناك نقود ضربت من الفضة كما في قرطاج الجديدة كما عثر في (جاديس) على قطعة نقود على أحد وجهيها رأس المعبود (ملقارت) وعلى الوجه الاخر (فيل) وحرف ابجدي وتؤرخ هذه القطعة بنحو 209 .[3] يعتبر تأخر قرطاج في ضرب العملة أمراً لافتاً للانتباه خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار وفرة المعادن التي شكلت بالنسبة لبعض الخطوط التجارية على الأقل إحدى ركائزها. ويضاف إلى ذلك وهو أمر يكاد يكون بديهياً —اعتماد الاقتصاد القرطاجي بالدرجة الأولى على النشاط التجاري وهو ما يفترض أن تكون قرطاج قوة سباقة لاعتماد العملة .بالرغم من تأخر قرطاج في عملية الضرب نلاحظ أن استعمال العملة لم يكن غريباً عنها تماماً ، ذلك أن الحفريات أثبتت وجود عملات إغريقية في شمال افريقية تعود إلى القرن الخامس، أي قبل بداية ظهور مايسمى بالعملات الصقلية البونية (siculo-puniques) التي يعتبرها المختصون بمثابة البداية الحقيقية للعملات القرطاجية ، كما تحوي خزائن متحفي باردو وقرطاج قطعاً تعود إلى نفس الفترة وتدعم الحكم الذي اطلقناه في مستهل هذه الفترة. وطبيعي أن تتأثر النقود المضروبة بالعملات الاغريقية وخاصة السرقوسية نظرا لإشعاع هذه المدينة الكبير داخل الجزيرة وخارجها .[4] وبعد غزو الاسكندر اعتمدت فينيقية العملة الإغريقية ثم حلت محلها نقود محلية حملت رسوم سفن فينيقية، ونقود حملت على أحد وجهيها رمزاً فينيقياً والآخر رمزاً إغريقياً.[5]

1- **جميل جبر :جبيل في التاريخ** ، ص 109

2–**أحمد حامدة :التجارة الكنعانية الفينيقية في البحر المتوسط** ،ص ص72-75

3- **محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية** ، ص 380

4- **الشاذلي بورنية ، محمد الطاهر : قرطاج البونية ، تاريخ حضارة** ، ص240

5- **جميل جبر : جبيل في التاريخ** ، ص 112

غير أن ضرب العملة يظل نشاطاً متأخراً وقد تطور كثيراً في العصر الهللينستي[1] و هناك تطور واحد يعطي أهمية كبرى لمسكوكات العصر الهللينستي حيث بدأت تظهر الصور الشخصية للاسكندر أولاً ثم لخلفائه على الوجه الامامي للعملة ،وكانت هذه أول مرة يحدث فيها هذا التصوير باستثناء رؤوس قليلة لحكام الفرس التي سكت في آسية الصغرى في نهاية القرن الخامس ، وأصبح هذا الطراز متبعاً بانتظام خاصة في الممالك الآسيوية وتبين لنا الرؤوس المرسومة على هذه العملات الصور الشخصية الإغريقية خلال أكثر من قرنين من الزمان .[2] وعند حكم السلوقيون كانوا يتبنون النظام الأتيكي الذي اعتمده الاسكندر من قبل، وكان وزن الدراخما فيه يبلغ 4,30غراماً وهو المعيار نفسه الذي كان مقبولاً في معظم المدن الاغريقية وكذلك آسية الغربية وبابل ،ولكن مع بداية سنة 200استعاد السلوقيون جوف سورية وفينيقية من البطالمة وتبعتهم مجموعة دور السكة في الساحل السوري وهي التي كانت تسك حسب نظام آخر هو النظام الفينيقي والذي كان وزن الدارخما العادية بحسبه يبلغ 3,60 غراماً، ورغم أن السلوقين استمروا في اعتماد النظام الأتيكي في البداية إلا أنهم سرعان ما اضطروا بعد انكماش سيادتهم على أوربة وآسية الصغرى إلى اعتماد النظام الفينيقي[3] ولا تعكس النقوش والمصادر الأدبية معلومات وافية أو متكاملة عن الصناعة النقدية السلوقية ، لكن دراسة العملات بشكل عام تمكنا من تكوين فكرة مناسبة حول هذا الموضوع وبناء على هذه الدراسة يمكن القول : أن كل قطعة نقد تحمل اسم الملك كانت تعتبر عملة رسمية ، وقد عرفت صناعة النقود السلوقية سك عملاتها من كافة المعادن المتوافرة آنذاك كالذهب والفضة والبرونز . وكانت النقود الفضية أكثر النقود الملكية تداولاً ولم تحوي مستودعات العملة التي أبرزتها الحفريات الاثرية في كل من سلوقية دجلة وساردیس وبابل أية نماذج غير معروفة حتى الآن عن صناعة العملة السلوقية الفضية. ويبدو أنه نظراً لفقر صناع العملة بالنماذج التي يمكن اعتماد نقشها خلف العملات الفضية، اضطر هؤلاء إلى تكرار نماذجهم لعدة أجيال في الوقت الذي كان تنوع نقوشهم على العملات البرونزية ملفتاً للنظر، وحتى الآن ما انفكت البعثات الأثرية تكتشف نماذج جديدة للعملات البرونزية السلوقية .إذ كان هناك نوعان من السكة البرونزية أحدها محلي تشرف عليه المدن البعيدة في ورشاتها الخاصة بتكليف من الحكومة ،وثانيها ملكي يخضع لإشراف السلطة المركزية ويقترح مختصون أيضاً أن تكون دار السكة في مدينة صور، قد اختصت بسك العملات الملكية بنوعيها الفضي والبرونزي.

1– سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية ، ص 121

2- جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الإغريقي ، ص 340

3– مفيد رائف العابد: سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر الى بومبيوس 333–64ق.م .دار شمأل للطباعة والنشر ، دمشق ، 1993م ،ص244

وأخيراً فقد أدى هذا التعدد في اعتماد ورشات مختلفة في أكثر من مدينة من مدن الأمبراطورية إلى فتح المجال أمام بعض الورشات لاعتماد صور ورموز آلهتها على بعض العملات الصغيرة مما أتاح لنا التعرف على المعبودات الرئيسية في عدد من المدن في تلك الفترة. [1]

8- فن صناعة السفن:

إن الفينيقيين هم أول من أبدع في صناعة السفن ، وهناك من نسب ذلك إلى المصريين ، لكن بيير مونتيه يؤكد أن المصريين استفادوا من الاحتكاك بالفينيقيين ذوي الشهرة الكبيرة بفن الحفر على الخشب، حيث أن أصل صناعة السفن كانت من الساحل السوري ، وقد تعلم المصريين فن بناء سفنهم والملاحة من سكان جبيل ، وأن المصريين تتلمذوا على أيدي أبناء جبيل في بناء السفن . [2]

كان الفينيقيون ينفردون بميزة كبرى ينافسهم عليها جيرانهم من الشعوب الأخرى، وهي غنى اقليمهم بغابات الأرز ولاسيما في صور وصيدا ، ويربط بعض الكتاب بين قوة الدولة البحرية ورصيدها من الخشب في العالم القديم :إذا قل هذا الرصيد أو استقطع منها سقطت الدولة . ولربما سقطت صور وصيدا عندما سيطرت الدول البرية القوية على ظهيرها الغني بالأخشاب أي على جبال لبنان وجبل حرمون كما أنه ربما سقطت قرطاج عندما نفذ رصيدها من الخشب في صقلية وسردينية وكورسيكة . على أن بناء السفن لا يعتمد على الأخشاب فحسب بل على المعدن أيضاً، وهنا نجد أن الظروف كانت مواتية للشرق فالنحاس يتوفر في قبرص ،وكان هذا حافزاً قوياً لرحلات الفينيقيين الطويلة في حوض البحر المتوسط وأيضاً لجلب القصدير ، لأن النحاس لا يصلح لصنع الأسلحة أما إذا اختلط بالقصدير فإنه ينتج البرونز وهو مادة صلبة ولذلك كان صنع البرونز خطوة هامة في تقدم الحضارة ، وربما كان البحث عن المعدن هو الدافع القوي للرحلات البحرية الكبرى نحو البحر المتوسط [3] وحين انتقل بعض الفينيقيين إلى الغرب نقلوا معهم ما اكتسبوه من خبرة وتجربة في أوجه النشاط الاقتصادي، وعملوا على ازدهارها حسب ظروف البيئة الجديدة .

ولم يقتصر الفينيقيون على مجرد تصدير الأخشاب بل صنعوا منها المراكب الممتازة ومن أشهرها وأقدمها المراكب المسماة سفن جبيل.[4]

1_ مفيد رائف العابد : سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر الى بومبيوس 333-64ق.م.ص254

2- بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عصر الرعامسة من القرن الثالث عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ترجمة عزيز مرقس – عبد الحميد الدواخلي ، الدار المصرية للترجمة ، 1965م، ص ص 364-365

3-محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره ، ص 40

4- محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية، ص ص399-401

وقد أشار هيرودوت إلى السفن الفينيقية وخاصة سفن أهل صيدا فقال :(***كانت السفن التي قدمها الفينيقيون للفرس هي من أسرع السفن ، وأفضلها سفن أهل صيدا)*** [1]

وكان الإغريق بعد انتشارهم في البحر المتوسط يتعلمون من الفينيقيين فن الملاحة وإنشاء السفن وصناعة الأواني الخزفية وأساليب التجارة ،ولم يمض وقت طويل حتى فاق التلامذة اساتذتهم، فصار الإغريق يصنعون سفناً أعظم وأسرع بكثير من السفن الفينيقية .[2]

ولكن صناعة السفن تطورت إلى حد كبير في القرن الخامس ق.م ،حيث أن الأغريق عرفوا بدءاً من القرن الثامن ق.م نموذجين اثنين من السفن: العسكرية و الشراعية التجارية ، وفي بداية الحرب البلوبونيزية تكون الأسطول الأثيني من 300سفينة وكانت أثينة تدفع في كل عام مبالغ باهظة من الخزينة الحكومية على بناء السفن ، وتم استيراد الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من مقدونية وخالكيدية وجنوب ايطالية وآسية الصغرى وشواطئ البونت نظراً لافتقار بلاد الإغريق إلى الأخشاب. وقد أولت أثينة بناء السفن اهتماماً كبيراً لتطور قدرتها الاقتصادية والسياسية فكان لها نوعان من السفن العسكرية: السفن التي تعمل وفقاً لنظام خاص وطاقم حازم ،والسفن المخصصة لتوريد المحاربين والخيول والمؤن والمواد الأخرى. [3]

رسمت أقدم الصور للسفن الإغريقية بين سنة 850- 800 على الأرجح حيث رسمت على الأواني الفخارية ، وتبين لنا طرازاً جديداً من السفن ،فقد زودت السفينة بسلاح فعال (الناطحة) وهي في مقدمة السفينة على هيئة رأس كبش وهذا السلاح افتتح ولاشك عصراً جديداً في فن القتال البحري. وبما أن الناطحة ظهرت أولاً على الآنية الإغريقية فقد نسب اختراعها إليهم على العموم ، وقد يكون الفينيقيون فكروا فيها ولكنهم على أية حال لم يتركوا شيئاً نستدل به على ذلك إذ أنهم لم يرسموا قط سفنهم على خزفهم.

وبالمقابل فإن الرسوم المأخوذة من نقوش قصر (سنحاريب) في نينوى ، ترينا سفينة فينيقية يرجع تاريخها إلى حوالي 700 ،(شكل 18) فبالإضافة إلى وجود الناطحة في مقدمتها ، فإنها تبين تصميماً جديداً وثورة في بناء السفن يظهر لأول مرة ، فهي من طابقين وقد زودت بصفين من المجاذيف، وبذلك أصبحت السفن الجديدة أقصر من القديمة بحوالي الثلث على الأقل ، وهدفاً أقل تعرضاً لناطحة سفينة معادية ، وبنفس الوقت أكبر سرعة ، وأكثر متانة وقوة لتحمل البحر والأمواج من مثيلاتها من سفن ذلك العصر .

1- **هيرودوت** : الكتاب السابع ، ص 522

2- **محمد كامل عياد: تاريخ اليونان** ،ص ص 219- 220

3- **خليل سارة : الاقتصاد اليوناني القديم** ، ص 95

وبناء السور المزدوج في غربي جزيرة أرواد على نفس مبدأ تلك النظرية ، لتحطيم الأمواج العاتية وحماية السور قد طبق فعلاً على السفن لحمايتها من البحر والأعداء معاً ، يبرهن على أنه كان للفينيقيين الباع الأكبر في هذا الاختراع ، خاصة وأن السفينة الجديدة ذات الصفين من المجاذيف لم تظهر على النقوش الإغريقية إلا حوالي 500. [1]

وكان الإغريق والفينيقيون محافظين فيما يتعلق بطريقة ربط السفن بالحبال، وكانت سفن الحرب الجديدة موجودة بنفس طريقة التحبيل التي عرفتها سفن البحر المتوسط قبل ذلك الزمن بقرون، وهي شراع واحد عريض مربع غير أن هذا الشراع كان يستعمل عند السفر العادي فقط ، أما في حالة القتال فكان ينبغي للسفينة أن تكون قادرة على الحركة في أي اتجاه تريد لتصبح في الوضع المناسب للضرب بالناطحة ولذلك كان الاعتماد على الرياح إذن مستحيلاً بل خطراً ،وكان القبطان على العموم إذا ما أبحر في سبيل قتال يترك ساريته وشراعه على الساحل – إذ لم يكن يملك متسعاً في السفينة يخزن فيه مثل هذه المعدات الكبيرة ، ويعتمد منذ تلك اللحظة على عضلات واستجابات مجدفيه . وإننا لنجد إلى جانب صور السفن الحربية الجديدة المرسومة على الأواني الإغريقية عدة رسوم تصور السفن التجارية أيضاً. .[2]وهكذا نجد أن الفينيقيين كان لهم الفضل في نقل صناعة السفن للإغريق ، الذين طوروا هذه الصناعة، وأصبحت سفنهم قوية وتجاري السفن الفينيقية .

9- فن صناعة الحلي :

من العسير جداً التمييز بين الطرز الشرقية والطرز الغربية في الحلي، لأن هذه الاشياء الصغيرة لا بد وأنها كانت البضاعة التي يتاجر بها التجار الرحالة ، ومع أن الأصل المحلي يبدو أحياناً واضحاً في الغرب إلا أننا غالباً لا نستطيع الحكم بأن شيئاً ما صنع في منطقة معينة من البحر المتوسط ،وربما كان الكثير من الحلي الممتازة وخاصة تلك التي صنعت حتى القرن الخامس قد صنع في فينيقية أو قبرص أو مصر، فتشابهما الدقيق في التشكيل والصناعة يدل على أنها كلها صنعت في أماكن لا يبعد أحدها كثيراً عن الآخر .

ومعظم مصوغات الزينة الفينيقية التي وصلتنا في حالة جيدة كانت من الذهب، أما المصوغات الفضية فلم تكن في اغلب الأحيان جيدة الحفظ ،لأنها لم تحتمل الدفن في التربة المحلية بالمواقع الساحلية أما البرونز فيبدو أنه لم يستخدم إلا في صنع الأشياء ذات الاغراض العملية مثل المشابك (التي لم تكن ابداً شائعة في البلاد الفينيقية كما كانت في بلاد الإغريق وإيطاليا) والأساور ،ومن المحتمل أن الفينيقيين تعلموا صياغة

1- **حسين حجازي : جزيرة أرواد والجذور الفينيقية** ، ص 281

2- **ليونيل كاسون : رواد البحار** ،ص ص 111-113

الذهب جزئياً من المكينيين و من المصريين ،ولكنهم مهروا في فني الطرق والتحبيب اللذين أصبحا شائعين في أتروريا ايضاً في القرن السابع وربما كان ذلك باقتباسه عن فينيقية . [1]

وبالنسبة للإغريق تعد أشكال المجوهرات جزءاً من أعمال النحت مثلها مثل الأحجار الكريمة المنحوتة والعملات ،حيث يتضح حب الإغريق للزخارف الفنية وقد حول صانعو المجوهرات الإغريق الذهب نفسه إلى جميع الأشكال بدلاً من الاعتماد على الحجارة الملونة في الزخرفة. وقد برع صانعو المجوهرات المصريون وفي بلاد ما بين النهرين في كثير من هذه الطرق الفنية قبل الإغريق حيث تعلم الإغريق الكثير منهم دون شك وبالطبع لم يكن الذهب المعدن الوحيد الذي استعمله الاغريق في مجوهراتهم فقد استعملت الفضة أيضاً ولكن الكثير منها تلاشى وما تبقى فهو في حالة متآكلة بينما بقي الذهب بحالة جيدة لأنه لا يتأثر بالرطوبة ولكنه افتقد الطلاء الذي سبق استخدامه كلون مميز حيث اضاف جمالاً إلى الشكل العام . ونستمد معرفتنا للمجوهرات الاغريقية في الدرجة الأولى من القطع الحقيقية التي عثر عليها في المقابر والمعابد مثل التيجان والأقراط والأساور والدبابيس والأزرار وأشياء أخرى ،وفي بعض الأحيان توضح المجوهرات المصورة على أعمال النحت والرسومات الملونة كيفية عمل هذه القطع المتنوعة إلى جانب أنها تؤرخ لها .وفي الدرجة الثانية اعتمد على ذكر الكتاب القدماء للمجوهرات بين حين وآخر . ومن الواضح أنه كان هناك عادة تقديم الحلي الثمينة والذهب والفضة والأعمال المعدنية إلى الآلهة .

وتدل زخارف المجوهرات الاغريقية على نفس التطور من عصر إلى عصر كما رأينا في فروع الفن الاغريقي الأخرى وصورت الأشكال الإنسانية والحيوانية في البداية بشكل إجمالي ثم طبقاً لتقاليد محددة وفي النهاية أخذت الصورة الطبيعية .

ونلاحظ الأثر الفينيقي على صناعة المجوهرات الإغريقية من خلال الأقراط الذهبية التي عثر عليها في بلاد الإغريق والتي تعود للفترة الممتدة مابين 900–600 ، فقد عثر على أقراط هلالية الشكل ذات كلاب وقلادة تنتهي بما يشبه القفل ، وقد عثر على أمثلة منها في قرطاج،[2] وتعود الأشكال الهلالية إلى أوجاريت منها :

زوج أقراط _ القاعة الأولى – الخزانة التاسعة – من الذهب الخالص – الوزن 19,5 غ – القياس 6x 2,8 سم – متحف دمشق الوطني .(شكل 20)

1- **مجمد ابو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ،ص** ص 181- 183

2- **جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الإغريقي** ، ص ص344- 346

ويعتبر هذا القرط الذهبي من أقدم ماوجد في صياغة الذهب. [1] ويظهر الأثر الشرقي في الفن الإغريقي أيضاً من خلال لوحات مزخرفة من الذهب والفضة احتوى بعضها على عرى في الجزء العلوي مما يدل على أنها جزء من عقود وتيجان ، وكانت الرسوم المفضلة من بين الزخارف البارزة هي الآلهة المجنحة[2]

من جهة أخرى الحلى البونية المتأخرة يظهر فيها التأثير الإغريقي إلى درجة عدم وجود ما يدعو إلى مناقشة الفن الفينيقي فيها ، ورغم ذلك فإن الاتجاهات الإغريقية غالباً ماتصحب بعلامة تانيت(tanit) أو الهلال والقرص أو رموز أخرى فينيقية. لتمدنا بالدليل حتى ولو كان الإغريق هم الذين صنعوها على أنها صنعت في قرطاج أو بعض مراكز (بونية) أخرى .

وترتبط الأختام والجعارين (التي تشكل مظهراً ثابتاً في أثاث المقبرة الفينيقية) بالحلي ،وفي بداية عصر الحديد كانت الأختام الأسطوانية وأختام الطبع المخروطية هما النوعية الأساسية ، ولكل منهما تاريخ طويل وحتى في بلاد ما بين النهرين أخذ الختم المخروطي يحل تدريجياً محل الختم الاسطواني ، ولكن هذا الأخير لم يمت بل ظل في الواقع مستخدماً في بلاد مابين النهرين حتى العصر الفارسي، ولكن في فينيقية ببداية الألف الأولى ق.م فقد الختم الأسطواني شعبيته وأصبح الجعران والأشكال القريبة منه هو الطراز الشائع والسائد في الأختام ولكن يبدو أن الأخيرة لم تنتشر غرباً . و نجد أن أشكال الجعارين والأشكال القريبة منها هي التي نجدها في كل المواقع الفينيقية الغربية في القرن السابع ، (شكل 21)وفي بادئ الأمر كانت مصرية الطراز ولو أنها لم تكن بالضرورة مصنوعة في مصر واستمر هذا الطراز إلى القرن الخامس ق.م ، وبعد ذلك أصبح التأثير الإغريقي سائداً وخضعت رسوم الجعران لهذا التقليد الجديد ،وقد وجدت مع ذلك موضوعات فينيقية خالصة كما في مثالين من سردينية أحدهما يبين ملكاً يهاجم أسداً ،والآخر يبين الاله (بعل) جالساً على عرش بجوار مذبح للحرق.[3] وكان الجعل هو الشكل المفضل والمادة الشائعة هي اليشب الأخضر إلى جانب حجر الكوارتز الملون والزجاج أحياناً وكان أبطال الإغريق وبشكل خاص هرقل يشكلون موضوعاً شائعاً على الأحجار المتأخرة . وأصبح استعمال الأختام منتشراً في أنحاء بلاد الإغريق في القرن السادس ق.م ،ووصلنا عدد كبير من الأختام الحجرية من هذه الفترة ،وكان الشكل المعتاد هو الجعل وأحياناً كان الجزء الخلفي بدلاً من أن يكون على شكل خنفسة أصبح يعمل على شكل قناع او رأس زنجي أو أسد أو نصف سيدة .

1- **معرض المرأة السورية من خلال المكتشفات الأثرية 2003، منشورات المديرية العامة للآثار ، دمشق 2003**، ص 84

2- **جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الإغريقي** ، ص 346

3- **مجمد ابو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص** 183

وكانت الخنفساء (الظهر خال من الرسومات ومحدب) تعرف منذ فترة طويلة ، وكان كل من الجعل والخنفساء يثبتان في أطواق حديدية غالباً ما تكون سميكة ومزودة بفتحات حوامل تدور على نهايات الأطواق كأنها على محاور وكانت مواضع تثبيت فصوص الخواتم تلحم بالأطواق مما أجدى إلى تخفيف وزنها بحيث تلبس كقلادة .[1]

10- فن البناء

أ- العمارة الفينيقية :

ليس هناك دلائل أثرية تشير إلى الطراز المعماري الفينيقي بسبب تعرض المنطقة إلى الدمار والتخريب من طرف القوى الخارجية باستمرار ، وبسبب قيام مدن جديدة ، أدت إلى طمس معالم العمارة الفينيقية الأصيلة في الفترات التي أعقبت الحضارة الفينيقية.[2] ومع ذلك فقد سمح الاعتماد على بعض الشواهد الأدبية وعلى بقايا اللقى الأثرية بتصور الطراز المعماري الذي كان .لقد استند العمران الفينيقي في شكله على الأوضاع السياسية لفينيقية ، حيث ميزته المباني المحصنة والأبراج العالية المانعة من الهجمات الخارجية ، وهذا ما صورته النقوش الموجودة على جدران القصور الآشورية .[3] وقد كشفت الحفريات الحديثة في فينيقية عن الأبراج والقلاع والحصون ، مما يشهد للمهندس الفينيقي بتمكنه من فنه ، وكانت القلاع والحصون والأسوار الفينيقية من أعظم ماعرفه العالم من فن العمارة.[4] وأكدت نصوص العهد القديم وجود تلك الأبراج عندما تنبأ حزقيال بدمار مدينة صور ، فجاء في الاصحاح السادس والعشرين (... **فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها**...)[5] كما ذكر **سترابون** بأن أبنية صور تألفت من عدة طوابق ، وأنها كانت أكثر علواً من أبنية روما [6] ويرى بعض الباحثين أمثال موسكاتي أن العمارة الفينيقية لم تبلغ مستوى فنياً راقياً ، كما أن البناءات الاجتماعية لم تنتظم في تخطيطها ، وكانت بسيطة على مايذكر فيليب حتي [7]

1- **جيزلا ريختر : مقدمة في الفن الإغريقي ، ص 318**

2- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ، ص 134

3- **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** ، ص 179

4- **محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية** ، ص 377

5- **العهد القديم : حزقيال** 26\4

6- **سترابون : الجغرافية** ، الكتاب السابع عشر ، ترجمة محمد مبروك الذويب ، جامعة قاريونس ،بنغازي ،ليبيا 2001م ، ص 54

7- **فيليب حتي : تاريخ لبنان** ، ص 90 وانظر أيضاً :**سباتينو موسكاتي :الحضارة الفينيقية** ، ص 134

بينما يرى آخرون بأن الفينيقيين برعوا في تشييد القصور الفخمة ، وتفوقوا في الفنون العمرانية بسبب وفرة المواد المستعملة في البناء . [1]وهنا نجد تناقضاً بين فكرة بساطة الأبنية وبراعتها ، وربما يكون تفسير ذلك وجود نوعين من العمارة وهما : **العمارة البسيطة** للطبقات العادية وهي تفتقر إلى الزخارف وأشكال التنميق الهندسي ، **والعمارة المزخرفة** التي يسكنها الأغنياء ويمكن تصويرها بمنازل حجرية مربعة في كل منها مساحة مركزية محاطة بأربعة أروقة ، يؤدي اثنين منها إلى غرفتين متقابلتين ، ويؤدي الرواق الثالث إلى غرفة استقبال تقابلها البوابة الرئيسية للمنزل وقد احتوت بعض هذه المنازل على مطامير للقمح ، وصهاريج خاصة لتخزين المياه. [2]وعرّفت الكتابات الحديثة هذا النمط المعماري باسم بيت هيلاني ، وهو طراز سائد في البناءات الفينيقية ، إبان القرن العاشر ، وقد اهتم الملوك والنبلاء بتشييد القصور الحجرية وبناء المقابر الخاصة تحت قصورهم. [3] ومعلوم أن هذا النمط ولد في جنوب بلاد الرافدين وتسرب من المدن السومرية والبابلية وانتشر في سورية وعلى السواحل الفينيقية ، ولما تبناه الفينيقيون حملوه بضاعة ثقافية ونشروه في كامل البحر المتوسط حتى دخل عالم الاغريق .[4] من جهة أخرى ما كان لشعب اعتمد في شؤونه الحضارية على آلهة متعددة مثل الفينيقيين ، ألا يقيم لتلك الآلهة أماكن لأداء الطقوس التعبدية ، فقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود معابد فينيقية في أماكن مختلفة ، لكنها متشابهة من حيث قيامها في العراء وعلى المرتفعات وقرب الينابيع والمساحات المائية ،وهي أماكن محاطة بسياج ولها مدخل واحد اعتقد الفينيقيون بأن الآلهة تسكن فيها [5]، تميزت المعابد الفينيقية بالبساطة فلم يكن بها أكثر من مذبح صخري في الوسط ، ونصب مقدس إلى جوار عمود خشبي أو شجرة مقدسة مع حوض لغسل الأقدام قبل أداء الطقوس وتلك كلها أدوات أساسية للمعابد الفينيقية ،[6] لتصبح لها حجرات متعددة تتوسطها قاعة كبرى بها مذبح وتقدم فيها القرابين. [7]

1- **نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط والعالم القديم** ، ص 155

2- **فيليب حتي : تاريخ لبنان** ، ص 90

3-**Gerhard Herm ; les phèniciens,*Antique royaume de la pourpre** librairie Arthme Fayet, paris ,2002,,p111

4- **محمد حسين فنطر : الفينيقيون بناة البحر المتوسط** ،ص 144

5- **محمد أبو المحاسن عصفور ،المدن الفينيقية** ص 165وأيضاً **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** ص 73

6- **محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية** ، ص 165وأيضاً **فيليب حتي ،تاريخ لبنان**، ص 129

7- **نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط والعالم القديم** ، ص 155

وأتم المعلومات المتوافرة عن العمارة الدينية ماجاء ذكره عن وصف معبد سليمان(شكل 22) الذي شيده فنانون فينيقيون وجاء وصفهم كالتالي: أمام المعبد باحة ، كان فيها المذبح حيث تقرب القرابين ، وعلى باب المذبح عمودان على يمينه وشماله وكلاهما من البرونز أيضاً ، وكان المبنى مؤلفاً من ثلاثة أقسام كل منها يلي الآخر : دهليز مربع وحجرة مستطيلة في الوسط حيث المذبح الذهبي والمنصة المصنوعة من خشب الأرز من أجل تقريب الخبز ، ثم "قدس الأقداس" وهو حجرة مربعة معتمة يمكن بلوغها بواسطة باب يسدل عليه ستار ، بعد بضع خطوات أمام المدخل الذي يؤدي إلى قدس الأقداس يرتفع مستوى المبنى من الأمام إلى الخلف ، كان كل ما يحيط بالمقدس حجرات على ثلاث طبقات .[1]

وينطبق العمودان المقامان على مدخل معبد سليمان على نماذج لمعابد تعود لبداية الألف الأولى قبل الميلاد ، وقد أشار هيرودوت إلى العمودان عندما زار معبد ملقارت كان أحدهما من الذهب الخاص والآخر من الزمرد وقد فسر فيلون الجبيلي نقلاً عن سانخونياتن بأن أحد العمودين كان موقوفاً للنار والآخر للماء وأنهما موغلان في القدم أي منذ تأسيس مدينة صور ويبدو أن للعمودين علاقة بالمذبح وقدس الأقداس " الحجر المقدس الذي يرمز للإله . [2]

ليس بالإمكان تحديد موقع معبد ملقارت الذي لم يبق منه أثر بسبب ما لحق بمدينة صور من دمار على إثر غزوة الاسكندر المقدوني ومع ذلك الاعتماد على ما وصف هيرودوت لما شاهده عند زيارة المعبد في سنة 450 قد يصور شكل المعبد فقد سأل هيرودوت كهنة المعبد عن تاريخ تشييده فأخبروه بأنه يرجع إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد أي في سنة 2570 وهو تاريخ تأسيس مدينة صور [3]

ب- العمارة الإغريقية :

أضفى الفن المعماري الإغريقي الطابع الإنساني على المكان بتقديم نمط شكلي جديد أقرب إلى البساطة والوضوح اللذين تميزت بهما فنون العمارة عند الإغريق ، وأبعد مايكون عن التعقيد أو عن استخدام الأحجام التي يستعصى سر ضخامتها عن الفهم ، وهكذا فرضت العمارة الإغريقية بصفة عامة لوناً من النظام على فوضى المكان .

1- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ،ص 89

2- **يوسف الحوراني: مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** ، ص ص 93-94

3- **محمد الصغير غانم :التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ، ص 27 وأيضاً : **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** ص 44

وتجل ذلك واضحاً في عبقرية فيدياس في إبداعه لوسيلة باهرة دقيقة وذلك بإنجازه مبنى البارثينون الفريد (شكل 23) بكل مازانه من أعمال النحت التي لامثيل لها . فالعمارة الإغريقية فن خصب يستهدف الوضوح ويزخر بالمعاني التي تحرك الفكر والحس معاً .[1].

وتميزت أعمال البناء الإغريقية في تشييد المعابد والأبنية ، والتحصينات ، وشق الطرقات ... وغيرها من أعمال البناء ،وبالنسبة للمدن الإغريقية فقد تطور بناءها ،وأخذت شكلاً معيناً حتى أواخر القرن الرابع،أي حتى أواخر العصر الكلاسيكي ، في البداية كانت المدن غير منتظمة تمتد فيه المدينة أو تتزايد تفاصيلها الداخلية حسبما تقتضي الظروف ، أو حسبما يوجد مجال لهذا النمو اتساعاً أو تفصيلاً. ولكن هذا ليس معناه أن التخطيط المنتظم لم يكن شيئاً غير معروف على الإطلاق عند الإغريق حتى نهاية العصر الكلاسيكي ، فقد وجدت أمثلة لمدن عرفت مثل هذا التخطيط ، ومثال ذلك مدينة **اولينثوس** (Olyntnos) التي تقع على الشاطئ الشمالي لبحر إيجة ، فقد تطورت هذه المدينة في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد على أساس من تخطيط هندسي منتظم ، ولكن مثل هذه المدن كانت تشكل أمثلة نادرة ، كذلك فإن بعض المستعمرات الإغريقية خارج بلاد الإغريق الأصلية ، كانت تتبع مثل هذا التخطيط المتنظم ، هذا وقد وجد من بين المهندسين الإغريق الذين ينتمون إلى العصر الكلاسيكي من تبنى فكرة التخطيط الهندسي بشكل واضح مثل **هبوداموس** (Hippodamos) من مواطني **ميليتوس** (Miletos) على الشاطئ الغربي لآسية الصغرى الذي ظهر في أواسط القرن الخامس ، ولكن ما أنجزه هبوداموس كان شيئاً قليلاً ، كما كان شيئاً جديداً على التصور الإغريقي الذي ألفه الإغريق وتعايشوا معه فيما يخص تخطيط المدن ، وهو تخطيط ظل بعيداً عن التنظيم الهندسي المحدد في عمومه حتى نهاية العصر الكلاسيكي وقيام العصر المتأغرق. [2] ويذكر أرسطو أن السبب في اتباع التخطيط غير المنتظم كان سبباً عسكرياً ، فالتعرجات والتداخلات التي كانت السمة الواضحة لطرق المدينة كانت في رأيه تجعل الأمر يختلط على الغزاة .(***فالشؤون الحربية تقضي أن تسهل مخارج المدينة على أهلها ، وأن يشق على مناوئيهم الدنو منها وضرب الحصار حولها***)[3]

وطرق تخطيط المدن في رأي أرسطو يمكن أن ينحصر في الشكل التالي :

1– **ثروت عكاشة** : **الفن الإغريقي** ، الهيئة المصرية للكتاب ،1982م ص 94

2– **لطفي عبد الوهاب يحيى** : **اليونان** ، ص 267

3– **أرسطو** : **السياسة** 7، 10 ، 2

(الأصلح للشؤون الأخرى ، أن يتفق تخطيط المدن وأن تتبع فيه طريقة هبوداموس المستحدثة، بيد أن سلامة الأهلين في الحروب تفرض الطريقة المتبعة في القدم ، وهي تناقض الطريقة الحديثة ، إذ يجب أن يصعب على الغرباء الخروج من المدينة بعد ولوجها ، وأن يعسر على مهاجميها اكتشاف شعبها ، ولذا للتوفيق بين الخطتين ينبغي أن لاتخطط المدينة كلها تخطيطاً منتظماً ، بل أن تخطط ذلك التخطيط في بعض أقسام وجهاتها فقط ، وعلى هذا النحو يوفق بين أمنها ورونقها) [1]

ثم يتابع أرسطو قوله بضرورة وجود الأسوار حول المدينة ، ومنافعها الأساسية في حماية الذين يتحصنون فيها(***يجب الاعتماد على مناعة الأسوار التي تتضمن أكثر مايكون سلامة المحتمين بها ، هي من الخطط الحربية الصحيحة ، هذا إذا كان لابد من النجاة ، لاسيما في عصرنا حيث أتقنت غاية الاتقان وسائل رشق القذائف من سهام وغيرها من آلات الحصار ... وعلاوة على ذلك ، ينبغي أن لايغرب عن الأذهان ، أنه يتاح لمن يحوطون مدنهم بالأسوار ، أن يستخدموها على وجهين : كونها ذات أسوار ، وكونها بلا أسوار ، بينما لايتهيأ هذا الاستخدام المضاعف في المدن العارية من الأسوار)*** [2]

ويبدو أن السبب الطبيعي والمنطقي لعدم وجود تخطيط هندسي منظم لهذه المدن حتى نهاية العصر الكلاسيكي يكمن في أمرين : أحدهما يتعلق بظهور دولة المدينة ، حيث كانت كل مدينة في أصلها مجموعة قبائل وتجمعات سكانية كل منها منفصل عن الآخر قبل أن يتحدوا ليصبحوا كياناً سياسياً واحداً اتخذ شكل دولة المدينة ، وفي هذه الحال فالتصور الوحيد الوارد هو أن كل قبيلة أو كل تجمع سكاني كانت له طرقاته الخاصة به دون أن يكون هناك أي تنسيق مع القبائل والتجمعات السكانية الأخرى ،والأمر الثاني أن أرض بلاد الإغريق ليست أرضاً سوية سهلة ، وإنما هي أرض وعرة في معظم مناطقها ، وهذه الوعورة هي التي تحدد بالضرورة شكل الطرقات واتجاهات المسارات أو الطرق غير مستقيمة .[3]أما فيما يخص أعمال البناء المباشرة ، بإمكاننا أن نقسمها إلى خاصة وعامة ، فالمساكن والمعابد الخاصة كانت قد أنشئت أولاً : بواسطة أصحابها ، وثانياً بقوى مختلف الجماعات الدينية . أما الأبنية والمعابد العامة ، وأيضاً الطرقات الحكومية والتحصينات الدفاعية فكانت من اختصاص الحكومة ، باعتبار أن مثل هذه المنشآت كانت ملكية شكلية للشعب .[4]

1– أرسطو : **السياسة** 7 ، 10 ، 4-5

2– أرسطو : **السياسة** ، 7 ، 10 ، 5 – 7

3– لطفي عبد الوهاب يحيى : **اليونان** ، ص 269

4– ك .م كالوبوف : **اقتصاد اليونان** ، ص 327

وقد ساعدت مقاطعة أتيكة الغنية بثرواتها من المعادن والأحجار إلى تسريع عمليات البناء والتطور الاقتصادي ، وكانت جبال أتيكة غنية بالرخام والصلصال والأحجار الجيرية المتنوعة الألوان . وقد استخدم المعماريون الأثينيون هذه الأحجار في تشييد تلك المعابد الفخمة **كالبارثنون** (Parthenon) الذي استغرق بناؤه عدة سنوات (447- 438) **والأرخثيوم** (Erechtheum)(شكل 24) والبوابات البديعة (Propylaca) **والنوادي الثقافية والرياضية** (Gymnasium) **ومسرح ديونيسيوس** (Theatron) **والأروقة** (Stoa) وغيرها من قاعات الموسيقا أو المباني الرسمية في السوق العامة (Agora) الذي ازدانت بها أثينة على أيام بريكلس (Perikles) (461- 429) .[1] فقد تمت أعمال البناء الضخمة ، بشكل خاص في عهده ، وطمح إلى جعل أثينة مركز اقتصادي وسياسي وثقافي وديني قائد لكل بلاد الإغريق .ويقول **توكوديدس** على لسان بريكلس مايلي : ***(أنا أؤكد أن مدينتنا هي مدرسة لكل بلاد الإغريق، وافترض بأن كل واحد منا يستطيع بسهولة ورشاقة أن يظهر شخصيته ومواهبه في مختلف الأحوال والظروف)***[2] وفي سنة 449 وباقتراح من بريكلس ، أقر مجلس الشعب مخططاً لإنشاء الأكروبول الأثيني ، وبموجبه أصبح فيدياس (Phidias) قائداً لهذا المشروع الضخم الذي ترأس مجموعة من كبار المهندسين المعماريين الإغريق في تلك الفترة ، وقد استغرق العمل في بناء الأكروبول معظم فترة النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد أشرف فيدياس وبريكلس إشرافاً عاماً ، واختير لبناء الهيكل رخام جبل بنتليكوس الأبيض المشوب بحبيبات حديدية ، ولم يستخدم في بنائه الملاط ، بل نحتت كتل الحجارة وصقلت بحيث تمسك كل كتلة التي تليها وكأن الأثينيين كتلة واحدة ، وكان طراز البناء دورياً خالصاً وبسيطاً ، أما شكله فكان رباعياً لأن الإغريق لم تعجبهم الأشكال المستديرة والمخروطية .[3]فقد تجسدت في البناء دقائق الهندسة الأيونية ممزوجة بروعة الهندسة الدورية ، في هذا الهيكل يبدو التضاد بين الهندسة الأيونية الجميلة الدقيقة ، وبين روعة الهندسة الدورية وبضخامتها ، وبعد الحرب الفارسية تضاعفت أعمال البناء، فقد أعيد بناء أثينة وأقيم فيها بناء جديد لمجلسها ، ومنازل جديدة ، وأروقة جديدة ذات أعمدة ، وأسوار جديدة لصد المهاجمين ، وأقيمت الأرصفة والمخازن ، وشهدت السنوات السبع التي سبقت قيام الحرب البلوبونيزية ذروة النشاط والثراء الأثيني. وفي عام 438 كان بناء الأكروبول قد تقدم تقدماً كافياً ليفتتح رسمياً في أحد الاحتفالات الدينية ، وفي الوقت المحدد لهذا الاحتفال أتم فيدياس تمثال أثينة الذهبي العاجي الذي أقيم في داخل البارثنون .

1- عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني ، ج1 ، ص 165

2- توكوديدس : الكتاب الثاني ، 41

3- تشارلز ألكسندر روبنصن :أثينة في عصر بريكلس ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ، 1966م ، ص 104

ويمثل أثينة العذراء إلهة الحكمة والعفة ،واستخدم فيدياس العاج للأجزاء الظاهرة من الجسم، كما استخدم كميات كبيرة من الذهب لصنع الثياب .ثم وجه الفنانون اهتمامهم إلى الأكروبول ، وبدأ العمل فيه عام 437 وتم بناء عدد آخر من المعابد ، الأرخثيوم على الحافة الشمالية للأكروبول ، ثم معبد هيفايستوس في المدينة ومعابد وأبنية أخرى .[1] وهكذا شغف الإغريق بالكمال فيما يتعلق بإقامة مبانيهم ، ولذا اختاروا أهم أجزاء المبنى كالأعمدة والنضد للتعبير عن حسهم المعماري وتطوير تقنيتهم .حتى بتنا نستطيع أن نتبين فيها القواعد المعمارية التي نسميها بطرز المعمار الإغريقي. واهتموا بدراسة هذه الأعمدة ، فخلقوا فناً فيه كمال وجمال وبساطة تامة ، واستعمل الإغريق ثلاثة أنواع من الأعمدة ، لكل منها نسبه الخاصة به. [2] ينقسم كل عمود إلى ثلاثة أجزاء أساسية وهي : - السفل عبارة عن قاعدة مرتفعة - الأعمدة : عبارة عن الأعمدة الحاملة - التكنة :عبارة عن الجزء المحمول .ولكل جزء من هذه الأجزاء تفاصيله الخاصة حيث يحتوي عادة على ثلاث درجات مرتفعة ، أما الأعمدة فتنقسم إلى ثلاثة أجزاء وهي : -قاعدة العمود – بدن العمود – تاج العمود.أما التكنة فتنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي : الحمال – الأفريز- الكورنيش .[3] شكل 25

***العمود الدوري :Doric Order**:

كان هذا الطراز من أقدم الطرز الإغريقية وينسب إلى القبائل الدورية، ويتميز بالبساطة ويرتكز هذا العمود على الأرض بدون قاعده، ويضيق باتجاه القمة ، ويوجد بجسمه قنوات محفورة رأسياً ويعلو العمود أسطوانة ثم تاج بسيط تعلوه كتلة مربعة ترتكز عليها العتبة .واختلف المؤرخون في أصل العمود الدوري ، بأنه مأخوذ أصلاً من شكل الأكواخ الخشبية ، أو مأخوذ عن الأعمدة المصرية القديمة .

***العمود الأيوني : Doric Ionic**:

ظهر هذا الطراز أولاً في أتيكة وأيونية وتراقية على يد الأيونيين وعنهم استمد اسمه ، ويرتكز هذا العمود على قاعده تفصله عن الأرض ويتميز برقة البدن وجمال التاج المزخرف بشريط حلزوني من الجهتين وأشهر المعابد التي تنسب إلى هذا الطراز **معبد الأريخثيوم** Erechtheum المشيد على تلال الأكروبول في الفترة مابين (421- 406) للآلهة أثينة وبوسيدون ،ويلحق بهذا المعبد شرفة يحمل سقفها دعائم على هيأة تماثيل لست فتيات ويبلغ ارتفاع العمود اليوني بما فيه التاج والقاعدة حوالي 9 أضعاف قطره السفلي .[4]

1- خليل سارة : تاريخ الإغريق ، ص ص 506- 507

2- ثروت عكاشة الفن الاغريقي ، ص 175

3- عفيف بهنسي : تاريخ الفن والعمارة ،ص ص 187-189

4- المرجع نفسه ، ص 198

ويدين النظام الايوني للمهندس **خرسيفرونوس** chersiphronosبوضع أصوله وتطويرها في افسوس بالذات ،ومن الطبيعي أننا لا ننكر في هذه المقولة دور من سبق خرسيفرونوس في وضع عناصر النظام ولا يمكن أن يتطرف تفكيرنا إلى أن هذا النظام قد ابتكر دفعة واحدة ويمكن لأي باحث منصف في فنون الأمم الشرقية أن يلاحظ ما يشبه هذه العناصر كأخاديد الجذع والقاعدة المستديرة وحلزونات التاج في كل من أعمدة مدينة بتريوم الحيثية ،وهناك بعض مؤرخي الفن المنصفين يذكر أحدهم وهو (شوازي) أن الفينيقيين هم الذين حملوا إلى العالم الاغريق بعض هذه المبتكرات الفنية الشرقية، وأن الإغريق كان لهم دور تنظيمها والتوفيق فيما بينها وفرض الوحدة على عناصرها المختلفة .

*العمود الكورنثي : Doric Corinthian

يشبه العمود الأيوني فيما عدا تاجه الذي يمتاز بطابعه الخاص ، ويرجح أن هذا التاج مشتق من الأعمدة المصرية القديمة . [1]إن نظرة فاحصة مثلا للعمارة الإغريقية بما تحويه من توازن هندسي تحدد وظيفة كل جزء بدقة تبين مدى الصدق والصراحة اللذان يتسم بها العقل الاغريقي ، أن هناك صفات مشتركة تميز كل جوانب الفكر الاغريقي سواء في التاريخ أو السياسة أو أدب الشعر والمسرح أو حتى الفكر العلمي المنطقي، وقد يحدد ذلك ملاحظات الفلاسفة الأيونين التي ترى أن لا شيء يستقر على حال بل لا بد من التنوع لأن التغيير دائم وأبدي وهو يسير على هدى قانون منطقي ،وأن هذا التوالد المنطقي للأشياء هو الذي يخلق الحضارة.

أن الاغريق ببصيرتهم الصافية ونظرهم الثاقب وعقليتهم الواضحة المحددة هم الذين رسموا لنا بكل دقة وحرص تعريفات العلوم المختلفة وحقائق المعرفة والتي يقوم عليها العلم والفكر الحديث.

ج- تخطيط المدن في العصر الهللينستي :

تطور فن بناء المدن الإغريقية في العصر الهللينستي في المدن الفينيقية فبنيت حسب مخطط مرسوم وزودت بالمسارح والحمامات وملاعب الرياضة والساحة العامة وغيرها من المنشآت التي يعبر فيها الفرد عن نفسه كعضو في المجتمع واحتفظ فيها بالشكل السياسي لدويلات المدن الإغريقية، مع الاهتمام بشخصية المواطن وفي هذا كله تختلف المراكز الجديدة عن المراكز السورية القديمة التي كانت تبنى عادة حول حصن أو نبع أو معبد كنواة لها، وتنمو بعد ذلك دون أي خطة وليس فيها وسائل للتعبير عن الحياة الديمقراطية .

1- **سباتينو موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة** ،دار الرقي بيروت،ط1،ترجمة يعقوب بكر ،1986م ص69
انظر أيضاً مفيد رائف العابد : الآثار الكلاسيكية ، منشورات جامعة دمشق ، ط1998،4م ، ص 69
للمزيد انظر أيضاً:**عفيف بهنسي : تاريخ الفن والعمارة** ، دار الشرق ، دمشق ، ط1 ، 2003م ، ص 187-189

ولم يقتصر السلوقيون على إنشاء المدن الجديدة وإنما حولوا بعض المدن ذات الاسماء السورية القديمة إلى مدن هللينستية فمدينة عكا يصبح اسمها بتولمايس وأصبحت بيروت تسمى لاوديسا في القرن الثاني.

أما الفن المعماري المتبع في بناء هذه المدن فقد بقي واستمر واضحاً في عهد الاحتلال الروماني فيما بعد فانهيار المملكة السلوقية لم يتبعه انهيار الثقافة الهللينستية ،ومع وجود القوس والقنطرة السابق للعهد المكدوني فان التاج الكورنثي للأعمدة انتشر باطراد وكانت المسارح والملاعب التي بنيت في العهد الروماني تتبع النموذج الهللينستي وفي الحقيقة أن أكثر البقايا الهللينستية في سورية تعود إلى الفترة الرومانية.[1]وفي العصر الهللينستي تم اتباع النظام الشبكي لعدة أسباب أهمها :

* يوافق الذوق الاغريقي المغرم بالتناسق والتناظر وخداع النظر باحتوائه على الأعمدة والأروقة والأفاريز.
* من اليسير تطبيق هذا النظام مما يساعد على توسيع رقعة المدينة دون الإخلال بشكلها العام لأن هذا التوسع لا يقتضي أكثر من إضافة وحدات سكنية جديدة على امتداد الشوارع المتقاطعة عمودياً .
* يساعد على تحديد أنسب الاتجاهات للإفادة من الشمس شتاء واتقائها صيفاً . ويمكن القول بوجه عام أن السلوقيين اتبعوا هذا النظام في كل مدنهم بل في مستعمراتهم ،فقد تشابهت من حيث تخطيطها وفقاً للنظام الشبكي كما أن معظمها تماثلت من حيث احتوائها على المعالم العامة التالية:
* **السور**: لما كانت المدن السلوقية قد انشئت وسط بيئات غريبة قد تهدد سلامتها فإنه لتأمين هذه السلامة اتبعت الوسيلة التي لجأت إليها من مدن بلاد الاغريق منذ تعرضها لأخطار الحرب الفارسية الأولى و هي بناء أسوار لتسهم في رد عاديات الغزاة وقد استمر اتباع هذه الوسيلة في العصر الهللينستي .
* **الاكروبوليس** : وكان يبنى في معظم المدن السلوقية قلعة عسكرية داخل السور يعتمد عليها حاكم المدينة في حفظ الامن ويحتمى بها الاهالي في حالة سقوط المدينة .
* **الشوارع** :وكان يوجد في كل مدينة على الأقل شارعان رئيسيان متعامدان ويتميزان بما على جانبيهما من أروقة وأعمدة .
* **المنازل** : معلوماتنا عن المنازل التي بنيت في المدن السلوقية مستمدة من نتائج أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار وللمنزل باب خارجي يفتح على دهليز ضيق يؤدي إلى غرفتين وإلى جانب هذا الدهليز يقع فناء aulyتحيط به عدة غرف. وقد وجدت بين أطلال المنزل بعض الأدوات المنزلية من الفخار والبرونز وقطعاً من الزجاج والميكا. (وهو نوع شفاف من المواد المستعملة لتغطية النوافذ)

1- بدري حجل : **سوريا وتاريخها الحضاري** ، ص175-176

ويمكن الافتراض بأن الغرف كانت تضاء من خلال الفتحات التي تطل على الفناء. وهكذا فإن إغريق المدن السلوقية قد احضروا معهم إلى أماكن سكناهم الجديدة أنواع المنازل التي كانت مألوفة في الأنحاء الأخرى من العالم الاغريقي في الفترة الهللينستية في حين أشبع بعض الاغنياء نزواتهم باعتماد بعض أصول الزخرفة والعمارة المحلية في منازلهم وأن لم يغالوا كثيراً في إبراز هذه الأصول).

* **الساحة العامة (الآجورا)** :وهي إحدى العناصر الرئيسية في المدينة الإغريقية القديمة وقلما خلت منها مدينة ،فقد كانت الآجورا مركز مختلف وجوه نشاط الإغريق .ولا جدال في أن الشرق لم يعرف الساحة العامة بوصفها عنصراً مستقلاً له مثل هذه الأهمية إلا في العصر الهللينستي واختلفت مساحة الآجورا من مدينة إلى أخرى حسب المساحة المتوافرة وعدد سكان المدينة .

* **المعابد:** تقتصر معلوماتنا عن معابد المدن السلوقية على ما استنبطه مؤرخو العصر السلوقي من أمرين وأحدهما هو أن العناية بمعابد الآلهة في هذا العصر كانت محور تنافس بين الملوك وخاصة أن معظم هؤلاء الملوك قد عبدوا في مدنهم كآلهة مدة طويلة من الزمن .والأمر الآخر هو أن الملوك السلوقين أباحوا لكل رعاياهم حرية العبادة وإقامة الشعائر الدينية للآلهة التي يعبدونها.

* **المسرح:** ومن المؤكد أن أصقاع الامبراطورية السلوقية –باستثناء مدن آسية الصغرى الاغريقية لم تعرف المسرح ولم يصبح عنصراً ضرورياً من عناصر الحياة في كل مدينة من مدنها إلا في العصر الهلنستي ولكن كل المسارح المكتشفة في معظم المدن السلوقية يعود تاريخها إلى العصر الروماني.[1]

ويبدو مما سبق أن فن العمارة الإغريقية كان متقدماً بشكل كبير عن فن العمارة الفينيقية من خلال آثار المعابد والمدن الإغريقية ،وبالتالي تأثر الفينيقيين بهم ، ويبدو أن الأثر الشرقي في فن بناء المدن الهلنستية ظهر من خلال حرص من شيد هذه المدن على تزويدها بالمياه وتزيينها بالأشجار مما يمكن اعتباره من بين التأثيرات الشرقية، وقد لوحظ أن تجميل المدن بالحدائق والأشجار هو مما قدمه الشرق أثناء إسهامه في تكوين الحضارة الهللينستية ،وبصورة عامة وجد الخبراء أن تاريخ الفن الهللينستي كان بمثابة الاحتكاك الذي تم بين الفن الإغريقي وفنون الشرق عامة .ومهما يكن من أمر يعتبر العصر الهللينستي بالنسبة للفن بشكل عام بمثابة نقطة تحول في تاريخ الفن الفينيقي والإغريقي، إذ أنه ظهر في فترة احتك فيها الفن الفينيقي بالإغريقي ، وتغيرت فيها شروط الحياة ، وتبدل نوع التفكير ،وازداد ميل الإنسان إلى الطبيعة ، فانعكس كل ذلك على الفن في العصر الهللينستي.

1– مفيد رائف العابد :سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس 333–64ق.م.ص ص341–347

رابعاً : النتائج العامة :

خلاصة القول نجد أن للفن الفينيقي أثر عميق في تطوير الفن الإغريقي الذي بدأ يتفوق عليه فيما بعد، وقد كان الفينيقيون في حقل الفن كما كانوا في حقول حضارية وفكرية أخرى أساتذة للإغريق .وقد أدى التوسع والانفتاح المشترك بين الفينيقيين والإغريق إلى تكوين الملامح المحددة للعقلية والتفكير الإغريقي والذي اصبح ملازماً لهم منذ بداية ازدهار حضارتهم حتى أفولها، لقد بدأ الخيال الاغريقي يتقمص الحقائق والفكر العلمي المنطقي كما تتقمص الروح والجسد وأصبح الإغريقي ينشد الجمال والحكمة معاً ، وما الفن في مفهومه سوى أحد أشكال الحكمة ،كما كان يمتلك المفكر والفنان الإغريقي إحساس شديد بالحق المطلق مما جعلهم يفرقون بدقة بين ما هو مثالي وبين ما هو واقعي ،وأن يعطوا لكل حقه .

إن ميزة الإغريق التي لاحظناها في فروع الفن هي اقتباس ما يليق لهم ، ومن ثم تحويل ما اقتبسوه إلى إبداع جديد .لكن بالمقابل نجد أن الفن الفينيقي لم يكن فينيقياً خالصاً من حيث موضوعه وجوهره ، بل اقتبس الكثير من الإغريق وغيرهم من الشعوب التي احتكوا بها . ومنذ الألف الأولى عرفوا كيف يصهرون فنون جيرانهم في بوتقتهم ، فسكبوا فيها الكثير من روحهم ، ولم تنكر براعتهم في اقتباس أبرز معالم الفن لدى كل أمة جاورتهم أو حلوا فيها تجاراً ، حتى أصبح التساؤل بعد حملة الاسكندر فيما إذا كان فنانوا هذه الحقبة هم حقيقة من الفينيقيين . ومن جهة أخرى يعترف الباحثون اليوم أنهم مازالوا قاصرين في معالجة تاريخ الفينيقيين في الألف الأولى ق.م ولاسيما في نصفه الأول ، والسبب الأساسي لهذا القصور هو النقص في المواد الفنية، ففي الوقت الذي قدمت فيه حفريات جبيل و أوجاريت تصوراً كاملاً عن الحضارة الفينيقية في العصر البرونزي (الألف الثاني) نلاحظ ندرة في الحفريات التي يحتمل أن تقدم مواد وفيرة عن مطلع العصر الحديدي أواخر الألف الثاني والنصف الأول من الألف الأولى ق.م ،وتبقى الآمال معلقة على ما قد تأتي به الأبحاث وبانتظار ظهور نتائج تلك الأبحاث . فالفينيقيون، شعباً وحضارة كانوا ومازالوا يثيرون اهتماماً كبيراً في الغرب، فمنذ أن كشف هوميروس عن خصائصهم البحرية والتجارية واتضح أن الأبجدية الغربية مستمدة منهم، اصبحوا محط انتباه شديد. وحاول بعض الغربيين إظهارهم على شكل تجار تهالكو على تحقيق المكاسب المادية وشوهوا صورتهم، وتنكروا للقيم الإنسانية التي تحلى بها الفينيقيين طيلة تاريخهم، وعملوا على نشرها في العالم فكانت سر نجاحهم في التجارة والحضارة على السواء ،وفي طليعتها الأصالة والانفتاح على الآخر والرغبة في التواصل معه على قاعدة الاحترام والاعتراف بحقوقه. واثبتوا أن الشهرة لا تؤخذ بالسيف لكن بالتفوق في الصناعة والتجارة أيضاً .ويبدو أن على كاهل الذين ينكرون تأثير الحضارة الفينيقية في الحضارة الإغريقية أو يبخسون قيمتها عبء كبير في إقامة الدليل على رأيهم و يعوزهم التقدير الكافي للحضارة الفينيقية.

الفصـل الثالـث
التأثيرات الدينية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

الفصـل الثالـث
التأثيرات الدينية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

تمهيـــد :

أولاً : الديانة الفينيقية

ثانياً : الديانة الإغريقية

1. ديانة الأسرار والأسلاف
2. آلهة الطبيعة المادية

ثالثاً : عوامل انتقال التأثيرات الدينية بين الفينيقيين والإغريق

1. عامل الهجرة والتجارة

آ . التوسع الاقتصادي والتجاري

ب . الاختلاط من خلال إقامة المستوطنات

2. عامل العبيد
3. العامل العسكري

رابعاً : الآلهة الفينيقية عند الإغريق

1. أدونيس
2. عشتارت (أفروديت)
3. ديونيسيوس
4. ملقارت
5. بوسيدون
6. هيفايستوس

خامساً : الآلهة الإغريقية عند الفينيقيين

1. ديميتر
2. كوري (برسيفوني)

سادساً : الأعياد الدينية المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق

1. الأعياد الفينيقية الدينية عند الإغريق
آ. أعياد أدونيس
ب. أعياد ملقارت
2. الأعياد الإغريقية الدينية عند الفينيقيين
سابعاً: الميثولوجيا الفينيقية وتأثيرها على الميثولوجيا الإغريقية
ثامناً: التأثيرات المتبادلة في معتقدات الموت بين الفينيقيين والإغريق
1. معتقدات الموت عند الفينيقيين
2. معتقدات الموت عند الإغريق
3. معتقدات الموت المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق (ديانة الأسرار)
آ. الإليوسية
ب. الديونيسية
تاسعاً: النتائج العامة

تمهيد :

تلعب دراسة الحياة الدينية لأي شعب من الشعوب دوراً هاماً ،ينعكس من خلاله التطور الفكري الذي ألمّ بهذا الشعب ،ومدى مرونة أسسه وقابليتها للاستيعاب من غيرها ، كما يصور أصالة الشعب ومدى ارتباطه بالمعتقدات التي توارثها عبر الأجيال المتعاقبة .

فالدين يشكل قوة هائلة ، تدخل في صميم حياتنا ، وتؤثر في جوهر البنيان الفكري والاجتماعي والنفسي ، وتمثل محددات لطرائق التفكير وردود الأفعال نحو العالم ، وهو يشكل جزءاً لايتجزأ من السلوك الاجتماعي لدى الفرد والجماعة .كما يشكل منظومة أخلاق وحقوق تدخل في أساس الحياة العائلية والاجتماعية ، وجزءاً في التشريع والقضاء وحتى في العلاقات الدولية ، إضافة إلى الطقوس والقرابين والأعياد والاحتفالات الدينية الحتمية والحرام والحلال ، فالدين هو جملة مسائل مادية وتخيلات وتصورات ومعابد ، ثم إن الدين هو مجموعة محددة من الناس ، تقدس أنفسها من خلاله .

ويعالج هذا الفصل الحياة الدينية عند الفينيقيين والإغريق والتأثيرات المتبادلة بينهم خلال الألف الأولى قبل الميلاد ، وتأتي أهمية دراسة هذه التأثيرات الدينية من كونها المجال الذي ارتبطت به مختلف نواحي الحياة الأخرى .بالنسبة للفينيقيين ارتبط الدين عندهم بمختلف تفاصيل حياتهم اليومية وكان جزءاً لا يتجزأ منها، فمن الدين استمد الحكام نفوذهم ، وتحت اسم الآلهة وضعت القوانين المنظمة للمجتمع وبرعاية الآلهة مورست أنواع مختلفة من النشاطات الاقتصادية .

أما عند الإغريق كانت الديانة لها مكانتها في مجتمعهم ، فهي التي كونت الأسرة ، وأقامت الزواج ، وأباحت السلطة الأبوية ، وقدست حق الملكية وحق الإرث .ويمكن القول أن الديانة تدخلت في كل فروع الحياة الاجتماعية والسياسية الخاصة والعامة .

وعملية التأثر والتأثير بين الحضارتين على الصعيد الديني حقيقة لاشك فيها ، وهي تؤكد وجود ضرب من التواصل بينهما ، ومن هنا يسقط ما قد يقع في الظن من توهم وجود حواجز فاصلة بين الحضارات. وعملية التأثر والتأثير بما تحمل من معنى التواصل تبرز الدور الإنساني الإرادي في إثراء الوجود البشري بما يحققه طرفا التواصل من فعاليات متجددة . وهكذا أثرت كلاً من الحضارتين في بعض دون أن تفقد كل حضارة ملامحها الأساسية وخصائصها المميزة .

وبما أن فينيقية كانت مركزاً لالتقاء الحضارات والمعتقدات ،وبالتالي كان المجتمع الإغريقي منفتحاً على غيره من المجتمعات التي سبقته في الازدهار والنشاط الحضاري ، ونتيجة للانتشار الفينيقي والإغريقي في حوض البحر المتوسط وإقامة المستوطنات ، والاحتكاك المباشر بينهما تحقق التمازج الثقافي والحضاري والذي انعكس من خلاله المد الثقافي الفني الذي سرعان ما تحول إلى تلاقح بين الآلهة فكان بينهما تأثر وتأثير متبادل.

وحاول الإغريق أن يطبعوا الحضارة الفينيقية التي اقتبسوا عنها الكثير في مختلف الحقول بطابعهم الخاص، فأطلقوا على المدن أسماء إغريقية ، فأصبحت **جبيل** تدعى **بيبلوس** ، **وبيروت بيريتوس والبترون بوتريس،** وإذا رأوا في جبيل مثلاً ديانة تختلف عن ديانتهم راحوا ينشرون عبادتهم الخاصة ، وقد استخرجت في حفريات جبيل أنصاب وتماثيل عدة لآلهة إغريق .ولكن رغم ذلك حافظ الفينيقيون على هيئة آلهتهم القديمة .

وبالتالي حافظ الإغريق على معتقداتهم القديمة بجانب الجديدة ، وقد حدث مواءمة بين بعض العناصر القديمة والجديدة .وعندما بسط الإغريق سيطرتهم على الفينيقيين ورأوا فيها شيوع ديانة بعيدة عن ديانتهم اجتهدوا في نشر ديانتهم وعبادة آلهتهم بين سكان فينيقية ، والفينيقيون تقرباً إلى الدولة الباسطة عليهم رواق ملكها ومراعاة لأصحابها رضوا بأن يمزجوا نوعاً ما بين آلهتهم وآلهة الإغريق واعتبرها جميعها كالآلهة عينها .

من جهة أخرى استمر الفينيقيون على عاداتهم الدينية لم يغيروا في مناسكهم ، وعلى هذا المنوال نرى المعبد الواحد في فينيقية مكرماً من الإغريق والفينيقيين ،يزعم كل منهم أن فيه يكرم معبوده الخاص ، وكانوا إذا كتبوا على تلك المعابد أو التماثيل كتابة إغريقية لايصرحون باسم الإله بل يدعونه بالإله العظيم . وهكذا تم التمازج الديني بين الحضارتين .

أولاً : الديانة الفينيقية :

الحضارة والدين توأمان متلازمان ،فكان وراء كل مظهر حضاري فكرة دينية أوحت به أو حثت على تحقيقه ،فالأهرامات والقبور والتوابيت والمعابد والزقورات والكتابات المقدسة والتماثيل والنصب، وكثير من الصناعات الفنية والأثاث والأدوات الموسيقية، حتى الرقص والموسيقا تقدمت بسبب العقيدة الدينية التي سيطرت على الناس جميعهم، فملكت لبهم وتفكيرهم وغدت العقيدة الدينية مفسراً لجميع تصرفاتهم ، والحياة الدينية لدى الفينيقيين مؤسسة تقوم على أنظمة لاهوتية وميثولوجية وشعائرية ناضجة ومتبلورة ،وشديدة التكامل والترابط فيما بينها مهمتها تنظيم إيقاع سير الحياة الاجتماعية (روحياً) في تناسق مع المؤسسة الدنيوية، كما أن الشعائر تعمل على ترسيخ الصور التاريخية الذهنية في وعي ولا وعي كل فرد على حدة، داخل إطار المجتمع الكلي ،بحيث لا يتم سلوك الفرد ويتحقق على أرض الواقع إلا بحضور الروح الإلهية الداعمة .[1]والمصادر المباشرة لمعلوماتنا عن الديانة الفينيقية هي ما اكتشفه المنقبون من نقوش كثيرة وجدوها في فينيقية ، غير أنّ طبيعة هذه النقوش وما تتصف به من إيجاز تميل إلى جعل المعلومات قاصرة على أسماء الألوهيات فهي لاتنبئنا إلا النزر اليسير عن العبادات والحياة الدينية ولا تنبئنا شيئاً عن الميثولوجيا.

1- **صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني ق.م** ، ص 34

أحد هذه المصادر كان مصدراً مباشراً في الأصل هو عمل ***سانخونياتن*** * ، وينبئنا ***فيلون الجبيلي*** أن ***سانخونياتن*** قد عرض للعقائد الفينيقية المتعلقة بخلق العالم ، ويزعم فيلون أنه استشهد بكتابات الكاهن الفينيقي القديم بعد أن ترجمها إلى الإغريقية . لسوء الحظ لم يصل عمل فيلون مباشرة إلينا ، وكان عبارة عن فقرات استشهد بها مختلف المؤرخين.[1] أما الصعوبة الأخرى في تقويم الديانة الفينيقية فتتمثل في أننا لانستطيع أن نفرق على الدوام بين العناصر الفينيقية الحقة والاستعارات الوافدة من عبادات أخرى ،فالتأثير المصري طويل الأمد على مدن الساحل الفينيقي – بل السيطرة المصرية في بعض الفترات – ترتب عليهما قدر كبير من التماس مع الديانه المصرية .فالاعتقاد الشعبي كان يقارن بين الآلهة الفينيقية والتماثيل الدينية الفينيقية الصغيرة وبين مقابلاتها المصرية . وعلى سبيل المثال فإن الربة بعلات جبيل كانت تطابق مع إيزيس /حاتور .كما عملت العمارة الدينية الفينيقية على استعارة الكثير من مصر .وأيضاً كان هناك بالمثل قدر كبير من الاستعارة من بلاد الرافدين ولاشك أن الديانة الفينيقية قد اشتملت أيضاً على بعض العناصر الإيجية من العهود المسينية. و لم يطل حتى بدأت التأثيرات الإغريقية الكلاسيكية بالسيطرة في النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد . فمنذ ذلك الوقت فصاعداً غدت الأدوات المخصصة للعبادة والتماثيل والعمارة ، بل حتى التوابيت إغريقية الروح في جوهرها ، بل من صنع فنانين إغريق في كثير من الأحيان ، وهذا ما يصح على قرطاج أيضاً منذ القرن الرابع فصاعداً ، الأمر الذي يمثل دليلاً على سعة انتشار التأثير الإغريقي وما كان من استحالة أن تصمد أمام هجومه الضاري أي أمة من الأمم .[2]

وهكذا يمكن أن نتبين في الديانة الفينيقية لا العناصر الفينيقية وحدها ، بل أيضاً كثيراً من الاستعارات المستمدة من عبادات مجاورة . إلا أن هذه الديانة ظلت فينيقية الروح في جوهرها ، ولأن الفينيقيين كانوا قد جلبوا آلهتهم معهم عبر البحار ، فإن الآلهة ذاتها كانت تعبد – ولو تبدلت الأسماء في بعض الأحيان–

* سانخونياتن: كاهناً فينيقياً عاش في مدينة بيروت ربما في القرن السابع قبل الميلاد ، قام بنسخ الكتابات الموجودة داخل المعابد ودونها باللغة الفينيقية ، والقسم الأعظم من كتاباته الدينية تتضمن نظرية الخلق ونشوء الكون ، والآلهة الخالقة ، ونشوء المعادن ، وحكم كرونوس وأجيال الآلهة ،وعن التضحية بالأطفال .للمزيد انظر :**د.أدزارد. ،م.بوب،ف.رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير** ،ج1 ، ترجمة محمد وحيد خياطة ، حلب 2004م ، ص 216

1–**سباتينو موسكاتي** :**الحضارة الفينيقية**، ص 65– 67 انظر أيضاً :**وديع بشور** : **الميثولوجيا السورية** ،أساطير آرام ، ص 113

2- ***Donald Harden, The Phoenicians****, London, 1962, P 84*

وانظر أيضاً: ***Garbini, Giovanni ; I Fenici Storia E Religione****,Series Minor 11,Napoli,1980 p 157*

والممارسات الدينية ذاتها كانت تمارس في المستوطنات الفينيقية على النحو الذي كانت تجري عليه في أرض الوطن الفينيقي .[1]

وبقيت الآلهة الفينيقية سائدة ومتأصلة في نفوس السكان حتى في العصر الهللينستي، حيث دمجت الآلهة الإغريقية مع الآلهة الفينيقية إلا أنها حافظت على أصالتها وخصوصيتها التي تميزها .

وعند الحديث عن الحياة الدينية الفينيقية كثيراً ما تتم الاستعانة بما قدمته أوجاريت من أدبيات ونصوص للتعرف على تفاصيل الحياة الدينية والمعتقدات الفينيقية ، فالسكان هم أنفسهم والعادات والتقاليد والثقافة هي نفسها ، إلا ما تخللها من دخول عناصر جديدة جاءت بعد نضوج الفكر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، وكذلك حركة الكشوف والتوسع الحضاري الناجم عن النشاط الكبير والمميز لسكان فينيقية .

كان جوهر العبادات بالنسبة للفينيقيين هو ما يعكس اهتماماتهم الزراعية ، إذ كانوا يتوسلون إلى الآلهة كي تمدهم بالخير والماء والصوف والكتان والزيت والخمر والحليب والعسل، فكان لابد من وجود أعياد عندهم تتفق مع تغيرات الفصول والحياة الزراعية ، كمواسم الزرع والربيع والحصاد وقطف الثمار .[2]

وحسب **فيلون الجبيلي** ونقلاً عن سانخونياتن ، فإن الفينيقيين عدّوا آلهة كبرى أولئك الذين اكتشفوا أشياء مفيدة للحياة الذين أفادوا شعوبهم بطريقة ما ، اعتبروهم مصدراً للخير والبركة ، فعبدوهم كآلهة وبنوا لهم المعابد وأقاموا لهم نصباً ومسلات بأسمائهم .

ومن بين قوى الطبيعة عدّوا آلهة فقط الشمس والقمر والكواكب الأخرى والعناصر والأشياء المرتبطة بها. وهكذا أصبح لديهم بهذه الطريقة بعض الآلهة البشرية وبعض الآلهة غير البشرية .[3] ثم حل تدريجياً محل الآلهة الكثيرة ثالوث أعظم ، ويتألف من إله يحرس المدينة ،(إيل) الإله الأكبر ، ومن آلهة ترمز إلى الأرض الخصبة ، وهي غالباً ما تكون زوجة للإله الحارس أو رفيقة له (بعلة)التي هي عشتارت ،بالإضافة إلى إله فتي يمت بصلة إلى الآلهة "في العادة ابنها " ويعبر انبعاثه عن دورة النبات السنوية ،وهو مبدأ الحياة والعمل .وكانت له تسميات عدة ،إذ دعي ملقارت في صور ، وأشمون في صيدا ، وأدونيس في جبيل . بناء على هذا يبدو لنا أن التفسير الإغريقي المعقد للديانة الفينيقية تفسير صحيح في الأساس ، فالإله الرئيسي أو الإله الأقدم ، يتوحد مع كرونوس أو حتى مع زيوس ، والآلهة تتطابق مع أفروديت.

1- **دونالد هاردن** :**الديانة الفينيقية** ،ترجمة ثائر ديب ،موسوعة تاريخ الأديان ، ج2، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 2004م ، ص111- 112

2– **محمود حمود** : **الديانة السورية القديمة** ،ص 118

3- **فيلون الجبيلي** : **ترجمة عيد مرعي** : ، ص 28

والإله الفتي الذي لا يعود اسمه أدونيس يظهر بوصفه أسكليبيوس أو ديونيسيوس أو هرقل.[1] ومن جهة أخرى تخيلوا الآلهة كالبشر فجعلوا لهم زوجة وأولاداً وخدماً وخادمات ،وجعلوا الصلة مستديمة بين الآلهة والإنسان ،كما جعلوا لكل إنسان إلهه وآلهته الحامية بشكل الملاك المرافق، واعتبروا أن الآلهة هم رجال متفوقون وأن الآلهات هنّ نساء متفوقات.[2]

كانت سلطة الإله رهيبة مهيبة، وهو يرى ويسمع ويُعين ،يهب الحياة ويقرر مصير أبناء البشر، وتدل النقوش الفينيقية على سلطة الآلهة ، ومنها **نقش يحيملك** الذي يعود للقرن العاشر قبل الميلاد حيث نقشت سبعة سطور مع فواصل بين الكلمات على حجر كلسي أطواله 35×70×45سم ، اكتشف النقش في أرض القلعة الصليبية في جبيل عام 1929م ،وهو محفوظ الآن في متحف بيروت الوطني .

ترجمة النص: ***(هذا البيت (المعبد) بناه يحيملك ملك جبيل .هو رمم كل أنقاض هذه البيوت . ليطيل إله السماء (بعل شميم) وإلهة جبيل (بعلة جبيل) ومجمع آلهة جبيل المقدس أيام يحيملك وسنواته على جبيل ، لأنه ملك صادق وملك مستقيم أمام آلهة جبيل المقدّسين (هو))***[3] من خلال قراءة النص نستنتج : تقديس الإله وتبجيله ،وأن الملك كان يتقرب من الآلهة ببناء المعابد لها، وذلك ليكسب رضاها وبالتالي تعمل على إطالة عمره ،وتمديد فترة حكمه على جبيل ،وأن من صفات الملك أن يكون صادقاً وأن يكون مستقيماً ، وهذا الصدق وهذه الاستقامة يجب أن يكونوا أمام الآلهة لتشهد على ذلك .

وأيضاً **نقش أبي بعل** الذي يعود لنحو 925قبل الميلاد ، وقد وجد على قاعدة تمثال شيشنق الأول (935-915ق.م) والقاعدة هذه من الغرانيت الرمادي اللون ،ويبلغ طولها 25سم أما عرضها فيبلغ 22سم .وجد هذا النقش في جبيل ،لكن مكان وجوده غير معروف بالضبط .

و يمكن ترجمة هذا النص بطريقتين هما :

(هذه الصورة (اللوحة النذرية) حضّرها أبي بعل ملك جبيل ، ابن يحيملك ملك جبيل في مصر لإلهته بعلة جبيل ،لتطيل بعلة جبيل أيام أبي بعل وسنيه على جبيل).

1- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ،ص 76

2- **إسماعيل حقي بك ومجموعة من الأدباء : لبنان مباحث علمية واجتماعية** ،مج 1 ،ج 1 ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ط3 ،1993م ،ص 128

3- أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، ص 61

أما الترجمة الثانية للنص فهي :(***هذه الصورة جلبها أبي بعل ملك جبيل ،ابن يحيملك ملك جبيل من مصر لإلهته بعلة جبيل لتطيل بعلة جبيل أيام أبي بعل وسنيه على جبيل).*** [1]

ونستنتج من هذا النص تقرب الملوك من الآلهة عن طريق تقديم الهدايا لها ، لكسب رضاها والحصول على موافقتها ، حيث فيها إطالة حياة الملك وتمديد فترة حكمه على جبيل .

و قُدمت للإله الذبائح البشرية ثم الحيوانية نيلاً لعطفه، لأنه حسب اعتقاد الفينيقيين يتغذى من الدماء تقدم له الضحايا بنسبة المعونة المطلوبة .يقول ***فيلون الجبيلي:(عند الأخطار الجسيمة كالغزو والزلازل يُضحى للإله بأعز الأبناء أما في الظروف العادية فيكتفى بحيوان)*** [2] وعادة التضحية البشرية اختفت منذ الألف الأولى قبل الميلاد [3] وقد أثار موضوع الأضاحي البشرية جدلاً واسعاً بين المؤرخين ، ورغم أن النقوش الكتابية الأصلية حول التضحية بالأطفال ليست واضحة في شرق البحر المتوسط ، إلا أن كتابات المرحلة الكلاسيكية واللقى الأثرية تشير إلى أضاحي الأطفال في المستوطنات الفينيقية في غرب البحر المتوسط، وخاصة من قرطاج حيث عثر على عشرين ألفاً من الجرار الجنائزية ، فيها بقايا هياكل عظمية إنسانية وحيوانية. وفي المقابر العادية رفات أولاد مدفونين وبقايا آخرين محروقين. قد يكون موضوع التضحية بالأطفال حقيقة في قرطاج ، حسب البراهين الأثرية المقدمة ، وحسب الانتقادات التي وجهت لهذه العادة في الكتب التاريخية ، ولكن لا يمكن البرهنة على أن هذه العادة كانت تمارس بصورة نظامية في فينيقية الأم ، وهو ما لم تثبته التنقيبات الأثرية في المدن الفينيقية ، ويبقى الموضوع من ضمن القضايا المعلق الجواب عليها ، بانتظار المزيد من أعمال التنقيب .[4] وأيضاً تبقى المعلومات المتعلقة بالحياة الدينية عند الفينيقيين محدودة قياساً إلى الدور الكبير الذي لعبه الدين في حياتهم ، وسبب محدوديتها أنها رهينة كمية ونوعية النصوص الدينية ، وما تجود به على الآثاريين ، لكن رغم ذلك انتشر الدين الفينيقي إلى غرب البحر المتوسط ،فقد انتشر الفينيقيون في غرب البحر المتوسط حاملين معهم معتقداتهم وآلهتهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية ، وقاموا بتأسيس مستوطنات لهم ، ولم تكن هذه المستوطنات منغلقة على نفسها تخص الفينيقيين وحدهم بل كانت مفتوحة، ضمت العديد من الجاليات الأجنبية ومنهم الجالية الإغريقية التي ساهمت في بنائها وأدوا دوراً في ازدهارها ، وتركوا بصماتهم على فنونها وصناعاتها .

1- **نفس المرجع السابق**، ص 64

2- **عيد مرعي : فيلون الجبيلي** ، ص 40

3-Maria Aubet; the Phoenicians and the west*,p126*

4– محمود حمود : الديانة السورية القديمة ،ص 361- 362

ثانياً : الديانة الإغريقية :

من المهم أن نعرّف بديانة الإغريق من أجل إعطاء ولو صورة موجزة عنها للوقوف على خصائصها ،من أجل معرفة صلتها بديانة الفينيقيين عندما حدث الاتصال بين الحضارتين، ومدى وأشكال التفاعل بينهما في المجال الديني . ومن هذا المنطلق ينبغي علينا أن نبين الأسس والمبادئ التي قام عليها المجتمع الإغريقي في العصور الأولى لنشأته ، وعن تصوراته عن الحياة و الموت وعن الحياة الأخرى ، وعن الجوهر الإلهي ، فإننا نلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذه الآراء أو التصورات الدينية ، وبين القواعد القديمة للمجتمع الإغريقي وقانونه الخاص الذي ينظم حياته وعاداته ، بين الشعائر المشتقة من هذه العقائد ، وبين الأنظمة السياسية القائمة .

ومن خلال المقارنة بين هذه العقائد الدينية القديمة ، وبين القوانين والأنظمة السياسية السائدة في تلك الفترة ، نرى أن الديانة كانت القاعدة والركيزة الأساسية لأي تنظيم اجتماعي وسياسي ، فالديانة هي التي كونت الأسرة ، وأقامت الزواج ، وأباحت السلطة الأبوية ، وحددت درجات القرابة ، وقدست حق الملكية وحق الإرث ، وأن هذه الديانة هي نفسها التي وسّعت الأسرة وكوّنت جماعة أكبر منها هي المدينة التي وقعت تحت سيطرة الديانة أيضاً.[1] ويمكن القول : أن الديانة تدخلت في كل فروع الحياة الاجتماعية والسياسية الخاصة والعامة ، من أعلى سلطة سياسية كالملك ، والجمعية العامة ، ومجلس الشيوخ ، والجيش ، حتى الفروع الصغرى في الأسرة الاجتماعية الصغيرة كالزواج ، والطلاق ، والتبني ، والتحرير ، وحق الملكية والإرث ، وفي الأخلاق العامة للأسرة . ومصادر معرفتنا بالديانة الإغريقية مختلفة ومتوافرة في أكثر نواحيها ، تشمل البقايا والمخلفات الأثرية خاصة بالنسبة للمرحلة الأقدم ، إلى جانب الأساطير والمؤلفات الأدبية والتاريخية ، وفي مقدمتها الإلياذة والأوديسة لهوميروس ، وغيرها من الأعمال الكثيرة للعديد من الكتاب والشعراء الإغريق .

لذا يجدر بنا أن ندرس عقائد هذا المجتمع من خلال هذه المصادر ،وأقدم هذه العقائد هي التي تهمنا معرفتها أكثر من سواها ، لأن الأنظمة السياسية والعقائد الدينية التي نجدها في الحقبات الزاهرة من تاريخ الإغريق ، ماهي إلا تطور للعقائد والأنظمة السالفة ، ونتيجة هذه التطورات التي حدثت مع مر الزمن يتبين لنا أن هناك ديانتين أساسيتين في المجتمع الإغريقي.

الأولى **ديانة الأسرار أو الأسلاف** والثانية **آلهة الطبيعة المادية** . وقد كانت هاتان الديانتان مستمرتين ، لكن لم تحارب إحداهما الأخرى ، بل عاشتا في شيء من حسن التفاهم وتقاسمتا السيطرة على الإنسان ، لكنهما لم تختلط إحداهما بالأخرى، ولم يكن هناك شيء ما قط مشتركاً بينهما .

1– **لطفي عبد الوهاب يحيى : اليونان ، ص 46– 47**

أما أي من هاتين الديانتين كانت الأولى في التاريخ ، فهو شيء لا نستطيع أن نقوله ، بل لم نستطع أن نجزم أن إحداهما كانت سابقة على الأخرى ، إنما المؤكد أن إحداهما وهي ديانة الأسرار وبعد أن ثبتت في عصر بعيد جداً ، بقيت راسخة على الدوام في شعائرها ، بينما كانت قواعد مذهبها تزول شيئاً فشيئاً ، أما الثانية وهي ديانة الطبيعة المادية ، فقد كانت أكثر ميلاً للتقدم وتطورت تدريجياً ،وأخذت مذاهبها تقوى في سيطرتها على الإنسان .[1]

وعلينا أن ندرس أولاً ديانة الأسرار أو الأسلاف ، وثانياً ديانة الطبيعة المادية.

1– ديانة الأسرار أو الأسلاف:

هي ديانة فردية أسرية وسرية فهي تتسع لكل فرد من أفراد الأسرة فقط سواء كان حراً أو عبداً ، ورمزها الأساسي الموقد ،وهي التي كونت الأسرة الأولى ، وكانت تبشر بتعاليم البعث والميلاد والخلود

ومن سماتها أيضاً أنها كانت عقيدة الروح والموت ، حيث كان هناك مجموعة من الأفكار والعادات ترجع إلى عصر سحيق ومازالت حتى فترة متأخرة من تاريخ الإغريق ، ومن هذه الأفكار نستطيع أن نعلم ماهي الآراء التي كونها الإنسان في البدء عن طبيعة ذاته وعن روحه : عن سر الموت .وحيث كان الموتى في اعتقادهم كائنات مقدسة ، فكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء ، وكانوا يكنون لهم كل التبجيل الذي يستطيع الإنسان أن يكنه للمعبود الذي يحبه ويخشاه ... فكان كل ميت في فكرهم إلهاً.[2] وسيتم بحث عقيدة الروح والموت لاحقاً .

وبما أن ديانة الأسرار كانت منزلية فكان كل بيت إغريقي يحوي مذبحاً يوجد فيه قليل من الرماد وفحم متقد . وكان لزاماً مقدساً على رب كل منزل أن يعنى بالنار بشكل دائم وتغذيتها ببعض الغصون وأنواع خاصة من الأشجار ، ويجب ألا تنقطع النار عن التوهج على المذبح ، إلا عندما تفنى الأسرة بأكملها ، وكانت عبارتا (***نار خابية***) و(***أسرة فانية***) مصطلحين مترادفين عند الأقدمين .[3] وتفرض الديانة أن تبقى هذه النار طاهرة على الدوام .[4]

1– خليل سارة : تاريخ الإغريق ، ص 257

2– **أيسخيلوس: حاملات القرابين** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الهيئة العامة للكتاب ،الاسكندرية ،ط1، 1996م ص 290

3– **أيسخيلوس :اجاممنون** : ترجمة لويس عوض ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،بدون تاريخ ،ص 43وانظر أيضاً **يوروبيدس :هيراكليس** ، ترجمة أحمد عتمان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2001،ص503، 599

4- **يوروبيدس :هيراكليس** 715

أي أنه يجب ألا يلقى في النار بأي شيء قذر، وألا يرتكب أي إثم في حضرتها . والنار حسب عقائد الإغريق إلهاً قوياً ، يحمي المنزل والأسرة ، وعندما كانوا يواجهون أي خطر كانوا يبحثون عن ملاذ بالقرب منه ، ولما اقتحم العدو قصر برياموس ملك طروادة ، جذبت (**هيكابي**) زوجته الملك الشيخ إلى جوار الموقد وقالت له : ***(إن أسلحتك لن تستطيع الدفاع عنك ، ولكن هذا الموقد يحمينا جميعاً)*** [1] ولم ينظر للنار على أنها أحد عناصر الطبيعة المادية الذي يدفئ أو يُحرق ، ويحول الأجسام ، ويصهر المعادن ، بل على العكس من ذلك كانوا ينظرون إليها على أنها طاهرة لايمكن إحداثها إلا بمعونة شعائر دينية مقدسة ، ولايمكن تغذيتها إلا بأنواع معينة من الخشب وكانوا يطلبون منها الثراء والصحة وطهارة القلب والاعتدال في الشهوات والحكمة.[2]

وكانت النار رمزاً للأنباء السعيدة يقول ***أيسخيلوس*** :(***هأنذا أراقب إشارة المشعل ، علامة النار التي ستأتي بالكلمة من طروادة هاتفة "لقد سقطت طروادة)***[3] هذه الديانة كانت سرية غير علنية وجميع الاحتفالات تجري في وسط الأسرة دون سواها ،ولم يكن الموقد يوضع خارج المنزل ، ولا على مقربة من الباب الخارجي ، لكي لا يستطيع الغريب أن يشاهده تماماً فالسرية كانت لازمة لكل شعائر هذه الديانة ، ونظرة الغريب إلى إحدى حفلاتها الدينية تفسد هذه الحفلات وتضطرب وتتلوث بمجرد هذه النظرة وحدها . [4]

إذاً يمكن القول أنه لكل أسرة استقلالها ، ورب الأسرة هو الكاهن الأعلى ،ولكل أسرة احتفالاتها وأعيادها الخاصة بها ،والمنزل كان هو المعبد ، فلكل واحد منه آلهته ، ولم يكن كل إله يحمي غير أسرة واحدة ، ولم يكن إلهاً إلا في منزل واحد، وكل أسرة صنعت آلهتها لنفسها .

ومن جهة أخرى كما كان لكل أسرة عبادتها وموقدها الخاص ، كان لكل مدينة عبادتها ومذبحها الخاص أيضاً ، والذي يعد مشتركاً عاماً بين كل القبائل التي تجمعت لتكوين المدينة وتوقد ناراً مقدسة ، وتتخذ ديانة مشتركة ، ومذبح المدينة يقع ضمن سور مبنى يسميه الإغريق **بريتانيون Prytanee**[5] وهذه العبادة لها سريتها أيضاً كسرية العبادة المنزلية ، إذ لايحق لأحد أن يشهد القرابين إلا من بين مواطني المدينة نفسها ، ومجرد نظرة إليها من أجنبي غريب كانت تدّنس العمل الديني.

1- **فرجيليوس** : **الأنياذة** ،2ترجمة عنبرة سلام الخالدي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1978م ص 27

2- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ،ص 265

3- **أيسخيلوس** : **أجاممنون** ، ص 37

4- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ، ص 365

5-كان بيت النار(بريتانيون) هو قبل كل شيء المبنى الذي يحوي الموقد ، إذ أن لكل مدينة موقدها الخاص انظر : **توكوديدس** الكتاب الثاني،ص 15**وهيرودوت** الكتاب الخامس ،ص 67

وكانت آلهة المدينة عادة من نفس طبيعة آلهة الديانة المنزلية ، وما هي إلا أرواح بشرية ألهها الموت ، ويقول وحي وجه إلى صولون (**مجّد بالعبادة رؤساء البلاد ، الموتى الذين يسكنون تحت الثرى**)[1] وكان يصبح إلهاً للمدينة كل رجل أدى لها خدمة جليلة ، من مؤسسها إلى من أحرز لها نصراً ، أو أدخل تحسيناً على قوانينها ، ولم يكن من الضروري أن يكون رجلاً عظيماً ، وإنما يكفي أن يؤثر على عقلية معاصريه تأثيراً قوياً ، وأن يجعل نفسه موضوعاً لإثارة شعبية لكي يصبح بطلاً أي ميتاً قوياً ترجى حمايته ويُخشى غضبه. وكان الموتى حماة للبلاد على شرط أن تقدم لهم العبادة ، وكان هؤلاء الآلهة الموتى يجهدون أنفسهم من أجل حماية مدينتهم ، وكان الانتصار على أية مدينة أخرى لابد من إخراج الآلهة منها أو استمالتهم إلى جانب المدينة الأخرى برشوتهم بالهبات والعطايا .وكما نقرأ في بلوتارخوس (**أن صولون أراد أن تكون أثينة سيدة جزيرة سلاميس الصغيرة التي كانت عندئذ تتبع ميجارة ، فاستشار الوحي فأجابه "إذا أردت الاستيلاء على الجزيرة فإنه لابد أن تحصل أولاً على عطف الأبطال الموتى الذين يحمونها والذين يسكنون فيها " فأطاع صولون ، وباسم أثينة قدّم القرابين لأبطال سلاميس الرئيسيين ، ولم يقاوم الأبطال الهبات المهداة لهم ، وانتقلوا إلى جانب أثينة، ولما حُرمت سلاميس من حماية أبطالها استولوا عليها**)[2]

من جهة أخرى كان الخوف من الآلهة يسيطر على كل إغريقي ، فإن هذه الشعوب التي كونتها الديانة في بادئ أمرها ، حافظت فترة طويلة على تربيتها الأولى ، فالإسبارطي مثلاً كان يتردد بقيام أي غزوة قبل أن يبلغ البدر تمامه [3] . ولاينفك يضحي بالأضاحي ليعرف ما إذا كان قد حان وقت القتال . فمثلاً في معركة بلاتاية (Platees) عام 479ق .م .يقول **هيرودوت**:(**اصطف الإسبارطيون وكل منهم في موضعه للقتال .على رأس كل منهم تاج، ويُسمعهم النافخون في المزمار الأناشيد الدينية ، والملك يذبح الأضاحي خلف الصفوف بقليل ، لكن الأحشاء لم تعط العلامات الموافقة ، فلا بد من إعادة القربان، فضحى بضحيتين ثم بثلاث وأربع على التوالي . وفي خلال ذلك اقتربت فرسان الفرس ورمت بسهامها وقتلت عدداً كبيراً من الإسبارطيين وبقي الإسبارطيون بلا حراك ، والتروس موضوعة عند أقدامهم. حتى دون وقاية أنفسهم من ضربات العدو ، إنهم ينتظرون إشارة الآلهة . وفي النهاية أظهرت الضحايا علامات الموافقة وعندئذ رفع الإسبارطيون تروسهم وحملوا سيوفهم وقاتلوا وكانوا من المنتصرين**)[4]

1- **بلوتارخوس : صولون** 10

2-المصدر نفسه ، **صولون** 9

3-**هيرودوت : الكتاب السادس ، ص 460**

4- المصدر نفسه :الكتاب التاسع ، ص 672- 673

وتجمع المصادر على اهتمام الأثينيين في الشؤون الدينية فيقول **كسنوفون** :(**أن للأثينيين من الأعياد الدينية أكثر مما لأي شعب إغريقي آخر**)[1]

ويقول **أرسطوفانس** :(**ما أكثر الأضاحي المقدمة للآلهة ، وما أكثر المعابد وما أكثر الأصنام ، وما أكثر المواكب المقدسة ،ففي كل لحظة من السنة ترى ولائم دينية وأضاحي متوّجة**)[2]

وكان للديانة من السيطرة في الحرب بقدر ماكان لها في السلم على الأقل ، فالجيش أثناء المعركة يمثل صورة للمدينة وديانتها تلاحقه ، وكان الإغريق يحملون معهم تماثيل معبوداتهم وكان كل جيش إغريقي يحمل معه موقداً ويغذي ناره المقدسة ليل نهار .[3] وكانوا يقدمون قرباناً بعد كل انتصار ، وذلك هو موكب النصر (Triumphus) وهذه العادة هي نتيجة الرأي الذي كان ينسب النصر لآلهة المدينة ، فقبل المعركة يوجه لهم الجيش دعاء شبيهاً بذلك الذي نقرؤه في **أيسخيلوس** :

(أعدكم أيها الآلهة الذين تسكنون أرضنا وتملكونها

أعدكم إذا سعد سلاحنا ونجت بلدتنا

أن أروي مذابحكم بدم الشاة

وأضحي لكم بالثيران

وأعرض في معابدكم المقدسة الغنائم التي كسبتها رماحنا)[4]

وبمقتضى هذا الوعد كان على المنتصر أن يقدم قرباناً ، ويتوجه إلى المعبد في موكب طويل وهو يغني نشيداً مقدساً .[5]وهكذا كانت الديانة تتدخل في جميع الأعمال في زمني السلم والحرب ، كانت حاضرة على الدوام ، محيطة بالإنسان فكل شيء تحت سيطرة الديانة .

1– كسنوفون، الهللينيكا 2،3

2– Aristophanes, Clouds, vol 1, with the English, translation of Benjamin Bickley Rogers , London. 1924, p 320–324

3– هيرودوت :التاريخ ، 9 ، 19

4 – أيسخيلوس : السبعة ضد طيبة 252– 260، **يوروبيدس ، الفينيقيات** 573

5–Dioderus Siculus, V/4

وحتى القانون عند الإغريق في بادئ الأمر جزءاً من الديانة ، وكان يشكل مجموعة من الشعائر (Rituels) والفرائض الدينية والأدعية والنصوص الشرعية في آن واحد، **فالمشرع الحقيقي عند القدماء لم يكن الإنسان ، بل العقيدة الدينية التي كان يحملها الإنسان في ذاته .ولم يروا في القوانين عملاً بشرياً ، فقد كان لها أصل مقدس** . وبما أن القانون كان جزءاً من الديانة ، فقد كان يتصف بالسرية ، وكان الأجنبي والعبد مقصيين عن القانون ، لأن عرف الديانة ينص على أنه لا قانون لمن ليس له عبادة منزلية أو قومية ، والقانون كان مقتصراً على مواطني المدينة نفسها .[1]مما هو جدير بالملاحظة ، أن مثل هذه المعتقدات المتزمتة لم تكن ذات مفعول مؤثر إلا في العصور القديمة لنشأة المدن الإغريقية ، لكن هذه المعتقدات بدأت تضعف بمضي الزمن وتقريباً منذ بداية القرن السابع ق .م بفعل التحولات الاجتماعية والانقلابات الجذرية في المجتمع الإغريقي ، ونتيجة اتباع تحولات الإدراك العقلي والفكري بعيداً عن الديانة وعقائدها القديمة .

2– آلهة الطبيعة المادية :

هي ديانة جماعية علنية وتوصف بأنها ديانة مجمع أوليمبوس ،وشخصياتها الرئيسية **زيوس وهيرا وأثينايا** ، وهي لم تقبل إلا أعضاء المجتمع ،وهي متخصصة بتكريم أعضاء المجتمع الخالدين الذين لاتدركهم الأبصار ،وربما كانت العناصر الأولى لهذه الديانة تضاهي عبادة الأسلاف في القدم ، لكن بما أنها كانت تقابل أفكاراً أعم وأسمى من سابقتها ، فقد كان لابد لها من وقت أطول لكي تثبت في صورة مذهب واضح .فقد كانت ديانة الأسرار تتخذ آلهتها من (**النفس البشرية**) والثانية تتخذ آلهتها من (**الطبيعة المادية**) أي كان هناك مسلك آخر للشعور الديني عند الإغريق ، وقد تكون هذا المسلك نتيجة شعور الإغريق ، بأن الإنسان منذ العصور الأولى كان في مواجهة أهوال ومكائد الطبيعة بلا انقطاع ، فقد كان يشعر في كل لحظة بالضعف أمام الطبيعة وقوتها التي لانظير لها .

وهكذا فإن الإنسان عند الإغريق لم يدرك أن هناك إلهاً واحداً هو الذي يدير الكون ، فقد تصوّر الإنسان العالم الخارجي على شكل جمهورية مشوشة تتحارب فيها قوات متنافسة ، فلذلك رأى في كل جزء من الخليقة في الأرض ، وفي الشجرة ، وفي السحابة ،وفي الشمس والقمر أشخاصاً يشبهون شخصيته ، فنسب إليهم الفكر والإرادة واختيار الأفعال ، ولما كان يشعر بأنهم أقوياء وأنه خاضع لسيطرتهم فقد اعترف بتبعيته لهم وتضرع إليهم وعبدهم وجعل منهم آلهة .

1– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 268-269

واتخذ مكانهم في جبل **الأوليمبوس** * وتصورهم في صورة البشر ورسمهم في صورة الإنسان شكلاً وقواماً: فكانوا يأكلون ويشربون وإن اقتصر طعامهم على الأمبروسيا Ambrosia وشرابهم على النكتار Nectar وهما طعام وشراب مقصوران على الآلهة .وكانوا يتزوجون وينجبون ويفرحون ويحزنون ، ولكنهم كانوا يختلفون عنهم في أنهم خالدون وأنهم ذوو قوى خارقة وجمال فائق .[1]

ولعل الشعب الإغريقي كان يتميز عن غيره من الشعوب بشعرائه وفنانيه الذين أضفوا على معتقداته صبغة شعرية وفنية ، وهنا سنعمل على وصف المؤسسة الإلهية الإغريقية اعتماداً على انتظامها في شجرة واحدة وفي عدة طبقات متسلسلة :

آ– الآلهة ماقبل الأولمبية :

وهي الأجيال القديمة من الآلهة الإغريقية التي تنحدر من آلهة الهيولي والكون وعناصره الأربعة ثم ظهور كرونوس (**إله الزمان**) وريّا وتشمل هذه الآلهة الجبابرة (**التيتان**) ** من الذكور والإناث والصقالبة ذات العين الواحدة*** والعمالقة**** وغيرهم[2]

---

* جبل أوليمبوس : أعلى جبل في بلاد الإغريق ، ويكلل الثلج ذراه أغلب فصول السنة،وكان يعتبر مقدساً في المثولوجيا الإغريقية ،فهو من وجهة نظر الإغريق يعد معقلاً لآلهتهم. انظر https//zanubya.wordpress.com

1- **خليل سارة : تاريخ الإغريق**،ص 276- 277 انظر أيضاً:**سيرغي توكاريف :الأديان في تاريخ شعوب العالم** ، ترجمة أحمد محمد فاضل ، الأهالي للطباعة ، دمشق ، ط1 ، 1998م ، ص 434- 436

** الآلهة الجبابرة (التيتان) Titanes: آلهة الهواء المنتصرين ، هم الذين سادوا الكون ،وعددهم ستة بنين وست بنات ، وكانوا يتصفون بالوحشية ومتمردين لايرضخون لقانون ، وكان أصغرهم هو كرونوس وأخته ريا ، وهما والدا زيوس .انظر : **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ،دار الشروق ، عمان، ط 1 ، 2004م ، ص 323 انظر أيضاً : **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني** ، ص 201

***الكيكلوبيس Cyclopes :وهم مخلوقات كان لكل منهم عين واحدة مستديرة في وسط جبهته ، وعددهم ثلاثة ، وكانوا وفقاً لهوميروس وحوشاً يعيشون في المراعي النائية ، ولكنهم وفقاً لهسيود صناعاً مهرة في صناعة الصواعق وأسماؤهم على التوالي : الراعد والبارق والمضيء ، وكثيراً ما كانوا يشتركون في بناء تحصينات المدن . انظر : **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني** ، ج1،ص 201

**** العمالقة Gigantes: وهم مخلوقات متوحشة يصطرعون مع زيوس وآلهة الأوليمبوس صراعاً دامياً ويطيحون بالصخور وجذوع الأشجار ، ويلقون حتفهم ويدفنون تحت رماد البراكين المنتشرة في بلاد الإغريق وإيطاليا . انظر المرجع السابق نفسه : ص 202

2- **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 95

ب– الآلهة الأولمبية:

تصور خيال الإغريق أن الآلهة الكبرى وعددها اثني عشر رباً وربة من الناحية الرسمية ، وأربع عشرة من الناحية العرفية ،"وذلك بعد تسلل الربة ديميتر وابنتها كوري أو بيرسفوني إلى مجمع الآلهة "وأنها تعيش فوق جبل أوليمبوس في منطقة تساليا ، والذي كانت تحرسه ربات الفصول Harai* وفوق هذا الجبل يقع قصر كبير الآلهة **زيوس Zeus** ، فهو إله السماء ورب الجو وجامع السحب وملك الطيور . وهناك عدد آخر من الآلهة وهي أخوته مثل : **هيرا Hera** وتعني السيدة ،ربة الزواج وراعية النساء وكل مايتصل بحياتهن الجنسية كالحمل والولادة والرضاعة ،**هاديس Hades** إله العالم السفلي المظلم حيث كانت تذهب أرواح الموتى وفقاً لتصور الإغريق **ديميتر Demeter** ربة ثمار الأرض ولاسيما ربة القمح دون المحاصيل الزراعية الأخرى **بوسيدون Poseidon** إله البحر ومحرك الزلازل وإله الجبل ورب الخيول وإله الماء العذب . **هستيا Hestia–** ربة الموقد ورمز الحياة العائلية ،ومايسودها من تضامن وسلام وهناء . أما أبناء زيوس فهم : **هيفايستوس Hephaestus** إله النار ولاسيما نار الحدادة وإلهاً للحدادة ،**أبوللون Apollon**،إله الشفاء وإله التطهير وإله النبوءة والمفسر القومي للقوانين، **أثينة Athene** كانت ربة من ربات الجبال،وتوصف بأنها ربة الحرب ذات صفات عسكرية ووصفت أيضاً بالأم وراعية الحرف والصناعات وربة الحكمة . **آريس Ares** إله الحرب ، -**أفروديتي Aphrodite** إلهة الخصب والنبات والحب والجمال ، **أرتميس Artemis** سيدة البراري وراعية الصيادين وهي أيضاً راعية للمواليد من بني الإنسان **هرمس Hermes** يمثل روح أكوام الحجارة ، وإلهاً للطرق وارتبط أيضاً بالرعي وحراسة الماشية والأغنام ، ووصف بأنه إله مكار ومحتال وراعي اللصوص ، وأيضاً إلهاً للتجارة وللحظ ورسولاً للآلهة وحارس للممتلكات، أما **كوري (برسيفوني) Persephone** ابنة ديميتر وتوصف بالفتاة الصبية وترمز للحياة الشابة وللزهور المتفتحة والثمار النابتة .[1]

* ربات الفصول Harai : وهن يمثلن الفصول الأربعة ، ومايقترن بهذه الفصول من خيرات ، وقد نسبن إلى هيليوس (إله الشمس) وسيليني (ربة القمر) وهن 1- يونوميا Eunomia ربة نظام الحكم العادل أو الحكم الصالح 2-ديكي Dike وهي ربة الجزاء العادل أو الحق .3- أيريني Eirene ربة السلام وما يصحبه من رخاء .وترمز ربات الفصول هنا إلى أفكار أخلاقية وسياسية كالنظام والعدالة وماشابه ذلك . انظر **عبد اللطيف أحمد علي :التاريخ اليوناني** ، ج1، بيروت ، 1976 ص 119- 220

1- **سيد أحمد علي الناصري ،الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم** ، ص 15 انظر أيضاً : أ. أ.**نيهاردت : الآلهة والأبطال في اليونان القديمة** ، ترجمة ،هاشم حمادي ،الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط1 1994م ، ص 16

لقد وضع الشعراء القدامى وبشكل خاص ***(هوميروس وهسيودوس)*** الديانة الإغريقية على أسس راسخة ، فهم الذين اخترعوا كل هذا الهرم من الآلهة، ووضعوا لهم أنساباً فإليهم يعود الفضل في أنهم اختاروا من الكثرة الأولى ، آلهة كباراً يحملون أسماء عالمية الشهرة.[1] وتزخر الإلياذة بأخبار كثيرة عن آلهة أوليمبيوس وصفاتهم وعلاقات بعضهم بالبعض الآخر ،ويصور لنا هوميروس كيف كانت الآلهة تتنافس وتتحارب فيما بينها ، وأن الآلهة كانت تتحكم في تسيير أحداث حرب طروادة وانقسام الآلهة إلى فريقين وقف كل واحد منهما إلى جانب أحد الطرفين المتنازعين .[2]

أما فيما يخص قصيدة أنساب الآلهة فهي محاولة قيّمة هدف بها مؤلفها إلى ترتيب الآلهة الأقدمين في سلسلة مترابطة منسجمة . والواقع أن هسيودوس بهذه المحاولة جدير بأن يلقب بالمنظم الأول لأساطير الإغريق المشوقة ، وتتناول هذه المنظومة الآلهة ، فتوضح لنا تاريخ نسبهم ومصادر نشأتهم وتقلبات الدهر التي مرت بأسرهم ، فالآلهة مرتبة فيها ترتيباً زمنياً .

ولعل أبرز ما في هذه المنظومة من حوادث :**أولها** : نشأة الحياة باتحاد الفراغ والأرض وولادة السماء ، ثم إنجاب الأرض أوائل المخلوقات . **وثانيها** : تمرد هذه المخلوقات واعتلاء أصغرها وهو خرونوس عرش أبيه وإشرافه على الكون بأسره ، أما آخر فقرات منظومة هسيودوس فتحتوي قائمة بأسماء الآلهة الذين أنجبتهم زوجات وعشيقات زيوس المتعددات ، وكذلك أسماء أبناء أنجبتهم بعض الربات للمختارين من البشر .**وبشكل عام عرض الشاعر تاريخ الآلهة ، فتبين نشأتهم وأنسابهم وأصولهم، ووظائفهم وأعمالهم فهي من أقدم المصادر عن العقائد الدينية وتطورها عند الإغريق**[3] . وهكذا فإن ديانتهم كانت مزيجاً من العقائد البدائية التي تقدس قوى الطبيعة بمختلف أشكالها ، ونظراً لتصورهم أن الأمومة هي سر الطبيعة ، ومنبع الحياة سواء في النبات أو البشر، فقد حازت الإلهة الأنثى مكانة عالية .[4] لذلك فإنهم بدؤوا يمثلون القوى الإلهية في صورة إنسانية اتخذوا رمزاً لها (**الربة الأم الكبرى**) ، كما هو الحال في كريت وميكيناي ،ويلاحظ تشابه الحياة الدينية للحضارة المينوية في كريت مع الحضارة الميكينية .

1- **خزعل الماجدي** : **المعتقدات الإغريقية** ، ص 95- 96 انظر أيضاً **حسن صبحي بكري** :**الإغريق والرومان والشرق الإغريقي والروماني** ص 122- 124 وأيضاً : أ . أ **نيهاردت** : **الآلهة والأبطال في اليونان القديمة** ، ص 17

2- خليل سارة : **تاريخ الإغريق** ، ص 228

3- خليل سارة : **تاريخ الإغريق** ، ص 129

4- **هـ.ج. روز** : **الديانة اليونانية القديمة** ،ترجمة رمزي عبده جرجس ، دار النهضة القاهرة ، 1961م ، ص 61

حيث يلاحظ أن أدوات العبادة وشعائرها تكاد تكون واحدة بين الحضارتين ، وقد تعددت الآلهة عندهم ، وورد ذكر ربة كبيرة الشأن ، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب (**Potnia**) بمعنى السيدة أو ربما (الآلهة الأم) هذا فضلاً عن آلهات صغيرات قليلات الشأن .[1] ومن جهة أخرى اكتسى الزواج المقدس أهمية كبيرة لما يرمز له من تخصيب الأرض. [2] وباعتبار ديانة هذا الشعب مرتبطة بسياق تطوره الحضاري فيمكن تقسيم تجربته الحضارية ومعها الدينية إلى ثلاث مراحل كبرى تشمل :

* الفترة الأقدم وتتمثل في ديانة حضارة كريت وموكيناي .

* المرحلة القديمة وتمتد من (القرن الحادي عشر إلى الخامس قبل الميلاد) .ومعها المرحلة الكلاسيكية من (القرن الخامس إلى أواخر الرابع قبل الميلاد) .والتي تعرف بالديانة الأوليمبية .

* المرحلة الهللينستية : وهي من حوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداية التاريخ الميلادي .ومما لاشك فيه أن المهاجرين إلى بلاد الإغريق قد استقدموا معهم معتقداتهم وعباداتهم وأثَّروا وتأثروا بالسكان البلاسجيين الذين وجدوا بها .[3] وتجدر الإشارة إلى أن ديانة الإغريق لم تقتصر على مايعرف بالديانة الرسمية المتمثلة في الآلهة الأولمبية ، فقد شملت مايعرف بالديانة الشعبية التي استمرت حية في أوساط الفلاحين وكل مايتعلق بحياة الأرض .[4]

وأخذ استطلاع الغيب من خلال العرافة مكانة مميزة ضمن اهتمامات الإغريق ، سواء عند البسطاء أو أفراد الطبقة العليا ، حيث كانت عرَّافة دلفي أشهرها .[5]

1– خليل سارة : تاريخ الإغريق ، 186انظر أيضاً : **سيد أحمد علي الناصري : الإغريق ،تاريخهم وحضارتهم** ، **ص**59-60

2– بارندر جيفري : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط2، 1996م ص 83

***3–Maurice Croiset; La Civilisation de La Gréce antique**,paris,1969,p20* **انظر أيضاً :**

محمد ابراهيم بكر : قراءات في حضارة الإغريق القديمة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2002م ، ص 71

*4- **M.Michaux et P.Haussiau; L`Antiquité la Gréce**, caterman tourin, paris, 1958,p 75*

5– بارندر جيفري ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ص 99– 101

للمزيد حول الديانة الإغريقية انظر **فوستيل دي كولانج :المدينة العتيقة** ،ترجمة عباس بيومي ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1950م ،ص 240-261وانظر أيضاً خليل سارة :تاريخ الإغريق ، ص 255-278

كما اشتهر الإغريق بتنظيم الأعياد الدينية ، التي تصاحبها ألعاب متنوعة تكريماً لآلهتهم ، وكان أشهرها الألعاب الأوليمبية التي تقام في جبل أوليمبوس على شرف زيوس ، وقد جرت لأول مرة عام 776ق .م ، واتخذت نقطة بداية لتقويمها .[1] ويجد الدارسون في ظاهرة المهرجانات الرياضية الأولمبية بما تشمله من مهرجانات ثقافية ومؤتمرات سياسية ظاهرة بديلة لفشل وجود عنصر الدولة المتحدة التي تربط بين كل الإغريق، لأن هذه المهرجانات كانت مفتوحة أمام كل الإغريق ، وكان الدافع الأول لهذه المهرجانات دينياً في المقام الأول ، ولهذا كان للدورات الرياضية قدسية ملزمة ، إذ كانت تفرض على الإغريق المتحاربين وقف القتال ونسيان الخلاف احتراماً لهذه المهرجانات ، وكان للإغريق أربع مهرجانات كبرى وهي :

* الدورة الأولمبية *Olympian games* نسبة إلى مدينة أولمبيا المقدسة وكانت تعقد على شرف الإله زيوس .
* الدورة الأثمية نسبة إلى خليج كورنثة *Isthmos* على شرف الإله بوسيدون.
*الدورة البيثية *Pythian games* في مدينة دلفي المقدسة .وكانت تعقد على شرف الإله أبوللون .
* الدورة النيمية *Nemean games* نسبة إلى مدينة نمية المقدسة شمال شرق البلوبونيز، وكانت تعقد على شرف الإله زيوس أو هرقل .

وكان يفصل بين كل دورة ودورة أربعة أعوام بحيث يكون في كل عام مهرجان يذهب إليه الناس.[2]

ومن أهم هذه الدورات هي دورة الألعاب الأولمبية التي أنشئت في عام 776ق.م تمجيداً للإله زيوس الأوليمبي ، وكانت تعقد مرة كل أربع سنوات (في منتصف الصيف) وتستمر خمسة أيام ، وتشتمل على مهرجانين : المواكب الدينية وتقديم القرابين ، ثم عقد المباريات .

كانت الدورة فرصة لتبادل وجهات النظر بين مختلف بلاد الإغريق ، وتوثيق الروابط بينهم والتعرف على اتجاهات الرأي العام الإغريقي . والدليل على أهمية الدورة الأولمبية هو أن بعض الكتاب والمؤرخين الإغريق من أمثال بوليبيوس وديودور الصقلي وغيرهم اتخذوا من بداية الدورة الأولمبية الأولى عام776ق. م أساساً للتقويم الزمني .[3] وعرفت ديانة الإغريق في العصر الهللينستي تحولات هامة ، كان من أبرزها تراجع مكانة الآلهة القديمة، كما أصبحت العبادة الملكية رسمية ، فهي تقوم على الإعتراف بحق الألوهية للشخص المتفوق لامتلاكه

1– M.Michaux et P.Haussiau, L`Antiquité la Gréce ;p 79

2– سيد أحمد الناصري :الإغريق ،تاريخهم وحضارتهم ، ص 115– 116

3– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 533- 537

قوتها،وقد جسدها **الاسكندر الأكبر** كبطل ، فقد سعى لأن يجعل من إلوهيته هي التي تربط امبراطوريته . كما ازدهرت عبادة الأسرار ، ومن السمات البارزة لهذه المرحلة هو انفتاح الإغريق على آلهة وعبادات الشعوب الأخرى بالاقتباس منها ، فتقبلوا آلهة جديدة من الشرق .[1]

ثالثاً :عوامل انتقال التأثيرات الدينية بين الفينيقيين والإغريق :

1– عامل الهجرة والتجارة :

يمكن رؤية أثر الهجرة والتجارة على التمازج الديني من خلال :

آ– التوسع الاقتصادي والتجاري :

كان للانتشار الفينيقي والإغريقي دور كبير في انتقال التأثيرات الدينية ،وبالنسبة للفينيقيين أكثر أمر تفوقوا به كان الإبحار، والدليل على قوة أسطولهم البحري هو كثرة وحجم مستعمراتهم.

أدت التجارة البحرية الفينيقية التي انتقلت إلى الإغريق إلى تغييرات هائلة في المجتمع الإغريقي الذي تعلم عن طريقها كل ضروب فن الملاحة وصناعة السفن والتجارة وتبادل البضائع عن طريقهم ،كل ذلك أدى إلى منبع جديد للثروة وإلى تغييرات اقتصادية مذهلة تمثلت في ظهور الثروة النقدية عند الإغريق ، والتي تركزت في معظمها في أيدي النبلاء . إذ أدى مثل هذا التطور الاقتصادي إلى نتائج اقتصادية مهمة تمثلت في ظهور العلاقات النقدية السلعية ، والتي بموجبها بدأ التحول من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي الذي زحزح التنظيم العشائري السابق القائم على الاقتصاد العيني .

وأدى التوسع الفينيقي التجاري إلى الاتصال والاحتكاك التجاري مع المستعمرات الإغريقية التي أسسها المهاجرون الإغريق في مختلف أنحاء البحر المتوسط ، وكان من نتيجتها أن فتحت أمام الإغريق أسواقاً واسعة تساعد كثيراً على النشاط التجاري ، وظهور حركة الاستيراد والتصدير عند الإغريق لمختلف المواد الزراعية والخزفية وظهور الورش الصناعية الصغيرة والكبيرة لأجل التصدير المحلي والدولي بفضل استعمال النقود وانتقال الإغريق من مرحلة الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد الرأسمالي أو النقدي.[2]

ب– الاختلاط من خلال إقامة المستوطنات :

لم يكن الفينيقيون يكتفون بمجرد المتاجرة والعودة من حيث أتوا ، بل كانوا يستقرون وينشؤون مدناً فينيقية جديدة ،وكانوا لايثيرون فزع السكان المحليين فقد كانت أعدادهم قليلة وكانوا يتسربون دون أن يثيروا

1– إيمار أندريه، أبوايه جانين : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، ج1 ، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، دار عويدات ، بيروت ، ط2 ، 1986م ص 491– 492

2– **فوستيل دي كولانج : المدينة العتيقة** ، ص 359

الريبة أو الشكوك وسرعان ما يتلاءمون مع الوسط الذي يعيشون فيه ، وهكذا انتشرت مستوطناتهم في جزر البحر المتوسط في قبرص ورودس وجزر بحر إيجة وجزيرة كريت [1]

وبعد التوسع الإغريقي في حوض البحر المتوسط وظهور التنافس بينهما للسيطرة على طرق التجارة وإنشاء المستعمرات ، يمكن ملاحظة الاختلاط الفينيقي الإغريقي في مناطق تواجدت فيها مستوطنات الطرفين كقبرص التي أقام كلا الطرفين مستوطناته فيها ، وأحضر كل فريق منهم آلهتهم من بلادهم الأصلية ، فمثلاً في بلدة أماثوس على الساحل الجنوبي أوجدوا طقوس عبادة أدونيس وأفروديت أو بالأحرى عشتارت، وكان يعبد أيضاً في أماثوس ملقارت الصوري ، وقد أثبتت القبور المكتشفة بجوار المدينة أنها بقيت فينيقية حتى وقت متأخر ، غير أن أعظم مكان لعبادة أدونيس وأفروديت في قبرص كان في بلدة ***(بافوس)*** في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة [2]والذي يروي هيرودوت أنه قد بناه الفينيقيون القادمون من عسقلان ، وهو لم يكن إلا تقليداً لمعبد الآلهة في عسقلان .[3] ومما لاشك فيه أن الفينيقيين قد ساهموا بقسط وافر في انتشار الحضارة في حوض البحر المتوسط حيث كانت المدن التجارية الفينيقية مجالاً لالتقاء الحضارات والثقافات المختلفة فعملت الهجرة وإنشاء المستوطنات الفينيقية كوسيلة لنقلها وتمازجها [4]

ولعبت المدن الفينيقية دوراً هاماً في التجارة الدولية فقد كانت لها علاقات تجارية مع أهم المدن في العصر الهللينستي وقبل كل شيء مع ديلوس ، فقد جاء في عدة نقوش تعود للقرن الثاني قبل الميلاد ذكر لجماعة آلهة البحر البيروتيين ، وهو عبارة عن اتحاد حرفي ذي طابع ديني ، ويضم أشخاصاً مرتبطين بالتجارة البحرية يتزعمه قادة وكهنة ، وعلى مايبدو أن أثينة اضطرت للتسامح بشأن العبادات الأجنبية المنشأ بسبب مرفئها الذي كان يؤمه التجار والمسافرون من كل البلدان فسمحت بتأسيس جمعيات خاصة للآلهة الغريبة .

كأدونيس وعشتارت أيضاً ، ومنذ البدء انضم بعض مواطنيها لهذه الجمعيات الدينية دونما تستر أو تعرض لأي لوم ، ثم أقرت أثينة بعد ذلك دخول العدد الأعظم من هذه الآلهة إلى العبادة الرسمية .[5]

1- **محمد بيومي مهران :المدن الفينيقية** ، ص 272- 275

2- **جيمس فريزر: أدونيس أو تموز** ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ،ط3 ، 1983م ، ص 39- 42

3- **هيرودوت : التاريخ** ، الكتاب الأول ، ص 81

4- **محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ،ص 487

5- **اندريه إيمار وجانين أوبوايه :موسوعة تاريخ الحضارات العام** ، ج1 ، ص 366

2– عامل العبيد :

لعب العبيد دوراً في نقل ومزج الديانات ،وكانت تجارة الرقيق جزءاً من تجارة قديمة رائجة ، حيث شكل الرقيق جزءاً من النظام الاجتماعي الاقتصادي السائد في العصور القديمة، وكان مصدر الرقيق عادة أسرى الحروب والجيوش المهزومة التي تلقي السلاح إضافة إلى سطو القراصنة والنخاسين واختطافهم ما أمكن من الرجال والنساء ، وقد كان النخاسون يتولون تربية الرقيق وتعليمهم فنون الصناعة المختلفة ثم يعرضونهم للبيع في الأسواق ، وكان لهذه السلع البشرية مراكز تكاد تكون متخصصة ، وهناك نقش فينيقي يؤكد وجود العبيد في فينيقية وهو نقش **عرش عشتارت** ويعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، وهو مؤلف من سطرين اكتشف على قاعدة مقعد حجري عام 1907م ،في خربة الطيبة إلى الجنوب من صور.

ترجمة النص : ***(لربتي ، لعشترت التي في داخل هذا المعبد الذي لي ، أنا عبد أبست بن بدبعل (وقفت هذا العرش)***[1]

ومن خلال هذا النص نستنتج أن طبقة العبيد إحدى طبقات المجتمع الفينيقي ، ومعظم هؤلاء العبيد جاؤوا أسرى حرب ، أو تم شراؤهم من تجار العبيد ، أو ولدوا منذ صغرهم من أبوين من طبقة العبيد. وكان العبيد المهرة في الصناعات اليدوية يباعون في أسواق ليسبوس والمهرة في أعمال المناجم والصناعات المعدنية يباعون في الأسواق الفينيقية. هذا إلى أن فينيقية تخصصت في تصدير الرقيق الماهر في زراعة الحدائق وقطع الغابات وفي النسيج والصناعة ، أما الساحل الإغريقي فكان يصدر معلمين للصبية ورجالاً ماهرين في الموسيقى والفن وناسخين وغيرها من الأعمال الكتابية .[2] وهكذا كان الرقيق ينتقل من مكان إلى آخر حاملاً معه عاداته وتقاليده وآلهته الخاصة ، وهذا ما أدى إلى التمازج الديني .

3– العامل العسكري :

لعب الجنود دوراً هاماً في نقل معتقداتهم وآلهتهم معهم ، حيثما حلوا وإن كان تأثيرهم الديني بسيطاً،[3] وقد ازدادت أعدادهم في الفترة السلوقية ، حيث عمل الملوك السلوقيون على بذل جهود كبيرة في توطين الجنود في المستعمرات العسكرية .

1– **أحمد حامدة: مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية** ، ص 93

2– **محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره** ،ص 444– 445

3– **مفيد رائف العابد : تاريخ الإغريق** ، منشورات جامعة دمشق ، 1994م ، ص 197

إذ لم يكن في وسع السلوقيين أن يولوا الأهالي الوطنيين ثقتهم ، ويتخذوا منهم أعوانهم في مختلف أجهزة الحكم ، فإنهم اعتمدوا في ذلك على الإغريق والمقدونيين ، ومعنى ذلك كله أن السلوقيين كانوا في حاجة ماسة إلى تشجيع أعداد كبيرة على الهجرة من مقدونية وبلاد اليونان القارية ومن أيونية، للخدمة العسكرية وممارسة النشاط الاقتصادي . ولكي يضمن السلوقيون استقرار محاربيهم ، ووجود عدد كبير منهم رهن إشارتهم باستمرار ، أنشؤوا لهم مستعمرات عسكرية ، ومنحوهم إقطاعات زراعية تكفل لهم دخلاً مجزياً.[1] وبالتالي حمل هؤلاء الجنود معهم معبوداتهم ، ولاسيما أن السلوقيين حرصوا على نشر الحضارة الإغريقية في امبراطوريتهم فاحتفظوا في مستعمراتهم بنظمهم وعاداتهم وتقاليدهم بشكل يماثل ما اعتادوا عليه في مدنهم الأصلية .[2]

وهكذا يمكننا أن نستخلص أنّ التأثيرات المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق قديمة جداً ، ولا يمكن تحديدها بزمن معين ، فالحروب والغزوات والهجرات والاستيطان كلها كانت قديمة ومتواصلة وهي التي مهدت السبيل لهذا التمازج ، وتزايد هذا الاختلاط والتواصل بعد تأسيس الاسكندر المقدوني لأمبراطوريته ، حيث ساهم في تسريع عملية التمازج بين الشرق والغرب ، وبعد وفاة الاسكندر واقتسام قادته السلطة وخضوع سورية ومن بينها الساحل الفينيقي لسيطرة السلوقيين استمر هذا التمازج بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية .

رابعاً: الآلهة الفينيقية عند الإغريق:

إن أغلب الآلهة الإغريقية ذات منشأ شرقي (رافدي ، فينيقي ، مصري) وإن الطريق الذي قطعته ثم وصلت إلى بلاد الإغريق حرك صفاتها المضادة ثم أظهرها في بلاد الإغريق ، لكن الصفات الأولى لم تختف بل ظلت مستترة تحت الصفات الظاهرة وهذا ما يجعل ازدواج الصفات وتلازم الأضداد صفة هامة من صفات الآلهة الإغريقية .في معظم المدن الإغريقية كانت تطورات التجارة حافزاً لظهور طبقة تجارية جديدة من الأجانب غير المواطنين عرفت باسم المقيمين (***metics***) وفي الوقت نفسه زادت نسبة العبيد زيادة كبيرة بالمقارنة لأعدادهم في العصر العتيق حيث ظهرت في العصر الكلاسيكي مجالات عديدة كثيرة لاستخدامهم مع نمو الصناعة والتجارة والتعدين . وتشير النقوش التي ترجع إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، إلى مقيمين من فينيقية في أثينة .ولم تكن هناك أية قيود على مكان إقامتهم أو الديانة التي يعتنقونها. ففي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، ظهرت عبادات فينيقية في أثينة .[3]

1- **خليل سارة : تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية** ، منشورات جامعة دمشق ، 2009م ، ص 124

2- **وليم تارن ،الحضارة الهلينستية** ،ص 156

3- **روبرت ج . ليتمان : التجربة الإغريقية** ، ص 99-100

تأثر الإغريق بالحضارة الفينيقية ولاسيما بعبادة أدونيس وعشتارت ، وما رافقها من مظاهر فنية، وقد كتبت أسماء الآلهة الفينيقية بصيغة إغريقية ، وتداخلت عبادات الفينيقيين بعبادات الإغريق ،[1] وقد أعطى فيلون الجبيلي المرادفات أو النظيرات الإغريقية للآلهة الفينيقية، فمثلاً : الجنة الفينيقية هي " ***حقول إيل*** " التي اقتبسها الإغريق وترجموها ***Campi-Elysaea*** والمعروفة الآن في فرنسا باسم ***Champ-Elysees*** ولقب إيل " ***أبو السنين*** " اقتبسه الإغريق فسموه كرونوس أي الزمن ، وأثينة العذراء المحاربة هي عناة إو إنات العذراء المحاربة ، وقد عُبدت في طيبة ، ولقب عناة البتول يعادل أثينة بارتينوس ***Athena Parthenos*** أي أثينة البتول . وأبوللو الإله الطبيب وأبو اسكولابيوس إله الطب، لقب لأشمون الذي هو إله الطب والشفاء في صيدا .[2]ومن أهم الألهة الفينيقية المعبودة عند الإغريق :

1– أدونيس *Adonis*:

إله من آلهة الخصوبة الفينيقية ، ويعني اسمه (**أدون**) السيد ،و(**أدوني**) سيدي ، ولحقت بالاسم النهاية الإغريقية (س) ، أقدم الوثائق الإغريقية التي تأتي على ذكره تعود للقرن الخامس ق .م ، والنقوش الفينيقية لا تذكره لا من قريب ولا من بعيد ، ويعتقد أن السبب يعود لأنه لم يكن من الآلهة الرئيسية ،لذلك لم تقدم الأضاحي باسمه رغم أن عبادته كانت منتشرة بشكل واسع في فينيقية . [3] وتصفه المصادر الاغريقية بأنه الإله الفتي ،الذي يموت ويبعث للحياة بعد موته فهو يعبر عن تعاقب الحياة والموت السنويين في الحياة النباتية الأرضية، وبذلك يقترن مع الإلهة الأم في العبادة والأسطورة، [4]وأدونيس كما يستشف من ميلاده من شجرة المرّ ،هو إله زراعي وهو روح الإنبات وأعياده من أشهر الأعياد وأعظمها وأساطير شتى حيكت حول أدونيس وعشتار وحبهما. [5] وأدونيس لم يمت كبعل أثناء صراعه مع الإله موت كما تحدثنا ألواح رأس شمرا وإنما قتله خنزير بري أما حبيبته البطلة الرئيسية في هذه المأساة فلم تعد عناة الأوجاريتية أو زميلتها عشتارت بل أفروديت.

1- **جميل جبر : جبيل في التاريخ** ،ص 115

2- **وديع بشور : الميثولوجيا الفينيقية** ، ص 119

3-**د: ادزارد، م . هـ بوب ، ف :رولينغ : قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)** ،ج2 ص 156

4- **سباتينو موسكاتي :الحضارة الفينيقية** ، ص70

5- **سهيل عثمان ، عبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية** ، منشورات وزارة الثقافة ، 1982م، ص 37

وكما كانت انانا السومرية وعشتارت البابلية إلهتان في واحدة ، كذلك الأمر فيما يتعلق بعناة وعشتارت* .حيث الشخصية واحدة والتسمية اختلفت تبعاً للزمان والمكان .[1] وأول من ذكر قصة أدونيس هو الشاعر الاغريقي ***بانيازيس*** ،وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد ،قائلاً أن أدونيس هو ابن أميرة سورية اسمها ***مرّة*** حكم عليها القدر بأن تحب أباها ثياسوس فحملت منه ،وستراً للفضيحة هربت فأشفق عليها إله الآلهة ،وحولها إلى شجرة المر، وبعد عشرة أشهر انشقت الشجرة وخرج من باطنها طفل رائع الجمال، ربته الحوريات ثم تنازعت عليه كل من افروديت /عشتارت ،إلهة الحب والجمال، وبرسفوني ربة الموت ،فتدخل زيوس أبو الآلهة وقضى أن يبقى أدونيس عند عشتارت أربعة أشهر ،وعند برسفوني أربعة وما بقي من السنة فلأدونيس الخيار في اختيار من يشاء من الإلهتين ،فاختار افروديت /عشتارت. [2]أما الشاعر اللاتيني ***أوفيدوس*** (43ق.م –18م) فقد أضاف إلى القصة أن أدونيس ذهب ذات يوم إلى الصيد فهاجمه خنزير بري وجرحه، فهرعت أفروديت لتضمد جراحه ساكبة العطور على الدم المتدفق ،انبثق من هذا الدم المخلوط بالطيوب زهور شقائق النعمان الواهية الساق والقصيرة العمر .وطلبت أفردويت من زيوس أن تلتحق بحبيبها في العالم الأسفل لكن زيوس لم يرضَ أن تغيب أفردويت عن الأولمب . ولم يقبل هاديس إعادة أدونيس من العالم الأسفل فوصلا إلى حل وسط وهو أن يقضي أدونيس نصف يومه مع أفروديت فوق الأرض ونصفه الآخر في العالم الأسفل . وكانت أعياد الأدونيا تقام خصيصاً في بلاد الإغريق لمثل هذه المناسبة [3]. أن هذه الأسطورة وهذه الأعياد هي في الأساس فينيقية الأصل وأن الفينيقيين قدسوا أدونيس وحاكوا أسطورته مع عشتارت.

---

* فقد كانت وظائف وصفات كل إلهة أنثى مثل بعلات وعشتارت وتانيت أو عناة متبادلة فيما بينهن ، وانصهرن أكثر على الدوام ، ولم يعد لشكل الاسم في نهاية المطاف سمة للتمييز، أي أنها كانت أسماء وصفات مختلفة لنفس الآلهة في الواقع ، لم تكن على اتساع فينيقية سوى إلهة واحدة هي عشتارت إلهة الخصب والإلهة الأم ، والتي عرفت في الغرب القرطاجي باسم تانيت .للمزيد انظر : *M.Hutter; Das Ineianderflieben von Luwischen und aramaischen religiosen vorstcllungen in Nordsyrien(Reliionsgeschichte Syriens,verlag W.Kohlhammer Stuttgart,Berlin,koln,p130-136*

1- http\\www.Safita.cc\vb\Showthread. Php ,

مقال بعنوان :بعض الآلهة في الميثولوجيا الكنعانية والبابلية والسومرية ،

2-**خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 315- 317 وانظر أيضاً : **سهيل عثمان ،وعبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية** ، ص 37

3- أ. أ **نيهاردت : الآلهة والأبطال في اليونان القديمة**، ص 51 وانظر أيضاً :**ابراهيم خلايلي: أدونيس** ،مجلة مهد الحضارات ،العدد الأول ،مركز الباسل للبحث ،وزارة الثقافة،دمشق،2006م، ص 62-63

2– عشتارت (أفروديت) Ashtart (Aphrodite)

كانت تتمتع بمكانة عالية عند الفينيقين وخاصة في صيدا ،(شكل 27) فقد كان لها الرجحان في البانثيون الصيداوي وكانت تدشن المعابد على شرفها ، وكان الملوك والملكات يدعون أنفسهم كهانها .ويؤكد نقش **تبنيت الفينيقي** أهمية عشتارت في صيدا .

ترجمة النص:أنا تبنيت كاهن عشتارت ملك الصيدونيين ، ابن أشمن عزر كاهن عشترت ملك الصيدونيين ، أرقد في هذا التابوت .لتكن من كنت أي إنسان يطأ هذا التابوت ؟ لا لا تفتح عليَّ (لاتكشفني) ولا تزعجني ، لأنه لا أحد أدى لنا (أرانا) فضة ، لا أحد أدى لنا (أرانا) ذهباً ، أو أي شيء ثمين ، غير أنني أرقد في هذا التابوت . لا لاتفتح عليَّ ، ولاتزعجني ، لأن هذا العمل فظيع عند عشتارت ، وإن فتحاً تفتح عليَّ ، وإزعاجاً تزعجني ، فلن تكون لك ذرية (أولاد) في الحياة تحت الشمس ، ولاقبر بين الأموات .[1]

ونستنتج من هذا النص أن عشتارت لعبت دور آلهة صيدا ،وهي ترمز إلى الأرض – الأم في جميع ديانات الشرق الأدنى القديم ، فهي ربة الخصب (**خصب الأرض وخصب المرأة**) وبالتالي ربة الحب إذ كانت ترمز للدورة الصيفية في حياة النبات وخصوبة الأرض وترمز لاستمرار الحياة عن طريق التناسل . وقد ورد ذكرها في الكتاب المقدس باسم عشتارت [2]، وهذه الآلهة لم تكن تقتصر على مدينة صيدا وحدها بل تمتد إلى كافة أنحاء فينيقية فهي ذات أصل شرقي صرف . [3] وأفروديت هو الاسم الإغريقي الذي أعطاه الإغريق لعشتارت، ومشتق اسمها من لفظة **Aphros**(**الزّبد**) ، وهي مرتبطة عندهم بالربيع وبالحب عند الشباب[4] فقد كانت أفروديت (وفقاً لرواية هوميروس) ابنة زيوس من ديوني (Dione) ربة السماء ،[5] وهي عشيقة له أو زوجة سابقة على هيرا ، لكن هناك رواية أخرى عند هيسيودوس تقول أنها انبثقت من زبد البحر الذي اختلط به عضو ذكورة أورانوس إله السماء عندما مزقه أبناؤه إرباً للتخلص منه، حدث ذلك قرب

1–**أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، ص** 82

2– **سفر ملوك أول** :5،11 – **سفر القضاة** : 60، 10

3– **ميرسيا إلياد : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** ، ج1 ،ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق ، ط1 ، 1987م ، ص 347

4– **جان مازيل : الحضارة الفينيقية** ،ص 35

5– **مارتن برنال : أثينة السوداء** ، ترجمة مجموعة من المؤلفين ، المجلس الأعلى للترجمة ، 1987م ، ص 160

كيشيرا

كيثيرا(جنوب البلوبونيز) .وقد خرجت أفروديت من البحر، ثم رحلت إلى قبرص حيث شيد لها في بافوس Paphos أقدم معبد في العالم الإغريقي .غير أن كلتا الروايتين غير صحيحة ، والحقيقة التي يكاد لايرمى إليها الشك هي أن أفروديت ليست إلا عشتارت لدى الفينيقيين .[1]

ولما كانت قبرص هي أقرب جزء من العالم الإغريقي إلى الساحل الفينيقي ، فقد اقتبس الإغريق اسم عشتارت من الفينيقيين وحرفوه إلى أفروديت ،و كانت معابدها في قبرص مقصودة بكثرة وعرفت بممارسة البغاء المقدس حيث كانت أكثر كاهناتها تستقبل لهذه الغاية البحارة والمسافرين الذين يتبرعون بمبالغ كبيرة لشؤون العبادة [2].يقول **فيلون الجبيلي :(عشتارتا ، حسب قول الفينيقيين ليست سوى أفروديت،)**[3] يقول **جان مازيل :(انتقلت عشتروت/ أفروديت هذه الإلهة القمرية وربة الخصب بما لايقبل الجدل إلى العالم الإغريقي بواسطة الفينيقيين)**[4] وأضحت أفروديت عند الإغريق تجسيد للجمال والشباب الدائم . وحين تسير بروعة جمالها وفي ثيابها الرائعة ، حتى الشمس تزداد تألقاً ، وتصبح الأزهار أكثر روعة ، وتهرع وحوش الغابات البرية إليها من مجاهل الأحراج وتأتي الطيور أسراباً وتتمسح بها الأسود والفهود والنمور والدببة بكل خنوع .[5] وكما اقتبس الإغريق عشتارت ، اقتبسوا أيضاً اسم حبيبها أدون وجعلوه أدونيس ،و الارتباط الميثولوجي مع الإله أدونيس تؤكد مرة أخرى أن في مواجهتنا إلهة للخصب قادمة من الفينيقيين .وقد تحولت عند الإغريق إلى آلهة للجمال والحب ، وإلى تشخيص يوحي بالكمال الأنثوي ، وهذا نتاج التطلع إلى المثل الإنسانية والذي اتصفت به بلاد الإغريق في العصور الكلاسيكية ، هذا وقد عملت الميثولوجيا من أفروديت أماً لإيروس – الإله الصغير– المجسد للحب .[6] وتقدم لأفروديت الآلهة الأولمبية فرفضت الزواج منهم جميعاً، فغضب عليها زيوس وقرر أن يزوجها من إله الحدادة هيفايستوس ابن هيرا وحدها، وهو الأقبح بينهم عقاباً لها على سلوكها المتغطرس هذا وتزوجته، ولكن اتخذت لها عدة عشاق من آلهة خالدين وبشر، وكان العشيق الذي ارتبطت به أكثر من غيره هو ***(أريس) (إله الحرب والدمار)*** وارتبطت بإله آخر هو هرميس رسول الآلهة

1- **هوميروس : الإلياذة** (3: 413)

2- **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني** ، ج1 ، ص 279

3- **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** منشورات دار الثقافة ، بيروت ،ص 124

4- المرجع نفسه: ص 126

5- **أ .أ نيهاردت : الآلهة والأبطال في اليونان القديمة** ، ص 45

6- **سيرغي أ. توكاريف : الأديان في تاريخ شعوب العالم** ، ترجمة أحمد محمد فاضل ، الأهالي للطباعة ، دمشق ، ط1 ، 1998م ، ص 419

ومرشد أرواح الموتى إلى (***العالم السفلي***)، أما من البشر فقد وقعت أفروديت في حب (***أدونيس***) وراجت قصة عشقها لهذا الفتى في أقطار الشرق كله بما في ذلك قبرص. [1]

3– ديونيسيوس *Dionysus*

يقول ***هيرودوت*** عن عبادة ديونيسيوس :(***إن ميلاميوس بن امثيون أخذ هذه العبادة عن قدموس الصوري ومن أتوا معه من بلاد الفينيقيين إلى بويوتية***)[2]

ويبدو من شخصيته وصفاته بأنه إله مشرقي وفد من فينيقية ،وهو من المرجح الإله أدونيس ثم تحور لفظه إلى ديونسيوس رغم أن هناك إلهاً منفصلاً عند الإغريق اسمه أدونيس وهو عشيق أفروديت ، لكن أدونيس هو يتحول إلى ديونسيوس اكتسب صفات جديدة له فقد أصبح إلهاً للخمر والتهتك والمتعة في صورته الدنيوية وأصبح أيضاً إلهاً في العالم الأسفل يشفع لمريديه في صورته الأخروية .[3] وأقيمت له احتفالات دينية شكلت الأصول الأولى للمسرح التراجيدي Tragaidia*

كان ديونيسيوس إلهاً للحصاد والثمار والكروم ، وإن كان قد اشتهر بصفته إلهاً للخمر ، والإغريق كانوا يقومون بهذه الاحتفالات كمظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة.[4]وهذه الاحتفالات على الأغلب انتقلت إليهم من الفينيقيين ، حيث كانت في فينيقية تقام مثل هذه الاحتفالات على شرف الإله أدونيس .

وفي بلاد الإغريق استهدفت هذه الاحتفالات تصوير أسطورة الإله ديونيسيوس ، وهي الأسطورة التي اعتقد الإغريق أنها تعبر عن آلامه وأفراحه ، فقد كانت تصور الظواهر المتعاقبة التي تمر بشجرة الكروم ، فشجر الكرم يبدو فاقداً للحياة حزيناً في الشتاء ، ثم تعود إليه الحياة في الربيع وكأنما يعود إليه المرح فتتفتح البراعم التي

1– **خزعل الماجدي** : **المعتدات الإغريقية** ، ص 314 انظر أيضاً **يوسف الحوراني** : **مجاهل تاريخ الفينيقيين** ، ص 126

2– **هيرودوت** : الكتاب الثاني ، ص 156

3–**خزعل الماجدي** : **المعتقدات الإغريقية** ، ص 286

* التراجيدية : هي كلمة إغريقية مركبة من كلمتين tragos بمعنى العنز ، و oidia بمعنى الأغنية العنزية ، والسبب في هذه التسمية أن الممثلين في المسرحية والجوقة التي تمثل العنصر الأساس في المسرحية ،كان أفرادها جميعاً يلبسون جلد الماعز أثناء العرض ، والجائزة التي تفوز بها أحسن مجموعات الإنشاد أو أحسن الممثلين كانت عنزاً .انظر : **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق**، ص 131

4– **ول ديورانت** : **قصة الحضارة** ،ج1،مج2،ص 338

تمتد منها أغصان جديدة لاتلبث أن تغطيها نضرة الأوراق ، ومع مجيء الصيف وحرارته تظهر الثمار ثم تنضج مع اقتراب الخريف ، وبعد أن تجمع وتعصر تمتلىء بعصيرها الخوابي والدنان. وفي هذه المراحل المتعاقبة كان الإغريق يرون مراحل يمر بها ديونيسيوس من الألم والحزن إلى الفرح والمرح ، ثم الانتصار .[1]

ويقول هيرودوت :(أن ديونيسيوس بن سيميلي ابنة قدموس)[2] وقد تزوج زيوس من سيميلي التي جعل منها أهل طيبة امرأة من البشر ونسبوها إلى قدموس مع أنها كانت في الأصل ربة للأرض والخصب ، وزواجه هذا يدل على الارتباط أو اختلاط العبادات الإغريقية مع العبادات الفينيقية وهي تمثل امتزاجاً بين العقائد .

تقول الأسطورة: أنّ زيوس أحب سيميلي ، وأقسم لها بأن يحقق لها كل ماتريد فعرفت زوجته هيرا بذلك واستدرجت سيميلي وطلبت منها أن تقول لزيوس بأن يتجلى بكل عظمته الإلهية لها .وافق زيوس وجاء إلى قصر قدموس محفوفاً بعظمته فاهتزت الصواعق في يده واضطرب القصر وترنحت أركانه وولدت سيميلي وهي في نزعها الأخير طفلاً هزيلاً عاجزاً عن الحياة هو ديونسيوس ، لكن شجرة لبلاب خرجت من الأرض واحتضنت الوليد وحمته من النيران ثم قام زيوس بشق فخذه ووضعه فيه وخاط فخذه حيث اشتد وولد ثانية من فخذ زيوس ثم أعطاه زيوس إلى إينو وزوجها أتامانت ملك أورخومين (في بيوتيا على شاطئ بحيرة كابابيد) ليرعياه فعاقبتهما هيرا، فأرسلت الجنون إلى الملك وهربت الزوجة عن ولدها ،ورمت نفسها من صخرة على البحر لتتحول هي وولدها إلى إلهين بحريين مازالا في البحر ،وقام هرمس برعاية ديونسيوس وأعطاه للجنيات فبذلن جهداً في تربيته فكافأهن زيوس بأن رفعهن إلى السماء ثواباً لما قمن به وعرفن في السماء باسم (**هياد**) وهن نجوم بين مجموعة أوريون التي تعد واحدة من أكثر المجموعات تألقاً في السماء . [3]

4– ملقارت Melkart:

يتركب اسم ملقارت من كلمتين هما :"**ملك –قرت**" ،أي ملك المدينة ، أو ملك القرية[4] وملقارت هو إله مدينة صور الرئيس وحاميها.

1- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ، ص 130 انظر أيضاً **أحمد عتمان** : **الأدب الإغريقي** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1986م ، ص 186

2- **هيرودوت** : الكتاب الثاني ، ص 120

3– **جان بيير فيرنان** : **الكون والآلهة والناس** ، ترجمة محمد وليد الحافظ ، الأهالي للطباعة ، سورية ، ط1 ، 2001م ، ص 108- 109 انظر أيضاً **خزعل الماجدي** ، **المعتقدات الإغريقية**، ص 286

4- **S**.**Gsell**,**H**. **A**. **A**. **N**, tome,4, p240

وجاء على رأس الآلهة التي وجدت في مجمع المدينة الإلهي[1] . لم يكن ملقارت إلهاً معروفاً بين الآلهة الفينيقية خلال الألف الثانية قبل الميلاد، ولكن ظهر أول مرة في نقش أرامي من القرن التاسع ،[2] كما أشير إليه في معاهدة أسر حدون مع ملك مدينة صور في القرن السابع ، [3] وقد بنى حيرام ملك مدينة صور خلال القرن العاشر معبداً إلى جانب عشتارت ، وعلا شأن هذا الإله عندما أصبحت السيادة لمدينة صور ، وأصبح هذا الإله حامياً لها ، وكان في بادئ الأمر ذي طبيعة سماوية ممثلة في الشمس، ولكنه لم يلبث أن أصبح ذا طبيعة بحرية إذ أصبح إلهاً بحرياً بعد ركوب الصوريين للبحر وتحولهم نحو الغرب .[4]انتشرت عبادة هذا الإله في مختلف المراكز الفينيقية في غرب البحر المتوسط تبعاً للسيطرة الصورية هناك .وفي قرطاج بلغت عبادته ذروتها في القرن الثالث .[5] اقترن الإله ملقارت إله مدينة صور بالبطل الإغريقي المؤله هرقل [6] وهو من أعظم الشخصيات الأسطورية التي عبدها الإغريق ويعتقد أنه شخصية حقيقية من أبناء شعب أرجوليس الذين كانت ربتهم الرئيسية هي (**هيرا**) . يقول المؤرخ **فيليب حتي** أن الإغريق أخذوا عبادة ملقارت عن الفينيقيين وقرنوا اسمه باسم إلههم هرقل [7] وجمع الإغريق بين هرقل وملقارت فيشير إلى طبيعة ملقارت الحقيقية وهي أنه الابن الأكبر (***ويقصدون زيوس***)[8] ويذكر **فيلون الجبيلي** أيضاً أنه سليل أورانوس سيد الآلهة الإغريقية ، وكان يحتفل بقيامه من الموت سنوياً بحضور ملك صور، و أن هذه الاحتفالات كان أول ظهور لها في القرن العاشر وقد انتقلت عبادته إلى قرطاج في وقت مبكر ، ويبدو أنه كان معبودها الرئيس حتى القرن السادس أو الخامس.[9]

---

*1- **Donald. Harden, The Phoenicians**,p85*

2– جورج كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ص 120

***3– E.Lipinski, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique**,p 285*

4–**محمد حرب فرزات : الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سورية القديمة** ، مجلة دراسات تاريخية ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ، السنة الثالثة عشر ، العددان 41– 42 آذار 1992م ، ص 49

5- **Diodorus Siculus** , xx.14,2

*6-**John.D. Grainger, Hellenistic Phoenicia** ,p 77*

7- **فيليب حتي : تاريخ لبنان** ، ص 163

8- **خ.تيكسيدور،ب.كانيفه،الحياة الدينية في سورية قبل الاسلام** ،ترجمة موس الخوري ،المركز الوطني للبحث العلمي ، باريس،ط1، 1996م ،ص 13

9–**مفتاح محمد سعد البركي: الصراع القرطاجي الإغريقي** ،ص 292 ،

ويدلّ على استمرار أهمية ملقارت معبده في صور حيث رغب الاسكندر أن يقرب إليه قرباناً ، وفوق كل شيء الصلاة التي كانت تفرد له في المستوطنات التي أنشأتها مدينة صور خارج فينيقية [1] ويرى الباحث أستور أن ملكارت دخل باكراً إلى بلاد الإغريق مع قدموس ودناؤس ، ولهذا توجد له معابد كثيرة فيها ،ويخبرنا بوزانياس أن معبد ملقارت في خليج كورنثا يوجد على الشاطئ وقرب المعبد شجرة صنوبر موقوفة له ، وتجسد الميت بشجرة صنوبر هو ، كما نعلم عقيدة فينيقية تمثلها قصة أوزيريس على شاطئ جبيل [2]. كانت هناك ألعاب دورية كل خمس سنوات تقام على شرف هذا الإله في مدينة صور، وتقدم له ذبائح وتقدمات ثمينة [3]

ويرى الباحث ***"غارسيا باليدو"*** نقلاً عن سيليوس إتاليكوس أن أحد أبواب معبد هرقل – ملقارت – كان يحمل رسوماً لأعمال هرقل العشرة ، وفسر ذلك بأنها موجودة قبل تبني الإغريق لاثني عشر عملاً لهرقل،كما هو يرى أن الاندماج بين ملقارت الفينيقي وهرقل الإغريقي حدث في أواسط القرن السادس [4]، وكان المؤرخ هيرودوت أقدم من بحث في عبادة هرقل ، وقرر أنها الأقدم في مدينة صور .

يقول **هيرودوت** :(***ضربت عصا الترحال إلى مدينة صور في بلاد الفينيقيين ،إذا بلغني أن فيها معبداً لهرقل "ملقارت" يجله أهل تلك البلاد ويعظمون أمره أشد التعظيم فلما بلغت تلك البقاع، زرت ذلك المعبد فوجدته غنياً بالنذور ،ومن ذلك عمودان أحدهما من الذهب الخالص والآخر من الزمرد ، يتلألأن ببريق يخطف الأبصار للناظر إليهما في الليل ، ولقد سألت الكهنة في حديثي معهم عن تاريخ هذا المعبد ، فكان أن علمت من إجابتهم بأنهم هم أيضاً يخالفون الإغريق في تحديد تاريخ بناء المعبد ، فيقولون أنه بني والمدينة في آن واحد ، وكان بناء المدينة قبل 2300 سنة، وصادفت بعدئذ معبداً آخر للإله ذاته ويتوجه إليه المتعبدون باسم هرقل الثاسياني وعليه فقد تهيأت للسفر ، ورحلت إلى ثاسيوس ووجدت فيها معبداً لهرقل بناه الفينيقيون الذين استوطنوا هذه الجزيرة وهم يجوبون البحر بحثاً عن أوربة ولكن حتى هذا المعبد على حداثته يعود إلى عهد أقدم ويسبق مولد هرقل بن امفتريون في اليونان بخمسة أجيال)*** [5]

1- **سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية** ،ص 74

2- **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين** ، ص 116

3- **سفر المكابيين الثاني** (4: 18- 20)

4- **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين** ، ص 116- 117

5- **هيرودوت** : الكتاب الثاني ، ص 153- 154

جعل الإغريق من ملقارت إلهاً شاباً مساوياً لهرقل ، ويظهر على المشاهد الفنية مرتدياً جلد الأسد كثوب ، وانتشرت عبادته من صور إلى أرجاء واسعة في العالم القديم مثل قبرص وصقلية وسردينيا وقرطاج وكل الشمال الأفريقي ، ويعتقد أن كل الأماكن التي كان يقدس فيها هرقل كانت في الأصل له وبما أن عبادته كانت مرتبطة بالبحر فقد أقيمت له معابد عند سفوح الجبال الساحلية ، وكانت تنقش صورته على النقود في صقلية على أنه هرقل .[1]

5– بوسيدون: *Poseidon*

بوسيدون أو بوزيدون أو بوصيدون إله فينيقي الأصل ، ويرجع إلى الإله الفينيقي بوصيدون وهو إله الصيد البحري والبري ومن اسمه جاء اسم الإله صيدون وكذلك المدينة الفينيقية صيدا ، وكان هذا الإله يأخذ الموقع التقريبي الذي يأخذه بوسيدون الإغريقي فهو أخ الإله إيل الذي يقابل كرونوس أب زيوس ، أما بوسيدون الإغريقي فهو ابن كرونوس وأخ زيوس .[2] (شكل 28)ويرى ***مارتن برنال*** أن الأصل اللغوي لاسم بوسيدون هو **Pr sidion** بمعنى (**ذلك الذي من صيدون**) (**صاحب صيدون**) أو بيت(**صيدون**) وقد كان صيد **Sid** هو الإله الراعي لمدينة صيدون واسمه مشتق من الجذر **swd** بمعنى يصيد ، وكان إلهاً للقنص وصيد السمك والعجلات الحربية وإلهاً للبحر[3] وما يؤكد أصله الفينيقي أن البحر هو دائرة اختصاصه ولامنازع له فيه وقد ارتبط الفينيقيون منذ نشأتهم بالبحر ، بينما الإغريق وفدوا من جهات بعيدة عن البحر . وقد رحل هذا الإله إلى الإغريق وأخذوه كما هو ومن ألقابه:

أ–محرك الزلازل **Ennosigaions** فهو يصنع الزلازل.

ب– مزلزل الأرض **Enosichthon** فهو يميد الأرض .

ج– إله الخيول **Hippios** كان قديماً في هيئة حصان.

د– إله الينابيع **Hippos** إله الينابيع العذبة .وغيرها من الألقاب [4]

وكان بوسيدون يُعبد في بلاد الإغريق على هيئة الحصان. ولاسيما في أركاديا حيث نشأت أسطورة

1– **د.ادزارد ،م.هـ.بوب ، ف رولينغ** : ص 242 انظر أيضاً ***Encyclopaedic History of world civilization ,Phoenicia****, vol 18 ,preprint, 1992, p 34- 35*

2– **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 238– 239

3– **مارتن برنال :أثينة السوداء** ، ص 162

4– **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، 239

معاشرته وهو في شكل حصان لديميتر عندما كانت تطوف بالبلاد باحثة عن ابنتها (**كوري**). ومن هذه القصة اكتسب بوسيدون لقب هيبيوس أي (**رب الخيول**). ولهذا السبب كان تمثال ديميتر في أركاديا يصنع في شكل أمراة لها رأس الحصان.[1] ويرجح أنه كان إلهاً للمياه بوجه عام ، سواء كانت في شكل أنهار وينابيع أو مياه جوفية،[2] ويعزى تفجر الكثير من الينابيع إلى ضربات من حربته المثلثة الأشواك، وأشهرها الضربة التي فجرت الينبوع في صخرة الأكروبول الذي قيل عنه أنه تدفق تحت وطأة حافرة، إذ كان بوسيدون محتضناً الأرض أو زوجاً للأرض لأنه كان يعيش في الأرض، ومن الأرض كان يفجر ينابيع وأنهار لتخصيب الأرض.[3]

اقترن بوسيدون بأمفيتريتي (**Amphitrite**) وهي زوجته الشرعية التي أصبح بزواجه منها سيد البحر، كانت أمفيتريتي تعد سيدة البحر وتملك زمام أمواجه وتسيطر على وحوشه. وقد روي أن بوسيدون أبصر بها وهي ترقص مع عرائس البحر من بنات نيريوس في جزيرة ناكسوس فاغتصبها عنوة، ولم تلبث أمفيتريتي أن فرت منه إلى الطرف الأقصى من غرب البحر . وقد تعقب بوسيدون أثرها طويلاً، وأخيرا دلته الحيتان على مكان اختفائها. وفي الحق أن حوتاً هو الذي قادها إلى فراشه. وقد كوفئ الحوت بأن رفع إلى السماء ليحتل مكانه بين الكواكب فأصبح (**برج الحوت**).ومع أن بوسيدون شاد لنفسه قصراً فاخراً في أغوار اليم، إلا أنَّه كان غالبا ما كان يقيم كإخوته من الآلهة على قمة جبل أوليمبوس. وبإذنه كانت تهب العواصف وبإذنه كانت تسكن . وكان مزواجاً كأخيه زيوس. [4] ومن أشهر القصص الرائجة عن بوسيدون ، قصة الحصان الأول الذي خلقه عندما تنازع مع الربة أثينة على سيادة أتيكة والوصاية على مدينة أثينة . وقد اتفق حسماً للنزاع بين الإلهين على أن يظفر بالسيادة من يقدم للمدينة هدية أقيم من منافسه، وضرب بوسيدون الصخر بحربته المثلثة الأسنان، فتفجرت منها عين ماء ملح أجاج، لكن الرواية الأصح تقول أنه انبثق منها الحصان وهو حيوان نافع. وتقدمت أثنية فضربت الأرض بقدميها فأنبتت شجرة الزيتون لأول مرة . والزيتون نبات أنفع للإغريق من الحصان، ولذلك صدر الحكم في صفها وآلت إليها السيادة على المدينة التي تشتق اسمها من اسم هذه الربة، فهو نفسه في حالة الجمع (**Athenai**).[5]

1- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 287 وانظر أيضاً : **فوزي مكاوي :تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322ق.م** ، ص 83

2- **ج. هـ. روز: الديانة اليونانية** ، ص 72

3- **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني ، ج1 ، ص 247**

4- **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ،ص 288

5-المرجع نفسه ، 286- 288

ووفق الإلياذة بنى بوسيدون أسوار طروادة بطلب من (**لاؤميدون**) ولم يوفِ بأجره [1]وكان بوسيدون دائماً تشخيص للبحر ونشاطه ، حتى أن الشاعر الإغريقي ***"نـنـوس"*** تخيل صراع بوسيدون مع ديونيسيوس لكسب مدينة بيروت التي صورها كفتاة جميلة يتصارع عاشقان لكسب ودها ، وقد تخلى عنها ديونيسيوس لغريمه ، مشترطاً عليه التوقف عن زلزلتها ، إن شخصية بوسيدون ترتبط بالبحر ، وبناؤه لأسوار طروادة يعني أنه مع أتباعه ليسوا من الإغريق. [2]

6– هيفايستوس *Hephaestus*

هو من أصل فينيقي فهو أوسوس (**حاسس**) الذي كان إله المعادن والصناعة مع الإله (**كوثر**) وتتضح علاقته بالنار إذ عدنا إلى أصله فهو (**أوس**) (**أش**) الذي يمثل النار السماوية والذي تحور اسمه إلى حاسيس وخاسيس الذي تحول بدوره إلى هيفايستوس .[3] كان هيفايستوس في الاصل إلهاً لنار البراكين ، وبعدئذ أصبح إله النار ولاسيما نار الحدادة ، وأخيراً إلهاً للحدادة. ويوصف عند هوميروس بأنه ابن زيوس وهيرا، وعند هسيودوس بأنه ابن هيرا التي انجبته وحدها بمعجزة انتقاماً من زيوس الذي أنجب أثنية من رأسه.

وقد ولد هيفايستوس قبل أوانه أي قبل مدة اكتمال الحمل الطبيعية، فجاء إلى الدنيا بعاهة العرج لا في قدم واحدة بل في قدمين، إذ كانت كل منهما معكوسة، أصابعها في الخلف وعقبها في الأمام ويظهر هذا التشويه واضحاً في رسوم الأواني الفخارية الإغريقية .

ويظهر هيفايستوس في أشعار هوميروس محاطاً بكل مظاهر الإجلال والتوقير .ومن البديهي أن عاهته كانت تجعله دائما ثقيل الحركة وتمنعه من مزاولة مهنة كالزراعة أو القنص أو الزج بنفسه في القتال، فكان من المناسب أن يزاول حرفة كالحدادة لا تستلزم التنقل مستغلا قوة ساعديه. وعقب ولادته أحضرته هيرا مشوهاً إلى جزيرة ناكسوس حيث عهدت به إلى بعض الكيكلوبيس لتربيته وتعليمه حرفة الحدادة . ولذلك كان هيفايستوس هو الذي يصنع مختلف الأدوات والمساكن والأثاث والأسلحة والدروع للأبطال والآلهة ،وكان من أشهر ماصنعه درع أخيللوس بطل الإغريق في حرب طروادة .[4]

وكان هيفايستوس إلهاً خيراً داعياً للسلام محبوباً في الأرض والسماء. وكان كالربة أثينة ، يقوم بدور مهم في حياة مدينة أثينة. فكلاهما كان راعياً للصناعة التي تعتبر هي والزراعة دعامة الحضارة .

1– **هوميروس :الإلياذة** (15: 187) انظر أيضاً **هوميروس :الأوديسة** (5: 371)

2– **يوسف الحوراني : مجاهل تاريخ الفينيقيين** ،ص 112–113

3– **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 238

4– **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني** ، ج1 ، ص 263– 264

وقد قام هو برعاية صناعة المعادن والأواني الفخارية، بينما قامت هي برعاية صناعة النسيج بوجه خاص. وفضلا عن ذلك ،كان هو الإله المشرف على الاحتفالات الخاصة بإدماج الشباب في هيئة مواطني المدينة.[1]

وقد تزوج هيفايستوس من (**أفروديت**) التي خانته مع أريس وديونيسيوس وهرمس وحاول الزواج من أثينة لكنها رفضت .ومن أشهر ما صنعه هو العرش الذي قدمه لأمه ، وكذلك الفأس الذي شج به رأس زيوس وخرجت منه أثينة ربة الحكمة في درعها الذهبي ،وكذلك درع أخيل وصولجان أجاممنون وقلادة هرمونيا وهو الذي صنع صولجان زيوس وسهام أبولو وأرتميس ومنجل ديمتر وغيرها .[2]

خامساً : الآلهة الإغريقية عند الفينيقيين :

من الطبيعي ونتيجة للاحتكاك المباشر بين الفينيقيين والإغريق وخاصة عن طريق التجارة أن تنتقل عبادة بعض الآلهة الإغريقية إلى الفينيقيين .وأن أي ديانة قائمة على عبادة آلهة متعددة فإنها ترحب بطبيعتها بالآلهة الجدد ، فإذا استقرت طائفة سواء من الفينيقيين أو الإغريق بين سكان جدد أو فرضت نفسها عليهم، فقد كان من الطبيعي أن تستمر في عبادة آلهتها ، ولكنها كانت تكرم الآلهة الموجودين في تلك الناحية من قبل . ونتيجة لذلك احتلت بعض الآلهة الإغريقية ، مكانة هامة عند الفينيقيين ، ومن أهم الآلهة الإغريقية :

1– ديميتر :Demeter

الربة العظمى ديميتر قوية جبارة ، تهب الخصب للأرض ، وبدون قوتها الخيرة لا ينبت شيء لافي الغابات الظليلة ، ولافي المروج الغناء ولافي الحقول الخصبة .(شكل 29) هي إلهة قديمة من أعظم الإلهات ، وعبادتها موجودة في بلاد الإغريق منذ زمن بعيد ،كان اسمها القديم ديو (**Deo**) وربما كانت مطابقة لديوني ثم أضاف إليها الإغريق لفظ ميتر (**Meter**) أي الأم .وأما معنى (**ديو**) أو (**دي**) فهو موضع خلاف بين علماء اللغة، يقول بعضهم أنه مرادف للمقطع جي (**ge**) بمعنى الأرض وأصل (**ge**) في السومرية (**Ki**) وفي اللغات السامية الغربية بمعنى الوادي وأصبحت تلفظ دي (**de**) في اللغة الإغريقية ، وإن اسم الربة بذلك يكون (**أم الأرض**) أو (**ربة الأرض**) . ويقول البعض الآخر أن معناه نوع من القمح ، حيث أن اللفظ تحريف لكلمة زيا **Zeia** ويميل بعض العلماء إلى ربطه بفعل في الإغريقية بمعنى يعطي .[3] وعبادة ديميتر قديمة ترجع أصولها إلى كريت ثم نجدها في بلدة إليوسيس (**Eleusis**) بإقليم أتيكة قرب أثينة .

1- **خليل سارة : تاريخ الإغريق**، 290

2- **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 274- 275

3– عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني ، ج1 ، ص 239

حيث عثر على قاعة الأسرار الدينية لها والتي تشبه مسارح ومدرجات قصري كنوسوس وفايستوس في شمال وجنوب كريت على التوالي .[1]كانت ديميتر ربة ثمار الأرض ولاسيما القمح أو كربة للأرض والقمح ، فقد ارتبطت بباطن الأرض ، وبذلك ارتبطت في الأساطير بهاديس إله العالم السفلي أي عالم الموتى ، وهو بلوتون إله الثروة النباتية في باطن الأرض ، ومن هنا نشأت قصة اختطاف هاديس لابنتها "كوري" التي عرفت بعد زواجها باسم برسيفوني .[2] ومن رموز ديميتر : السنبلة –كوز الذرة – المشعل – رأس الفرس.[3]

وتقدم لها قرابين غير دموية من الثمار والعنب وأقراص العسل وصوف غنم تم جزه حديثاً ، وكان هذا كله يجمع فوق المذبح ليصب عليه زيت الزيتون .[4] لقد منحت ديميتر الناس شيئين : أولهما معرفة الزراعة التي لولاها ما قامت الحضارة، وثانيهما الأمل في حياة أفضل بعد الموت ، ويتحقق الثاني بالاشتراك في طقوس عبادتها السرية في إليوسيس . وكان ذلك يمثل خطوة رئيسية في طريق تطور الفكر الديني ولاسيما فيما يتصل بوجود حياة أخرى بعد الموت أي بفكرة البعث وجزاء الأطهار الأخيار وعقاب المجرمين ، وتدل هذه الخطوة على أنها كانت تتضمن منذ البداية الحث على الاستقامة في الحياة الدنيا .وكان من أشهر أعياد ديميتر وأوسعها انتشاراً عيد ثيسموفوريا (**Thesmophoria**) أي عيد الربة (جالبة الكنوز) . ففي أثينة كانت النساء يحتفلن به في شهر بيانوبسيون (نوفمبر /تشرين الثاني) لمدة ثلاثة أيام (11– 13) وكان يشمل على طائفة من الشعائر معظمها سحري ، وتقوم به النساء من أجل خصب الأرض ، وترسم ديميتر في الفن مرتدية ثوباً كاملاً وقوراً ، وتزين رأسها بإكليل من سنابل القمح ، وتمسك في يدها بصولجان من سنابل الحنطة ، وكذلك بشعلة وسلة وكلتاهما من الأدوات التي كانت تستعمل في الاحتفال الكبير بالشعائر السرية الإليوسية .[5]

ويذكر **هيرودوت:** أنها كانت من معبودات الفينيقيين الخاصة ، وكان لها طقوس سرية عندهم *

1- **خزعل الماجدي** : **المعتقدات الإغريقية** ، ص222

2- **عبد اللطيف أحمد علي** : **التاريخ اليوناني** ، ص 240

3- **خزعل الماجدي** : **المعتقدات الإغريقية** ، ص 222- 223

4- **سيرغي .أ. توكاريف** : **الأديان في تاريخ شعوب العالم** ، ص 412

5- **خليل سارة** : **تاريخ الإغريق** ، ص 284- 285

* يروي هيرودوت بأن ديميتر كانت من معبودات أسرة الجيفراي التي ينتمي إليها قاتلا الطاغي الأثيني هيبارخوس ، ويعود أصل هذه الأسرة بعد البحث والاستقصاء حسب قول هيرودوت إلى الفينيقيين ، وينحدرون من أولئك الذين قدموا مع قدموس إلى مايعرف الآن اسم بويوتية ، حيث يقول : (وقد ظل الجيفراي مقيمين آنذاك في البلاد ، ثم أخرجهم البيوتيين منها ، فانسحبوا إلى أثينة ، حيث لهم معابد خاصة بهم يقصدونها للعبادة ، ويحظر على اهل أثينة الأخرين دخولها ، وأحدها معبد ديميتر الآخية الذي يقام فيه طقوس سرانية .) انظر : **هيرودوت** : الكتاب الخامس ، ص 396- 397

وقد اشتهرت قرطاج بعبادة الإلهة ديميتر وخاصة بعد القرن الخامس قبل الميلاد ،[1] وهذا يتفق مع علاقة أتيكة بالفينيقيين.

2–كوري (بيرسيفوني) Kore (Persephone)

إلهة جميلة في كل الأساطير الإغريقية ،وهي ابنة ديميتر وزوجة هاديس (إله الموتى) وكوري تعني الفتاة الصبية ، وبهذه الصفة كانت ترمز للحياة الشابة للزهور المتفتحة والثمار النابتة ، ولعلها لم تكتسب لقب بيرسيفوني إلا بعد اختطافها على يد خالها هاديس ،وزواجها منه وتربعها بجواره على عرش مملكة الموتى ، ذلك أن اسم برسPerse وبرسيس Persisوبرسيوس Perseusومشتقاته كان مستعملاً قبل مجيء الإغريق للدلالة على مملكة العالم السفلي أو عالم الموتى.[2] وتتناول الأساطير قصة بحث ديميتر عن ابنتها بيرسيفوني التي اختطفها هاديس.تقول الأسطورة : في يوم كانت بيرسيفوني تقطف الورود من أحد الحقول وفجأة انشقت الأرض وابتلعتها وسقطت في العالم السفلي ، فأخذت أمها تبحث عنها ، وجعلت بعضاً من الإلهات يساعدنها في البحث مثل أرتميس وغيرها ، ولكنهن لم يجدنها فحزنت ديميتر وماتت المحاصيل وعاش الناس في مجاعة ، وفي وقت لاحق عرفت ديميتر أن هاديس حاكم العالم السفلي قد اختطفها حتى يتزوجها ، فطلبت ديميتر من زيوس إرجاعها ، فبعث زيوس هرمس إلى هاديس ليخلي سبيل بيرسيفوني ، ولكن كان هاديس قد تزوج بيرسيفوني في العالم الآخر وجعلها ملكة على عالم الموتى ، وأعلن هاديس أنه يمتثل لطلب كبير الآلهة بإعادة بيرسيفوني إلى أمها ، ولكنه قبل أن يتركها أطعمها حبة من رمان تجعلها تعود إليه حتماً ، أخذ هرمس بيرسيفوني وذهب بها إلى ديميتر التي فرحت بها كثيراً ، ولكن كان لابد أن تعود بيرسيفوني ثلث العام مع هاديس ثم تعود مع الربيع حيث "يونع الثمر وتزهر الأشجار وتثمر الحقول " أثمرت ديميتر الحقول فرحاً بعودة ابنتها وامتلأت سنابل القمح وذهبت إلى إليوسيس حيث لقنت كهنتها شعائرها وأسرارها وذهبت مع ابنتها إلى أوليمبوس .[3]ولابد من ذكر أن اندماج الإلهتين الإغريقيتين ضمن مجمع الآلهة الفينيقية قضية ينبغي الوقوف عندها بحكم أن مصادرنا لا تتعرض في ماعدا هذه الحالة إلى تبني الفينيقيين رسمياً لعبادة آلهة أجنبية .

---

*1- **Sean Rainey, The Nature of Carthaginian Imperial Activity, Trade, Sttlement Conquest and Rule**, University of Canterbury, 2004, p 66*

2– عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني ، ج1 ، ص 233

3– سيد أحمد علي الناصري : الإغريق ،ص 18– 19 انظر أيضاً أ. **نيهاردت :الآلهة والأبطال في اليونان القديمة** ، ص 55– 56

يمثل ديودورس الصقلي مصدرنا الوحيد ففي معرض حديثه عن حصار جيش قرطاجة لسرقوسة تحت قيادة حامليكار القرطاجي عام 496ق .م، يشير المؤرخ إلى قيام الجنود بنهب معبد الإلهتين ديمتر وكوري ، وقد أغضب هذا التصرف الآلهة ففتك الوباء بالجيش البوني وتفاقم الخطب بحكم تظافر مجموعة عوامل أخرى أهمها تركز أعداد هائلة من الجند في موضع غير صحي إضافة إلى ارتفاع الحرارة .

ويضيف أن القرطاجيين كانوا لايعبدون هاتين الإلهتين وكرد فعل لما حصل لجؤوا إلى اختيار مجموعة من بين أفضل المواطنين منزلة وعينوهم كهنة وأقاموا للإلهتين تماثيل وقدموا لهما قرابين كما قاموا باختيار إغريق قاطنين بقرطاج وألحقوهم بعبادتهما .[1] ومن هذا المنطلق يصبح تبني قرطاج لعبادة الإلهتين اعترافاً ضمنياً بقوة آلهة الإغريق .[2]

وباعتماد ما تقدم نميل إلى الاعتقاد أن سنة 396ق .م إنما يمثل تاريخ التبني الرسمي لعبادة ديمتر وكوري وهي عبادة ترقى على الأرجح إلى تاريخ أقدم خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود جالية إغريقية في قرطاج قبل هذا التاريخ بكثير . وهذه إشارات تدفعنا للقبول بفكرة وجود تلاقح بين الحضارتين في ميادين كثيرة ولم يكن الجانب الديني ليشذ عن هذا التلاقح .

سادساً :الأعياد الدينية المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق .

عرفت الشعوب القديمة أنواع من الاحتفالات والأعياد التي ارتدت أغلبها الطابع الديني، وظلت قائمة بأشكال مختلفة ومتجددة على مدى آلاف السنين ، وترافقت هذه الأعياد مع تقديم القرابين والهدايا للآلهة في معابدها، وترافقت أيضاً بالمهرجانات والطقوس الدينية مع إقامة صلوات التضرع والمباركة للآلهة وترتيل الأناشيد الدينية .[3]كان الغرض من الأعياد الدينية عند الفينيقيين إظهار الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة ،إذا ما كان المحصول وافراً ، أو كنوع من الابتهال والتضرع لهذه القوى الإلهية إذا ماكان المحصول قليلاً .وقد لعبت الأعياد دوراً بالغ الأهمية في حياتهم ،وبما أن عبادتهم كانت تتعلق بالاهتمامات الزراعية خاصة، كذلك فإن أعيادهم ارتبطت بها أيضاً .

و عند الإغريق حظيت الأعياد الدينية بمكانة هامة أيضاً، وهي تدل على عبادة إله خاص ،وتدل أيضاً على البهجة والسرور وأحياناً تعني الهروب من الأفكار المحزنة. [4]

1– Diodorede Sicile,XIV,77

2–**الشاذلي بورونية، محمد الطاهر :قرطاج البونية** ، ص 300– 301

3– **محمود حمود : الديانة السورية القديمة** ، ص 292

***4–Encyclopaedic History of World civilization**, p 19*

وكانت تتلى في الأعياد الدينية ما كان الإغريق يسمونها بالقصة المقدسة ، وهي تقام في أوقات معلومة من السنة بل وفي ساعات معينة من النهار أو الليل ،حيث أن تلاوة هذه الشعيرة الخرافية كان لها حسب اعتقادهم تأثير فعال فهي تحفظ الأشياء كما هي ، فتبقى دائماً على ما كانت عليه منذ نشأتها بفعل قوى خارقة في غابر الزمان فهي تجعل – على سبيل المثال– القمح ينمو باستمرار وينضج كل عام ، وهي تحفظ نظام الكون القائم على حاله .[1]وسندرس أهم الأعياد المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق:

1– الأعياد الفينيقية الدينية عند الإغريق :

آ– أعياد أدونيس :

و تسمى ***"الأدونيات"*** وهي طقوس خاصة للاحتفال بأدونيس ،وقد انتشرت هذه الطقوس من أرض الفينيقيين إلى كل شعوب حوض المتوسط وعند الاغريق عرفت هذه الأعياد بالأدونيات ،وكانت تقام عندهم إبان الصيف أيام القيظ ، ويجري هناك احتفال جنائزي ،لأن العالم الاغريقي أو الهلليني لا يعتقد بقيام الإله الشاب من بين الأموات .

ففي ذكرى أدونيس كل عام يطلقون الأنين ،ويقيمون احتفالاتهم المقدسة ،وهذا بالنسبة لهم يشكل حداداً عميقاً وعندما يكتفون بقدر من الأحزان والتناحر يقومون بأضحية جنائزية لأدونيس وتتبع فترة الحداد هذه احتفالات مقدسة تنتهي بالأعياد، فتقام لها مراسم خاصة .[2] كانت النساء في عيد أدونيس تصنع دمى من شمع أو طين مشوي تمثل الإله القتيل فتضع الدمى عند مداخل البيوت ،وتتحلق حولها بثياب الحداد، فتبكي وتندب وتضرب صدورها ،وتنشد أغاني حزينة على أنغام الناي .[3]كما كانت صور أدونيس تحمل في مواكب جنائزية في شوارع المدن ،وخلفها رجال يعزفون ونساء تنوح ، أما المواكب المؤلفة من جموع المحتفلين كانوا يحملون تمثال أدونيس مع عشتار المزين بأقمشة الأرجوان ، والمعطر بمجموعة من العطور الفاخرة، بالإضافة إلى أنواع كثيرة من الفواكه كانت تزين المحفة التي يحملها المحتفلون وتعلق على هذه المحفة سلال صغيرة تسمى "حدائق أدونيس " وهذه الحدائق تعدها النساء قبل وقت قصير من الاحتفال.

1- **عبد اللطيف أحمد علي** : **التاريخ اليوناني ،ج1** ،ص 186

2–Brigitte Soyez: Byblos et la fête des Adonise,
Leiden,E.J.Brill,1977,p 11

4– ***Encyclopaedic History of World civilization*** *, p35- 37*

حيث يضعن قليلاً من التراب في أوعية أو سلال أو أكواب قليلة العمق وينثرن فوقها حبوباً مختلفة كالقمح والشعير والشمرة، ثم تعرض لأشعة الشمس وتسقى ،فتنتش الحبوب وتظهر سيقانها الصغيرة بسرعة كبيرة ،بعد ذلك تحمل المحفة ويسير وراءها المحتفلون في مواكب الحداد ،حتى إذا ما انتهى الاحتفال قامت النساء برمي حدائق أدونيس مع دمى صغيرة تمثله إلى البحر .

وإذا حاولنا تفسير الأسطورة نجد أن حدائق أدونيس التي كانت تعدها النساء قبل الاحتفال بوقت قصير تمثل حياة الإله وميتته المفاجئة ،فالسيقان الصغيرة الخضراء التي اندفعت بسرعة من التراب بجذور هشة ضعيفة لا تستطيع العيش لفترة طويلة، بل و إن حياتها قصيرة كحياة الإله الذي تمثله .أما تعليق الحدائق على المحفة التي تحمل تمثال أدونيس المزين ،فهو نوع من التمثيل المزدوج للإله في شكليه الإنساني والنباتي، ورمي هذه المحفة بما تحمل بمياه البحر هي تمثيل لرحلة دماء هذا الإله من مكان مقتله عند نبع أفقا في جبال لبنان إلى مياه البحر[1] هناك أبيات للشاعرة الاغريقية **"سافو"** شاعرة جزيرة ليسبوس التي انشدت بكائيات أدونيس :

أدونيس الرقيق يا كثيريا ..... فما نحن فاعلات ؟

اضربن على صدوركن أيتها الفتيات ومزقن أرديتكن[2]

ويدوم العيد في جبيل ثلاثة أيام ،في اليوم الأول يعيدون فرحين ،وتقدم المآكل الشهية والفاكهة اللذيذة، وفي اليوم الثاني حزن في جنازة أدونيس ،وفي اليوم الثالث ابتهاج بقيامه[3] ويذكر لوسيان* أن السكان في أعياد أدونيس يحلقون رؤوسهم ويضربون صدورهم ويبكون ويحدون حداداً كبيراً في البلد كله. [4] وكانت بعض النساء يرفضن أن يضحين بشعرهن ،لذلك من الواجب عليهن أن يستسلمن للغرباء في يوم من أيام الاحتفال

1- **أيمن اسمندر**: **الرموز الفينيقية** ، رسالة ماجستير ، إشراف عبد المنان ثما ، كلية الفنون ، جامعة دمشق ، ط1 2002م ، ص 71- 72

2- **فراس السواح، لغز عشتار**، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة،سومر للدراسات ، قبرص ط1، 1985م،ص 115

3- **Sabatinon Moscati**, **Les Pheniciens**, , p 108

* لوسيان (لوقيانوس) "180- 120ق.م " ولد في ساموساتا (سمساط) المعاصرة من أعمال سورية على الضفة اليمنى لنهر الفرات ،وإلى هذه المدينة ينسب ، هو أحد كبار كتاب وفلاسفة القرن الثاني ،وينسب له أكثر من ثمانين مؤلفاً ،كتب معظمها على شكل حوارات . انظر :**ماريو مونتيه : الإلهة السورية** ،تعريب موس الخوري ، دار الأبجدية ،دمشق ،ط1 ، 1992م ، ص 7

4- **رينه دوسو، الديانات السورية القديمة** (ديانات الحثيين والحوريين والفينيقيين والسوريين) ترجمة موس ديب الخوري ،الأبجدية للنشر ،دمشق ،ط1، 1996م،ص 50

وما يحصلن عليه من نقود يقدمنه للآلهة، وكان تقديم الشعر عند المرأة مساوياً لتقديم عفافها. [1]

من ذلك نستنتج أن أدونيس كان في الدرجة الأولى إله التجدد ،فجماله الباهر وولادته في غابة يجبران على الإعجاب به وعلى عبادته، ثم اختفاؤه وغيابه الطويل ،يشيران إلى أنه صورة للحياة نفسها ،وطبعاً لا للحياة الأبدية المتجسدة بعشتار حياة ما تعطيه الأرض من النتاج الضروري واللازم للكائنات . إن الأرض التي أشرقت وتجملت في الربيع و غطتها النباتات التي ليست للزينة فحسب، بل للغذاء لكل موجود ،وبعد أن يجمع الناس تلك الهبات الثمينة ويكدسون المحاصيل ،يختفي الكوكب أو تخف قوته ،فييبس الزرع وتسقط الأوراق ،ولابد من الانتظار شهوراً حتى تتجدد المعجزة، إذاً ننتظر عودة أدونيس ولا بد أن يعود ،وما كان يخالط هذه الثقة قليل أو كثير من القلق . وإذا ما حدث تأخر في عودته سنة ما فهو لا يحدث بصورة مستمرة، ولا يستطيع المخلصون أن يفعلوا إلا أن يتجمعوا أو يشتركوا في أحزان الآلهة عشتار ويساعدوها على اجتياز المحنة ،ويرجوها أن تطلب عودة من بيده مستقبل العالم.[2] وهناك من يزعم أن أوزيريس المصري قد دفن عندهم ،وأن هذا الحداد لايقام على شرف أدونيس وإنما على شرف أوزيريس، ويذكر ذلك **لوقيانوس** فيقول : ***(إنه في كل عام يأتي من مصر إلى جبيل رسالة من ورق البردي تسبح على الأمواج ، تلقيها نساء الاسكندرية ، تقطع المسافة إلى جبيل في سبعة أيام وتدفعها الرياح بفعل قوة علوية ، لاتغير وجهتها إلى جهة أخرى ، وهي تبشر بعودة الإله إلى عالم الأحياء ، وكانت النساء تذهب إلى الشاطئ لملاقاته، وعندها كانت زغاريد الفرح تعلو محل النوح والبكاء)***.[3]

وعند الإغريق كان العيد دون ريب في عنفوان الصيف .لأن الأسطول الذي هيأته أثينة ضد "سراقوسه"، أبحرت سفنه في منتصف الصيف فاتفق – وكان الاتفاق شؤماً– أن الأهالي كانوا حينئذ يحتفلون بمراسيم أدونيس . وعندما نزل الجند إلى الميناء ليركبوا سفنهم ،كانت الشوارع التي مشوا فيها محفوفة الجانبين بنعوش الجثث والنساء يشق عويلهن عنان السماء على أدونيس الراحل ، فشاع لذلك الوجوم والتطير في أرجاء أروع أسطول مسلح انزلته أثينة إلى أمواج اليم .[4]

1- **جيمس فريزر: أدونيس أو تموز** ، ص 44

2-**شارل فيروللو : أساطير بابل وكنعان** ،ترجمة ماجد خير بك ، الكاتب العربي للطباعة، دمشق 1990م، ص 119-118

3- **لوقيانوس السمسياطي : الآلهة السورية** ، ترجمة عدنان بن ذربل ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مج 14 ،المديرية العامة للآثار والمتاحف ،دمشق ، 1964م ، ص 143

4- **جيمس فريزر: أدونيس أو تموز** ، ص 154

ب– أعياد ملقارت:

كان يقام احتفال مهيب في صور يعرف باسم " **يقظة هرقل** " في شهر بريتيوس " الموافق بالتقريب شهر يناير ، وتسمية العيد تدل على أن التمثيل الدرامي لموت الإله على المحرقة كان يتلوه تمثيل بعثه من الموت، وطريقة البعث يمكن معرفتها من قول أحد الكتاب الإغريق بأن الفينيقيين كانوا يضحون بعصافير السلوى لهرقل ، لأن " **تايفون**" كان قد صرع هرقل في أثناء رحلته إلى ليبيا ، فأعاده "**إيولاوس**" إلى الحياة بأن وضع تحت أنفه سلوى فشم الإله الميت العصفور فعادت إليه الروح ..وتقول قصة أخرى أن إيولاوس حرق سلوى وهي حية ، وعندما اشتم البطل الميت رائحة العصفور المشوي – وكان يحب السلوى – عاد إلى الحياة . والقصة الأخيرة تشير إلى أن الفينيقيين اعتادوا حرق السلوى وهي حية في تضحياتهم لملكارت ، فلذلك فإن عيد الإله يمكن الاحتفال به في الربيع ، إذ تهاجر عصافير السلوى إلى الشمال عبر البحر المتوسط في أعداد غفيرة ، يصاد الكثير منها للبيع في السوق ، ثم تعود في شهر آذار آلافاً مؤلفة إلى فلسطين في ليلة واحدة .

وما من شك في أن هناك علاقة متينة بين السلوى وملقارت ، إذ تقول الأساطير أن" **استيريا** "أم هرقل الصوري " **ملقارت**" تحولت إلى سلوى . ولعل القرطاجيين حين كانوا يرسلون السفراء كل سنة إلى صور إنما كانوا يرسلونها لحضور هذا العيد السنوي لموت ملقارت وبعثه .[1]

ويقول **جيمس فريزر**:(***أن الإغريق كثيراً ما راقبوا في دجى الليل ألسنة اللهب تحرق ملكارت على كل شاطئ ، وفي كل ميناء حيث أقام الفينيقيون متاجرهم ، فعلموا ، وقد امتلأوا دهشة ، أن هؤلاء الغرباء العجيبين إنما يحرقون إلههم ، وربما نبتت أصول أسطورة هرقل ورحلاته وموته في النار من هذه المحارق ، بيد أن الإغريق لم يستعيروا الأسطورة فحسب ، بل عادة حرق الإله أيضاً ، فكلما احتفلوا بعيد هرقل أقاموا المحرقة لذكرى موت بطلهم وسط اللهب على جبل اويتا)*** [2]

2– الأعياد الإغريقية الدينية عند الفينيقيين :

مثلما تأثر الإغريق بالفينيقيين وانتقلت إليهم بعض أعيادهم الدينية ،كذلك انتقلت بعض الأعياد من الإغريق إلى الفينيقيين ومنها : ***أعياد ديميتر*** حيث انتقلت عبادة هذه الآلهة من الإغريق إلى الفينيقيين نتيجة الاحتكاك المباشر بينهما ، وبالتالي انتقلت معها طقوسها الدينية .

1- **جيمس فريزر** :**أدونيس أو تموز** ، ص 100- 101

2- نفس المرجع السابق، ص 105- 106

كانت ديميتر ربة ثمار الأرض ولاسيما القمح أو كربة للأرض والقمح ، فقد ارتبطت بباطن الأرض ، وبذلك ارتبطت في الأساطير بهاديس إله العالم السفلي ، أي عالم الموتى ، وهو بلوتون إله الثروة النباتية في باطن الأرض ، ومن هنا نشأت قصة اختطاف هاديس لابنتها "كوري" التي عرفت بعد زواجها باسم برسيفوني .[1]

وتقدم لها قرابين غير دموية من الثمار والعنب وأقراص العسل وصوف غنم تم جزه حديثاً ، وكان هذا كله يجمع فوق المذبح ليصب عليه زيت الزيتون .[2]

وكان من أشهر أعياد ديميتر وأوسعها انتشاراً عيد ثيسموفوريا (**Thesmophoria**) أي عيد الربة (جالبة الكنوز) . ففي أثينة كانت النساء يحتفلن به في شهر بيانوبسيون (نوفمبر /تشرين الثاني) لمدة ثلاثة أيام (11– 13) وكان يشمل على طائفة من الشعائر معظمها سحري ، وتقوم به النساء من أجل خصب الأرض ، وترسم ديميتر في الفن مرتدية ثوباً كاملاً وقوراً ، وتزين رأسها بإكليل من سنابل القمح ، وتمسك في يدها بصولجان من سنابل الحنطة ، وكذلك بشعلة وسلة وكلتاهما من الأدوات التي كانت تستعمل في الاحتفال الكبير بالشعائر السرية الإليوسية .[3]

ويذكر **هيرودوت: أنها كانت من معبودات الفينيقيين الخاصة ، وكان لها طقوس سرية عندهم** وقد اشتهرت قرطاج بعبادة الآلهة ديميتر وخاصة بعد القرن الخامس قبل الميلاد.[4]

سابعاً :الميثولوجيا الفينيقية وتأثيرها على الميثولوجيا الإغريقية

إن الميثولوجيا الفينيقية لم تؤثر على الميثولوجيا العبرية فحسب بل على الميثولوجيا الإغريقية أيضاً ، وتلك الثورة في الفكر القديم في ميادين العلم والدين والفلسفة في بلاد الإغريق التي عرفت باسم المعجزة الإغريقية ، لم تكن معجزة بالمعنى الكامل ،بل سبقتها معجزتا بابل وفينيقية في نفس الميادين الفكرية إلا أن جهل العام لهذين التراثين أبرز المعجزة الإغريقية وكأنها طفرة تاريخية أتت من العدم ، ولم يكن لها أي سابقة . [5]

1– **عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني** ،ج 1، ص 240

2– **سيرغي .أ. توكاريف : الأديان في تاريخ شعوب العالم** ، ص 412

3– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 284– 285

4– ***Sean Rainey, The Nature of Carthaginian Imperial Activity, Trade, Sttlement Conquest and Rule****, p 66*

5– **وديع بشور : الميثولوجيا السورية** ، ص 118–119انظر أيضاً حول نشأة الكون عند الفينيقيين :

L.Delapor;Phènicie Mythology,in Larousse encyclopèdie of Mythology,New York 1964,p82-83

وتعتبر نظرية فيلون الجبيلي التي دافع فيها عن حضارته الأم وأظهر دورها الكبير في حضارة الإغريق الذين اقتبسوا الكثير منها أكبر دليل على ذلك ،سواء عن طريق الاحتكاك في آسيا الصغرى أو عن طريق الساحل الفينيقي ، حيث تبدو آثارها واضحة في معتقداتهم الدينية وأساطيرهم وفلسفتهم وقوانينهم ولغتهم وكتابتهم، حيث وعى فيلون لذلك وانبرى للدفاع عن تراثه المحلي ، فيقول أن عمله هذا هو أكبر ثقة من أي شيء آخر موجود في المصادر الإغريقية ،لأنه اعتمد على تقرير الكهنة الفينيقيين ، بينما تجهل المصادر الإغريقية التاريخ الحقيقي للفينيقيين ونراه في تاريخه يعزو كل الاكتشافات الهامة والأولى للبشرية كبناء البيوت والصيد وبناء المراكب والزراعة وغيرها إلى الفينيقيين مظهراً معاداته للتفوق الإغريقي السائد في ذلك العصر .فقام بمقارنة المصادر الفينيقية الموثوقة مع النسخ المقتبسة والمشوهة والمتداولة بين الإغريق عن الماضي السحيق .وهذه مقتطفات من مؤلف فيلون تبرز نظريته ، نظرية تكوين العالم – الكوزموغونيا الفينيقية Cosmogony (***كان أصل الكون هواء مظلماً عاصفاً أو تياراً مظلماً من الهواء وهيولى معتمة مظلمة، كانت هذه الأشياء لامتناهية وبقيت عصوراً طويلة بلا حدود .وعندما عشقت الرياح عناصرها الأولى نتج عن ذلك مزيج ، ودعي ذلك الاتحاد بوثوس pothos أي رغبة وإثارة ،كان هذا بداية تكوين كل شيء ، لكن الرغبة لم تعرف تكوينها الخاص بها، ومن اتصالها مع الرياح ولد للرياح موت Mot البعض يسميه طين وآخرون يسمونه عفوية المزيج الرطب، ونشأت من هذه المادة كل بذور الخلق وأصول كل شيء ،كانت هناك مخلوقات حية بدون إحساس تولدت منه مخلوقات ذكية دعيت زوفا سمين Zopha Semin أي مراقبو السموات ، وتشكلوا على هيئة بيضة تقريباً ، وهكذا ظهر موت مع الشمس والقمر والنجوم والكواكب الضخمة***).[1]

ذلك جزء من نظرية التكوين الفينيقية ، أما نظرية التكوين الإغريقية نذكر منها مقتطفات لمقارنتها مع نظيرتها الفينيقية .

نظرية تكوين العالم : **الكوزموغونيا الإغريقية** / Cosmogony وفقاً للشاعر **هسيود** / Hesiod في كتابه أنساب الآلهة حيث تحدث فيها عن خلق الكون ورتب أنساب الآلهة بشكل سلسلة مترابطة فوضح تاريخ نسبهم ومصادر نشأتهم وتقلبات الدهر التي مرت بعائلاتهم ، مما جعله جديراً باعتباره المنظم الأول لأساطير الإغريق .[2]

1- **فيلون الجبيلي** : ص 5- 12- 16 المقتطف الثاني 42- 10- 30- 9- pe1 ص 29- 30

2- **أمين سلامة** : **الشاعر اليوناني هسيود** – دار الفكر العربي ،مصر ، ط1 ، 1948م ، ص 25

(لم يكن في البدء سوى العماء يسمى خاوس / Chaos حيث انقسم إلى الليل الأنثوي والظلام المذكر ، ثم انبثقت جايا Gaia ذات الأحضان الواسعة وآيروس Eros وبعد إذ ولدت جايا كائناً مساوياً لها قادر على تغطيتها بكاملها وهو أورانوس ، السماء المرصعة بالنجوم "أورانوس كله شره للحب ، حامل معه الليل تقرب من الأرض واحتضنها " ومن هذا الزواج الكوني /Herogamie اتى للدنيا جيل ثانٍ من الآلهة هـن الأورانيـدات Ouranides التيتـان السـتة ، الأول أوقيـانوس وريـا Rheia وتيميـز Themis ومنيموزين Mne- mosyne والسيكلوبات Cyclopes والأخير كرونوس).[1]

ويمكن تنظيم هيكل الهيولى بثلاثة مستويات حيث يقع الخواء على القمة ثم يظهر في المستوى الثاني الليل والنهار وفي المستوى الثالث خمسة آلهة هم الضوء والماء وقرص الأرض الترابي –جايا– وعمق الأرض الناري والرابط بينهم آيروس الحب أو الرغبة .

أصبحت الأرض جايا – أي عنصر التراب – مركزاً للكون وقد ظهرت منها آلهة العناصر الأربعة وهي آلهة الماء الأولى وآلهة النار الأولى وآلهة الهواء الأولى والجبابرة وبالطبع توالدت من العناصر الأولى الكبرى أجيال جديدة من الآلهة [2] من خلال ماتقدم نستنتج:

أن النظريتين الفينيقية والإغريقية تشتركان في أن أصل الكون كان من الهواء أو الخواء أو الفراغ أو العماء، وأن الحب والرغبة ضروريان لبداية الإنجاب والتوالد ، وأن التراب هو منشأ كل الخلق . من جهة أخرى تختلف النظرية الإغريقية عن الفينيقية في تمييز وانفصال الخواء إلى قسمين مؤنث ومذكر .

ويتابع فيلون قائلاً : ***"عندما أصبح الهواء مضيئاً عندها وبسبب سخونة كل من البحر والأرض نشأت رياح وغيوم وأمطار وطوفانات غزيرة من المياه السماوية هذه انفصلت وتحركت من أماكنها الأصلية عبر حرارة الشمس ، وعندما التقت هذه الأشياء مع بعضها مرة أخرى في الجو وتصادمت نتج عن ذلك صوت الرعد ولمع البرق فاستيقظت المخلوقات الذكية الزوفا سمين وأصبحت خائفة نتيجة الضجيج ، وبدأت المخلوقات المذكرة والمؤنثة بالتحرك على البر وفي البحر ، وولد من الريح كوليبا Colpia وزوجته باو Baou وتعني ليلة ، أيون /Aeon وبروتوجونوس /Protogonos وأطلق على الأولاد الذين ولدوا منهم –نسلهم– جينوس /Genos وجينا Genea وأقاموا في فينيقية وعندما كان يحدث جدب كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء باتجاه الشمس حيث عدوها سيد السماء الإله الوحيد ودعوه بعلشمين Beel Samin الذي كان يعني سيد السماء للفينيقي وزيوس***

1- **مرسيا إلياد :تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** ، ص 306

2- **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ، ص 180- 191

Zeus للإغريق يعلق فيلون على خطأ الإغريق في النقل :(***والسبب في شرحنا هذه الأشياء بطرق مختلفة هو النقل الخاطئ اللاحق للأسماء المتعلقة بها ، تلك الأسماء التي فهمها الإغريق خطأ بسبب جهلهم مخدوعين بالترجمات المشوهة " يتابع فيلون بعد ذلك في الحديث عن سلالة أيون وبروتوجونوس من البشر ، والذين كانوا مكتشفي النار وسلالتهم من العمالقة الذين أطلقت أسماؤهم على الجبال التي كانوا يحكمونها : كاسيوس Cassios ولبنان ومقابل لبنان وجبل برثي / Brathy وسلالتهم التي ظهر منها فن اختراع الأكواخ المبنية من القصب والحلفاء والبردي وهو هيبسورانيوس Hypsouranios والحديد وطريقة سبكه ، والصياد ومخترع الطوف هيفيستوس Hephaistos ، ومن علم الناس تأسيس القرى واقتناء الأغنام – الأخوين– أميانوس Amyanos وماجوس Maggos وتؤتوس الذي اخترع الأبجدية والذي اسماه الإغريق هرمس)***[1] يلاحظ من نص **فيلون** أن الجيل البشري الأول الذي ابتكر الفنون والأمور الأساسية في الحياة كان بشراً مبدعاً وأُله بسبب الفوائد والخدمات التي قدمها للناس ، بينما عند الإغريق نجد الجبابرة – التيتان– التي تقابل هذا الجيل البشري ،كانوا في الأصل آلهة ومنها ولدت سلالة إلهية جديدة متنوعة الوظائف منها الهواء "**كرونوس**" والأرض الأم الثانية "**ريا**" والنار والماء والشمس والقمر والنجوم والرياح الأربعة والإلهة المرأة والإله الرجل اللذان سيولد منهما النسل البشري .

و يمكن إدراك أوجه التشابه الكبيرة والنقاط المشتركة بين نظريتي التكوين الفينيقية والإغريقية ولكن التشابه الأكبر يأتي من خلال تاريخ حياة إيل رأس البانثيون الفينيقي ، والذي ورد في نص فيلون باسم كرونوس ، وذلك نتيجة تأثره بمصطلحات العصر الهلنستي التي طغى عليها الطابع الإغريقي ، لاسيما أن مؤلفه هذا كان باللغة الإغريقية نفسها ، أما النقاط المشتركة فهي :

أ– أورانوس الفينيقي – إيل – حاول قتل أولاده عدة مرات ، وكان يجبر زوجته على إقامة العلاقات الجنسية معه ، ثم كان يغادرها إلى عشيقاته الكثيرات ، مما أثار غيرتها وغضبها عليه ، ولذلك لجأت لأبنائها ليخلصوها منه ، وهذا يطابق تماماً قصة أورانوس الإغريقي الذي كان يرغم جايا على إبقاء أولادها محبوسين في أعماقها مما دفعها للاستنجاد بأبنائها كرونوس وأخته ريا ليقتلوا أباهم .

ب– اشتركت الروايتان الفينيقية والإغريقية بنهاية الصراع الذي ينتهي بعملية الإخصاء، وبالتالي تجريد الإله من قواه واعتلاء الابن مكان أبيه والسيطرة على السيادة العالمية .

1– **فيلون الجبيلي** : المقتطف الثاني(pe 1.9.30.10.42) ص 30– 34

بعد ذلك تتوقف رواية فيلون عند توزيع الإله إيل حكم البلاد والمدن على سلالته من الآلهة . ويعقب فيلون بعد ذلك مضيفاً : ***(الإغريق الذين فاقوا كل البشر بذكائهم الطبيعي وضعوا يدهم أولاً على معظم هذه القصص ثم أعادوا كتابتها بطرق مختلفة مع زخرفيات أدبية إضافية قاصدين بذلك إلباس الشخصيات فرح الأساطير ودبجوها بكل أنواع الزخرفة .وقد استخدمها هزيود وشعراء الأجيال المشهورين رواياتهم الخاصة ووضعوا ملخصات عن نظريات نشوء الكون ومعارك الجبابرة والعمالقة وقصص الخصي بحيث غدا لترادهم نصيب من الحقيقة)*** [1]

إن هذا النقد الموجه من فيلون كان أعنف نقد يوجه إلى الميثولوجية الإغريقية ، وهنا نرى جرأة فيلون في زمن كانت فيه الثقافة الإغريقية لاتزال هي السائدة خلال القرن الأول للميلاد وهو يكشف بوضوح نهجه النقدي وعمق ملاحظاته عن مساندة مرور الزمن للروايات والنسبية في تقدير الحقيقة .[2]

من جهة اخرى نرى أن عدداً غير قليل من الأساطير الإغريقية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلاً مع أساطير الشرق الأدنى القديم ومن بينها الأساطير الفينيقية .وتعليل ذلك أن مجموعة من الأفكار الأسطورية انتشرت في كل منطقة شرق البحر المتوسط وأثرت في أدب الإغريق ، وأن كريت ربما كانت هي حلقة الوصل بين المنطقتين .صحيح ان الدراسات المقارنة في هذا الصدد لاتزال في مراحلها الأولى ، لكن لاريب في أنها تبشر بتقدم كبير ونتائج مثيرة ، وستبين مدى ارتباط الحضارة الإغريقية بالأسس الأدبية والدينية والتاريخية التي سبقتها في الأقطار المجاورة بمنطقة الشرق الأدنى القديم .[3] يقول ***مارتن برنال :(احتوى كتاب مدرس أمريكي نشر عام 1895م على الآتي : إن نواة الحقيقة في كل تلك الأساطير قد تكون هي أن الإغريق الأوربيين قد استقبلوا العناصر الأولية لحضارتهم من الشرق ، وهذا عن طريقين الأول بشكل مباشر من خلال إقامة عناصر سامية وبخاصة فينيقية في بلاد الإغريق في عصور ماقبل التاريخ ، والثاني بشكل غير مباشر من خلال الإغريق الشرقيين الذين اتصلوا بشعوب سامية أو شبه سامية من خلال إقامتهم في آسيا الصغرى وفي كريت وقبرص ، ومن المحتمل أيضاً في شمال مصر ، ونقلوا البذور الحضارية لأهلهم في بلاد الإغريق الأوربية)*** [4]

---

1 - **فيلون الجبيلي** : (المقتطف الثاني pe1 10.10.30.42) والمقتطف الثالث (pe1 10. 44=4.16.11) ص 40- 41

2- **يوسف الحوراني ، مجاهل تاريخ الفينيقيين** ،ص 143

3- **سباتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة** ، ص 133

4- **مارتن برنال : أثينة السوداء** ، ص 541

ومن هذه الأساطير :أساطير نشأة الكون الكوسموغونيا **Cosmogony** أيضاً أسطورة أدونيس وعشتارت وقد تم ذكرهما سابقاً .هناك أسطورة ***كادموس الصوري وخطف أوربة***:

حيث تعتبر أسطورة كادموس وأخته أوروبا مثال آخر على الأصول التاريخية للأساطير ، وإن تمازجت بصور الخيال والبعد عن الواقع فكادموس الفينيقي ، وهو الذي علم الإغريق زراعة العنب والمعادن والحروف الهجائية ، وأخته أوربة هي التي أعطت للقارة الأوربية اسمها .

ومعروفة قصة اختطاف أوروبة ابنة الملك الفينيقي (**أجينور**) ملك صور من قبل زيوس الذي اتخذ صورة ثور واختطفها في البحر حتى وصل بها إلى كريت وأنجبت له ثلاثة أولاد هم (**مينوس– رادمانثوس – ساربيدون**) .وعهد أجينور إلى ابنه كادموس للبحث عن أخته المفقودة متوعداً إياه بالنفي إن عاد دونها، وهكذا كشف بهذا عن أنه إلى جانب كونه أباً يفيض قلبه حناناً كان أيضاً أباً قاسياً لايرحم .وراح كادموس يضرب في أرجاء العالم ، ولكن أنى له أن يعرف ما يخفي زيوس ؟

ومضى بعيداً عن بلاده خوفاً من بطش أبيه ، ثم حج إلى معبد أبوللو يضرع إليه أن يرشده إلى المكان الذي ينبغي أن يستقر به ونصحه كاهن دلفي فويبوس أن يذهب إلى المراعي النائية وسوف تقع عيناه على بقرة لم يشد إلى عنقها نير ولم تضق بجر محراث معقوف وطلب منه أن يتبعها حيث تسير وحيثما تقف طلب منه أن يشيد أسوار مدينته ويسمها بويوتيا .وما كاد كادموس يبتعد عن غار كاستاليا ، حتى أبصر بقرة تتهادى بلا حارس وليس على عنقها أثر لنير ، فتتبعها ومضى في إثرها بخطى متصلة وهو يتمتم بحمد فوبيوس الذي هداه إلى الطريق وبعد أن عبر حقول بانوبي توقفت البقرة ورفعت نحو السماء جبينها الجميل المزدان بقرنين طويلين وأرسلت خواراً تردد صداه في الجو ، ثم تلفتت وراءها ترى من يتبعها وخرت على ركبتها واستلقت على العشب الناعم فاتجه كادموس إلى الآلهة شاكراً وقَبل الأرض الغريبة ، وحيا الحقول والجبال التي لم يكن له عهد بها من قبل وتأهب ليقدم قرباناً لجوبيتر، وأمر خدمه بالذهاب إلى ينبوع ماء دافق ليغترفوا منه ماء يسكبه قرباناً للأرباب .كان ثمة غابة قديمة لم تمسها بلطة ، يتوسطها غار تكسوه صفصافة كثيفة وتشكل جدرانه الصخرية قبواً منخفضاً يتدفق من تحته ينبوع ، وكان بالغار أفعوان مارس الداكن الزرقة، يعلو رأسه عُرف ذهبي ، وتتوهج عيناه ناراً ويزخر جسده بالسم الزعاف وفي فمه ثلاثة صفوف من الأسنان ولسان ذو شعب ثلاث .ودلف الرحالة القادمون من صور إلى الغار المشؤوم وأخذوا يغترفون الماء بجرارهم ، فأزعجوا الثعبان الذي نفض رأسه من غور الغار وفح فحيحاً مخيفاً جعل الدم يجمد في أطراف الرجال فسقطت الجرار من بين أيديهم المرتجفة من هول الفزع ، وأخذ الثعبان يزحف إليهم وهاجمهم وصرعهم وتركهم بين ممزق بأنيابه ومعتصر بتلافيفه ومحترق بأنفاسه المسمومة . وحين توسطت الشمس كبد السماء وقاربت ظلال الأشياء للزوال أخذ ابن أجينور يتساءل قلقاً عما أخر رفاقه ، وراح يبحث عنهم مرتدياً جلد أسد حاملاً حربته المتألقة

النصل ورمحه متقدماً في شجاعة لايعوزها سلاح فلما دخل الغابة لمح جثث أتباعه والعدو الرهيب يشمخ مزهواً بانتصاره عليهم تنسكب من لسانه قطرات الدم فصاح كادموس قائلاً :" لأنتقمن لموتكم أيها الأصدقاء الأوفياء أو لألحقن بكم " ومال على صخرة هائلة وطوّح بيمناه في قوة لو أنه ضرب بها سور حصن شامخ لزعزعت أركانه ، ولكنها لم تصب الثعبان القوي الجسد السميك الجلد بأذى إذ كانت حراشفه بمثابة الدرع الواقي وارتد الحجر بعيداً بعد أن دفع به جلده الأسود ، فسدد إليه رمحه فإذا هو يخترق الجلد وينفذ إلى الأحشاء عند منتصف الظهر واستدار الثعبان وهو يئن ألماً ،ثم أنفذ كادموس الحربة في حلقه ، وبينما راح كادموس يرنو إلى خصمه الضخم المهزوم إذا به يسمع صوتاً لايعرف مصدره يقول له :

(مالك تحملق في الثعبان الذي أرديته ، لسوف يأتي يوم يتطلع إليك الناس فيه أيضاً وقد استحلت ثعباناً) وعندها سرى الفزع في جسده وارتعدت أطرافه . وما لبثت بالاس راعية كادموس أن ظهرت وطلبت إليه أن يحرث الأرض ويدفن بها أنياب الثعبان لتغدو بذور شعبه الجديد ، وأطاع كادموس أمرها وشق بمحراثه أخاديد عميقة بذر بها أنياب الثعبان وحدث ما لم يكن بالحسبان إذ أخذ سطح الأرض يهتز وبرزت البذور في شكل رؤوس رماح تعلو وسط الأخاديد وظهرت خوذات يهتز من فوقها الريش المختلف الألوان وتبعتها الأكتاف والصدور والأذرع حاملة الحراب وامتلأ الحقل بنبت من الجنود المسلحين بتروسهم وفزع كادموس حين رأى هذا العدد المهول من الأعداء الجدد وشهر سلاحه مستعداً للنضال ، فصاح به أحد المحاربين الذين أنبتتهم الأرض قائلاً " **لاتشهر سلاحك ولاتقحم نفسك في هذا الصراع القبلي** " وسرعان ما أغمد هذا المتحدث سيفه في جسد واحد من إخوته النابتين معه وكان قريباً منه ، وما لبث أن سقط هو الآخر صريع رمح سدد إليه من بعيد ، ولم يعش قاتله طويلاً إذ أسلم بدوره الروح التي لم يكن قد مضى على نبضها في جسده لحظات، وظل الجيش يصرع بعضه بعضا حتى أفنى الصراع جميع الإخوة الذين لم يطل عمرهم أكثر من لحظات قصار ، ولم يبقَ منهم سوى خمسة أفراد ، بينما ظلت جثث الموتى تتلوى فوق صدر الأرض أمهم التي أدفأتها دماؤهم الساخنة ، وكانت بالاس قد طلبت إلى أحد الخمسة الباقين وهو " إخيون " أن يضع سلاحه فاستجاب لها ووعدها ألا يقاتل وطلب إلى إخوته الأربعة أن يفعلوا فعله . وفي صحبة هؤلاء الرفاق الخمسة الباقين بدأ كادموس الوافد من فينيقيا يشيد مدينته التي أوصاه الوحي بمعبد فوبيوس ببنائها .

وشيدت مدينة بويوتيا (طيبة) وفيها بدا لكادموس أنه قد ظفر بالسعادة في منفاه ، فقد تزوج النبيلة هارمونيا ابنة الإله مارس والإلهة فينوس وأنجب منها أبناء وبنات أنجبوا له أحفادا أعزاء وضعوا تقاليد الأسرة وأرسوا روابط التعاطف بين أبنائها وعاش حتى رأى أحفاده وقد شبوا عن الطوق وصاروا رجالاً [1]

1- **أوفيد :مسخ الكائنات** ، ترجمة ثروت عكاشه ، الهيئة المصرية للكتاب ص 77- 79

ثامناً :التأثيرات المتبادلة في معتقدات الموت بين الفينيقيين والإغريق:

مهما تنوعت مفاهيم الموت ، ففي النهاية يبقى المعنى واحد " **أنه نهاية كل حي في هذا الوجود يكون مظهره خمود الشعور وتلاشي الإدراك** "

ولكن ما بعد الموت هو السؤال الذي تنوعت النظرة إليه بين الشعوب قديماً وحاضراً ، لأن باطن الموت ارتبط بمعتقدات فكرية لاتستند على دليل ملموس بين حقيقة الموت وحال الجسد بعد مفارقته الروح والانفصال عن الدنيا ، فتبنى كل شعب فكرته الخاصة التي من خلالها يتم التعامل مع جسد الميت بطقوس تعبر عن الفكرة .

وكانت الأساطير هي السمة الغالبة على المعتقدات الأرضية دون السماوية ، فحين نتتبع الحضارة الفينيقية و الإغريقية نجد أن الموت له سمة خاصة تتصف بالألوهية مما أكسبها صفة الثبات عبر الأجيال

1– معتقدات الموت عند الفينيقيين

يقول **جان مازيل** : ***(كان الموت محاطاً بطقوس خاصة ، ويتبين من كل المقابر الكبيرة الفينيقية أو المتأثرة بالفينيقيين أن الأموات كانوا يعاملون بكثير من التقدير)*** [1]

آمن الفينيقيون بالحياة بعد الموت ،لذلك كانت العناية بالموتى وإقامة الشعائر لهم من أهم مرتكزات العقيدة الدينية عند الفينيقيين ،كانوا يؤمنون بأن بعد الموت تنفتح للنفس حياة جديدة وتبقى على صلة بالجسد الذي فارقته ، ويطلقون على المدافن اسم بيوت الراحة ويحفرون لها في الأرض حفراً عميقة لكي لاينهبها اللصوص أو يدنسونها .[2] عادة ما كان الدفن الفينيقي يشتمل على دفن أشياء مع الميت حيث يمكن لهذا الأخيرة أن تكون أوعية فخارية أو معدنية لحمل الطعام والشراب وأوعية خشبية أو خزفية أو زجاجية صغيرة للعطور ومواد تجميل وما شابه ، فضلاً عن الأمشاط والملاعق والسكاكين وسواها من أدوات الزينة والمجوهرات والتمائم والعقود وأشياء أخرى فضلاً عن النقود والأقنعة والتماثيل الصغيرة ذات الأهمية الشعائرية. [3]ويؤكد ذلك نقش **بت نعم** وهو نقش يعود لحوالي 350 ، وهو يتألف من سطر واحد نقش بخط واضح على الطرف الأيمن لقطعة من المرمر الأبيض ، ويبلغ طوله 94سم ، اكتشف عام 1929م على أرض القلعة الصليبية في جبيل ، وهو محفوظ الآن في المتحف الوطني في بيروت .

ترجمة النص : ***(في هذا التابوت (أرقد) أنا بت نعم ، أم الملك عنّي بعل ملك جبيل ، ابن فلط***

1– **جان مازيل ، الحضارة الفينيقية** ،ص 37

2– **جميل جبر ،جبيل في التاريخ** ، ص 55

3– **دونالد هاردن،الديانة الفينيقية** ، ص 128

بعل كاهن بعلة (جبيل) ، بثوب وقلنسوة (غطاء الرأس للسيدات) عليّ(على رأسي) وعلبة أحمر الشفاه الذهبية لفمي مثل أمهات الملوك اللواتي كن قبلي).[1] لقد واجه الفينيقيون حقائق طبيعية غاية في الدقة والقوة فعبدوها ، مثلاً الموت والقيامة وهما من تراث الفينيقيين، يمثلان موت فصل الصيف أمام فصل الشتاء ، ثم قيامة الخضرة والنبات في فصل الربيع.[2] وكان الموت محاطاً بطقوس خاصة ،ويتبين من كل المقابر الفينيقية أن الأموات كانوا يعاملون بكثير من التقدير، فهم يعتقدون أن الجسد لا تسكنه روح فحسب ،وإنما يرون أن هناك نفس "مادية " وأن المتوفى لا يفقد بموته سوى الروح ويحتفظ في قبره بنفسه التي تحتاج أن تأكل وتشرب وتتنزه وتتأمل الطبيعة لذا كانت المقابر تبنى في أماكن عظيمة توحي بالمهابة، غالباً على الشواطئ الصخرية المطلة على البحر وكانوا يعملون على تأمين نقل المياه للمتوفى . [3]ودفن الميت من واجب الأقرباء المقربين للمتوفى في مقبرة الأسرة ، وكان هناك خوف من بقاء الجثة بدون دفن وكانت الآلهة أحياناً تعاقب بالحرمان من الدفن وخاصة للصوص القبور .ونقش **تبنيت** يثبت ذلك حيث يقول :(**أنا تبنيت كاهن عشتارت ملك الصيدونيين ، ابن أشمن عزر كاهن عشترت ملك الصيدونيين ، أرقد في هذا التابوت .لتكن من كنت أي إنسان يطأ هذا التابوت ؟ لا لا تفتح عليَّ (لاتكشفني) ولا تزعجني ، لأنه لا أحد أدى لنا (أرانا) فضة ، لا أحد أدى لنا (أرانا) ذهباً ، أو أي شيء ثمين ، غير أنني أرقد في هذا التابوت . لا لاتفتح عليَّ ، ولاتزعجني ، لأن هذا العمل فظيع عند عشتارت ، وإن فتحاً تفتح عليَّ ، وإزعاجاً تزعجني ، فلن تكون لك ذرية (أولاد) في الحياة تحت الشمس ، ولاقبر بين الأموات**).[4]

والحداد على الميت كان يتم بالجلوس على الأرض ،وصب الرماد فوق الرؤوس وتمزيق الثياب واللطم والنواح على الميت، ورافقت عملية الدفن ذبح الذبائح وسكب الخمرة والتعزية والنواح والبكاء خارج المنزل وفي العراء وعلى أعلى الجبل. [5] وقد دفنوا ملوكهم والنبلاء في نواويس حجرية بينما كانوا يدفنون العامة في توابيت خشبية أو يلفونهم بأكفان بسيطة من قماش وكان اسم الميت ينقش على قبره ،وكان ذوو الفقيد وأقاربه يزورونه من حين لآخر ويضعون على قبره الورود والطعام والشراب ظناً منهم بأن روحه تسر بذلك .

1- **أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية** ، ص 75

2- **شكري نصر الله : تاريخ لبنان واللبنانيين**، شركة المطبوعات ،بيروت ، ط1 ، 2006م ،ص 12

3- **جان مازيل : الحضارة الفينيقية** ، ص 37

4– أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ، 82

5- **أحمد حامدة** : من مظاهر الحياة العائليةفي المجتمع الكنعاني الفينيقي ،مجلة دراسات تاريخية، العددان 79-80، جامعة دمشق ، 2002،ص 71

أما سرقة القبور هي واحدة من أكثر الأعمال المعيبة في العالم ،وأقدمها في التاريخ، فمنذ اعتقد الإنسان بالحياة بعد الموت ودفن موتاه بما يمتلكه في الدنيا ازدهرت سرقة القبور، وكان ضرورياً اتخاذ تدابير محكمة لمنع انتهاك حرمة الموتى ،فللقبور حرمة فائقة والاعتداء عليها جريمة ،ويبدو أن نهب القبور كان يمضي بلا عقاب، ولا يحمي الميت إلا لعنة مدونة على الناووس، [1] ويتضح ذلك من خلال الأدعية التي نقشت على التوابيت محذرة من ينتهك حرمة الميت في أن تحل عليه لعنة الآلهة ، منها نقش تبنيت وقد تم ذكره وكذلك نقش ***أحيرام*** : (***هذا التابوت صنعه إيتو بعل بن أحيرام ملك جبيل لأبيه أحيرام ، لما سجاه إلى الأبد ، لكن إذا ملك من الملوك أو حاكم " وال" بين الحكام " الولاة " أو قائد جيش زحف إلى جبيل وأزاح "فتح" هذا التابوت فسوف تكسر عصا سلطته ويقلب كرسي عرشه ، وينزول السلام عن جبيل وسوف يمحي نقشه بحد السيف***)[2]

شعيرة الدفن الأساسية لدى الفينيقيين هي اللحد ، لكن إحراق الجثث كان يحصل ، أيضاً في حالات الدفن العادية علاوة على حالات الدفن القربانية ، وقد وصلت هذه العادة إلى بلدان شرق البحر المتوسط مع الغزوات البربرية في القرن الثاني عشر ق .م ، فلا حاجة لان ندهش من أن إحراق الجثث بوصفه شعيرة يظهر إلى جانب اللحد أو الدفن في التراب في القرن السابع أو أبكر من ذلك في قرطاجة .ولقد تم التخلي عن هذه العادة ، لكنها عادت من جديد في القرن الثالث في قرطاجة، بتأثير من الإغريق دون شك . ومهما تكن الشعيرة التي يستخدمها الفينيقي ، فقد كان يروق له أن يكون القبر جيداً، وعلى الأقل الضريح ، سواء كان تابوتاً أم جرة ، وما كان ليرضى في العادة بمجرد حفرة في الأرض ، وكان القبر الفينيقي متأثراً ببعض التأثير بالنماذج الإغريقية. وليس للتوابيت البسيطة ، على الرغم من شيوعها ، سوى أهمية ضئيلة ، وأغنياء فينيقية كانوا يفضلون التوابيت المزخرفة وأقدم هذه التوابيت هو تابوت احيرام ، هو تابوت من القرن الثالث عشر أعاد احيرام استخدامه في القرن العاشر. وكانت التوابيت الطينية المزينة بأشكال شبه إنسانية شائعة في فينيقية

ولعلها كانت استيراداً إغريقياً . ولقد استمر استخدام هذا النمط خلال الألفية الأولى قبل الميلاد وبعد أحيرام ثمة فجوة في سلسلتنا من التوابيت المزخرفة وصولاً إلى تابوتي تانيت وابنه اشمنصر الثاني، وهذان كانا ملكين من الأسرة الصيدونية التي ينسبها الباحثون إلى القرن السادس أو إلى أواسط القرن الخامس أو 332– 280.

1– **محمد رئيف هيكل** : **توابيت بشرية شبيهة بالإنسان** ،وزارة الثقافة ، المديرية العامة للآثار والمتاحف سورية ،2003م، ص1– 3 انظر أيضاً : **وديع بشور** ، **الميثولوجيا السورية** ،ص 117

2– **أحمد حامدة** ،**المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية** ، ص 95

وكلا هذين التابوتين من البازلت الأسود ، وهما مصريان تماماً من حيث الطراز والأسلوب ، ومن ثم فإن تابوت تانيت وجد في سرداب للموتى تحت الأرض احتوى أيضاً على أربعة توابيت مشهورة ذات طراز إغريقي تعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس وحتى الربع الأخير من الرابع وتكمن أهمية هذين التابوتين في أنهما ، شأن سواهما مما يشابههما ، يبدوان كما لو أنهما يرسخان طرازاً لسلسلة من التوابيت المزينة بهيئات شبه إنسانية سواء كانت من الجير أم من المرمر ، والتي استخدمت في فينيقية ذاتها وفي بعض المستعمرات الغربية وتغطي القسم الأعظم من القرنين الخامس والرابع ، إذا ما حكمنا من خلال أسلوبها ولقد وجدت مثل هذه التوابيت بأعداد كبيرة في صيدون وبأعداد أقل في كل من قبرص وقادس أما في قرطاج وهذا أمر لافت فلم يوجد أي منها ، ربما لأن هذه الاشكال كانت قد تراجعت أهميتها قبل أن يتمكن الفنانون الإغريق من غرس مهنتهم هناك ، أن هذه التوابيت ذات الأسلوب الإغريقي – المصري كانت مستخدمة في الفترة ذاتها التي استخدمت فيها الأنماط الإغريقية الخالصة في سرداب تانيت .[1]

2– معتقدات الموت عند الإغريق :

كانت هناك مجموعة من الأفكار والعادات ترجع بكل تأكيد إلى عصر سحيق جداً ، والتي مازالت حتى الفترة الأخيرة من تاريخ الإغريق ، ومن هذه الأفكار نستطيع أن نعلم ماهي الآراء التي كونها الإنسان في البدء عن طبيعة ذاته وعن روحه :سر الموت .

فالروح –في رأيهم – أي في أقدم عقائد الإغريق ، لم تكن لتذهب إلى عالم غريب منفصل عن هذا العالم لكي تمضي فيه وجودها الثاني ، بل كانت تبقى قريباً من الناس وتستمر تعيش تحت الأرض . وكانت العادة عند نهاية الاحتفال الجنائزي ، أن تدعى روح الميت ثلاث مرات بالاسم الذي كان يحمله وكانوا يتمنون لها أن تعيش سعيدة تحت الثرى [2] ثلاث مرات يقولون لها (**كوني بعافية**) أو (**ليكن الثرى خفيفاً عليك**) [3]وكانوا يذبحون خيلاً وعبيداً اعتقاداً منهم ،بأن هذه الكائنات إذا ماحبست مع الميت قامت بخدمته،كما كانت تخدمه في حياته .[4] وكان الدفن أمراً ضرورياً لأجل استقرار الروح ، وكانت لديهم قناعة بأن مصير الأرواح مرتبط بقيام الأحياء بأداء واجبات الطقوس المفروضة فوق جثث الموتى ، إن روح الراحل الذي لم يدفن مع مراسم الجنازة في قبر ، لن تجد الراحة والسكينة في عالم الأموات ، وتبقى هائمة لاتستقر في مكان

1– **دونالد هاردين :الديانة الفينيقية** ، 123– 127

2– **خليل سارة : تاريخ الإغريق** ، ص 258

3– **هوميروس : الإلياذة** 28، 211، **يوروبيدس ،الكستيس** 479

4– **هوميروس :الإلياذة** 21: 27

واحد، وسرعان ما تصبح شريرة تعذب الأحياء وترسل عليهم الأمراض وتتلف المحاصيل وتثير الذعر بين الناس بظهورها بينهم بمظهر الأشباح[1]

لهذا أولى الإغريق كبير اهتمامهم للقيام بآخر واجب تجاه الميت ، ولم يشغل أي أمر في الديانة الإغريقية مكاناً هاماً وينال مشاعر المؤمنين بعمق مثلما كان عليه موضوع الموقف من الموتى . **فقد كانت خشية الموت أقل من خشية الحرمان من الدفن الذي كان يعد فقداناً للراحة والسعادة الأبدية**[2] .

فنرى أن الأثينيون يعدمون القواد الذين أهملوا دفن موتاهم بعد انتصار بحري ، ومن المحتمل أن هؤلاء القواد ، وهم من تلاميذ الفلسفة ، كانوا يفرقون بين الروح والجسد ، وبما أنهم لايؤمنون بأن مصير أحدهما مرتبط بمصير الآخر ، فقد بدا لهم أنه لايهم الجثة كثيراً أن تتحلل في الأرض أو الماء ، فلم يعرّضوا أنفسهم للعاصفة من أجل إجراء لاجدوى فيه كالتقاط الموتى ودفنهم . لكن الجمهور الذي بقي متمسكاً بالاعتقادات القديمة حتى في أثينة اتهم قواده بالكفر وأعدمهم ، حقاً لقد أنقذوا أثينة بانتصارهم ، لكنهم أضاعوا آلافاً من الأرواح بإهمالهم ،فجاء أقارب الموتى إلى المحكمة بملابس الحداد ، وهم يفكرون في العذاب الطويل الذي سيحيق بهذه الأرواح وطالبوا بالانتقام من هؤلاء القواد .[3] وقد انعكست أفكار كهذه في ملاحم هوميروس الشعبية : " لنتذكر توسلات الميت هيكتور الحارة أمام أخيل بعد انتصاره عليه **"أوه ، لاترمني لعذاب كلاب ميرميدا "** والزيارة السرية التي قام بها والد هيكتور ذاك إلى أخيل ، وهو شيخ "بريام" وتوسله لتأمين مثوى لجسد ولده لقاء فدية ثمينة .[4] وكان القانون ينزل بكبار المجرمين أو المذنبين عقاباً عظيماً ، وهو الحرمان من الدفن.[5] فيكون بذلك عذاباً قاسياً لروح المذنب يكاد يكون سرمدياً. وهكذا فإن الروح التي تدفن تصبح سعيدة إلى الأبد فيقول **هيرودوت** : ***(أما في الوفاة فإنهم يدفنون الميت وسط الضحك والفرح ، مرددين قولهم ، أن الرجل تخلص من المحن والآلام وبات ينعم بأتم السعادة)*** [6]فالاحتفال الجنائزي لم يكن لإعلان الألم ، بل لراحة الميت وإسعاده ،وبما أن الروح كانت تلازم الجسد وهي في القبر ، فكان من الواجب على أهل الميت ، أن يقدموا له الطعام والشراب ،وكانوا يقدمون القربان لأرواح موتاهم في مواسم معينة .

1- **يوروبيدس** : **الطرواديات**، 1085

2- **هـ.د .كيتو** : **الإغريق** ، ص 16

3– **كسنوفون** ، **الهيللينيكا** 1: 7

4- **سيرغي.أ. توكاريف** ،**الأديان في تاريخ شعوب العالم** ، ص 408- 409

5– **يوروبيدس** : **الفينيقيات** 1627- 1632

6– **هيرودوت** : الكتاب الخامس ، ص 374

تلك العقائد كانت بالغة في القدم وتبدو مثيرة للسخرية ،إلا أنها كانت تسيطر على الإنسان فترة طويلة من الزمن .ومن المعتقدات الجنائزية الأخرى عند الإغريق تقديس الموتى ، فكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء ، فقدسوا سلف الأسرة المالكة ، والمحاربين المشهورين ، ومؤسسي المدن ، فيصبح هؤلاء الموتى آلهة حامية لمدنها ، أي أبطالها ، فكان لكل مدينة بطلها القومي الذي تشيد له معبداً لتعبده فيه ، وكان يسمى نصف إله لأنه ولد من صلب أحد الآلهة ، ومن بين الأبطال المؤلهين **"هيراكليس" (هرقل)** ويحكى أنه كان غلاماً خارق القوة ، ولايقهر، ولما أرسلت الإلهة هيرا ثعبانين ليلتهماه وهو في مهده استطاع أن يخنقهما بيديه.[1] ولم يكن التأليه مقصوراً على عظماء الرجال ، إذ لم يكن هناك تمييز بين الأموات ، فلم يكن من الضروري أن يكون المرء من ذوي الفضيلة ،فكان الخبيث يصبح إلهاً على قدم المساواة مع أهل الخير ، وإنما يحتفظ في ذلك الوجود الآخر بكل ميول الشر التي كانت تصيبه في الحياة الأولى .[2]

وكانوا يطلقون على الموتى اسم الآلهة السفليين ، وكانوا يرجونهم ويلتمسون تأييدهم ويؤكد **توكوديدس** على أن المنفيين في إحدى معارك البلوبونيز الذين التجؤوا إلى كورسيرا لصلة القربى التي تجمعهم بهم – **أشاروا إلى قبور أجدادهم هناك** – وتوسلوا إليهم أن يساعدوهم للعودة إلى موطنهم[3]

فلذلك كله كان الموت أول الأسرار ، وهو الذي وضع الإنسان في طريق الأسرار الأخرى والتي تم تبادل بعضها بين الفينيقيين والإغريق .

3– معتقدات الموت المتبادلة بين الفينيقيين والإغريق(ديانة الأسرار)

تنشأ في أغلب الديانات الكبرى والعقائد الدينية الراسخة والواسعة الانتشار ظاهرة انشطار عجيبة ذات طابع تجعل من الدين ظاهراً وباطناً ، ولذلك نرى الدين الظاهري الذي قوامه السنن والأعراف والعبادات الشائعة والمعروفة لذلك الدين ، والدين الباطني (السري) الذي يشوبه الغموض وتتبناه الخاصة ويسيطر عليها هاجس الأعماق والأسرار. ويمكن تعريف الديانات السرية بأنها فردية أسرية وسرية تتسع لكل فرد من أفراد الأسرة فقط سواء كان حراً أو عبداً ، ويقوم معتنقوها بأداء طقوس غامضة تقتصر عليهم فقط ، وذلك لضمان حياة سعيدة أبدية بعد الموت .

و المحرك الأساسي للديانات السرية وجوهرها يكمن في قضية واحدة هي (**الخلود**)

1– حسن صبحي بكري : الإغريق والرومان والشرق الإغريقي والروماني ، ص 125

2– خليل سارة : تاريخ الإغريق ، 261

3– توكوديدس : الكتاب الأول ، ص 37وحول ديانة الأسرار انظر **فوستيل دي كولانج: المدينة العتيقة** ، ص 260 - 240

فبعد أن يئس الإنسان من الخلود أثناء الحياة عول على الخلود بعد الموت ، ولأنه لايستطيع أن يضمن لجميع أخوته من البشر الحصول على هذا الخلود بعد الموت لذلك سعت نخبة عارفة منه للوصول نحو هذا الحلم ، إما من طريق المعرفة (**العرفان**) حيث يخوض هؤلاء الخاصة في علوم ومعرفة ذوقية تضمن لهم الاتحاد بالإله لينالوا هذا الخلود، وإما بالطقوس السرية ذات الطابع الخاص والغامض [1]. وكانت هذه الطقوس تقسم في الغالب إلى مراحل متدرجة هي :

أ– التطهير : التطهير الجسدي بالاغتسال والنظافة أو التطهير الروحي بالاعتراف

ب– التكريس : تلقين أوليات أو مبادئ الديانة السرية .

ج– العبور : وهي طقوس غامضة يتعرض فيها المتعبد لنوع من الامتحانات الطقسية الصعبة التي تثبت إيمانه وتجعله قوياً

د– الاتحاد: وهو الاتحاد بالإله المقدس حتى يضمن المتعبد لنفسه الخلود بعد الموت لأن إلهه هذا سيكون حياً بعد موته وسيكون هو هذا الإله كلياً أو جزئياً .[2]

وقد ازدهرت الديانات السرية في العصر الهلينستي ونتيجة للاتصال بين الفينيقيين والإغريق ، اتصلت الديانة الفينيقية بالديانة الإغريقية وأثرت فيها وتأثرت بها ، وكنتيجة لهذا الاتصال تحولت بعض الديانات المحلية إلى ديانات الأسرار .فالديانات التي أتت من الشرق إلى بلاد الإغريق جنحت للاحتفاظ بآلهتها وأساطيرها حتى بعد أن دخلت عليها الطقوس الغامضة وتحولت إلى ديانات سرية . وطوعت الأساطير المحلية نفسها لتتوائم مع الديانات التي كانت في طريقها لتصبح ديانات سرية ومن ثم تصبح جزءاً من الثقافة الهللينستية ، حتى يمكن تفسير الطقوس والاعتقادات التي ظهرت في الديانات الجديدة عن فكرة الخلود الشخصي ، فأسطورة أدونيس وأفروديت لم تخرج عن كونها قصة الموت والبعث ، فقد كان أدونيس هو زوج أفروديت المرتقب ، فقتله خنزير بري ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى ، وفي شكل آخر للأسطورة نجد أن أفروديت قد أودعت أدونيس عند الآلهة كوري ، وفيما بعد عندما طلبت عودته رفضت كوري ، فتظلمت أفروديت للإله زيوس الذي حكم بأن يمكث أدونيس نصف العام عند كوري ، ونصفه الآخر عند أفروديت .[3]

---

*1- **Edgar Krentz , The Mystery Religion; An ouverview Religion,and Ethics intitute Evanston**, U.S.A,1980,p1-2*

2– حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص 56

3–نفس المرجع السابق ، ص 59– 60

وهنا نجد أن هذه الأسطورة هي موائمة للأسطورة الفينيقية مع الأسطورة الإغريقية في اليوسيس*، وربما كان هذا عاملاً مساعداً في تأكيد فرضية أن الأساطير الإليوسية كانت قد أثرت في الديانات الشرقية عموماً والفينيقية خصوصاً خلال فترة انتقالها إلى الغرب .وهكذا يبدو أن أولى الديانات السرية كانت الإليوسية الغامضة وهي تتعلق بعبادة ديميتر وكوري .

أ– الإليوسية :Eleusie

تعود ديانة الأسرار الإليوسية إلى حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد ، واستمرت حتى القرن الرابع الميلادي وربما تكون هذه الديانة نشأت أصلاً من الديانات الإغريقية القديمة.فالأدلة الأثرية توضح أنها من أقدم ديانات الأسرار عند الإغريق .[1]

وقد انتشرت هذه الديانة من إليوسيس إلى بلاد الإغريق كلها ، بل وصاحبت الإغريق في هجراتهم ومستعمراتهم الجديدة في آسية الصغرى وصقلية وجنوب إيطالية ، وفي العصر الهلينستي أصبح من الممكن لغير الإغريقي أن ينضم إلى هذه الديانة والتي كانت متاحة للجميع من الرجال والنساء والأطفال .وهي عبادة مستوحاة من طقوس الزراعة ودورات فصول السنة ،بطلتها هي الآلهة ديميتر أو "الأرض الأم" مانحة الحياة والخصوبة وابنتها برسيفوني[2]

والأسطورة تحاول أن تفسر أصل هذه الديانة قائلة : كانت ديميتر والإلهة كوري تجمع الزهور في مدينة إليوسيس مع أثينا وأرتميس ، وإذ قطفت كوري زهرة زعفران انشقت الأرض أمامها، وعبر ذلك الشق حمل هاديس إله المملكة السفلية كوري ، ومضى بها إلى هناك وتزوجها ، وقد بحثت ديميتر طويلاً عن ابنتها ، وعانت الطبيعة كلها جراء فقدان كوري ، فجفت الأنهار واقحلت الحقول ، فأحدق خطر الموت جوعاً بالناس ، ولكن ديميتر عرفت أخيراً مكان ابنتها وطالبت بأن يعيدها هاديس إليها ، بيد أن ذلك كان مستحيلاً ، فكوري كانت قد فقدت الخلود لأنها أكلت من ثمار بستان العالم السفلي من شجرة الرمان ، عندئذ التأم مجلس الآلهة وحسم الأمر كما يلي :

* اليوسيس : مدينة قديمةوصغيرة في أتيكة ببلاد الإغريق تبعد أربعة عشر ميلاً إلى الغرب من أثينة، ويربطهما طريق مباشر يسمى الطريق المقدس ،وكانت طوال العصور القديمة مقر الطقوس الإليوسية ذات الأسرار. انظر نفس المرجع السابق ، ص 64

1– Edgar Krentz , The Mystery Religion; An ouverview Religion,and Ethics intitute Evanston, p6

2– وديع بشور : ديانات الأسرار، دار المرساة ، دمشق ، 2006م ، ص 176

بعد أن باتت كوري زوجة هاديس صار لزاماً عليها أن تقضي ثلث العام مع زوجها في المملكة السفلية، أما باقي أيام السنة فتقضيها فوق سطح الأرض . وإذ تكون كوري على سطح الأرض تزدهر وتعطي ثماراً ، ومع رحيلها إلى العالم السفلي تغرق الأرض في ثبات الشتاء العميق . وعلى محور الازدهار والثبات "الحياة والموت " بنيت المسرحيات الدينية. (1)

و كان الاحتفال بالأسرار الإليوسسية الصغرى والأسرار الإليوسسية الكبرى يتم سنوياً ، لكن لايعرف الكثير عن الأسرار الصغرى ماعدا أنها كانت تتم في الربيع ، أما الأسرار الإليوسية الكبرى فقد كان الاحتفال بها يتم في الخريف خلال شهر "بويدروميون" (سبتمبر – اكتوبر) في الوقت الذي تبدأ فيه الحقول بالأخضرار . وفي الثالث عشر من هذا شهر بويدروميون (21– 22 سبتمبر) كان الكهنة يحملون تمثال ديونيسيوس مع رموز أخرى مقدسة تتعلق بعبادة ديميتر من معبدها في إليوسيس ليودع في معبدها في أثينة عبر الطريق المقدس في موكب حافل ، وفي اليوم التالي يعلن الكاهن الأكبر للإلهة ديميتر في أثينة بداية الاحتفالات ، وفي اليوم الذي يليه يبدأ معتنقوا هذه الديانة في إجراء طقوس التطهير في خليج فاليرون إلى الشمال من أثينة حيث يقومون بالاغتسال ، ويطهرون معهم خنزيراً صغيراً ثم يذبح الخنزير وينثر دمه على عبدة ديميتر ، ثم يطلب منهم الصيام لثلاثة أيام ، وفي التاسع عشر والعشرين من هذا الشهر يتجمع كهنة الإلهة ديميتر مع عبادها الذين تطهروا حاملين أغصان وأوراق الريحان ثم يتحركون من أثينة عبر الطريق المقدس إلى إليوسيس حاملين معهم تمثال ديونيسيوس الذي كان سُبق أن أحضر قبل أسبوع إلى أثينة ، وكان الموكب يتحرك ببطء شديد حيث كان من المفترض أن تقدم القرابين والأضاحي على كل المذابح التي يمتلئ بها الطريق ، وأخيراً وحوالي اليوم الواحد والعشرون من هذا الشهر يصل الموكب ليلاً إلى معبد ديميتر في إليوسيس بصحبة المشاعل المضيئة، ويبدو أنهم كانوا يشاركون في وجبة مقدسة من الخبز مع شراب مميز عبارة عن خليط من مسحوق الشعير والماء المعطر بالنعناع يسمى كيكيون **Kykeon** ويشرب في أوعية ذات شكل غريب يسمى كيرنوى **Kernoi**

وكان الوعد بالخلود بعد الموت هو مكافأة المشاركين في هذه الطقوس ، وهو الخلود الذي يرتبط بالبذور الميتة التي تعود إلى الحياة في رحم الأرض الأم ، وكان من المعتقد أن هذا الخلود سيتم تحت الأرض . (2)

1– أ . **س ميغوليفسكي: أسرار الآلهة والديانات** ، ترجمة حسان مخائيل إسحاق ، دار علاء الدين ط 4 ، دمشق ، 2009م ، ص 47

2– **حسين الشيخ : ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ** ، ص 67– 69انظر أيضاً أ. **س ميغوليفسكي:أسرار الآلهة والديانات** ، ص 49

ب– الديونيسية :Dionysie

جاءت هذه العبادة إلى بلاد الإغريق ، عبر المستعمرات الإغريقية في آسية الصغرى ، كان ديونسيوس أول أمره تجسيداً للكرمة وصناعة الخمور . [1] يكاد الباحثون يجمعون على أنه وفد إلى بلاد الإغريق من آسية في حدود القرن العاشر ق.م واستقر في تراقيا ولم يحن القرن السابع حتى شاعت عبادته في بلاد الإغريق كلها، ثم أصبحت طقوسه النواة التي انطلق منها أول العروض المسرحية وكانت هي أصل المسرح الإغريقي .والإله ديونيسيوس له شكلان أساسيان : الدنيوي هو إله الخمر والنبات المزهر والجنس والمسرح والجنون المقدس والكروم و والمرح والمجون ، أما الشكل الأخر الذي يمتد إلى مابعد الموت، فهو الإله الذي يشفع للموتى والذي يأخذ بيدهم نحو الخلاص .وذكر سابقاً أن أصل هذا الإله يعود إلى فينيقية ،فهو ذاته الإله الفينيقي أدونيس إله الحب والجمال والشباب والمرح و تقام له طقوس وأعياد أدونيسية حافلة في فينيقية تجسد موته وموت النبات والخصب في الطبيعة وتجسد بعثه وبعث الخصب والربيع . وهي تشبه الأعياد التي تقام لديونسيوس في أثينا وغيرها من المدن الإغريقية ، ومنها عيد الانثيستاريا (**Anthesteria**) الذي يقام في شهر شباط ويستمر ثلاثة ايام :اليوم الأول: تفتح فيه جرار النبيذ الجديد ويتم تقديم قربان منه إلى ديونيسيوس

اليوم الثاني : يعرض تمثال ديونيسيوس في موكب حافل وتقوم الكاهنة أو زوجة حاكم المدينة بأداء طقس غامض يقام في الغالب عند بركة من المياه ، ثم يعود الموكب إلى المدينة وتقدم الكاهنة طقس الزواج المقدس من الإله ديونيسيوس (الذي يقوم بدوره زوجها الحاكم أو الكاهن) ويتم في هذا الطقس اتحاد المحتفلين بالإله ديونيسيوس .

اليوم الثالث : تقدم القرابين لأرواح الموتى ، والحقيقة أن عبادة ديونيسيوس كانت مرجعاً لظهور فن المسرح ولظهور الجمعيات السرية وأصبحت القاسم المشترك بين العقائد والطقوس الجنائزية فقد "ربط المؤمنون به بين اسمه والبعث بعد الموت ، فكانوا يؤمنون بعودتهم إلى الحياة واستمتاعهم بالخلود في العالم الآخر ، ويتخذون من قوة الخمر رمزاً لقوة الطبيعة ، ويقيمون له المهرجانات (**الديونيسية**) التي كانت تضرج بالمرح والعربدة والموسيقى والرقص والغناء وذبح القرابين فتنتشر بين المحتفلين حالة الوجد المحموم والانفعال الذي يسيطر على العقول ويفقدها اتزانها . وكان سر انتشار العبادة الديونسيوسية بين الناس رغم أنها عبادة سرية تعود إلى أن ديونيسيوس كان إلهاً شعبياً ويسمى إله الشعب (**Demotikos**).[2]

1– **سيرغي.أ. توكاريف :الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص 434

2– **خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية** ص 119– 127 انظر أيضاً :**حسين الشيخ ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ** ، 70– 71

وفي جزيرة ساموثراكي* في بحر إيجة ،تعرف فيليب المقدوني على زوجته (أولمبياس) أثناء الرقص الكهنوتي و يذكر المؤرخون تعلق نساء تلك المقاطعة (مقاطعة أبيروس) التي تتبع لها (ساموثراكي) بالطقوس الوثنية السرية والتي توصف بالهمجية ، ووصف الشعائر التي كانت تقام إكراماً وتعظيماً لديونيسيوس وكانت العابدات ينادين في الأعياد وعند حلول المواسم ، لإقامة أغرب ماعرف في التاريخ القديم من حفلات مشبوهة همجية ومريبة ، وكان الهدف من تلك الطقوس الوصول إلى الغيبوبة والشطح بمضغ اللباب والأعشاب المسكرة والرقص القائم على خلجات الجسم وترجيف الأطراف ، في جو عابق بالموسيقى الصاخبة المصحوبة بنقرات الطبلة وأنات المزمار ، مع مايتخلل ذلك من صرخات وزعقات مدوية ، حتى إذا بلغت الهستيريا بالجماعة أشدها ،نفرت تلك النساء تائهات في دماميس الظلام ، يناجين ديونيسيوس والأرواح، إلى أن يصادفن حيواناً ، فيعملن فيه الأظافر تمزقاً وتقطيعاً بوحشية ، ويرشفن من دمه وهن مسعورات ، ويأكلن من لحمه باهتياج ثم يهمدن منهوكات القوى حتى الصباح .[1] وبحلول القرن الرابع ساد الاعتقاد بأن من يعتنق ديانة ديونيسيوس ويشارك في طقوسها الغامضة في محاولة للاتحاد مع الإله ستكون له حياة سعيدة بعد الموت[2].وهكذا نجد أن الديانات السرية ازدهرت في العصر الهلينستي ، وباستثناء ديميتر يمكن القول أن أغلب الآلهة في الديانات السرية كانت تعبد في الشرق وخاصة عند الفينيقيين كآلهة محلية ، وهي آلهة واضحة بعيدة عن الغموض ، وديانتهم بسيطة تقدس عناصر الطبيعة المختلفة المؤثرة في حياة الإنسان، وبعد انتقالها إلى بلاد الإغريق تحولت إلى ديانات سرية تقوم على طقوس غامضة يقوم بها معتنقوها لضمان حياة سعيدة أبدية بعد الموت .

*جزيرة ساموثراكي: تقع جنوب غرب ساحل آسيا الصغرى وهي ذات طبيعة جبلية ،وفيها طائفة تؤدي طقوساً بلغة غير اللغة اليونانية ، وهو مايرجح وفود هذه العقيدة من خارج بلاد الإغريق . ويبدو أنها ذات أصل قديم لكنها لم تترسخ في بلاد الإغريق إلا بحلول أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حيث ظهرت في أثينة نفسها . وقد اتخذت الساموثراكية من مجموعة من الآلهة المشتركة مركزاً لها أطلق عليها (**الآلهة العظيمة**) **Theoi–Megaloi** والآلهة الساموثراكية **Theoi–Samothrakes** أو الكابيري **Cabiri** وقد اشتهر هؤلاء الآلهة الكابيري ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد لحماية الملاحين ، اشتق اسم الكابيري من الكلمة الفينيقية (**كابيرم**) أي (**الكبير**) بمعنى الكبير والقوي في اللغة العربية وهو ما يتفق مع وصفهم بالآلهة الكبار وقد انتشرت عبادتهم في بويوتية (منذ القرن السادس قبل الميلاد) التي يرتبط اسم عاصمتها طيبة باسم الإله الفينيقي الأصل (**كادموس**) مؤسس طيبة . فهم إذن إما آلهة فينيقيون وإما آلهة فريجيون (فريجيا تقع جنوب جزيرة ساموثراكية) وفي الحالين هم آلهة خصب ترتبط عبادتهم بطقوس سرية وغامضة ظهرت بوضوح في جزيرة ساموثراكية.للمزيد انظر **هيرودوت** : الكتاب الثاني ، ص 157 وانظر أيضاً:**خزعل الماجدي** : **المعتقدات الإغريقية** ص 125- 129

1– خليل سارة : تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية ، ص 40 – 41

2– حسين الشيخ ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ ، ص71

تاسعاً : النتائج العامة :

خلاصة القول نجد أن الدين احتل المكانة الأسمى عند الفينيقيين والإغريق لارتباطه بحياتهم اليومية، وجاءت الديانة مرتبطة بالطبيعة مباشرة ، فكانت الآلهة هي المسؤولة عن كل شيء ، فهي الراعية والحامية والمدمرة والمسببة للأعاصير والمرسلة للرياح القوية ، وكان على الشعب طاعتها وإقامة الشعائر الدينية لها ، وبناء المعابد واللجوء إليها عند الشدائد ، وتخصيص أناس يقومون على خدمتها ، وكان على الناس تقديم القرابين والأضاحي لها. ونتيجة للانتشار الفينيقي في غرب البحر المتوسط ،انتقل الفينيقيون حاملين معهم معتقداتهم وطقوسهم الدينية ، وقاموا بتأسيس المستوطنات التي لم تكن منغلقة على نفسها ،بل كانت مفتوحة ضمت العديد من الجاليات الأجنبية ومنهم الجالية الإغريقية التي ساهمت في بنائها وأدوا دوراً في ازدهارها . وبعد التوسع الإغريقي في حوض البحر المتوسط وظهور التنافس بينهما للسيطرة على طرق التجارة وإنشاء المستعمرات ، يمكن ملاحظة الاختلاط الفينيقي الإغريقي في مناطق تواجدت فيها مستوطنات الطرفين،ونتج عن ذلك تأثر وتأثير بينهما في المجال الديني،فكانت هناك آلهة فينيقية عُبدت في بلاد الإغريق .حيث نجد أن الإغريق كانوا كلما وجدوا أنفسهم أمام آلهة فينيقية ، عمدوا دائماً إلى قياس هوية آلهة هؤلاء على هوية آلهتهم الخاصة . ويبدو أن الإغريق أو بعضهم سحرتهم منذ عصر قديم آلهة الفينيقيين والاحتفالات والطقوس الدينية التي أقيمت في مظاهر كبيرة متنوعة وخاصة ،ولا يستطيع زائر أن يتجاهلها فإن كان ذا ميول نحو الاعتقاد في الأمور الخفية فإنه لا يلبث أن يؤخذ بها وينجذب إليها ، وربما يعود الزائر إلى وطنه متأثراً بها تأثراً يصل إلى درجة الإيمان ، فيرجع إلى بلده حاملاً في قلبه أماني وآمالاً جديدة .هكذا كان للفينيقيين فضل كبير في تصدير العبادات الشرقية إلى بلاد الإغريق ، وكان لذلك نتائج إيجابية على الطبقة الدنيا الإغريقية ، إذ أكسبها الدين قوة جديدة في أن يكون لها ديانة وعبادة ، وعززت موقفها من خلال ذلك في المجتمع الإغريقي ، بعد أن كانت محرومة من هذه المزايا الاجتماعية والدينية ، وأُرغمت الطبقة الارستقراطية على الاعتراف بوجود الطبقة الدنيا التي بدأت تشعر بكيانها ووزنها. وبالمقابل لم ينغلق الفينيقيون على أنفسهم ، بل تلقفوا ديانة وثقافة الإغريق ونهلوا منها وتعاملوا مع ديانتهم بكل محبة واحترام وتسامح ،فعبدوا بعض الآلهة الإغريقية ، وكان هناك تأثير متبادل في مجال بعض العقائد الدينية كعقيدة الموت وديانة الأسرار ،فكلاهما وجد في الموت لغز محير وحق مكروه ، فابتدعوا الكثير من الأفكار والعقائد المساعدة على تخفيف وقعها في النفوس ،وصاغوها في قوالب ميثولوجية وأدبية جميلة ، وتبادلوا هذه الأفكار والعقائد فيما بينهم .و لا جدال في أن المجتمعات التجارية عادة أكثر انفتاحاً من غيرها بمعنى أنها أكثر تقبلاً للأفكار والعادات الغريبة .وإذا جاز التسليم بأن تكون المجتمعات التجارية الفينيقية والإغريقية قد تأثرت ببعضها في المجال الديني ، فإنه لا يجوز عدلاً التسليم بأن هذه المجتمعات قد تخلت – ولو بعد زمن طويل – عن كل أساليب الحياة المتأصلة فيها منذ قديم الأزل .

الفصل الرابع
التأثيرات اللغوية والفكرية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

الفصل الرابع

التأثيرات اللغوية والفكرية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية

تمهيد :

أولاً : المجالات اللغوية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية :

1. الأبجدية الفينيقية
2. نشأة الأبجدية الفينيقية
3. نتائج اكتشاف الأبجدية
4. تطور الأبجدية الفينيقية
5. اللغة الفينيقية
6. أصوات اللغة الفينيقية
7. انتقال الأبجدية الفينيقية إلى بلاد الإغريق
8. التعديلات الإغريقية على الأبجدية الفينيقية

ثانياً : التأثير المتبادل في مجال الجغرافية وعلم الفلك

1. الفكر الجغرافي عند الفينيقيين
2. الفكر الجغرافي عند الإغريق

ثالثاً : التأثير المتبادل في مجال الفلسفة

رابعاً : النتائج العامة

تمهيد

تلاقت الثقافة الفينيقية مع الثقافة الإغريقية في محاور وعناصر عديدة على مدى أكثر من ألف سنة وأخذت الحضارة الإغريقية في الألف الثانية والأولى قبل الميلاد الكثير من معالم الحضارة الفينيقية ، وبدورها أخذت الحضارة الفينيقية الكثير من الحضارة والأدب الإغريقي في الفترة الهللينستية ، وفي الوقت الذي كان فيه دعاة المعجزة الإغريقية يصولون ويجولون لإثبات أن نشأة العلوم إغريقية خالصة ، وأن الإغريق توصلوا إلى اكتشاف العلم من فراغ كامل . إذ يقول المؤرخ **كيتو** :

(بينما كانت حضارات الشرق التي سبقت حضارة الإغريق ذات كفاية بالغة في الأمور العملية ، وكانت أحياناً لاتقل في فنها عن الإغريق ، إلا أنها كانت جدباء من الناحية العقلية ، لقد مارس ملايين الناس الحياة وخبروها قبل الإغريق ، فماذا فعلوا بها ؟ لاشيء لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه ، إن الإغريق هم الذين ابتكروا الأدب بكل صوره – ماعدا القصة – وأوصلوه إلى حد الكمال ، إن شعر الملاحم والتاريخ والمسرحية والفلسفة بكل فروعها بما في ذلك مابعد الطبيعة ، والاقتصاد والرياضيات وكثير من العلوم الطبيعية كلها تبدأ من بلاد الإغريق) [1]

لكن بالمقابل كانت هناك طائفة من المؤرخين والعلماء والفلاسفة أمناء مع أنفسهم ومع الحقيقية ومع التاريخ ، فقالوا بما أملته عليهم ضمائرهم الحية، وروحهم العلمية الموضوعية.

ولعل أحد الأسباب لهذا التجني ذكرها ***مارتن برنال*** في كتابه ***أثينة السوداء*** حين قال :

(يبدو أن شعور الكراهية ضد الفينيقيين كان في تزايد حتى منتصف الستينات ، وقد تزعم رينر كاربنتر حملات هدفها تأخير التاريخ الذي يثبت فيه الأبجدية والتقليل من الانتشار الفينيقي، ولقيت مقترحاته في هذا الشأن القبول بوجه عام ، وأصبح احتمال وقوع الاستعمار في طيبة أمراً مرفوضاً على العموم ، والحق أن أكثر التفسيرات الآرية تشدداً وإصراراً بالنسبة إلى أسطورة قادموس ف .فيان**Fivian** في عام 1963م ، وقد استمر كثير من الكتاب ينكرون قيام الصلات في شرق البحر المتوسط أو يقللون من شأنها على الأقل) [2]

1– هـ.د. **كيتو** ، الإغريق ،ص 3–4

2– **مارتن برنال** : **أثينة السوداء** ، ص 586

وفي هذا المقام فإن التوتر النفسي لدى الإغريق بسبب اعتدادهم بثقافتهم من جهة ، واحترامهم للحضارات القديمة بشكل عام في الوقت ذاته زادت حدته، على ما يبدو مع فتوحات الاسكندر للإمبراطورية الفارسية في الثلاثينات من القرن الرابع قبل الميلاد ، وتدفق اهتمام الإغريق إلى حد كبير بكل الحضارات الشرقية وخاصة المصرية والفينيقية.

ونجد شاهداً على ذلك في ردود الفعل التي أثارها ما قام به زينون **Zeno** الذي ينحدر من كيتيون **Kition*** وهو الفينيقي الذي أسس المذهب الرواقي في القرن الثالث قبل الميلاد ، لقد سخر منه منافسوه فأطلقوا عليه تسمية "**الفينيقي الصغير** " ومع ذلك فقد كتب عنه أحد تلاميذه:

لقد وضعت الأساس ، بجهدك الذي لا يكل ، لمذهب عظيم غير مسبوق

أيها السلف النقي للحرية التي لاتعرف الخوف.

وإذا كانت الأرض التي أنبتتك هي فينيقية.

فهل في هذا ما يقلل من شأنك ؟ ألم يأت منها كادموس .

الذي وهب بلاد الإغريق كتبها وفن الكتابة ؟[1]

ولايمكن تجاهل شهادات الإغريق القدماء أنفسهم فقد شهد سترابون بفضل الفينيقيين على الحضارة الإغريقية: **يقول سترابون** :(***كان الفينيقيون معلمي الإغريق فنون الملاحة والفلك والهندسة والحساب)***[2] إذن لم تكن نشأة العلم الإغريقي خالصة ، ولم يبدأ الإغريق باكتشاف ميادين العلم من فراغ كامل، بل أن الأرض كانت ممهدة لهم من بلاد الشرق عامة والفينيقيين خاصة ، حيث كانت تجمعهم علاقات تجارية وثقافية .على أن هذا لا يعني على الإطلاق أننا ننكر فضل الإغريق في ظهور العلم ، والحق أن الاعتقاد بضرورة أصل واحد للمعرفة ، ربما عادة أوربية سيئة ينبغي التخلص منها ، فبإصرارنا على تأكيد دور الفينيقيين ، لا يعني أننا ممن ينكرون على الإغريق أصالتهم العلمية ، ولا نشك لحظة في أنهم يمثلون مرحلة علمية ناضجة ومتميزة .

* كيتيون : إحدى المستوطنات الفينيقية في جزيرة قبرص ، انظر المرجع السابق ، ص 219

1- المرجع السابق : ص 220 انظر أيضاً : **مفيد عرنوق** : **صرح ومهد الحضارة السورية** ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 1999م ،ص 71

2- **سترابون** ، **الجغرافية** ، الكتاب السادس عشر ، ص 55

ولكننا لا نوافق على أن ذلك الإبداع والتمايز قد أتيا من فراغ ، فقد كانت عظمة الإغريق أنهم استطاعوا أن ينقلوا بشغف كل ما وقعت عليه أعينهم وعقولهم من تراث الفينيقيين ، وأن يهضموه هضماً يتلاءم مع بيئتهم الخاصة ، وأن يحولوا هذه المؤثرات الوافدة إلى شيء شبيه بتراثهم هم ، وأن ينتقدوا هذا وذاك شيئاً فشيئاً ، حتى استطاعوا في النهاية أن يتجاوزوا هذه المرحلة وأن يبدؤوا مرحلة جديدة متميزة .

إلا أن هذه الجدة وهذا التمايز قد بهرهم لدرجة أن بعضهم بل معظمهم قد تنكروا لأجدادهم الذين علموهم ألف باء الحضارة بدءاً بالزراعة وانتهاء بحروف الكتابة التي كانت سبباً في تمكنهم من صياغة أفكارهم وتسجيلها.

أولاً : المجالات اللغوية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية:

1- الأبجدية الفينيقية :

تعد الأبجدية أعظم نتاج حضاري قدمه أبناء المنطقة إلى البشرية ،وكان له الفضل في دفع عجلة التطور والتقدم الحضاري إلى الأمام ،ولولاها لبقيت البشرية دفينة في ظلمات الجهالة والضلال .

يقول ***رينه دوسو*** :(***ينبغي أن نعيد إلى الفينيقيين ما يعود إليهم حتماً إنهم أصحاب اختراع من أهم الاختراعات في العالم ،وقد حققوا هذا الاختراع حين قرّروا تجاوز الكتابات المعقدة المنتشرة الاستعمال في عصرهم، ففرزوا اثنتين وعشرين رنة تمثل جميع رنّات الصوت في لغتهم وأنشأوا أسلوباً متناهي البساطة للتعبير عنها ،وهو أسلوب واضح لا يثير أي غموض أو التباس، إذ أن كل حرف من الحروف يختلف عن الآخر من النظرة الأولى ، وقد بلغوا الكمال في هذا المجال دفعة واحدة ،ولم تحدث التغييرات الكبيرة التي طرأت على هذا الأسلوب فيما بعد،في بلدان عدّة أي تحسن***) [1]

تشكل عملية الانتقال من الكتابة الرمزية والمقطعية ، أي كتابة الألفاظ الكاملة والمقاطع الصوتية إلى الكتابة الأبجدية القائمة على التعبير عن الأصوات المفردة ،الإنجاز الضخم الثاني في مجال تاريخ الكتابة، ومن المفترض أن نعد هذه الكتابة الأبجدية ابتكاراً فريداً لا سابق له ،لأن كل الأبجديات اللاحقة انحدرت من الأبجدية الفينيقية ،أو تم إبداعها بتأثير كتابات أبجدية أخرى يعود أصلها إلى الفينيقية.[2]

1- رينه دوسو ، الديانات السورية القديمة (ديانات الحثيين والحوريين والفينيقيين والسوريين) ص 33

2- ف:فون زودن: مدخل إلى حضارات الشرق القديم،ترجمة فاروق اسماعيل ،دار المدى للنشر دمشق،ط1،2003م،ص 47

إن عمل الفينيقيين بالتجارة أوجب عليهم استعمال كتابة سهلة وبسيطة وتكون أفضل من الكتابات الموجودة.[1]

وقد ظهرت الرغبة لدى الفينيقيين في تدوين لغتهم والتحرر من الكتابة المسمارية المقطعية، حيث كل شكل فيها يمثل مقطعاً صوتياً كاملاً، والتحرر كذلك من الهيروغليفية وكثرة رموزها وأسمائها وحروفها.

وكان اختراع الأبجدية نوعاً من تعميم الكتابة وجعلها في متناول الناس ،وليس فقط مقتصرة على الطبقة الحاكمة "السياسية والدينية". [2]

تعتبر الكتابة الفينيقية أول كتابة استخدم الإنسان فيها الحروف الهجائية فقط ،ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن أن المحاولة الفينيقية كانت المحاولة الوحيدة للوصول إلى الكتابة بالحروف الهجائية ،أو أنهم توصلوا إليها كاملة دفعة واحدة ،فالنقوش التي وصلتنا لا تفيد كثيراً في دراسة تطور هذه الكتابة، لأن أقدم نقش فينيقي أبجدي وصل إلينا بهذه الكتابة وقد بلغت الكمال ،هو النقش الموجود على تابوت أحيرام ملك جبيل ،الذي يرجح أكثر العلماء أنه يعود إلى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد . [3]

اكتشف في مدينة جبيل ،و يعتبر من أقدم النقوش الفينيقية ،حيث عثر عليه P.Montet عام 1923م منقوشاً على حافة غطاء تابوت الملك أحيرام ،وهو محفوظ الآن في متحف بيروت الوطني .

نص أحيرام:

ארן זעבל {א} תבעל . בן אחרם. מלך גבל. לאחרם. אבה. כשתה . בעלם. ואל. מלך.במלכם.וסכן.בס(כ) נם. ותמא. מחנת.עלי.גבל .תגל.ארן.זן. תחתסף .חטר . משפטה .תהתפך. כסא.מלכה.ונחת. תברח. על.גבל.זהא.ימת. ספרה.לפף. שבל.

ترجمة النص :

هذا التابوت صنعه إيتوبعل بن أحيرام ملك جبيل ،لأبيه أحيرام لما سجّاه إلى الأبد. لكن إذا ملك بين الملوك ،أو حاكم (وال) بين الحكام (الولاة) أو قائد جيش ،زحف إلى جبيل، وأزاح (فتح) هذا التابوت ،فسوف تُكسر عصاة سلطته ،ويقلب كرسي عرشه ،ويزول السلام عن جبيل، وسوف يُمحى نقشه بحد السيف . [4]

1-**Phoenician Alphabet Origin**, http.\\www Phoenician.org\alphabet

2- **الأبجدية والتعليم في أوغاريت** http://www.discover-syria.com\news\112

3- **محمد أبو المحاسن عصفور :المدن الفينيقية** ، ص 186

4- **أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية** ، ص58

2-نشأة الأبجدية الفينيقية :

السؤال هنا ما هو منشأ هذه الأبجدية؟

لا يمكن نسب الأبجدية الفينيقية إلى الهيروغليفية ،ولا يمكن القول أنها منحدرة من أصل (مسماري) أو إلى أصل سينائي قديم .[1]

وهنا لا بد أن نذكر أن كلاً من الكتابتين المصرية والسومرية اعتمدت أول الأمر على تصوير الأفكار والأشياء ،ثم تطورت كل منهما بطريقتها الخاصة .

فمثلاً الكتابة الهيروغليفية وهي تعبير يوناني مكون من مقطعين ومعناه الخط المقدس ، تضم عدداً من الرموز المصورة تقدر بحوالي خمسمائة ، تقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس ،حسب اتجاه الأشكال البشرية أو الحيوانية التي تتكون منها ، كما تقرأ من أعلى إلى أسفل إذا وضعت الحروف فوق بعضها على شكل عمودي رأسي . تطورت إلى الكتابة الهيراطيقية وتعني الكتابة الدينية أو الكهنوتية حيث استعملها كهنة المعابد في كتاباتهم ذات الطابع الديني ،ثم ما لبثت أن تابعت مسيرة التبسيط ، حيث ظهرت الديموطيقية وتعني الكتابة الشعبية أو الخط الشعبي وهي كتابة سريعة وعملية. [2]

والكتابة المسمارية تطورت هي الأخرى من كتابة تصويرية إلى مقاطع تشترك في تكوين الكلمات، وقد استعملها السومريون و الأكاديون والبابليون والآشوريون والعيلاميون والحوريون ثم الحثيون وفي ماري وإبلا ثم في أوجاريت .

و يقول **فلندرز بيتري**(**Flinders-Petrie**) أن الكتابة السينائية التي ظهرت حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد هي أصل الأبجدية الفينيقية ،عندما اكتشف كتابات شبه تصويرية نقشها المعدنون الفينيقيون العاملون في مناجم النحاس والفيروز في "**سرابيط الخادم**"* ولم يتم تفسيرها بشكل نهائي. [3]

1- **Henr Williams** :**The Historians –History of The World**, vol 2 , India 1987 ,p 347

2- مختار السويفي : **مصر القديمة** ، دراسات في التاريخ والآثار ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 1997م ، ص 91-93

***سرابيط الخادم** : أو تسمى سرابة الخادم منطقة تقع في صحراء سيناء .

3- عدنان البني : **المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم** ،دمشق ،2001م ، ص 121

انظر أيضاً : **أحمد فخري**: **دراسات في تاريخ الشرق القديم** ، مكتبة الأنجلو أمريكية ، القاهرة ،ط2، 1963م ص 116-117

والعالم **جاردنر** (Gardner) الذي حلل الكتابة السينائية توصل بعد مقارنات كثيرة، إلى أن الفينيقيين كانوا قد اعتمدوا في وضع أبجديتهم الأولى على الكتابة السينائية التي هي مزيج بين الكتابة الهيروغليفية ، والمبدأ الإكروفوني الذي هو عبارة عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول.[1]

هذه الآراء المتشعبة كان قد أعيد النظر فيها بعد أن اكتشف **بير مونتيه**(**Montet**) عام 1922م، الكتابة الموجودة على غطاء تابوت الملك **احيرام** ،الذي وضح أن هناك اختلاف ما بين الهجائية الفينيقية،وبين الإشارات السينائية[2] وقد حلل هذه الكتابة العالم **دوسو** (Dussaud) فأثبت أن هذه الكتابة مكونة من اثنين وعشرين حرفاً ساكناً ،تختلف عن كل الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسمارية وهي كتابة محلية فينيقية.[3]من جهة أخرى هناك اختلاف بين الابجدية التي اكتشفت في جبيل وكتابة أوجاريت (رأس الشمرا)، ويتلخص الاختلاف أن أبجدية تابوت أحيرام كتابة خطية تكتب من اليمين إلى اليسار وهي منقوشة على الصخور وتتميز بالبساطة .[4] بينما أبجدية أوجاريت التي بدأ التنقيب فيها عام "1929م" بإشراف العالم كلود شيفر ومساعديه ،تتميز بأنها مسمارية الطابع ،ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ،وهي مكونة من ثلاثين حرفاً ،تكتب من اليسار إلى اليمين. [5]

وهنا لابد أن نذكر أنه عثر في جبيل على كتابة خاصة تعود إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد، وربما إلى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، وهي كتابة تصويرية في بعض أشكالها بصورة واضحة ،وفي بعضها الآخر تبدو الأشكال التصويرية صعبة الدلالة ،و لاتتجاوز آثارها المكتشفة العشرة لوحتان برونزيتان، نصب حجري ناقص،ثلاثة أنصاب صغيرة محطمة ،أربع لوحات برونزية صغيرة،وقد نشر هذه الآثار الباحث **Dunand** عام 1945م. [6]

1- **محمد الصغير غانم :التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ،ص 34

2-**Pierre Montet**: **Byblos et L'E'gypte** , p 295

3- **R.Dussaud** ,**Les Inscription Phéniciennes du Tombeau d' Ahiram Roi de Byblos**,SY ,Tome 5,fascicule.2,1924,p 155

4- **محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في البحر** المتوسط ،ص34- 35

5-**Jean-Pierre Thiollet**: **je m ' appelle Byblos** ,Paris,2005,p 99

-6**أحمد ارحيم هبو الأبجدية :نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب** ، دار الحوار ،سورية، ط1 1984م، ص67

وانطلاقاً من كل هذا يمكن القول :أن الأبجدية الفينيقية ليست من إبداعهم فقط وإن كانت هناك حجج على ذلك ، وقد يكون استعمال المصريين لطريقة قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول هو الذي أوحى بذلك الاختراع ، أما أن يكون الأصل مسمارياً فهو احتمال ضعيف ومستبعد.[1]

وكان لكل حرف من الأبجدية الفينيقية اسمه الخاص ، والحرف الأول من هذا الاسم يمثل لفظ الحرف المعنى مثل : ب .بيت ، د . داليت ، ج . جيمل ، وكثيراً ما ترتبط تسمية الحرف الفينيقي بشكله المخطوط، ولا تقتصر على لفظه فقط ، فحرف الواو مسمار ، لم يكن يرتبط فقط بلفظ W بل كان يشابه المسمار وبالنسبة إلى ترتيب الحروف فهو قديم قدم الأبجدية نفسها ، وقد عثر عام 1949م على لوحة في أوجاريت رتبت فيها الحروف على أساس النظام الكتابي المعروف أبجد هوز. [2] وفي نهاية البحث جدول يوضح معاني الحروف. [3]

3-نتائج اكتشاف الأبجدية :

إن اكتشاف الأبجدية فتح ابعاداً جديدة وعميقة في دنيا الشرق ،فقد بسَّط المعاملات التجارية وانتزع من فئة الكتبة ما كان لديها من امتيازات ،وحدّ بذلك من الفارق الطبقي في المجتمع، ولما اقتبس العالم عن الفينيقيين ابجديتهم اتسع نطاق التبادل في المعرفة والفكر والثقافة والأدب ،وكان بالتالي حافزاً لانطلاقة فكرية سريعة برزت مع الحضارة الاغريقية . ولكن اعتماد الحرف الفينيقي توقف مع خضوع فينيقية لنفوذ أجنبي أخصه السيطرة الإغريقية والرومانية ،وعبثاً حاولت قرطاج المحافظة على الأصل الفينيقي للأبجدية ،مع بعض التعديل طبعاً ،وفي النهاية أدى تضاؤل نفوذ فينيقية إلى تطوير الأبجدية على يد بلدان أخرى ،لكن يكفي القول أن جميع الأبجديات من أصل فينيقي. [4]

1-سباتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 121

2 – عماد حاتم : في فقه اللغة وتاريخ الكتابة ، المنشأة العربية للنشر ، ليبيا ، ط1 ، 1982م ، ص 221-222 ، انظر أيضاً : **– *محمد مصطفى: لغة النقوش الفينيقية*** ،رسالة ماجستير ،جامعة حلب ، 1988مص 216انظر أيضاً :**فاطمة جود الله ، سورية نبع الحضارات** ، دار الحصاد للنشر ، ط1 ، 1999م ص 49

3– محمد هيثم إسلامبولي : الأبجدية صوت العلم والوعي ،دار الأوائل ،دمشق ،ط1 ، 2008م ،ص 54-55

4- **سليمان بن عبد الرحمن الذييب:الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية** ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 2007م ، ص 123

4- تطور الأبجدية الفينيقية:

يعود الفضل في تفسير الأبجدية الفينيقية بشكل صحيح إلى الفرنسي (**الأب بارثلمي**) فقد توصل إلى قراءة صحيحة عام 1758م ، عندما قارن نقشاً مزدوجاً من الفينيقية والإغريقية مكتوباً على قاعدة تمثالين يعودان إلى القرن الثاني قبل الميلاد اكتشف في مالطة ،أحد هذين التمثالين موجود حالياً في فاليت عاصمة مالطة ، والثاني موجود في متحف اللوفر بباريس ، وفي12 نيسان 1758م ، قدم الأب بارثلمي لأكاديمية الكتابات والآداب الفرنسية التي كان عضواً فيها ، نتائج دراسته لهذا النص الفينيقي المزدوج قائلاً : ***(إن النص يتحدث عن تقدمة إلى سيدنا ملقارت بعل صور، والنص في الإغريقية مطابق تماماً ، ولكن بدلاً من ملقارت هناك اسم هرقل)*** .

ونظراً لطول الفترة الزمنية التي استخدمت فيها هذه الكتابة تمكن العلماء من تقسيم نقوشها إلى ثلاث مراحل وهي : (قديمة – وسيطة – حديثة) :

أ- الكتابة الأبجدية القديمة : وتمتد حتى القرن التاسع ،وهي الكتابة التي نقشت بها النصوص الملكية في جبيل ،مثل كتابات احيرام – يحيملك –أبي بعل –إيلي بعل شفط بعل الأول وفي هذه الكتابة القديمة نص وجد في مستوطنة نورا في سردينية.

وكان الحرف في هذه الكتابة القديمة قوياً وكثيفاً وأميل إلى الانكسار ،كما كانت الحروف بالارتفاع نفسه تقريباً بحيث يمكن حصرها بين سطرين، وتفصل الكلمات عن بعضها بخطوط مستقيمة.[1]

ب- الكتابة الأبجدية الوسيطة :وتمتد من القرن التاسع حتى بداية القرن الخامس ويعود إلى هذه المرحلة نقش يحاوملك وكذلك نصوص من هذه الفترة في (مصر – سردينية – مالطة ...وغيرها) [2]

تمتاز هذه الكتابة الوسيطة باستطالات الحروف نحو الأعلى ،وبعض حروفها تأخذ اتجاهاً غير واضح نحو اليمين أو اليسار ،وليس في هذه الكتابة فواصل بين الكلمات، ونذكر أن الكتابات البونيقية في قرطاج والمناطق التابعة لها هي شكل من تطور الكنعانية الفينيقية الوسيطة .

1- **عدنان البني ، المدخل إلى قصة الكتابة** ، ص 126- 127

2- **جيمس هنري برستد : العصور القديمة** ، 664

ج- الكتابة الأبجدية الحديثة : وتمتد من القرن الخامس إلى الأول الميلادي .نصوص هذه الفترة قليلة ،ومنها في جبيل نقش بت نعم - نقش عبد أشمن وفي هذه الكتابة تتشوه أشكال الحروف ،وهناك البونيقية الحديثة التي نجد نماذج منها حتى بعد سقوط قرطاج عام (146ق.م) [1]

ولابد أن نشير أن النقوش البونية (البونيقية) تابعة للمحطات التجارية الفينيقية، وقد تأخر ظهورها عن الوطن الأم عدة قرون ، واستمرت في الوجود بأشكالها البونية الحديثة إلى القرون الأولى الميلادية ، وقد أنتجت البونية الحديثة نمطاً خطياً خاصاً ، تتمثل في خاصية كتابة النقوش بخط سلس رشيق ، وتمثلت هذه الخاصية أيضاً في تغليظ القسم السفلي من الحروف " أي الذيل " ، وأهم النقوش البونية هي لوحة اللعنات التي تعود تقريباً إلى ثلاثة قرون قبل الميلاد ، عثر عليها في مرسيليا، ودونت رموزها بالخط السطحي السريع .

وفي العصر الروماني دونت الكتابة البونية بالخط اليدوي غير الواضح نسبياً ، وهو ما يعرف بالبونية الحديثة NewPunic وقد أصبحت رموز هذه الكتابة أكثر بساطة . [2]

5-اللغة الفينيقية:

تنسب اللغة الفينيقية إلى دوحة اللغات العربية القديمة ، لاحظ المستشرقون منذ عشرات السنين أن هناك صلة قرابة بين القبائل والشعوب التي تكلمت هذه اللغات في شرقنا العربي ،فرأى الألماني شلوتزر أن يطلق عليها اسم (اللغات السامية) وقد اعتمد على لوح الأنساب المدون في سفر التكوين الإصحاح العاشر،ومنذ ذلك الحين وهذا النسب موضع نقد من المهتمين بدراسات المنطقة لأن ترتيب الأمم في سفر التكوين مبني على اعتبارات سياسية وثقافية وجغرافية، لاعلى ظواهر لغوية أو تاريخية ،ويفضل أن يطلق عليها تسمية اللهجات العربية. [3]

1- **عدنان البني : مدخل إلى قصة الكتابة** ،ص 127-128

2- **يوهانس فريدريش : تاريخ الكتابة** ، ترجمة سليمان أحمد الضاهر ، وزارة الثقافة ، سورية ، 2004م ص 118 -119

3-**علي أبو عساف : آثار الممالك القديمة في سورية 8500 – 535 ق.م** ، منشورات وزار الثقافة ، دمشق ، ط1 ،1988م ، ص 77

تنقسم هذه اللهجات إلى فرعين ،احدهما في الشمال (بلاد ما بين النهرين) والثاني في الغرب، ومنه تفرعت اللغات العربية والآرامية والفينيقية .

والفينيقية كسائر اللهجات العربية ،حروفها ساكنة ،ولا تعتمد أحرف العلة إلا في حال التشديد على اللفظ ،لذا تتعدد الجوازات في لفظ العبارة الواحدة وقد استطاع الباحثون أن يلمّوا بقواعد اللغة الفينيقية أكثر من إلمامهم بلفظ مفرداتها ،لا سيما أن اللهجات المحلية ،لا تزال سارية حتى اليوم في لبنان وتلعب دوراً كبيراً في طريقة لفظ الكلمة والحرف وقد سهل التشابه في اشتقاق المفردات في اللهجات العربية من معرفة طريقة لفظ الاسماء ومعانيها ،مثل لفظة بن (ابن) وأمَة وعبد وبعل وملك ،وثمة ألفاظ عديدة أصلها فينيقي لا تزال موجودة مع بعض التحريف في لغتنا العامية.[1] لقد بقيت اللغة الفينيقية تهمل التعبير الكتابي عن الحركات، فيمكن وصفها بأنها كتابة صامتة. [2]

6– أصوات اللغة الفينيقية :

احتوت اللغة الفينيقية على اثنين وعشرين حرفاً ،وهي تقايل باللغة العربية (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) تكتب من اليمين إلى اليسار ،والأصوات في اللغة الفينيقية تقسم إلى :

1–أصوات صامتة وهي حسب مخارج الحروف وصفاتها كما يلي :

*حروف حلقية : وتقابل بالعربية " ء ، هـ ، ح ،ع "

*حروف شفوية : وتقابل بالعربية " ب ، و ، م ، ف "

*حروف لهوية : وتقابل بالعربية " ك ، ق ، ي "

*حروف لسانية : وتقابل بالعربية " ت ،د ، ط ، ل ، ن ، ر " ومن وسط اللسان " ج ،ش ، ي "

*حروف صفيرية : " ز ، س ، ش ، ص "

*حروف الإطباق (التفخيم) : " ص ، ط ، ق " [3]

1–**لبيب عبد الساتر** :**الحضارات** ، ص 91

2– يحيى عبانية : **اللغة الكنعانية** ، دار مجدلاوي ،الأردن ، ط1 ، 2003م ص 43

3– **أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية – الفينيقية ، ص 19– 20**

2-أصوات صائتة : وهي الأصوات المتحركة ،وعملية إعادة تركيب الأصوات اللينة باللغة الفينيقية عملية شاقة ومعقدة ، وتقوم على افتراض وجود ثلاث حركات قصيرة هي : الفتحة (a) والكسرة (i)والضمة (u) الأصوات المتحركة هذه تقربها من الصوامت ،وثلاث حركات طويلة هي : الفتحة الطويلة (ā) والكسرة(ī) والضمة الطويلة (ū) وتمنحها صفة الحركات ،وتخضع الدرجات المختلفة الموجودة بين هذه الأصوات غالباً لما حولها من الأصوات الصامتة ،وإذا ارتبطت هذه الحركات بالواو أو الياء نتج الصوت المركب الهابط aw أو 0ay هذا ويجدر بالذكر أن الحركات في اللغة الفينيقية لا وجود لها،وتحديدها في النقوش أمر صعب ومعقد ،لأن نظام الكتابة الصامت لا يقدم لنا أسساً وقواعد دقيقة لمعرفتها .[1]

بعض الباحثين يعدون هذه الأبجدية ناقصة وغير كاملة، بل ويذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، ويصرح بأنها كتابة مقطعية ،لأن الحرف فيها يمثل صوتاً صامتاً يحتمل إضافة أي من الحركات المعروفة الضم والفتح والكسر والإمالة ويتصورون أن مخترع هذه الكتابة عمد إلى اختزال المقاطع الصوتية المعروفة في المسمارية والهيروغليفية المصرية ،وبدلاً من أن يجعل للصوت (ب) مثلاً مع حركة الفتح رمزاً خاصاً ،ومع الضم رمزاً آخر ،ومع الكسر رمزاً يختلف عن الآخرين ،اكتفى برمز واحد لهذا الصوت معتمد مبدأ الأكروفوني ،الذي يعني تجريد الصورة من معناها وإعطاءها قيمة صوتية تنتزع من معنى الصورة الأساسي، وتعني الصوت الأول منه ،فكان يرسم بيتاً ويقرأ (ب) أو يرسم رأساً ويقرأ (ر) ،ويبدو لنا من الوهلة الأولى غريباً ،لأننا لا نجد صعوبة ما في قراءة كتابتنا ، إلا أن الغربي لا يستطيع فهم ذلك، لأنه اعتاد قراءة كتاباته التي تشتمل على الحروف الصامتة والصائتة معاً . [2]

7-انتقال الأبجدية الفينيقية إلى بلاد الإغريق:

انتقلت الأبجدية الفينيقية مع السفن التجارية أينما رست وأبحرت ، فقد وجدت نقوشهم منتشرة في أنحاء متعددة من العالم القديم [3].

1-أحمد حامدة : مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ،ص 20انظر أيضاَ يحيى عبانية : اللغة الكنعانية ، 2003م ص 44

2- **أحمد أرحيم هبو:الأبجدية .نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب** ،ص 77 انظر أيضاً **جيمس هنري برستد: العصور القديمة ص293**

3- **سليمان بن عبد الرحمن الذييب : الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية** ص 121

كان الفينيقيون رجال تجارة اعتادوا الإبحار والإتجار مع سواحل البحر المتوسط ، وقادتهم التجارة إلى التعامل مع الاغريق في موطنهم الأصلي ،وفي الجزر القريبة ،وإلى اهدائهم أثمن ما اخترعوا من انجازات الحضارة وهي الكتابة التي نشروها في أوربة كلها ، وقد أخذ الإغريق هذه الأبجدية بين 850- 750 ق.م ،فالأصل الفينيقي القديم للأبجدية الإغريقية أمر ثابت ولا أحد يشك فيه .[1] ، ويظهر هذا من خلال الأشكال الكتابية التي احتفظت بملامح كثيرة من الكتابة الفينيقية ، مثل الكتابات المدونة على ما يعرف باسم إبريق دبلون الأثيني ، (يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد) وكذلك على قبر عثر عليه في تيرا الإغريقية ،ويعود تاريخه للقرن السابع قبل الميلاد ،حيث يبدو تشابه الحروف كبيراً. [2] وهكذا طور الفينيقيون الكتابة الأبجدية ونشروها حتى أصبحت أداة أساسية للإعلام في المتوسط فازدادت سرعة التقدم في مختلف ميادين المعرفة والعلم والمهارات ،ولا يمكن إغفال الدور الذي أسهم به الفينيقيون في نشر الأبجدية. [3] وأشار بعض الكتاب الإغريق مثل هيرودوت وتيودور في كتاباتهم إلى أن معرفة الإغريق للأبجدية كان بفضل الفينيقيين [4] يقول هيرودوت **Herodote** :

(أدخل الفينيقيون الذين جاؤوا برفقة قدموس إلى بلاد الإغريق بعد استقرارهم في تلك البلاد عدداً من الفنون أهمها الكتابة ، وهي فن لم يكن ، على ما أظن معروفاً لدى الإغريق حتى ذلك الحين،وفي البداية استخدموا الأبجدية التي يأخذ بها سائر الفينيقيين ، لكن بمرور الزمن تحولوا عن لغتهم وعن الطريقة التي يرسمون بها شكل الحروف ، وقد درس الإغريق هذه الحروف على يد الفينيقيين ، وأخذوا يستخدمونها مع تعديلات طفيفة ، وظلوا يشيرون إليها على أنها الأبجدية الفينيقية). [5]

1-**أحمد ارحيم هبو ، الأبجدية .نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب** ، ص 98

2- **يوهانس فريدريش: تاريخ الكتابة** ، ص 148

3-، **عبد الرزاق بنور : الكتابة في المتوسط**. ص113

4- **Diodorus Siculus** ,III.67,V.74.1.142

5- **هيرودوت : التاريخ** ، الكتاب الخامس ، ص 396 انظر أيضاً

Jürgen Spanuth : **Die Phönizier** , zeller verlag . osnabrück, 1985 , s 148

من جهة أخرى هناك من ينكر ذلك ، فمثلاً تقترح الاستاذة ل .جيفري (**L.H.Jeffery**) في رسالة الدكتوراه التي خصصتها لبحث تاريخ الأبجدية الإغريقية في مراحل الاقتباس والتكوين أنه لا يستبعد أن يكون الاقتباس من فعل عالم إغريقي مجهول كان يلم باللغة الفينيقية وأبجديتها ،واقترحت الباحثة عدة أماكن لنشأة هذه الاقتباس مثل كريت أو رودس أو جزيرة يوبويه حيث كانت هناك علاقات مباشرة بين الاغريق والفينيقيين ولكنها عادت فآثرت أن يكون هذا المكان هو مستوطنة بوسيدونيا التي أقامها الإغريق عند مصب نهر العاصي في الأراضي السورية والتي تعرف الان باسم المينا (**Almina**) وترجح أن يكون ذلك بعد منتصف القرن الثامن ق.م. [1] لكن الأصل الفينيقي للأبجدية الفينيقية حقيقة لا يمكن الشك فيها .

8- التعديلات الإغريقية على الأبجدية الفينيقية:

يظهر أن الإغريق عند اختلاطهم بالتجار الفينيقيين تعرفوا إلى كتابتهم البسيطة التي يسهل تعلمها، فبدأوا باقتباسها منذ القرن الثامن ثم انتشرت بسرعة في القرن السابع ق.م.، وقد أظهر الإغريق براعة فائقة في تحوير الكتابة الفينيقية بصورة تلائم خصائص لغتهم، فقد نقل الإغريق في أول الأمر الأبجدية الفينيقية بكاملها ثم راح يعدل منها ليجعلها تتناسب وحنجرته بل وعقليته، فمثلا أسقط فيما بعد الحروف التي لا تستطيع حنجرته نطقها مثل الصاد والواو وأضاف الى الأبجدية الفينيقية التي تتكون أساساً من حروف ساكنة (**consonants**) عدداً من الحروف المتحركة (**vowels**) [2]ولعل أهم إصلاح قام به الإغريق هو إضافة الحروف الصوتية ثم الاستعاضة عن التشديد بكتابة الحرف نفسه مرتين ولكن ليكون أميناً ظل يسمى هذه الأبجدية بعد تطورها بالفينيقية (**la phoinicia**) أو بالأبجدية الفينيقية **phoinicia grammata** [3]

1-**L.H..Jeffery** : **the local scripts of arshaic grece** , **astudy of the greek alppabet and its development irom the eigth to the filith centurles** .b.c.oxford the clurendom press ,1961 p.11-12-p 16 and p. 21

2- **M.E.Aubet**,**The Phoenicians and west" politics**, **colonies and trade**" Cambridge University press,1994, p118

3- سيد أحمد الناصري ،الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم، ص 129- 130

وكان الإغريق في بادئ الأمر يكتبون من اليمين إلى الشمال مثل الفينيقيين ،ثم صاروا أحياناً يكتبون من الشمال إلى اليمين وأحياناً أخرى بالعكس حتى سنة (500)ق.م .ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكتابة الإغريقية من الشمال إلى اليمين دوماً، وقد استفاد الإغريق من تجارتهم في هذه المدة فغيروا أشكال الحروف وجعلوها أكثر تناظراً .[1] وتطورت الكتابة عند الإغريق في أشكال مختلفة بسبب استقلال المدن المتعددة واختلاف اللهجات، فكان هناك ما لا يقل عن عشرة أنواع من الكتابة ،ولكن بعد أن أقرت مدينة أثينة التي أصبحت أهم مركز للحركة الفكرية الكتابة (الأيونية) ،تغلبت هذه على جميع الأنواع الأخرى وهي التي انتشرت في أوربة الشرقية .

وأكبر برهان على اقتباس الإغريق للحروف الأبجدية الفينيقية هو احتفاظهم بالأسماء التي أطلقها الفينيقيون على هذه الحروف ، فنراهم يقولون (الفا Alpha) عن الألف ومعناها الثور لأن هذه الحروف تشبه قرن الثور ويقولون (بيتا beta) أي بيت لأن حرف الباء يشبه صورة البيت و(غاما Gamma) وهي محرفة عن جيمل أي الجمل في اللغة الفينيقية ويقولون (دلتا delta) عوضاً عن دالت ومعناها الباب،كما أن زيتا zetaمأخوذة عن (زين) وهي الرمح و(يوتا Iota) من يود أي اليد . [2] ومن أهم آثار الكتابة الفينيقية في بلاد الإغريق ماذكره **هيرودوت** حيث يقول :

في معبد أبوللو في طيبة في بيوتيه شاهدت بنفسي مناصب ثلاثية القوائم ، نقشت عليها كتابات بالأحرف القدموسية ، ولا يختلف معظمها عن الأحرف الأيونية كثيراً ، وكان هناك ثلاثة من هذه المناصب نقش على أحدها " أهداني أمفتيرون مما غنمه من تيليبوي " وتعود بتاريخها إلى عهد لايوس ولد لبداكوس وحفيد بوليدوروس بن قدموس ، ونقش على آخره بيتان من الوزن السداسي التفعيلة .

تقدمة الملاكم سكايوس ، الظافر في المباريات

إلى أبوللو ، الرامي الخارق ، يالها من تقدمة جميلة

إذا كان النصب تقدمة سكايوس بن هيبوكون، وليس من شخص آخر يحمل الاسم ذاته ، فيكون إذن معاصراً لأوديب ، ولد لايوس .

1- **محمد كامل عياد :اليونان** ، ص 133 انظر أيضاً – **محمد قدوح : الكتابة : نشأتها وتطورها عبر التاريخ** ، ج1، دار الملتقى ، بيروت ، ط1 ، 2000م ، ص 67

2– محمد كامل عياد ،اليونان ، ص 134

وقد حمل النصب الثالث أيضاً نقشاً سداسي التفعيلة :

هذا النصب تقدمة الملك لاوداماس إلى أبوللو ،ذي البصيرة ، يوم كان جالساً على عرشه – آية من آيات الجمال – وفي عهد لاوداماس هذا ابن إيتوكليس أخرج الأرجوس القدموسيين من بلدهم.[1]

ومن بلاد الإغريق انتقلت الأبجدية بنفس نظام تركيبها إلى أنحاء أوربة القديمة وصارت قاعدة لكل الأبجديات العالمية فقد عثر في إيطاليا على كتابات كان للإغريق تأثير كبير فيها . [2] وهذا أثر باقٍ من الدين العظيم المدين به الغرب للشرق ،ولا سيما للفينيقيين الذين نفحوه بعطية لا تقدر بثمن ،وهي الكتابة بالحروف الهجائية وجاء إلى أوربة مع حروف الهجاء القلم والحبر والورق.[3]

استطاع الاغريق بطريقتهم الكتابية الكاملة أن يفتحوا الطريق أمام حضارة الغرب. وأن يصلوا بالكتابة الأبجدية إلى الغاية التي فكر الانسان في الوصول إليها منذ اللحظة التي بدأ فيها الكتابة . ومع ذلك بقيت أمور – قد تكون ثانوية – حالت دون وصول الأبجدية الإغريقية إلى الكمال ، وهي ما توصل إليه اليوم علم الصوتيات الذي أوجد أبجدية جديدة تستند في أساسها إلى الأبجدية الإغريقية حين رمز لكل صوت بعلامة اصطلح عليها. وكان ينقص الكتابة الإغريقية أيضاً علامات التنقيط والفصل بين الكلمات والتمييز بين الحروف الكبيرة والصغيرة، وهو الأمر الذي يساعد في فهم المعنى المقصود في اللغات الأوربية . و نجد أن بعض المؤرخين يرون أن الإغريق أخذوا الكتابة الفينيقية مع بداية القرن التاسع قبل الميلاد . ويذهب بعضهم إلى أن ذلك كان قبل التاريخ المذكور بقرنين أو ثلاثة . وقد يفسر ذلك بأن الإغريقي لم يعرف الكتابة دفعة واحدة ، بل تفاوت في الزمن فسبقت الواحدة منها الأخرى. وكما ذكرنا كان التشابه بين الأصل الفينيقي وبين الكتابة الإغريقية كبيراً، حتى أنهم كانوا يكتبون من اليمين إلى اليسار. ويبدو ظهور الحروف الصوتية مبكراً ومنذ الحقبة الأولى . وثمة من يشك من الباحثين في أصل كتابة الحروف الصوتية عند الإغريق وينكر أنهم كانوا اول من كتبها وينسبها إلى شعوب آسيا الصغرى الغربية كالليكيين واللوديين ، ويرى أن الكتابة الفينيقية وصلت الإغريق عن طريق تلك الشعوب بشكلها الذي نعرفه.[4]

1- **هيرودوت : التاريخ** ، الكتاب الخامس ، ص 397

2- **أحمد أرحيم هبو :الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب.**،ص 99

3- **جيمس هنري برستد : العصور القديمة** ، ص 295

4– أحمد هبو :الأبجدية : نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب.ص 100

ويميز الباحثون ثلاثة أنواع من الخطوط الإغريقية القديمة التي تظهر خصائص تميزها من بعضها بحسب اللهجات الاغريقية المتميزة أيضاً:

1- الخط الإغريقي القديم الأول ، ويتوضع في جنوبي بلاد الاغريق .

2- الخط الإغريقي الشرقي، وموطنه على السواحل الغربية لأسية الصغرى وجزر بحر ايجة، والسواحل الشرقية لبلاد الإغريق.

3- الخط الإغريقي الغربي، وموطنه السواحل الغربية لبلاد الإغريق وشماليها والمستعمرات الإغريقية في جنوبي إيطالية وجزيرة صقلية.

وكما ذكرنا سابقاً من البديهي أن تضطر الإغريقية إلى ابتكار حروف تتناسب وأصواتها الخاصة، غير الحروف الصوتية (الحركات) وقد أفاد الإغريق من حروف الحلق الفينيقية في التعبير عنها فعندهم صوت THالثاء أو الذال وعندهم صوت PHوKH ، والأصوات المزدوجة KS-PS . وفي المقابل تعرف الفينيقية من أصوات الصفير السين والصاد والشين، وأصوات الأطباق الأخرى الطاء إلى جانب التاء، والقاف إلى جانب الكاف. وهو ما لا تحتاجه الإغريقية. إذن كان على الإغريقية أن تتصرف بما يتناسب وأصواتها الخاصة، فاتخذت الهاء كما رأينا للتعبير عن الإمالة، والحاء للتعبير عن الهاء وعبرتKH بالكاف والهاء، وأحيانا بالقاف والهاء. ولحرفPHعمدت إلى الفاء والهاء. أما الثاءTH فلم تعبر عنه سوى بحرف الطاء الفينيقي القديم. واتخذت السين لصوت الزاي. أما الزاي نفسها فلم تستفد منها بل أهملتها. واتخذت حرف الصاد للتعبير عن السين. وللأصوات المزدوجة اتخذت ما يقابلها في الفينيقية

ك س ، أو ق س KSفي بادئ الأمر ،ثم ابتكرت حرفاً خاصاً لهما، كما ابتكرت رمزاً خاصاً فيما بعد للصوتين المركبين الكاف والهاء وللفاء والهاء، ولم تكن هذه الأمور واحدة في الأنواع الثلاثة للكتابة الإغريقية القديمة ،وإنما كانت تظهر فروق طفيفة أحياناً فيما بينها، وقد تكبر الفروق وتختلف طرق التعبير عن الاصوات الخاصة من منطقة إلى أخرى، ولاسيما فيما يتصل بالحروف والأصوات الزائدة على الفينيقية. [1]

1-المرجع السابق ، ص 100

انظر أيضاً: يوهانس فريدريش. :تاريخ الكتابة ،ص 19

وبعد أن توصل الإغريق في عام 500 قبل الميلاد إلى توحيد كتابتهم بعد أن اتخذوا طريقة أثينة في الكتابة، ظهرت الكتابة الإغريقية الكلاسيكية في القرن الرابع قبل الميلاد في شكلها المعروف الذي لم يتغير رغم طول القرون التي عاشتها والعصور التي مرت بها، من الهللينية إلى الرومانية إلى القرون الوسطى والحديثة .إلا أن بعض التغير الشكلي قد أصابها دون أن يمس الجوهر وهذا لا غرابة فيه، كأن يتفنن الكاتب في الخط ويزينه، كما يفعل الخطاط العربي ، أو يبتكر خطوطاً تنسجم وطريقته الخاصة في الكتابة.[1]

من جهة أخرى مع الكتابة انتقلت إلى بلاد الإغريق وسائل الكتابة أيضاً، وقد كان الفينيقيون يستخدمون في الكتابة ورق البردي (بابيروس) الذي يستوردونه من مصر وبما أن جبيل هي التي كانت تستورد ورق البردي من مصر وتصدرها إلى بلاد الإغريق فقد أطلق الإغريق اسم المدينة على الورق ،ومن هنا اشتقت كلمة Bible بمعنى الكتاب (ويقصد به الكتاب المقدس) [2] وليس مصادفة أن تشتق كلمة أبجدية ذاتها من كلمتين فينيقيتين : aleph(ثور) وbeth(بيت) لتصبح في الإغريقية aleph و beta وقد أطلقوا على جبيل اسم بيبلوس ،نسبة لورق البردي الذي نقله لهم تجار جبيل.

وهكذا نجد أن الأبجدية أعظم نتاج حضاري قدمه أبناء المنطقة إلى البشرية ،وكان له الفضل في دفع عجلة التطور والتقدم الحضاري إلى الأمام ،ولولاها لبقيت البشرية دفينة في ظلمات الجهالة والضلال .وكان للإغريق الدور الكبير في تطورها ونقلها إلى كل أنحاء أوربة . [3]

1- أحمد هبو :الأبجدية : نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب.، ص 100

2- **محمد كامل عياد ، اليونان** ،ص 134

3- **ف.دياكوف ،س. كوفاليف ، الحضارات القديمة** ،ج1 ، ص 170

ثانياً : التأثير المتبادل في مجال الجغرافية وعلم الفلك .

1- الفكر الجغرافي عند الفينيقيين

من العوامل الجغرافية التي ساعدت على تطور الفكر الجغرافي عند الفينيقيين تتمثل في طبيعة الموقع الجغرافي الذي يشكل طريقاً يربط بين الحضارتين في بلاد الرافدين ووادي النيل ، إذ يشكل هذا الطريق حلقة وصل بين الشرق والغرب ، حيث استقر الفينيقيون على الساحل الشرقي للبحر المتوسط الذي وفر لهم الحماية الطبيعية ، فهو محصور بين السلاسل الجبلية شرقاً وبين البحر المتوسط غرباً ، وهذه الحماية الطبيعية قد ساعدت على نشوء الحضارة الفينيقية التي اتجهت نحو البحر ،وتميزت حضارتهم باحتفاظهم بأسرار الطرق التجارية .

فالفينيقيون أمة تجارية بحرية احتفظت لنفسها بأسرار التجارة والطرق التجارية ،لذلك لا نجد لهم آثاراً ولا خرائط على الرغم من أن الملاحة البحرية تتطلب الخرائط المرشدة ،وربما كانت الخرائط البحرية أسبق في ميلادها من الخرائط الخاصة باليابس أو الأرض .

وكان الفينيقيون يؤثرون الموت على الإفضاء بأسرار طرق التجارة ، ويعتقد الباحثون أن الفينيقيين هم الذين روجوا القصص المخيفة المليئة بأهوال البحر حتى تكون أسوار رعب تحول بين من تحدثهم أنفسهم بركوب البحر وبين غزو ميدان التجارة عبر خطوط التجارة الملاحية ، وبالتالي تبقى البحار أمام الفينيقيين فقط كطرق للتجارة ويرهبها الآخرون .ولقد برع الفينيقيون في الاستعانة بالنجوم في أسفارهم ليلاً، ولعل حرص الفينيقيين على تكتم أسرار مسالكهم التجارية هو السبب في قلة ما نعرفه عن تراثهم الجغرافي .[1]

ولم يعرف القدماء من وسائل تحديد الجهات الأربع الأصلية سوى الوسائل الطبيعية وهي الشمس بالنهار والنجوم بالليل – ويبدو أن الفينيقيين وهم أهل ملاحة حذقوا في علم الفلك وألفوا الاهتداء بالنجوم إلى درجة أن الاغريق سموا مجموعة النجوم المعروفة باسم الدب الاصغر باسم المجموعة الفينيقية – ومما هو معروف أن الفينيقيين، شأنهم في ذلك شأن سائر الشعوب القديمة كانوا في مسالكهم البحرية يسيرون بحذاء الساحل فلا يزجون بأنفسهم طواعية في عرض البحر إلا إذا كان السبيل مأموناً ومعروفاً لهم من قبل، وأن هبوب الرياح موثوقاً منه حسب فصول السنة المختلفة.

1- **محمد محمود محمدين: الجغرافية والجغرافيون** ، ص 62-63

برز الفينيقيون في تقنية الملاحة التي تفوقت على كل تقنية أخرى ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد. [1]

كانت السفن التجارية الفينيقية تختار أوقات الملاحة حيث كانت تبحر سفنهم في نهاية مارس وتعود إلى الموانئ في بداية شهر أكتوبر ،فالفترة الزمنية للملاحة كانت تدوم حوالي ستة أشهر تماشياً وظروف المناخ ، وكان اختيار فترة الملاحة يتزامن مع فصلي الربيع والصيف ، حيث تخضع للعوامل الطبيعية والتأثيرات المناخية الثابتة المستقرة عموماً في هذه الفترة من السنة ، حيث تكون أكثر اعتدالاً، أو تتقلص الاضطرابات المناخية والبحرية ،[2]وهذا أمر يساعد على ركوب البحر وتجنب السفن من الوقوع في المخاطر والغرق ، وقد نلمس من خلال اختيار الفينيقيين لهذه الفترة الزمنية مدى معرفتهم لتقنيات الملاحة وتحكمهم فيها، بينما في فصلي الشتاء والخريف تتغير الأحوال الجوية مما يجعل البحر أكثر اضطراباً ويعيق الملاحة ، ففي فصلي الربيع والصيف تكون الرياح في الحوض الغربي للبحر المتوسط عبارة عن نسيم بالإضافة إلى رياح المسترال Mestral* والسيروكو** حيث تتناوب على طول الاتجاه الشمالي الغربي والجنوب الشرقي ، وتسمح بالتواصل بين شواطئ البحر المتوسط الشمالية والجنوبية. [3]

وكانت مدنهم القديمة غير متباعدة، بحيث لا تستغرق الملاحة بين إحداها والتي تليها إلا ملاحة يوم واحد كي تجد سفنهم مساء كل يوم ملجأ تأوي إليه، واستطاعوا أن يقوموا برحلات أكثر جرأة واستطاعوا أن يصلوا غرباً الى جبل طارق.[4]

ومن إسهاماتهم في الفكر الجغرافي :

1- **اندريه إيمار وجانين أبوايه**، ص 258

2- **Sabatino Moscati**, **Les Pheniciens**,p74

* المسترال : رياح قوية وجافة وباردة مصدرها هضبة الرون ، وأسبابها الضغط الجوي على البحر المتوسط للمزيد انظر : Le petit Larousse illustre,p 643

** السيروكو: رياح شديدة الجفاف وحارة ، تهب من الصحراء نحو السواحل عندما يكون الضغط الجوي منخفضاً على البحر المتوسط : للمزيد انظر Le petit Larousse illustre,p 643

3- **Sabatino Moscati**, **Les Pheniciens**,p74

4- **مجمد ابو المحاسن عصفور** :**المدن الفينيقية** ، ص 172-176-

أ- اعتمد الفينيقيون في معلوماتهم الجغرافية على ما اقتبسوه من الحضارتين المصرية وحضارة بلاد الرافدين .

ب- توصلوا إلى معرفة ظاهرة المد والجزر ومواعيدها وربطها بالقمر .

ج- قاموا برحلات تجارية استكشافية وأهمها رحلتان :

* رحلة **هيملكو** himilco حوالي 450ق .م: وهي تعتبر أولى الرحلات لمعرفة شمال الأطلسي وإلى الساحل الأوربي ، وانطلقت من قادس أيضاً.

*رحلة **حنون** Hanon حوالي 425ق.م: انطلقت من قادس نحو الساحل الغربي لإفريقية ، وتعد هذه الرحلة من أعظم ما حققته الملاحة الفينيقية ، وهي من أهم الرحلات الاستكشافية.

يبدو أن القرطاجيين أقدموا على هاتين الرحلتين في الوقت الذي كانوا يحاولون فيه تقوية نفوذهم ومصالحهم في الغرب نتيجة لمنافسة الإغريق لهم في البحر المتوسط ، وما من شك في أن رحلة (**هيملكو**) كانت تهدف إلى فتح الطريق إلى مناجم القصدير في الغرب في وقت ربما لم يكن فيه إنتاج المناجم الإسبانية كافياً، ويبدو إجمالا مما نعرفه عن هذه الرحلة أن (**هيملكو**) لم يتوقف عند سواحل فرنسا الغربية، إنما تعداها شمالاً وغرباً فعبر القنال الانجليزي ومهد بذلك السبيل أمام قرطاج لتشارك في تجارة القصدير من إقليم ((كورنوول cornwall) بإنجلترا .

أما معلوماتنا بالنسبة لرحلة (**حنون**) فأوفى وأقيم، فبالرغم من أن المخطوط الوحيد الباقي يرجع إلى القرن العاشر الميلادي وأن هذا المخطوط قد أفسده كثرة النقل والنسخ إلا أن القصة في حد ذاتها بالغة القيمة في مضمونها وتفصيلاتها وقد اهتم بها الكثير من العلماء في العصر الحديث ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم أشد الاختلاف في بعض التفاصيل مثل تحديد الأماكن الجغرافية التي يذكرها (حنون) وأقصى منطقة وصل إليها، بل ويذهب بعض العلماء إلى أن النص الذي لدينا أكثره مزيف.

ومع أن هذا القول مبالغ فيه فإن القصة بها كثير من الأخطاء والمتناقضات ، فنص هذه القصة الذي وصل إلينا هو عبارة عن ترجمة يونانية للوصف الذي كتبه (**حنون**) نفسه ووضعه في معبد الإله بعل حمون في قرطاج، وترجع الترجمة اليونانية إلى نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الثالث ق.م .

ومما لاشك فيه أن الرحلة حقيقة تاريخية وأن هدفها كان كشف أسواق جديدة ،وأنها تقررت ونفذت بناء على قرار من مجلس الشيوخ القرطاجي . ويبدأ النص اليوناني بهذه العبارات :

(هذه قصة الرحلة الطويلة التي قام بها حنون ملك القرطاجيين إلى الأراضي الليبية وراء أعمدة هرقل "جبل طارق" والتي سجلها على ألواح وأقامها في معبد كرونوس "بعل حمون"قرر القرطاجيون أن

يبحر حنون وراء أعمدة هرقل وأن يؤسس مدناً للفينيقيين في ليبيا، وقد أبحر في ستين سفينة وأخذ معه ثلاثين ألف رجل وامرأة ومؤن وغير ذلك ..الخ)[1]

واضح أن الرقم مبالغ فيه على ما هو مألوف في المصادر القديمة، ويستمر النص بعد ذلك في ذكر مراحل الرحلة وأسماء المستوطنات التي أسسها حنون للفينيقيين، ومن بينها (ثيمياتريون) ولعلها تقابل بلدة (مهدية) (قرب الرباط)حالياً وبعد إبحار استمر ثلاثة أيام جنوبي نهر ليكسوس أسس حنون مستوطنة(قرنة cerne) وتحديد موقعها له أهميته لأنها أقصى مستوطنة دائمة أقامها الفينيقيون جنوباً على الساحل الغربي لأفريقية ورد ذكرها في المصادر القديمة، وهناك من يعتقد بأنها جزيرة (هرنة herne) الحديثة نظراً لأن المسافة بينها وبين جبل طارق وهو ما يذكره (حنون) نفسه في تحديد موقعها .[2]

وبواسطة هذه الرحلات الشاقة والخطيرة في آن واحد ، تمكن الرحالة والتجار الفينيقيون من جمع ثروة وفيرة ،[3] فجنوا أرباحاً طائلة وفتحوا مجالات حيوية لشعبهم ، ووفروا مواد أولية وكنوز ثمينة ، كما عرفوا العالم من بعدهم بمعارف جغرافية واستراتيجية ، والتي لازالت مفيدة للبشرية حتى يومنا هذا .

وما الأبحاث العلمية التاريخية التي أنجزت حولهم إلا إحدى المظاهر الحضارية التي يدين بها العالم لهم، من خلال اكتشافاتهم وتضحياتهم في المغامرة بحراً في المحيطات ،وفي غربتهم عن وطنهم الأم وعن مستوطناتهم ، فهذه العناصر جميعها تعد أسس حضارية وتطور نظامهم السياسي والاقتصادي من خلال تكوين امبراطوريتهم المترامية الأطراف .

وما نلاحظه هو تصرفات الملاحين والبحارة الفينيقيين الذين حافظوا على سرية اكتشافهم لتلك الطرق البحرية، بل وسهروا على أن تبقى علاقاتهم التجارية مع الشعوب المختلفة والمستوطنات التي أسسوها سراً أطول وقت ممكن، ولم يبيحوا بها لغيرهم زيادة على القصص الخيالية التي اخترعوها حول المخاطر التي واجهتهم في رحلاتهم البحرية ، عبر المسطحات المائية في العالم، والتي تعد تراثاً أدبياً وثقافياً لشعوب العالم القديم. [4]

1-محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية. ص 178- 179

2- المرجع السابق ، ص 179

3- **Barthelemy le cureux**,**les phéniciens en Afrique** " **étude sur carthage**" Imp.Jules Jeanin.1895,p15

4-**Strabon**,**Geographie**,III,5

فوصف هيملكو (Himilco) في رحلته إلى جزر القصدير (Casterides) المصاعب التي صادفها والمهاوي التي كادت سفينته تسقط فيها والطحالب والأعشاب البحرية التي سدت أمامه كل طريق،والسكون المفاجئ الذي خيم على المنطقة وشل كل حركة مدة طويلة والضباب الذي اضطر للسير فيه أياماً بكاملها ، كل هذا جعل عبارة (**البحار الصورية**) تطلق على كل منطقة بحرية تكون الملاحة فيها صعبة أو محفوفة بالمخاطر. [1]

وحاول الفينيقيون الوصول إلى أقصى نقطة معلومة أو مجهولة من بلاد العالم القديم ، حيث يؤكد سترابون " **أن سيطرة الصوريين على بحار العالم دون منازع** "[2]

ونجد أن الرحلات البحرية الفينيقية حققت جملة من النتائج منها :

أ- أضافت رحلات الفينيقيين معلومات جغرافية جديدة حول المناطق التي تم اكتشافها من العالم آنذاك.

ب- ساعدت تلك الرحلات على وضع دليل بحري يتضمن وصفاً شاملاً لسواحل البحر المتوسط وموانئه والمسافات الفاصلة بينها ، والمخاطر التي يواجهها البحارة كالتيارات والرياح البحرية ، اعتمد عليها الجغرافيون القدامى في مؤلفاتهم التي وصلتنا .

ج- ساهمت الرحلات في اكتشاف الطرق التجارية البحرية أهمها : طريق شرقي يربط فينيقية بقبرص، وطريق غربي يبدأ من مصر في اتجاه بلاد المغرب القديم يؤدي من جهة إلى صقلية ، ومن جهة أخرى إلى ليكسوس Lixus بالمغرب الأقصى ، وقادس Gades بإسبانيا .[3]

نستنتج مما تقدم إن اتساع الأفق الجغرافي الفينيقي قائم على أساس معرفة العالم القديم ،أما في مجال الفلك فكانت آراؤهم مسايرة لما جاء به الفلك في بلاد الرافدين ومصر ، مع التأكيد على معرفة النجوم الثابتة للاستفادة منها في تحديد الاتجاهات البحرية .

1- **معن عرب** : **صور حاضرة فينيقيا** ،ص 137

2- **Strabon**,**Geographie**,III,5,11

3- Borrin c.**Bonnet**,**Les phéniciens marins des trois continents**, Imp Armand Collin,Paris,1992,pp168-169

وقد أخذ الإغريق من الفينيقيين ومن قبلهم من المصريين ومن بلاد الرافدين مبادئ علم الفلك ، مثل رصد النجوم والكواكب ، فقد أخذوا عن التجار الصيداويين طريقة الاسترشاد بالنجوم في أسفارهم البحرية.[1] فقد كانوا من الشعوب التي تقدمت في علم الفلك ، وذلك لأنها كانت تمارس التجارة وتحتاج إلى الملاحة البحرية على نطاق واسع ، ومن ثم كان الرصد الفلكي الدقيق ضرورياً في عمليات توجيه السفن إلى أعالي البحار، وكان للمعتقدات الدينية تأثير هام في نمو معارف فلكية كثيرة ، وإذا كان بعض الغربيين يفرقون بين الفلك الشرقي والفلك الإغريقي ، حيث يرون أن الفلك عند الشرقيين بشكل عام قائم على التنجيم والسحر ، في حين أن الفلك عند الإغريق قائم على التنظيم العلمي ، فهذه التفرقة ليست موضوعية إذا اخضعناها للبحث العلمي الدقيق .

أن المنطق والتاريخ يشهدان على أن الشرقيين على وجه العموم والفينيقيين خاصة ، قد وصلوا إلى مبتكرات فلكية أفادت الإغريق الذين جاؤوا بعد ذلك ، حيث استفادوا من الموروث الفلكي عند الفينيقيين ثم وظفوه وبلوروه فكانت أعمالهم الفلكية ثمرة تأثير الفينيقيين عليهم .

وهناك دلائل كثيرة على هذا منها أن طاليس أخذ دورة الكسوف المتعاقبة عن القدماء المصريين والبابليين، وإذا انتقلنا إلى فيثاغورس (850- 497ق .م) نجد أنه أول من قال هو واتباعه بكروية الأرض ، ولايعرف كيف تم لهم ذلك .

وكذلك أفلاطون فقد تعلم من الشرقيين أموراً فلكية كثيرة ، فمثلاً يعزى إليه أنه عرف زمن دورة كل من القمر والشمس والزهرة ، واعتقد أن أزمنة دورات كل من الثلاث الأخيرة متساوية وأنها سنة واحدة، وإذا انتقلنا إلى أرسطو نجد أنه أكد على كروية الارض .[2]

وهكذا نقل الفينيقيون الكثير من المعارف الفلكية من المصريين والبابليين إلى الإغريق.

2- الفكر الجغرافي الإغريقي:

لكي نبين جهود وإبداعات الإغريق في علم الفلك لانجد بداً من أن نغض النظر بعض الشيء عن الترتيب الزمني ، وذلك أن جهودهم وابداعاتهم في علم الفلك لاحصر لها ونكتفي ببعض الأمثلة وذلك فيما يلي :

1- **محمد الصغير غانم :التوسع الفينيقي في البحر المتوسط** ، ص 26

2- **محمود محمد علي محمد** : **الأصول الشرقية للعلم اليوناني** ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة، ط1 ، 1998م ، ص 142- 144

افتراض الفيثاغوريون أن الأجرام السماوية ذات شكل كروي وأنها تتحرك في مدارات دائرية ، وأنكروا أن تكون الأرض ثابتة في مركز الكون ، وجعلوا بدلاً منها ناراً مركزية ، وأحدثوا بذلك ثورة على التصور القديم بهيئة الفلك ، وقد شاعت فكرة كروية الأرض وأخذ بها أغلب الفلاسفة الإغريق ، غير أنهم اعتقدوا أنها ثابتة في مركز الكون ، واعتقد الفيثاغوريون أن الشمس والقمر والكواكب ، كأنها مرتكزة على كرات مجسمة وتدور حول النار المركزية ، وأن الأرض تدور من الشرق إلى الغرب ، أما الشمس فإنها تدور حول النار المركزية مرة كل عام. [1]

نال الإغريق شهرة بسبب مكانتهم العلمية ومنزلتهم الحضارية ،ومن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في تتبع المعرفة الجغرافية عند الإغريق الملاحم الشعرية ، مثل ملحمتي هوميروس الإلياذة والأوديسة.

من جهة أخرى أسهم الفيلسوفان الإغريقيان **أفلاطون** (428- 348ق .م) و**أرسطو** (384- 322ق .م) في تطوير الأفكار الجغرافية والإستعانة بالملاحظة والمشاهدة في تنمية المعرفة الجغرافية. ولأفلاطون ملاحظات جغرافية جديرة بالذكر ، فلقد لاحظ أن أتيكة (Attica) – وهي المقاطعة القديمة التي كانت أثينة هي مدينتها المركزية –كانت ذات تربة منتجة قادرة على توفير حاجات السكان ، وكانت هناك غابات على الجبال ، ولم تقتصر فائدة هذه الغابات على توفير حاجات الحيوانات من الأوراق الخضراء ، بل كانت تعمل على حفظ مياه الأمطار وتحول دون انصرافها نحو البحر لاشك أن ملاحظة أفلاطون تشير إلى أثر الأمطار في انجراف التربة وأن الاشجار تحافظ على التربة وتصونها .

وبالنسبة إلى كروية الأرض فإن فلاسفة الإغريق قد اعتقدوا أن الشكل الدائري هو أكمل الأشكال وأكثرها تناسقاً ، ولذلك فلا بد أن تكون الأرض كروية الشكل ، وكان فيثاغورس الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد أول من اعتنق هذه الفكرة كما ذكرنا ، وكان أفلاطون أول فيلسوف يعلن أن الأرض كروية الشكل والكون كروي ،وتقع الأرض في مركزه وتدور حولها الأجرام السماوية في حركة دائرية وكل كوكب يتحرك في مسار واحد وعما إذا كانت هذه أفكار أفلاطون أم أفكار غيره من الذين سبقوه فهذا أمر لايمكن الجزم به .

1–**محمود محمد علي محمد** : **الأصول الشرقية للعلم اليوناني** ، ص 146

وأكد أرسطو أن الأرض كروية الشكل لكي يتحقق التماثل والتوازن ، وإذا كانت الأجسام الصلبة التي تتكون منها الأرض إذا سقطت تتجه نحو المركز من جميع النواحي .[1]

أما **هيرودوت**: (**484ق.م-425ق.م**)كان من أسرة معروفة وموسرة، وكان يحب الثقافة والمعرفة. وقام بأسفار عديدة بدأها بالهجرة إلى ساموس وسافر إلى مصر وأبحر في النيل وربما ذهب إلى برقة، ومر بغزه وصور، وأبحر في الفرات حتى بلغ بابل، وجال في المنطقة التي تقع شمال بحر ايجة ، وزار سكيثيا التي تقع شمالي البحر الاسود.[2]

تلك الأسفار هي التي أتاحت له أن يسمع ويرى ويناقش، ثم يعود آخر الأمر فيسجل ذلك السفر الضخم الذي خلد اسمه في دنيا المؤرخين على الأقل .[3]

ويعرف كتاب هيرودوت باسم (Historia) وتعني هذه اللفظة (تمحيص الأخبار) [4]

وحينما انتهى هيرودوت من أسفاره اتجه إلى توري (Thurii) احدى مدن جنوبي ايطاليا سنة 444ق.م ، وهناك عكف على كتابة سفره الضخم ،إلا أنه ودع دنياه سنة 425ق.م ودفن في سوق المدينة.

ويشير هيرودوت في الفصل التاسع والتسعين من كتابه الى أن ما ورد فيه إنما هو نتيجة ملاحظاته الشخصية ومشاهداته وبحوثه الخاصة . ويذكر هيرودوت في كتابه: ***(إنني استغرق في الضحك عندما أرى أن كثيراً من الناس، رسموا خرائط عامة للأرض ، ولكن أحداً منهم ، لم يستطع حتى الآن أن يضع المسألة الوضع الصحيح ، لأنهم يرسمون المحيط ، وهو يجري حول الأرض من جميع جهاتها ، تلك الأرض التي يرسمونها على هيئة دائرة وكأنها خططت بالفرجار ،كما أنهم يرسمون آسيا مساوية في حجمها لأوربة)***.[5]

واذا كان كتاب هيرودوت أول مصنف في التاريخ، فهو كذلك أول مصنف في الجغرافيا البشرية لأن هيرودوتس كان يهتم باليابس وبالجغرافيا البشرية ووصف البلاد أكثر من اهتمامه بالجغرافيا الفلكية ورسم خريطة العالم .

1- **محمد محمود محمدين : الجغرافية والجغرافيون** ص 81- 84

2- **جورج سارتون: تاريخ العلم** ، دار المعارف، سنة 1970،ج2،ص155.

3- **هيردوت يتحدث عن مصر** :ترجمة محمد صقر خفاجة ، أحمد بدوي ،دار القلم ، القاهرة ، 1966م ، ص 13

4- المصدر السابق، ص14

5-**جورج سارتون: تاريخ العلم** ، ج2، ص164.

أما **الاسكندر الأكبر** : (356- 323م) كان تلميذ أرسطو حينما كان في سن الثالثة عشرة، لكنه لم يستمر في هذه التلمذة أكثر من ثلاث سنوات ، لأنه اضطر أن يحكم مقدونية نيابة عن أبيه المتغيب وهو في سن السادسة عشر، وارتقى الإسكندر عرش مقدونية في سن العشرين وظل يتخذ من أرسطو صديقاً وناصحاً أميناً .وبدأ الاسكندر حروبه بإخماد الفتن التي شهدتها بلاد الإغريق بعد مقتل أبيه ثم اتجه بجيوشه شرقاً حتى عبر نهري سيحون وجيحون ، واتجه صوب الهند وأبحر هو وجنوده وقد استمرت حملات الاسكندر ثلاثة عشر عاماً فتح من خلالها جانباً كبيراً من العالم وقضى نحبه في بابل سنة 323ق.م .

كانت رحلات الاسكندر رحلات علمية ، حيث اصطحب معه مهندسين وجغرافيين ومساحين ، وكان متأثراً بقول أرسطو "**اذهب وشاهد**" فذهب ثلاثة عشر عاماً بهدف توسيع الآفاق الجغرافية للإغريق، لقد كان العلماء الذين اصطحبهم الإسكندر يصفون البلدان التي يمرون منها ، كما دون الفلكيون ملاحظاتهم، وسجل المساحون قياساتهم .كان الاسكندر قبل وفاته ينوي أن يرسل بعثتين استكشافيتين للإجابة عن سؤالين طالما أراد معرفة الإجابة عنهما ، أحد هذين السؤالين ، هل بحر قزوين بحر مغلق أم أنه متصل بالمحيط كما ظهر ببعض الخرائط آنذاك ، والسؤال الثاني يتعلق بليبيا (أفريقيا) هل هي محاطة بالماء من الجنوب ؟ كما أراد الاسكندر أن يعرف عما إذا كانت هناك جماعات بشرية تعيش في المناطق الاستوائية ذات الحرارة الشديدة أم لا .

وبعد فتوح الاسكندر تميزت الجغرافية الإغريقية بأنها اعتمدت على المشاهدة والقياس فاتسع مجالها وتنوعت الكتابة عن الأقاليم المفتوحة المتنوعة ، وتكدست لدى الإغريق مجموعة من المعلومات عن الشعوب التي فتحوا أقطارها وعن خصائص تلك الأقطار .[1]

ويمكن أن نوجز أهم المجالات الجغرافية عند الإغريق على النحو التالي :

- الجغرافية الرياضية الفلكية : نشأت ونمت بفضل كثير من العلماء ، نخص منهم طاليس الذي تتبع دورة الفصول الأربعة.

2- الجغرافية الطبيعية : اهتم بها سائر الكتاب الإغريق حيث تأملوا الظواهر المختلفة من أنهار وجبال ومد وجزر وزلازل وبراكين.

1- **محمد محمود محمدين** : **الجغرافية والجغرافيون** ، ص 86- 89

3- الجغرافية البشرية : اهتم معظم علماء الإغريق بأحوال الشعوب وخصائصها.

4 – الخرائط والمصورات الجغرافية :يعد أناكسيمندر أول من رسم خريطة العالم بعد لوحة جاسور بألفي سنة .

5- الجغرافية الإقليمية : قام الإغريق بوصف كثير من البلاد من حيث الظروف الطبيعية والبيئية بدأوها بالبحر المتوسط والمناطق القريبة واهتموا بليبيا (أفريقيا) وآسيا .[1]

وهكذا يتضح من تتبع التفكير الجغرافي في العصر الإغريقي ومن قصصه أن رقعة العالم الموروثة عن الفينيقيين قد أخذت تتسع شرقاً حتى الهند وغرباً حتى الجزر البريطانية، وأن الإغريق استفادوا من خبرة ومعارف الفينيقيين الجغرافية وقاموا بتطويرها .

1- **محمد محمود محمدين** : **الجغرافية والجغرافيون** ، ص 97

ثالثاً :التأثيرات المتبادلة في مجال الفلسفة :

كانت نشأة الفلسفة منذ عصور بعيدة مشكلة بين المشكلات التي تدرسها الفلسفة ، في محاولة للإجابة عن السؤال ، أين نشأت ؟ عند الإغريق أم في بلاد الشرق القديم ، فقد انقسم الباحثون حيالها فريقين، الأول يؤيد النشأة في بلاد الإغريق ، ويرى أن الشرقي لم يكن سوى فكر لاهوتي من ألفه إلى بائه، أما الآخر فقد رأى أن هناك فلسفة شرقية خاصة، ترتبط بالدين وتنفصل عنه أحياناً أخرى وكان أرسطو أول من ردها إلى بلاد الإغريق عندما ذهب إلى أن طاليس هو مؤسس ذلك الضرب من التفلسف – يقصد الفلسفة الطبيعية – وهكذا جعل الفلسفة تبدأ من المدرسة الملطية – طاليس ومدرسته – في القرن السادس قبل الميلاد.[1]

لاننكر أن الفلسفة الإغريقية قد تأسست أصلاً وأساساً على ما أخذه الإغريق من الشرق عامة ومن الفلسفة المصرية خاصة، فمن المعروف أن عدداً كبيراً من حكماء الإغريق سافروا إلى الشرق ، إلى بلاد الشام ومصر ومابين النهرين طلباً للعلم ، أشهرهم طاليس الذي يقال أنه من أصل فينيقي ، وفيثاغورس الذي رحل إلى ملطية حيث عرفه طاليس وأدرك عبقريته وعلمه كل مايعرفه ، ثم رحل بعد ذلك إلى فينيقية ، حيث مكث بها زمناً يكفي لأن يتعلم منها الكثير .[2] وأفلاطون وغيرهم، وقد تأثر هؤلاء جميعاً بالتفكير الشرقي وببعض النظريات العلمية .

يقول **أندريه بارو** مدير المتحف اللوفر سابقاً ومكتشف حضارة ماري في سورية :" **لكل امرئ متمدن في هذا العالم وطنان ، الوطن الذي ولد فيه ، ووطنه الثاني سورية** "[3]

كانت **ميليتوس** إحدى المدن الإيونية الإثنتي عشر ، أغنى مدن العالم الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد ، وكانت على اتصال وثيق بالشرق ،وقد برع سكانها في صنع السفن وفاقوا أساتذتهم الفينيقيين في فن الملاحة ، وقد اتسعت تجارتهم وأخذت تؤسس المستعمرات في كل أنحاء البحر المتوسط والبحر الأسود ، فبلغ عدد هذه المستعمرات الثمانين .

1- **محمد الخطيب** : **الفكر الإغريقي** ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 1999م ، ص 83

2– ابراهيم عبد العزيز جندي : **معالم التاريخ اليوناني القديم** ،ج 1 ، ط1، القاهرة 1999م ، ص 10

3-**الأبجديةالجديدة**: http://www.thenewalphabet.com/print_page1141.html انظر أيضاً : **مصطفى النشار** : **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية** ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1997م، ص 17

في هذه البيئة النشطة الزاخرة بالحياة ابتدع الإغريق أبرز معالم حضارتهم وأثمن ميراث انتقل منهم إلى البشرية جمعاء ، ونعني بذلك العلم والفلسفة ، فإنه في مدينة **ميليتوس** لم تكن تلتقي الطرق التجارية فحسب، بل كذلك الأفكار والعادات والعقائد المتنوعة ، وكان الاختلاف بين هذه يؤدي إلى التصادم ويدفع إلى المقارنة ويدعو إلى التفكير .

إن الخرافات إذا تعارضت فلا بد أن يحطم بعضها بعضاً وتفتح السبيل ليقظة العقل ، في **ميليتوس** كان يجتمع ،كما في أثينة بعد ذلك ، أناس من مختلف المدن والشعوب والحكومات وكلهم قد اعتادوا على التنافس التجاري ، وملاحظة ما يجري حولهم بدقة وإمعان ، وأصبحوا يمتازون بالنشاط الفكري ،كما أنهم في الغالب قد تحرروا من قيود التقاليد الموروثة بسبب غيابهم مدة طويلة عن بيوتهم ومعابدهم المحلية. وكان سكان ميليتوس أنفسهم يجوبون كل البلدان ، ويتنقلون من (ليدية) إلى (بابل) ومن فينيقية إلى مصر ، ويلاحظون عادة السكان ويتعرفون إلى حضارتهم ويطلعون على ماعندهم من عقائد ومعارف ونظريات علمية وفلسفية . وكثرة الرحلات تزيد في المعلومات الجغرافية ، والملاحة تدعو إلى الاشتغال بالمسائل الفلكية . وقد كان ازدياد الثروة والرخاء يساعد على الانصراف إلى التأمل والتفكير . ولم تكن هناك في (ميليتوس) طبقة قوية منظمة من الرهبان ، تفرض على الناس عقائد وأفكار معينة ،كما أنه لم يكن لدى الإغريق كتاب مقدس يحدد مباحثهم ويقيدها .أنه في ميليتوس قد تحرر الفكر البشري لأول مرة من العقائد الدينية واندفع إلى إيجاد حلول عقلية ، منطقية لمشاكل العالم والبشر .على أن العقل البشري لايبدع شيئاً من لاشيء ،وهكذا كان الأمر مع المفكرين (الأيونيين) الذين وضعوا أسس العلم والفلسفة . أنهم قد اقتبسوا كثير من معلوماتهم من المصريين والفينيقيين والبابليين ، وقد امتزجت في أيونية علوم الكلدانيين السحرية بأساطير هسيودوس الشعرية ، وحكمة المصريين المظلمة بنظرات الفينيقيين الطبيعية وتجارب التجار الإغريق الواقعية واشتركت جميعها في تكوين الفلسفة الإيونية. لقد زاد الاهتمام بقواعد السلوك في حياة أثينة الديمقراطية، وتطورت حياة الاغريق العقلية، واستخدم العقل في إقرار سلوك الانسان. ومهد كل ذلك فلسفة أفلاطون العظيمة. وزاد الاهتمام بالإنسان وسلوكه وكان الاعتقاد السائد بأن المعرفة تؤدي إلى النجاح في الحياة والفنون والأعمال العامة وكانت الثقافة في ذلك الوقت تهدف إلى التدريب على فنون الحرب والموسيقى والتمثيل والفروسية. ومن أهم رواد الفكر الفلسفي عند الإغريق: [1]

1– **محمد كامل عياد** : **تاريخ اليونان** ، ص 141– 142انظر أيضاً : **ف دياكوف ،س كوفاليف الحضارات القديمة** ، ج2، ص 15

طاليس:(Thales) **ويقول عنه هيرودوت (إن طاليس الملطي والذي ينتمي بأصوله البعيدة الى الفينيقيين)**[1] يعد من أول فلاسفة الإغريق ، وحسب قول هيرودوت فإن **طاليس** من أصل فينيقي، ولكن من المرجح أنه ولد في ملطية في جنوب غرب تركيا عام 624، وعاش حتى بلغ عام 548أو 545ق .م ، ومعنى ذلك أنه من المحتمل أن امتد به العمر ليشهد فتح الفرس الذي سعى إلى تفاديه.

ولعله تشرب بعض معرفته و عبقريته من أصله الفينيقي، ومن المحتمل أنه تشربهما كذلك من الأيونيين الذين أصبحوا في ذلك الزمان أمة غنية مفتونة بجمع المال، تتميز بكثير من الحرف ، لكنها تحتاج أكبر الظن إلى الوحدة . وكان في ملطية الشيء الكثير مما يمكن أن يتعلمه، لكنه لم يكن كافياً لإشباع نهمه ، فرحل إلى مصر حيث اجتذبت اهتمامه آراء فلكية ورياضية جديدة . فتعلم الهندسة والفلك مما مكنه من التنبؤ بكسوف الشمس قبل حدوثه ،ويعد طاليس من رواد الفلك عند الإغريق ، ومؤسس علم الطبيعة ومنشئ مدرسة ايونية الفلسفية ،وكان أحد أعمدة الحكمة السبعة في بلاد الإغريق القديمة ،ومن آرائه الجغرافية والفلكية أن القمر يعكس أشعة الشمس ، وأن الاستعانة بالدب الأصغر في الملاحة أفضل من الاستعانة بمجموعة الدب الأكبر النجمية ، وقد تأثر طاليس كثيراً بركوب البحر مما أوحى إليه بالظن بأن سبب فيضان نهر النيل هو الرياح الموسمية ، وكان طاليس أول من قدر ارتفاع الهرم من امتداد ظله ، وقد أشار طاليس إلى أنه يجب معرفة علم المناخ لكي ننتج زيتوناً جيداً أي أنه أدرك العلاقة بين المناخ والغلات الزراعية ومن آرائه الخاطئة أن الأرض قرص طاف على سطح الماء واعتقد طاليس أن الماء أصل كل موجود (نبات وحيوان وجماد) لأنه المادة الوحيدة التي يراها الإنسان في أحوال طبيعية ثلاث: غازية ، سائلة ، صلبة [2]

وتعزى اليه طائفة من القضايا الهندسية :

أ- يقسم القطر الدائرة قسمين متساويين.

ب- زاويتا المثلث المتساوي الساقين متساويتان.

ج-اذا تقاطع مستقيمان فالزاويتان المتقابلتان بالرأس متساويتان .

1- هيرودوت : التاريخ ، الكتاب الاول ،ص110

2- **محمد محمود محمدين : الجغرافية والجغرافيون** ، ص 70- 71

د- الزاوية المرسومة في نصف الدائرة قائمة .

هـ- اضلاع المثلثات المتشابهة متناسبة.

و- يتطابق المثلثان اذا تساوت فيهما زاويتان وضلع .[1]

كانت هناك طائفة من الحكماء تسمى السوفسطائيين (Sophists) يعلمون النشئ العلوم والفلسفة نظير أجر معلوم في نهاية الفترة الدراسية ، وأنجب هذا العصر أعظم المعلمين والفلاسفة قاطبة وهو سقراط الأثيني (Socrates) (469- 399ق .م) كان مغرماً بالمذاهب الطبيعية وأسبابها ، وكان يسير على منهج علمي ، كما كان في نفس الوقت رجلاً متديناً ، كان يؤمن بالعقل الذي يساعد روح الإنسان على رؤية الحقيقة .

وهناك الفيلسوف أفلاطون (Plato) (427- 347 ق.م) وقد عاصر سقراط صبياً ، وهو من أسرة غنية عاشت في أثينة ، ومنهجه الفلسفي هو عبارة عن محاولة الروح الصعود بسعي العقل وراء الحقيقة المطلقة ، والفلسفة عند أفلاطون علم ومنهج ، ويمكن التعبير عنها بالحوار والمحادثة ، وفلسفة أفلاطون يمكن دراستها عن طريق كتابه الجمهورية الذي كتبه بعد رجوعه إلى أثينة وقد بلغ من العمر زهاء الأربعين سنة ، والمحاورات التي يتناولها هذا الكتاب تبدأ بالسؤال: "**ماهي العدالة؟** " وتصور لنا المجتمع المثالي وكيفية بلوغ الروح الحكمة ، وفي ختامها صورة للحياة الآخرة ، ويتناول أفلاطون موضوعات وعلوماً كعلم الأخلاق ، والسياسة ، وعلم النفس ، ويعالج أيضاً الفن والأدب والدين وكان يهدف إلى معرفة الحقيقة والإصلاح معاً .

ومن تلاميذ أفلاطون أرسطو (Aristote) الذي دعاه فيليب ليعلم ابنه الاسكندر في عام 343لمدة أربعة أعوام ، وكان إدراكه قوياً بما هو واقعي في الطبيعة وحياة الإنسان ، وكان مثله الأعلى في السياسة "**دولة المدينة** " والمثل الأعلى للفرد حياته العقلية ، أي أن حياة التأمل عنده كانت أسمى حياة ، والحقائق الأبدية هي التي تكون موضوعات عقلية لاحسية ، ويقول بأن في طبيعة الإنسان رغبة في المعرفة .وقد ترك أرسطو كتباً فنية كتبها من مذكراته ومذكرات تلاميذه ، كما ترك رسائل قصيرة في المنطق ، وعلم الطبيعة ، والحيوان ، وعلم النفس ، وما وراء الطبيعة ، وعلم الجمال ، وعلم الأخلاق ، والسياسة .[2]

1-**جورج سارتون : تاريخ العلم ج3. ص 380**

2- **حسن صبحي بكري ، الإغريق والرومان ، والشرق الإغريقي الروماني** ،ص 143-147

ثم ازدهرت الفلسفة الإغريقية في آثار كوكبة من الفلاسفة الرواقيين (المدرسة التي أسسها زينون سنة 200 ق.م) والأبيقوريين (التي أسسها أبيقور سنة 270 ق .م) وغيرها من المدارس التي انحدرت أصولها من فينيقية وسورية بشكل عام (انطاكية – أفامية- صور- صيدا..) [1]

والفلسفة الرواقية تأسست على يد تاجر فينيقيي هو زينون من كيتيون بقبرص ،وهذا ما يؤكد على الصميمية التي ربطت الروح الإغريقية والفينيقية بعضهما إلى بعض.[2]

لا يمكن معرفة ميلاد المذهب الرواقي على وجه التحديد ، لأننا لا نعرف متى ولد مؤسسه زينون . فإذا كان ميلاده قد تأخر حتى سنة 336ق.م ، فإن المذهب الرواقي لا يكاد يكون من ثمرات القرن الرابع قبل الميلاد. أو هو يرجع الى السنوات الأخيرة منه . ولكن ميلاد زينون حددت له سنين سابقة على ذلك، فجعل في سنة 348مثلا، وعلى هذا يكون زينون معاصراً لأبيقور وأسن منه. وهناك سبباً هاماً يدعونا إلى الكلام عن المذهب الرواقي في هذا الفصل ، ذلك أنه من ثمرات عصر الإسكندر الأكبر ، ولا عبرة بالزمن الذي فيه اكتمل نموه.

ولد زينون بن مناسياس في كيتيون . وزعم بعضهم أنه فينيقي الأصل ، وهذا محتمل ،فكيتيون أتى عليها زمن كانت من جملة مستوطنات الفينيقيين في قبرص وربما كانت أقدم مستعمراتهم في هذه الجزيرة . ثم ذهب إلى أثينة وهو في سن الثامنة والعشرين أو سن الثلاثين ، ودامت دراسته بها إلى أكثر من عشرين عاماً وربما كان ذلك قبل تأسيسه لمدرسته . وقد ظل على رأس هذه المدرسة ثمانية وخمسين عاماً ومات وهو في سن الثامنة والتسعين.

وظروف وصوله إلى أثينة تستحق أن تذكر. وهي أنه انكسرت به المركب في اثناء رحلة من فينيقية إلى بيرايوس وكانت معه حمولة من الأرجوان وذهب إلى أثينة وجلس في دكان وراق ، وكان إذ ذاك في سن الثلاثين وأخذ يقرأ الكتاب الثاني من كتاب اكسينوفان المسمى Memorabilia ، فبلغ منه السرور أن سأل :(**أين يوجد رجل مثل سقراط؟**) وفي تلك اللحظة اتفق مرور قراطس فقال الوراق لزينون : (**اتبع هذا الرجل!**) **وأشار الى قراطس** (الذي عاش الى سنة 285ق.م) ومنذ ذلك اليوم صار زينون تلميذا لقراطس وأظهر من وجوه أخرى استعداداً قوياً لفهم الفلسفة ، وإن كان فيه قدر كبير من الحياء يحول دون تشربه صفاقة الكلبين .

1- المرجع السابق ، ص 150

2- **كارلها ينز برنهردت : لبنان القديم** ، ترجمة ميشيل كيلو ،قدمس للنشر ، سورية ،ط1 ، 1999م ص 188

ورغبة منه في معالجة هذا النقص أعطاه قراطس قدراً مملوءاً من حساء العدس ليحمله عبر الكيراميكوس*وقد دفعه خجله إلى أن يحاول إخفاء القدر عن الأنظار، فلم يكن من قراطس إلا أن ضرب القدر بعصى فكسره . ولما شرع زينون في الهرب ، وحساء العدس يسيل بين ساقيه، قال له استاذه : ***(لماذا تجري يا ابني الفينيقي ؟ إنه لم تصبك مصيبة كبيرة!)***

هذه القصة تبعث على التفكير من وجوه شتى. فزينون إنما صار فيلسوفاً بسبب كارثة افقرته وقد قال فيما بعد(***لقد قمت برحلة رابحة لما انكسر بي المركب)*** وهذا ما يمكن تصديقه دون الحاجة إلى ما يضاف إليه. ومن جهة أخرى في تسمية قراطس له (بالفينيقي الصغير) ما يؤيد القول بأنه كان فينيقي الأصل . والنقطة الهامة هي أن زينون كان تلميذاً لقراطس الكلبي وبحسب الروايات القديمة كانت آراء زينون ذات صلة بآراء سقراط ، عن طريق ديوجينس**، وقراطس . وهكذا اختلط المذهب الرواقي والمذهب الكلبي في البداية . ولا محل للشك على أية حال في أن عروق المذهب الرواقي تمتد الى أصول كلبية، اذ يمكن الكشف عن آثار من مذهب الكلبيين في كل كتب أهل الرواق .

وكان لدى أثينة في آواخر القرن الرابع قبل الميلاد أشياء كثيرة تستطيع أن تقدمها لرجل طموح من طراز زينون . وهو وإن كان قد لزم قراطس بنوع خاص ، فإنه أخذ عن غيره من الأساتذة في الأكاديمية وغيرها. وقد ذكر من أساتذته إكزينوقراطس ، ويوليمون من أساتذة الأكاديمية ، وكان بوليمون يؤذيه ويسخر منه قائلا له : (**إنك تدخل خلسة من باب الحديقة وتسرق أفكاري وتكسوها ثوباً فينيقياً**) من جهة أخرى كان هناك فرق بين مذهب زينون ومذهب أبيقور، ففي حين كان أبيقور يرجع إلى الوراء ملتمساً مذهب ديمقريطس كان زينون متأثرا بهرقليطس ، ومعنى متابعة ديمقريطس التزام المذهب العقلي ، أما هرقليطس فكان من الذين ينزعون إلى القول بالأمور الخفية.

وكلا الفلسفتين فلسفة أبيقور وفلسفة زينون، نشأتا وولدتا قبل نهاية القرن الرابع قبل الميلاد. اهتدت بهما روح المرء في الحياة الحكيمة الهادئة. والحياة الفلسفية الحكمية عند الرواقيين تتيسر باتباع الفضيلة وإخضاع العواطف بعيداً عن العالم غير المستقر.

*ومعناها الفخار وهي بشكلها الإغريقي اسم لميدان عام في أثينة ولضاحية من ضواحيها وكان يدفن فيها الجنود الذين يموتون في ميدان القتال.انظر **جورج سارتون** : **تاريخ العلم**، ج3 ، ص 384

**ولد ديوجينس في المدة ما بين 400و412ق.م على التقريب في سينوبي قرب وسط الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، ومات في كورثينيا عن سن عالية جدا حوالي 325-323قبل الميلاد.المرجع السابق نفسه ،ص 385

ولابد من تقويم الروح لبلوغ درجة الاكتفاء الذاتي والاستقلال الداخلي. والحياة الخيرة عند الأبيقوريين حياة الاستمتاع في تعلق بما يقدمه العالم مع التحكم في الظروف ، والخير عندهم المتعة، ولكنها ليست المتعة التي تشبع الحواس اشباعاً مؤقتاً بل هي الاستمتاع بجمال الدراسة العقلية، والعلاقات الاجتماعية . كان الرواقي ارستقراطياً من الوجهة الاخلاقية لا يحترم الضعفاء، بينما يؤمن الأبيقوري بالمساواة بين الجنسين فكان بذلك أكثر ديمقراطية ، ولكنهما كانا يهتمان بالفرد وروحه أكثر من اهتمامهما بالمجتمع والحكومة.

وصادفت الرواقية هوى في نفوس رجال الاعمال والحكام والساسة في العصر المقدوني الاغريقي وفي نفوس الاشراف الجمهوريين في روما فيما بعد. وأكثر من ذلك أكدت الرواقية حرية الانسان والعناية الإلهية وإرادته المطلقة وسيادته على تلك الارادة وهذه السيادة على الارادة سبيل الخير ،وتكون ارادة المرء خيرة إذا ما أردت الخير. ونظام الكون كامل وهو قانون الله ، فالإنسان الرواقي يعترف بالعناية الإلهية في أية محنة أو مصيبة، ويؤكد حريته في مواجهتها وبقوة الحتمية أو الارادة الذاتية الداخلية يمكنه أن يتغلب على عواطفه وتستمع روحه بالسلم والسكينة.[1]

يقول المؤرخ **أدمون بينان** في كتابه الرواقية مايلي :

"لكي نفهم زينون يجب أن نعرف الحكمة الفينيقية " [2]

وكان زينون يعلم فلسفته في أثينة ، في رواق سمي بالرواق ذي الرسوم لأنه كان قد زين بالرسوم حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد بريشة بوليجنوتوس (مخترع فن الرسم) من أهل تاسوس Thasos . وكان الشعراء قد اعتادوا أن يتخذوا من ذلك الرواق ملتقى لهم والراجح أنه كان مفتوحاً لكل من كانوا يريدون أن يجتمعوا فيه. ثم اتخاذ زينون له مكاناً يعلم فيه فلسفته سبباً في أن سميت مدرسته (بالرواق) وفي أن سمي أصحابه بالرواقيين .

يقسم زينون الفلسفة الى ثلاثة أقسام كبرى: الطبيعيات ، والأخلاق، والمنطق، والطبيعيات عنده أساس المعرفة، والمنطق أدائها والأخلاق غايتها .

1- **جورج سارتون، تاريخ العلم ، ج 3، ص 385- 387**

2- **مفيد عرنوق : صرح ومهد الحضارة السورية** ، ص 71

ونظرية المعرفة أيضاً عند الرواقيين نظرية مبتكرة كانوا يقولون إن المعرفة تنال مما ينطبع عليه في أعضاء الحس، وعلى الانسان أن ينظر في انطباعات الحس نظر المتأمل البصير حتى لا تجرفه (الخيالات) .

أما الطبيعيات الرواقية فكانت مزيجاً من المادية والقول بوحدة الوجود. وكان الرواقيون يتصورون وجود قوى أو توترات في كل شيء، ممتدة بامتداد المادة وهذه التوترات هي السبب فيما يقع في العالم من انبساط وانقباض. وقد وقع الرواقيون في المفارقات أو المبهمات التي وقع فيها الأبيقوريون ، لأنهم كانوا يسلمون بوجود النفوس وإن قالوا إنها مصنوعة من المادة، فهي في نظرهم جسمانية لا روحانية . والغالب على الرواقيين العناية بالأخلاق وقد فصلوا ما ذهب اليه سقراط من أن الفضيلة علم ، وقالوا إن الخير الحقيقي يتلخص في أن يعيش الإنسان على نحو يتفق مع العقل أو مع الطبيعة وتعاليمهم العلمية مستمدة من أفلاطون أكثر مما هي مستمدة من أرسطو ولذا ينقصها الوضوح.[1]

ويجب التأكيد أن ولادة الفلسفة في بلاد الإغريق لاتعني غيابها في فينيقية ، أو تأثرها بفينيقية فطاليس أبو الفلسفة كان فينيقياً ، وفلسفته أقدم من أفلاطون وأرسطو ، لكن الفلسفة كحيز فكري مستقل تأسست في بلاد الإغريق ، الذين كانوا منظرين حقيقيين لعلوم الفلسفة ، ويعود ذلك بدون شك إلى نوعية التحولات التاريخية التي عاشتها هذه البلاد ، فقد حدثت تطورات ساهمت في إنتاج الفلسفة وعقلنتها ، دون أن يعني ذلك أنها ألفت فلسفات الإنسان والآلهة التي كانت سائدة في الشرق ، وإنما مالت نحو أمور الطبيعة بشكل واضح مفتتحة بذلك العلاقة العقلانية بين الإنسان والعالم ، وهذه النقطة بالذات هي التي أعطت للفلسفة الإغريقية ميزتها التاريخية. و بانتصار الاسكندر تحققت أماني المفكرين من أبناء المدن الفينيقية المتأثرين بفلسفة أرسطو وأفلاطون وسقراط فتلقفوها مستسيغين حكمها وبهاءها.

1- **جورج سارتون، تاريخ العلم** ، ج 3، ص 385- 387

رابعاً :النتائج العامة:

خلاصة القول نجد أن فينيقية مهد الحضارت حيث انصبت فيها كل المؤثرات والتأثيرات الخارجية وتفاعلت فيها ، وقامت فينيقية بتصدير الإنتاج الحضاري المتمازج إلى بلاد الإغريق والعالم بأكمله ، والإنسانية بأكملها مدينة لفينيقية في إنجازها الحضاري الرائع وهو اكتشاف الأبجدية ، حيث تعد الأبجدية أعظم نتاج حضاري قدمه أبناء المنطقة إلى البشرية ،وكان له الفضل في دفع عجلة التطور والتقدم الحضاري إلى الأمام ،ولولاها لبقيت البشرية دفينة في ظلمات الجهالة والضلال .

اقتبسها عنهم الإغريق من بداية القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم أصبحت هذه الأبجدية مع بعض التعديلات التي أدخلها الإغريق مصدراً أساسياً لكل الكتابات الأبجدية في العالم .

من جهة أخرى امتاز الإغريق بحبهم للتفكير العقلي المنظم وباندفاعهم إلى تعليل مظاهر الطبيعة كلها تعليلاً واقعياً ، موضوعياً، ولذلك فقد استطاعوا أن يتحرروا من سيطرة العقائد الغيبية (الميتافيزيقية) وأن يفتحوا الطريق للبحث العلمي المستقل ولتقدم المعرفة الانسانية . أنهم قد وضعوا أسس الحساب والمثلثات وبلغوا في علم الهندسة إلى درجة من الكمال لم يكن في إمكان غيرهم التقدم أكثر منها .والنظريات المستحدثة في الفلك وفي تطور الكون مستوحاة من الفلاسفة والعلماء الإغريق .

على أن أهم ميدان يتجلى فيه تأثير الميراث الإغريقي هو موضوع الفلسفة ومن المعروف أن العلم الإغريقي نفسه لم يكن سوى محصول التفكير الفلسفي الذي يمثل لنا رغبة الإغريق الجامحة في دراسة الطبيعة ومعرفة حقيقة الإنسان.

ونجد عظمة الإغريق أنهم استطاعوا أن ينقلوا بشغف كل ما وقعت عليه أعينهم وعقولهم من تراث الفينيقيين ، وأن يهضموه هضماً يتلاءم مع بيئتهم الخاصة ، وأن يحولوا هذه المؤثرات الوافدة إلى شيء شبيه بتراثهم هم ، وأن ينتقدوا هذا وذاك شيئاً فشيئاً ، حتى استطاعوا في النهاية أن يتجاوزوا هذه المرحلة وأن يبدؤوا مرحلة جديدة متميزة .

خاتمة

في ختام هذا البحث نجد أن عملية التأثير والتأثر بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية بما تحمل من معنى التواصل ، تبرز الدور الإنساني الإرادي في إثراء الوجود البشري بما يحققه طرفا التواصل من فعاليات متجددة ولكل منهم ما يمكن أن يضيفه ، وهكذا يدور دولاب الفكر على محور التواصل ذي الحركة الدائبة المتصلة التي لاتقف عند حدود الحضارات بعينها ، بل تلتحم الحضارات كلها ويؤثر بعضها في بعض دون أن تفقد كل حضارة ملامحها الأساسية وخصائصها المميزة التي يتضمنها مميزات الزمان والمكان لكل حضارة . إن كل حضارة تعمل على تعزيز الحوار والتبادل الثقافي والاقتصادي والمعرفي الذي يمكن باقي الحضارات من التقدم والرقي لصالح بني البشر ، معتمدين على قيم التسامح والاحترام المتبادل لضمان حقوق الإنسان أياً كان لونه وموقعه وعرقه.

والالتقاء الحضاري بين الفينيقيين والإغريق في المدن الفينيقية أو في المدن الإغريقية ، كان طبيعياً في بعض النواحي ،ولكنه لم يكن بأي حال من الأحوال امتزاجاً كلياً بين الحضارتين ، بحيث تتغلب إحداهما على الأخرى .

ولابد من الإشارة أن الفينيقيين لم يكتفوا بنقل فنهم وحضارتهم ، وإنما لعبوا دوراً كبيراً في نقل تأثير الحضارة المصرية إلى الاغريق ،عبر تجارتهم البحرية .

وهذا التلاقي بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية ، أفرز نتاجاً حضارياً مميزاً لكلا البلدين ناتج عن التأثير المتبادل بينهما ، والذي تجلى في مجالات عدة منها :

أولاً فيما يتعلق **بمجال الفن** نجد أن للفن الفينيقي أثر عميق في تطوير الفن الإغريقي الذي بدأ يتفوق عليه فيما بعد ، وقد كان الفينيقيون في حقل الفن كما كانوا في حقول حضارية وفكرية أخرى اساتذة للإغريق، وقد أدى التوسع والانفتاح المشترك بين الفينيقيين والإغريق إلى تكوين الملامح المحددة للعقلية والتفكير الإغريقي والذي أصبح ملازماً لهم منذ بداية ازدهار حضارتهم حتى أفولها، لقد بدأ الخيال الاغريقي يتقمص الحقائق والفكر العلمي المنطقي كما تتقمص الروح والجسد وأصبح الإغريقي ينشد الجمال والحكمة معاً ، وما الفن في مفهومه سوى أحد أشكال الحكمة ،كما كان يمتلك المفكر والفنان الإغريقي إحساس شديد بالحق المطلق مما جعلهم يفرقون بدقة بين ما هو مثالي وبين ما هو واقعي ،وأن يعطوا لكل حقه .إن ميزة الإغريق التي لاحظناها في فروع الفن هي اقتباس ما يليق لهم ، ومن ثم تحويل ما اقتبسوه الى إبداع جديد .لكن بالمقابل نجد أن الفن الفينيقي لم يكن فينيقياً خالصاً من حيث موضوعه وجوهره ، بل اقتبسوا الكثير من الإغريق وغيرهم من الشعوب التي احتكوا بها .

أما في **المجال الديني** أدى الانفتاح الحضاري بينهما إلى انتقال عبادة آلهة فينيقية إلى بلاد الإغريق مثل أدونيس وعشتار وغيرها من الآلهة، وبالتالي انتقال العديد من الآلهة الإغريقية إلى فينيقية مثل ديميتر وكوري، وأيضاً انتقال الطقوس والشعائر الدينية فيما بينهما . ومن خلال دراسة التأثيرات الدينية المتبادلة بين الحضارتين الفينيقية والإغريقية نجد أن الدين احتل المكانة الأسمى عند الفينيقيين والإغريق لارتباطه بحياتهم اليومية، وجاءت الديانة مرتبطة بالطبيعة مباشرة ، فكانت الآلهة هي المسؤولة عن كل شيء ، فهي الراعية والحامية والمانحة والمدمرة والمسببة للأعاصير والمرسلة للرياح القوية ، وكان على الشعب طاعتها طاعة تامة ، وإقامة الشعائر الدينية لها ، وبناء المعابد واللجوء إليها عند الشدائد ، وتخصيص أناس يقومون على خدمتها ، وكان على الناس تقديم القرابين والنذور والأضاحي لها.

ونتيجة للانتشار الفينيقي في غرب البحر المتوسط ،انتقل الفينيقيون حاملين معهم معتقداتهم وآلهتهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية ، وقاموا بتأسيس مستوطنات لهم ، ولم تكن هذه المستوطنات منغلقة على نفسها تخص الفينيقيين وحدهم بل كانت مفتوحة ضمت العديد من الجاليات الأجنبية ومنهم الجالية الإغريقية التي ساهمت في بنائها ، وأدوا دوراً في ازدهارها .

وبعد التوسع الإغريقي في حوض البحر المتوسط وظهور التنافس بينهما للسيطرة على طرق التجارة وإنشاء المستعمرات ، يمكن ملاحظة الاختلاط الفينيقي الإغريقي في مناطق تواجدت فيها مستوطنات الطرفين ،ونتج عن ذلك تأثر وتأثير بينهما في المجال الديني ،فكانت هناك آلهة فينيقية عُبدت في بلاد الإغريق .حيث نجد أن الإغريق كانوا كلما وجدوا أنفسهم أمام آلهة فينيقية ، عمدوا دائماً إلى قياس هوية آلهة هؤلاء على هوية آلهتهم الخاصة .

ويبدو أن الإغريق أو بعضهم سحرتهم منذ عصر قديم آلهة الفينيقيين والاحتفالات والطقوس الدينية التي أقيمت في مظاهر كبيرة متنوعة وخاصة .

هكذا كان للفينيقيين فضل كبير في تصدير العبادات الشرقية إلى بلاد الإغريق ،وبالمقابل لم ينغلق الفينيقيون على أنفسهم ، بل تلقفوا ديانة وثقافة الإغريق ونهلوا منها وتعاملوا مع ديانتهم بكل محبة واحترام وتسامح ،فعبدوا بعض الآلهة الإغريقية ، وكان هناك تأثير متبادل في مجال بعض العقائد الدينية كعقيدة الموت وديانة الأسرار ،فكلاهما وجد في الموت لغز محير وحق مكروه ، فابتدعوا الكثير من الأفكار والعقائد المساعدة على تخفيف وقعها في النفوس ،وصاغوها في قوالب ميثولوجية وأدبية جميلة ، وتبادلوا هذه الأفكار والعقائد فيما بينهم .

وفي المجال **اللغوي والفكري** : نجد أن فينيقية مهد الحضارات حيث انصبت فيها كل المؤثرات والتأثيرات الخارجية وتفاعلت فيها ، وقامت فينيقية بتصدير الإنتاج الحضاري المتمازج إلى بلاد الإغريق والعالم بأكمله ، والإنسانية بأكملها مدينة لفينيقية في إنجازها الحضاري الرائع وهو اكتشاف الأبجدية

حيث تعد الأبجدية أعظم نتاج حضاري قدمه أبناء المنطقة إلى البشرية ،وكان له الفضل في دفع عجلة التطور والتقدم الحضاري إلى الأمام ،ولولاها لبقيت البشرية دفينة في ظلمات الجهالة والضلال .

على أن أهم ميدان يتجلى فيه تأثير الميراث الإغريقي هو موضوع الفلسفة ومن المعروف أن العلم الإغريقي نفسه لم يكن سوى محصول التفكير الفلسفي الذي يمثل لنا رغبة الإغريق الجامحة في دراسة الطبيعة ومعرفة حقيقة الانسان.

وقد أدى التوسع والانفتاح المشترك بين الفينيقيين والإغريق إلى تكوين الملامح المحددة للعقلية والتفكير الإغريقي والذي أصبح ملازماً لهم منذ بداية ازدهار حضارتهم حتى أفولها، لقد بدأ الخيال الاغريقي يتقمص الحقائق والفكر العلمي المنطقي كما تتقمص الروح والجسد وأصبح الإغريقي ينشد الجمال والحكمة معاً .

لاشك أن الفينيقيين قد ساهموا بقسط وافر في انتشار الحضارة في حوض البحر المتوسط ، وقد لاحظنا كيف أن الاساطير الاغريقية ترجع عناصر الحضارة القديمة إلى سلالة من الأبطال أو أنصاف الآلهة هبطت بلادهم من وراء البحار وكيف أنهم جعلوا الفينيقيين من بين هؤلاء الأبطال ، ومما لاشك فيه أنهم كانوا أول عنصر متحضر حمل الحضارة والمدنية الراقية إلى شمال أفريقية والحوض الغربي للبحر المتوسط

من جهة أخرى نجد عظمة الإغريق أنهم استطاعوا أن ينقلوا بشغف كل ما وقعت عليه أعينهم وعقولهم من تراث الفينيقيين ، وأن يهضموه هضماً يتلاءم مع بيئتهم الخاصة ، وأن يحولوا هذه المؤثرات الوافدة إلى شيء شبيه بتراثهم هم ، وأن ينتقدوا هذا وذاك شيئاً فشيئاً ، حتى استطاعوا في النهاية أن يتجاوزوا هذه المرحلة وأن يبدؤوا مرحلة جديدة متميزة .

ولا يسعنا إلا أن نقر للإغريق بإضافاتهم وتطوراتهم العظيمة ، فقد وجدوا الأساس ، وهم في هذا لا فضل لهم ، ولكنهم أضافوا إليه لبنة بعد لبنة حتى أقاموه صرحاً عظيماً ، لقد كان الصرح وحده هو الظاهر للعيان ، فلعلنا نكون قد أزحنا شيئاً من التراب الذي كان يطمر الأساس.

وهذا البحث محاولة لرد الحق لأصحابه والعرفان بالجميل للحضارة الفينيقية التي قدمت إرثاً كبيراً استفادت منه حضارات العالم القديم ، فالمدن الفينيقية شغلت دور الفاعل الحضاري في قيام أوربة، عندما نقلت إليها الأبجدية ونظم حياة المدن ، وطرائق التعامل والألبسة الملونة الفاخرة ، وفتحوا في وجه شعوب عديدة أبواب الإسهام في تطور الحضارة ونشرها ،فالفينيقيون بعيدون كل البعد عن التمييز العنصري عرقياً كان

أم ثقافياً ،كل ذلك جعلهم يتقاسمون مع شعوب أخرى كالإغريق والرومان الاستفادة من البحر المتوسط وجعله نبعاً من ينابيع الحضارة الفينيقية.

وأن الحضارة الفينيقية سبقت الحضارة الإغريقية بأجيال عديدة من الزمن وأن الإغريق مدينين للفينيقيين، وإن كانت الأقدار لم تشأ أن يكمل أبناء الحضارة الفينيقية مشوار العلم الذي بدأوه في شتى

مجالات العلم والمعرفة ، حيث خبت ثم انطفت الروح العلمية لدى أبناء تلك الحضارات ، أما الإغريق فقد أكملوا المسيرة وساروا بالعلم خطوات هائلة ، وذلك بعد أن تعلموا من الحضارات التي سبقتهم .

وبالرغم من كل ما يقوم به المستشرقون للتقليل من قيمة هذه الحضارة وتشويه صورتها ، وقولهم بأنها غير أصيلة في منطقتها .

إلا أنهم لم يتمكنوا ولن يتمكنوا من ذلك ، فالاكتشافات الأثرية التي ترى النور في كل يوم ،تؤكد أننا أصحاب حضارة راقية كانت الشعلة التي أضاءت الطريق أمام الشعوب الأخرى .

وفي الختام أتمنى أن أكون في هذا البحث قد خطوت خطوة ولو بسيطة في هذا الاتجاه ، وكلي أمل أن تكون خطوتي هذه بداية صحيحة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- الكتاب المقدس (بدون جهة ومكان النشر) 1994

ب- المصادر باللغة الأجنبية:

1- Aristophanes,*Clouds,vol 1,with the English,translation of Benjamin Bickley Rogers ,London.1924*

2- Demosthenes,*Speeches ,24Translated By Harvey Yunis,Claccical Greece ,V9,University of Texas Press*

3- Diodorus Siculus:*Translated by.C.H.Old father professor of Ancient History and Languages.LC.L*

4-Herodotus,*History,Translated,by,A.D.Godley Camdley,Cambridge.L.C.L*

5- ***Pliny****: The Natural History,Translated by H.R.Ackham L.C.L*

6- ***Plutarch'S,****Solon: Tarnslation By Bernadotte Perrin, v 1, L.C.L.1914*

7-salluste : *Catalina et guerre de Yu gurthe traduction Al Fred Ernout 5eme etition belle lettres , paris ,1962*

8-*Sallust,**The JugurthineWars,Tranalated.by.J.C.Rolfe Professor of Latin in the University of pennsy Lvania.L.CL*

9-*Strabon,Géographie**,Traduction.d Amede Tardieu Hachette ,1894*

10-*Xenophon,**Cyropaedia,Deborah Levine Gera,Clarendon Press Oxford,1993*

11- ***Xenophon,*** *Hellenika,1858*

ج- المصادر المترجمة إلى اللغة العربية :

1 – **أرسطو** : الدستور الأثيني ،ترجمة اوغسطين بربارة البوليسي ،إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو) بيروت 1967م

2- **أرسطو** : السياسة ، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي ، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الإونيسكو) بيروت 1957م

3**– أيسخيلوس** :اجاممنون : ترجمة لويس عوض ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،بدون تاريخ

4 – أيسخيلوس: حاملات القرابين ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الهيئة العامة للكتاب ،الاسكندرية ، 1996م

5- **بلوتارخوس** : العظماء ،(عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم) المجلد الأول ، ترجمة ميخائيل بشارة داؤود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، 2002م

6- **توكوديدس** ،تاريخ الحرب البلوبونيزية ، ترجمة دينا الملاح ،عمرو الملاح ،أبو ظبي ،المجمع الثقافي،2003م

7- سترابون : الجغرافية ، الكتاب السابع عشر ، ترجمة محمد مبروك الذويب ، جامعة قاريونس بنغازي ،ليبيا 2001م

8- فرجيليوس : الأنياذة : ترجمة عنبرةسلام الخالدي ،دار العلم للملايين ،بيروت ، ط2 ،1978م

9-فيلون الجبيلي : تعريب عيد مرعي ، الأبجدية للنشر ،دمشق ،ط1 1993م

10- هوميروس ، الإلياذة، ترجمة دريني خشبة ، دار العودة ، بيروت 2002م

11- **هوميروس** ، الأوديسة ، ترجمة دريني خشبة ، دار العودة ، بيروت 2001م

12- هيرودوت :التاريخ : ترجمة عبد الإله الملاح ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2001م

13-هيرودوت : هيرودوت في مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة ،دار القلم،القاهرة 1966م

14- يوروبيدس :هيراكليس ، ترجمة أحمد عتمان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2001م

ثانياً :المراجع باللغة العربية :

1- أبو عساف ،علي : آثار الممالك القديمة في سورية 8500 – 535 ق.م ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1 ،1988م

2- الأثرم :رجب عبد الحميد، حالة قورينة (برقة) منذ القرن السابع ق .م وحتى عام 96ق .م ، رسالة ماجستير ،غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1975م

3- أحمد، محمود عبد الحميد : الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين والشام إلى مصر، دار طلاس للدراسات ، دمشق ، ط1 ، 1988م

4- إسلامبولي ،محمد هيثم : الأبجدية صوت العلم والوعي ،دار الأوائل ،دمشق ،ط1 ، 2008م

5- اسماعيل ،فاروق: مراسلات تل العمارنة ، إنانا للنشر ، دمشق ، 2010م

6- اسمندر، أيمن:

-التقاليد الفنية للرسم والتصوير في الحضارة الفينيقية ما بين 1500- 500 ق.م ، رسالة دكتوراه ، إشراف عبد المنان شما ،جامعة دمشق، كلية الفنون الجميلة ، 2009م

-الرموز الفينيقية ، رسالة ماجستير ، إشراف عبد المنان شما ، كلية الفنون ، جامعة دمشق ، ط1 2002م

7- الأصفر، عبد الرزاق : عثمان ،سهيل :معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، منشورات وزارة الثقافة ، 1982م

8-بربارة ،فؤاد جرجي: الأسطورة اليونانية ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط2 ، 2014م

9- البركي ،مفتاح محمد سعيد: الصراع القرطاجي الإغريقي في القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م ، مجلس الثقافة العامة ،2008م

10- بشور ،وديع: ديانات الأسرار، دار المرساة ، دمشق ، 2006م

11- بكر ،محمد ابراهيم: قراءات في حضارة الإغريق القديمة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2002م

12- بكري ،حسن صبحي : الإغريق والرومان ، والشرق الإغريقي الروماني ،عالم الكتب ، الرياض 1984م

13- البني ،عدنان : المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم ،دمشق ،2001م

14- بهنسي ،عفيف : تاريخ الفن والعمارة ، دار الشرق ، دمشق ، ط1 ، 2003م

15- بورونية، الشاذلي : الطاهر ،محمد : قرطاج البونية ،(تاريخ حضارة) مركز النشر الجامعي ، تونس، 1999م

16- جبر ،جميل : جبيل في التاريخ ، بيت الشباب ، لبنان ، 2001م

17- جندي ،ابراهيم عبد العزيز :معالم التاريخ اليوناني القديم ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م

18- جود الله ،فاطمة : سورية نبع الحضارات ، دار الحصاد للنشر ، ط1 ، 1999م

19- حاتم، عماد : في فقه اللغة وتاريخ الكتابة ، المنشأة العربية للنشر ، ليبيا ، ط1 ، 1982م

20- حامدة ،أحمد:

- التجارة الكنعانية (الفينيقية) في حوض البحر المتوسط ،مجلة دراسات تاريخية،العددان 73-74جامعة دمشق ،آذار-حزيران 2001م.

- المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ،منشورات جامعة دمشق،1994م

- من مظاهر الحياة العائليةفي المجتمع الكنعاني الفينيقي ،مجلة دراسات تاريخية، العددان 79-80، جامعة دمشق ، 2002م

21- حجل ،بدري: سوريا وتاريخها الحضاري، دار الفكر ،دمشق ، 2004م

22- حسين حجازي : جزيرة أرواد والجذور الفينيقية ، منشورات دار الأماني، دمشق ، 1992م

23- حسين ،عاصم أحمد : المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ،مكتبة نهضة الشرق 1991م

24- حقي بك ،اسماعيل : لبنان مباحث علمية واجتماعية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت، ط3 ، 1993م

25- الحكيم ،صالح: الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني ق.م ،المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق ، 2010م

26- حمود ،محمود : الديانة السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد 1600-333ق.م ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2014م

27- الحوراني ،يوسف: مجاهل تاريخ الفينيقيين من خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي منشورات دار الثقافة ، بيروت ،ط1، 1999م.

28- الخطيب ،محمد: الفكر الإغريقي ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 1999م

29- خلايلي، ابراهيم :

- أدونيس ،مجلة مهد الحضارات ،العدد الأول ،مركز الباسل للبحث ،وزارة الثقافة،دمشق،2006م

-مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس،رسالة دراسات معمقة،اشراف محمد حسين فنطر، جامعة تونس،1995م

30- الذييب ،سليمان بن عبد الرحمن: الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 2007م

31-رحال ،محمد عادل : تجارة وتصنيع المعادن في أوجاريت ،بين 1400- 1200ق .م ، رسالة ماجستير ،إشراف الدكتور. جهاد عبود، جامعة دمشق ، 2016م

32- رفعت، محمد : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ، القاهرة ، 1959م

33-زايد :عادل عمران محمد: التواجد القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، رسالة دكتوراه ،إشراف الدكتور عبد المجيد حاج حمدان ، جامعة دمشق 2012م

34-زايد ،مصطفى : التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط1 2006م

35- الزين ،محمد: لبنان في العصور القديمة ، الموسوعة العربية الشاملة ، مج 16،الصادرة عن الجمهورية العربية السورية، ط1 ، 2003م

36- سارة ،خليل:

- تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ،2006-2007م

- تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية ، منشورات جامعة دمشق ، 2009م

37- سلامة ،أمين : الشاعر اليوناني هسيود – دار الفكر العربي ،مصر ، ط1 ، 1948م

38- السواح، فراس :لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، سومر للدراسات ، قبرص ط1، 1985م

39- السودا ،يوسف : تاريخ لبنان الحضاري ،دار النهار للنشر ،بيروت ،ط2، 1979م

40- السويفي ،مختار : مصر القديمة ، دراسات في التاريخ والآثار ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 1997م

41- سيف الدين ،ابراهيم نمير : علي، زكي : هاشم ،أحمد نجيب : مصر في العصور القديمة، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، ط2 ، 1998م

42- الشيخ ،حسين: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط1 ، 1996م

43- العابد ،مفيد رائف :

-الاثار الكلاسيكية، جامعة دمشق ط4، 1998 م

- تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ، 1994م

- سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر الى بومبيوس 333-64ق.م،دار شمأل للطباعة والنشر ، 1993م

44- عارف : **عائدة سليمان،** مدارس الفن القديم ، دار صادر ،بيروت ،1972م

45- العبادي: مصطفى ،مصر في العصر الهللنستي ، بيروت ،1988م

46- عبانية ،يحيى : اللغة الكنعانية ، دار مجدلاوي ،الأردن ، ط1 ، 2003م

47-عبد الحق ،سليم عادل: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق ، المديرية العامة للآثار والمتاحف مطبعة الترقي ، دمشق ، 1950م

48-عبد الحليم ،نبيلة: مصر القديمة تاريخها وحضارتها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، الإسكندرية 1980م

49- عبد الساتر ،لبيب: الحضارات ، دار المشرق ،بيروت ،ط4، 1997م

49- عبد العليم :مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1966م

50-عبد الله، فيصل: آلالاخ ، الموسوعة العربية ، مج 3 الصادرة عن رئاسة الجمهورية العربية السورية، ط1 ، 2003م

51-عتمان :أحمد ،الأدب الإغريقي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1986م ، ص 186

52- عثمان ،عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث ، لبنان،1966م

53- عرب ،معن : صور :حاضرة فينيقيا ، بيروت ، 1969م

54- عرنوق ،مفيد : صرح ومهد الحضارة السورية ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 1999م

55- عصفور ،محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1981م

56- عكاشة، ثروت : الفن والحياة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1، 2002م

57- علام ،نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط والعالم القديم،دار المعارف ،1975م

58- علي : عبد اللطيف أحمد ، التاريخ اليوناني ،جزآن ، بيروت ، 1976

59- عياد ،محمد كامل :اليونان، ، دار الفكر ، دمشق، 1980 م

60- غانم ،محمد الصغير : التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط، دار النمير ،دمشق 2003م

61-غلاب، محمد السيد: الساحل الفينيقي وظهيره،دار العلم للملايين،بيروت ط1969م

62- الخوري ،منير : صيدا عبر حقب التاريخ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة ، بيروت 1966م

63- فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو أمريكية ، القاهرة ،ط2، 1963م

64- الفرجاوي، أحمد: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ،المجمع التونسي للعلوم والآداب ، تونس ، 1993م

65- فرزات ،محمد حرب :

-الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سورية القديمة ، مجلة دراسات تاريخية ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ، السنة الثالثة عشر ، العددان 41- 42 آذار 1992م

-محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ، 1988م

66-فنطر ،محمد حسين :

- الحرف والصورة في عالم قرطاج ، أليف ،منشورات البحر المتوسط ، مركز النشر الجامعي ،تونس 1999م

- الفينيقيون بناة البحر المتوسط ،أليف منشورات البحر المتوسط ، تونس 1998م ،

67- قدوح ،محمد : الكتابة : نشأتها وتطورها عبر التاريخ ، ج1، دار الملتقى ، بيروت ، ط1 ، 2000م

68- كامل ،صلاح: الفن اللبناني ، منشورات قسم الفنون في وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة لبنان 1956م

69- الماجدي ،خزعل :

- المعتقدات الإغريقية ،دار الشروق ، عمان، ط 1 ، 2004م

- المعتقدات الكنعانية ، أزمنة للطباعة ،عمان ،ط1 1999م

70- محمد ،محمود محمد علي: الأصول الشرقية للعلم اليوناني ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة، ط1 ، 1998م

71- محمدين ،محمد محمود : الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، جامعة الملك سعود، كلية الآداب،1983م

72- مصطفى ،محمد: لغة النقوش الفينيقية ،رسالة ماجستير ،جامعة حلب ، 1988م

73- مرعي ،عيد :

-تاريخ سورية القديم ، (3000- 333ق .م) ، دمشق ، 2010م ، ص 189

- رحلة في عالم الآثار "آثاريون ومدن أثرية " ، روافد للثقافة والفنون ، دمشق ، ط 1 ، 2010م

- موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ،مكتبة الخبتي،السعودية ،2003م ،ص160

74- مزهر ،يوسف : تاريخ لبنان العام ، ج 1 ، بدون مكان وتاريخ للطبعة

75- مكاوي ،فوزي : تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322ق.م ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م

76- مهران ،محمد بيومي : المدن الفينيقية (تاريخ لبنان القديم) دار النهضة العربية،بيروت ط1 1994م

77- الميار ،عبد الكريم : قورينة في العهد الروماني ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، منشورات الشركة العامة للنشر ، طرابلس 1973م

78- الناصري ،سيد أحمد علي: تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1992م

79- الناضوري ،رشيد : تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1981م

80- نجيب، ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم،دار المعارف ، بيروت ،1966م،

81-نسطور،ميخائيل : أصل الأسم "سورية- كنعان- فينيقيا- أرجوان"قدمس للنشر والتوزيع،سوريا،دمشق،ط1 ، 2001م

82- النشار مصطفى : المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1997م

83- نصحي، ابراهيم : تأسيس قورينة وشقيقاتها ، مطبوعات الجامعة الليبية ، بيروت، 1970 م

84- نصر الله ،شكري: تاريخ لبنان واللبنانيين، شركة المطبوعات ،بيروت ، ط1 ، 2006م

85- هبو،أحمد ارحيم : الأبجدية :نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ، دار الحوار ،سورية، ط1 1984م

86- هيكل ،محمد رئيف : توابيت بشرية شبيهة بالإنسان ،وزارة الثقافة ، المديرية العامة للآثار والمتاحف سورية ،2003م

87- يبرودي ،ميسر فتال :دليل متحف فن الشرق القديم في متحف دمشق الوطني ،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،بدون تاريخ

88- يحيى ، لطفي عبد الوهاب: اليونان ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت ، 1979م

89- معرض المرأة السورية من خلال المكتشفات الأثرية 2003، منشورات المديرية العامة للآثار ، دمشق 2003م

ثالثاً : المراجع المعربة:

1- ادزارد.د ،.بوب. م ، رولينغ .ف.، قاموس الآلهة والأساطير ،ج1 ، ترجمة محمد وحيد خياطة ، حلب 2004م

2- إلليغر، فينفريد : قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين ، ترجمة عيد مرعي ، روافد للثقافة والنشر ، دمشق ، ط1 ، 2008م

3- إلياد ،ميرسيا : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج1 ،ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق ، ط1 ، 1987م

4- أوفيد :مسخ الكائنات ، ترجمة ثروت عكاشه ، الهيئة المصرية للكتاب ،

5- إيمار، أندريه، جانين ،أبوايه: موسوعة تاريخ الحضارات العام ، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان دار عويدات ، بيروت ، ط2 ، 1986م

6- برنهردت، كارلها ينز: لبنان القديم ،ترجمة ميشيل كيلو ،قدمس للنشر ، سورية ،ط1 ، 1999م

7- برنال ، مارتن: أثينة السوداء ،ج1، ترجمة مجموعة من المؤلفين ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1987

8- برستد ، جيمس هنري : العصور القديمة ، ترجمة داود قربان ، المطبعة الأميركية ، بيروت ، ط2 ، 1930م

9- بيرفيت، آلان : المعجزة في الاقتصاد "من المدن الفينيقية إلى اليابان " ترجمة بسام حجار ، دار النهار ، بيروت ، 1997م

10- تارن، وليم : الحضارة الهلينستية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة الأنجلو مصرية ،1966م

11- توكاريف ،سيرغي : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة أحمد محمد فاضل ، الأهالي للطباعة، دمشق ، ط1 ، 1998م

13- تيكسيدور ،خ- كانيفه،ب: الحياة الدينية في سورية قبل الاسلام ،ترجمة موس الخوري ،المركز الوطني للبحث العلمي ، باريس،ط1، 1996م

14- جيفري ،بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط2، 1996م

15- حتي ،فيليب :

- تاريخ لبنان من أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر ،ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1978م

- لبنان في التاريخ، منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ،ترجمة أنيس فريحة،مؤسسة فرانكلين للطباعة ،بيروت، 1959م

16- دوسو ،رينه :الديانات السورية القديمة (ديانات الحثيين والحوريين والفينيقيين والسوريين) ترجمة موس ديب الخوري ،الأبجدية للنشر ،دمشق ،ط1، 1996م

17- دوكريه ،فرانسوا :قرطاجة الحضارة والتاريخ ، ترجمة يوسف شلب الشام ، دار طلاس للنشر ، ط1 1994م

18- دياكوف ،ف - كوفاليف ،س: الحضارات القديمة ،ترجمة نسيم واكيم اليازجي، ج1،منشورات علاء الدين، دمشق، ط1، بدون تاريخ

19- دي كولانج، فوستيل: المدينة العتيقة ، ترجمة عباس بيومي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1950م

20- ديورانت، ول : قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ،دار الجيل ،بيروت ،1988م

21- روبنصن ،تشارلز ألكسندر :أثينة في عصر بريكلس ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ، 1966م

22- روز ،هـ.ج: الديانة اليونانية القديمة ،ترجمة رمزي عبده جرجس ، دار النهضة القاهرة ، 1961م

23- ريختر ،جيزلا : مقدمة في الفن الاغريقي ، ترجمة جمال الحرامي،دار الأماني للنشر ، دمشق 1987م

24- زيمرن ،الفرد : الحياة العامة اليونانية في أثينة في القرن الخامس ق.م،(السياسةو الاقتصاد)ترجمة عبد المحسن الخشاب ، لجنة البيان العربي ، القاهرة 1958م

25- سارتر ،موريس : سوريا في العصور الكلاسيكية (الهلنستية – الرومانية) ترجمة محمد الدنيا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2008م

26- سارتون ،جورج : تاريخ العلم، ترجمة مجموعة من العلماء ، دار المعارف بمصر ، 1975 م.

27- سازونوف ،أ – ماتفييف، ك : فينيقيا بلد الارجوان ، ترجمة يوسف الجهماني ،دار حوران للطباعة ، دمشق ، ط1 ، 2001م

28- ستيفنسن ،ج.هـ: تجارة العالم القديم والبحر المتوسط ،كتاب تاريخ العالم، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،بدون تاريخ

29- السمسياطي ،لوقيانوس : الآلهة السورية ، ترجمة عدنان بن ذربل ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مج 14 ،المديرية العامة للآثار والمتاحف ،دمشق ، 1964م

30- شيفمان، أ.ش : ثقافة أوجاريت ،ترجمة حسان ميخائيل اسحق ،دار الأبجدية ،دمشق ط1، 1988 م

31- فريدريش، يوهانس : تاريخ الكتابة ، ترجمة سليمان أحمد الضاهر ، وزارة الثقافة ، سورية ، 2004م

32- فريزر ،جيمس: أدونيس أو تموز ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للنشر،بيروت ط3 1983م

33- فون زودن ،ف: مدخل إلى حضارات الشرق القديم،ترجمة فاروق اسماعيل ،دار المدى للنشر دمشق،ط 1، 2003 م

34- فيروللو ،شارل : أساطير بابل وكنعان ،ترجمة ماجد خير بك ، الكاتب العربي للطباعة، دمشق 1990 م

35- فيرنان ،جان بيير : الكون والآلهة والناس ، ترجمة محمد وليد الحافظ ، الأهالي للطباعة ، سورية ط1 ، 2001م

36 - كاسيون، ليونيل: رواد البحار ، ترجمة جلال مظهر ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة،1966م

37- كالوبوف ،ك.م : اقتصاد اليونان القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م ، من كتاب تاريخ العالم القديم ، اليونان القديمة ، موسكو 1936م ، بتصدير من خليل سارة : الاقتصاد اليوناني

38- كلينغل ،هورست: آثار سورية القديمة ،ترجمة قاسم طوير،منشورات وزارة الثقافة، 1985م

39- كوشلينو ،غ.آ : البوليس الإغريقية وقضايا تطور الاقتصاد في كتاب :اليونان القديمة ، المجلد الأول ،موسكو ،1983م ، بتصدير من خليل سارة : الاقتصاد اليوناني.

40-كونتتو ،جورج : الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شقيره ، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ط1 ، 1997م

41- كير شباوم: إيفا كانجيك ، تاريخ الأشوريين القديم ، ترجمة فاروق اسماعيل ، دمشق ،2008م

42- كيتو ، هـ.د .: الإغريق ، ترجمة عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي ،القاهرة ، 1962م

43- ليتمان ،روبرت ج : التجربة الإغريقية ،ترجمة منيرة كروان ، 2000م

44- مازيل ،جان: تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ،ترجمة ربا الخشن، دار الحوار للنشر ، سوريا ، 1997م

45 -ماكو ،غلين: "الكنعانيون أمة من الحرفيين " في آثار العرب ، ترجمة مريم سلامة ، طرابلس ، العدد 4 (مارس 1992م)

46- موسكاتي، سباتينو :

- الحضارات السامية القديمة ،ترجمة يعقوب بكر ، دار الراقي ، بيروت ، ط1 1986م
- الحضارة الفينيقية،ترجمة نهاد خياطة ، العربي للطباعة ،دمشق ، ط1، 1988م

47- ميغوليفسكي:أ . أسرار الآلهة والديانات ، ترجمة حسان مخائيل إسحاق ، دار علاء الدين ط دمشق ، 2009م

48- نيهاردت أ. أ. : الآلهة والأبطال في اليونان القديمة ، ترجمة ،هاشم حمادي ،الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط1 1994م

49- هاردن ،دونالد :الديانة الفينيقية ،ترجمة ثائر ديب ،موسوعة تاريخ الأديان ، ج2، منشورات علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 2004م

50- هامرتن ،جون: تاريخ العالم، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،1948م

51- هوراس، مادلين: تاريخ قرطاجة ، ترجمة ابراهيم باش ،منشورات عويدات ،بيروت ط1 1981

رابعاً : المراجع الأجنبية

1- Aubet .Maria; *the Phoenicians and the west, (politics-coloniesand trade),Cambridge university press,1999*
2-Beck .F; *Greek Education 450- 350 B.C London,1964*
3-Bevan .E ;*The House of Seleucus .Vol. 1; London 1902*
4- Bienkowski .Piotr- Millard .Alan: *dictionary of the Ancient Near East ,British Museum press,2000,*
5- Bissing. von; *Naukratis.B.S.A.1951*
6- Bonnet. Borrin c;*Les phéniciens marins des trois continents, Imp Armand Collin,Paris,1992*
7 - Bordreuil, Pierre *: Astarté,la Dame de Byblos , Paris, 1998*
8- Boulos .Jawad; *Les Peuples et Le Civilisation du proche orient,tome 1,Mouton et cograuenage 1961*
9-Breasted .J.H;*ancient time- New York,1935*
10-Briquel chatonnet(F):*les pheniciens aux origins du liban.imp Gallimar,1998*
11-Cintas .P; *manuel d archeologie punigue Ed , picard ,1970*
12-Cook.J.M; *The Greeks in Ionia and TheEast ,London,1962*
13- Croiset .Maurice; *La Civilisation de La Gréce antique,paris,1969*
14-Delapor .L;*Phènicie Mythology,in Larousse encyclopèdie of Mythology,New York 1964*
*15-**Dictionnaire de la civilization phenicienne et punique** ,Brepols,1992*
16- Dunand .Maurice; *Byblos son Histoire,ses Ruines,ses Lègendes, Beyrouth,1973*
17- Dussaud R. ,*Les Inscription Phéniciennes du Tombeau d' Ahiram Roi de Byblos,SY ,Tome 5,fascicule.2,1924*
18- Dussaud .R;*un noveau nom de verrier sidonien ,syria,I,paris ,1920*
19- Fougeres: G;*les premieres civilization,paris,1926,p288*
20-Giovanni .Garbini; *I Fenici Storia E Religione,Series Minor 11,Napoli,1980*

21-Glotz .Gustave, *The Aegean Civilization (London: Kegan paul,1925.*
22- Goodchild. R; *Cyrene and Apollonia,1954*
23- Grainger. John.D;*Hellenistic Phoenicia Clarendon pressOxford,1991*
24- Gras .M. Rouillard .P- Texidor .J;*L`Univers Phenicien,Revue de l`histoire des religions;volume 208,Hachette Pluriel,1995*
25- Gsell.S;H.A.A.N, *tome1 Librairie Hachette, paris,1920*
26-Harden. ***Donald ;****The Phoenicians, London, 1962*
27- Haussiau. ***P- Michaux. M;*** *L`Antiquité la Gréce, caterman tourin, paris, 1958*
28-Herm .Gerhard ; *les phèniciens,*Antique royaume de la pourpre librairie Arthme Fayet, paris ,2002*
29-Howgego .Christopher; *Ancient History From coins , London and New York First Published,1995*
30-Hutter.M*; Das Ineianderflieben von Luwischen und aramaischen religiosen vorstcllungen in Nordsyrien(Reliionsgeschichte Syriens) ,verlag W.Kohlhammer Stuttgart,Berlin,koln,*
31-Jeffery .L.H; *the local scripts of arshaic grece , astudy of the greek alppabet and its development irom the eigth to the filith centurles .b.c.oxford the clurendom press ,1961*
32- Jonahom. Harris; *Constantinopole capital of Byzantium (Hambledon/Continum) London 2007,ISBN*
33-Khan.RefaquatAli;*GeoRawlinson:Phoenicia: EncyclopaedicHistory Of Word civilization, vol 18, INDIA,1992*
34- Lipinski .E; *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*. Brepols,1992
35-Morel. J.P; *Actes du IIIéme congrés des Etudes Phéniciennes et puniques , Tunis,1995*
36-Moscati . ***Sabatino ;*** *Les phèniciens,Paris,1989*
37- Nantet .Jacues; *Histoire Du Libau ,paris,1963*
38-Nibbi.Alessandra;*Ancient Byblos reconsidered Oxford,1985,*

39-Picard.G:*La vie et mort de carthage,Paris,1958*
40-Rainey.Sean*;The Nature of Carthaginian Imperial Activity,Trade,Sttlement Conquest and Rule, University of Canterbury, 2004*
41-Roebuck. Karl;*The Grain Trade beiween Grecce and Egypt,C.PH,1950*
42-Seignobon .CH; *Histoire ancienne des peuples de L' orient; librairie armand colin ;Paris 1912****.***
43-Shaeffer .C*;Les Fouilles De Ras Shamra –Ugarit .Septiéme champagne 1935,Syria,T17,fascicule2,1936*
44-Spanuth .Jürgen *: Die Phönizier , zeller verlag . osnabrück, 1985*
45- Soyez .Brigitte; *Byblos et la fête des Adonise, Leiden,E.J.Brill,1977*
46-Strazzulla .Maria *, Ancient libanon, Roma, 2004*
47-.Stucchi. S; *Dieci Anni di missone,Tripoli,1957*
48-The Cambridge Ancient History *, second edition, vol 4, USA, 1988*
49– Thiollet. Jean-Pierre*; je m' appelle Byblos ,Paris,2005*
50- Warmington .B.H; *Carthage,Pelican,Book,England,1964*
51-William.A;.*Ward,The Spirit of Ancient Egypt, published By Khayats,Beirut,Lebanon,1965*
52-Williams. Henr *;The Historians –History of The World, vol India 1987*

خامساً :المواقع الإلكترونية

-http\\www.Safita.cc\vb\Showthread. Php ,
-Mush- talib@maktoob.com
-www.tours –malaysia.com
- http//www.alzamilmagazine.com/articledetails.php
-Phoenician Alphabet Origin, http.\\www
Phoenician.org\alphabet
-http://www.discover-syria.com\news\112
-http://www.marefa.org/index.php3
-http;\\ www.wakra.net\finiqion.htm
https://ar.wikipedia.org

ملحقات الخرائط والجداول والأشكال

أولاً:ملحق الخرائط

ثانياً:ملحق الجداول

ثالثاً :ملحق الأشكال

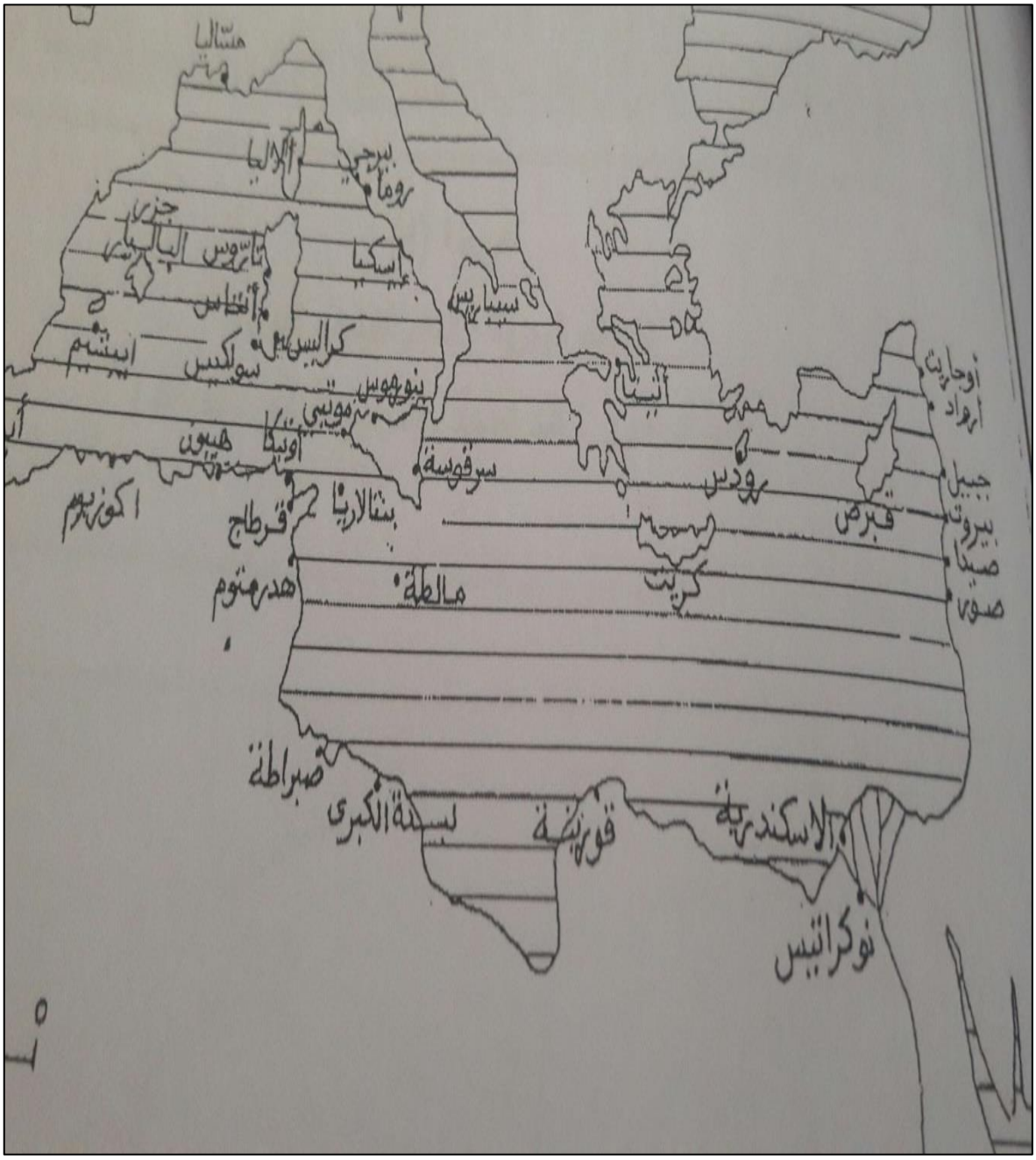

خريطة (1)

البحر المتوسط القديم

الشاذلي بورونية، محمد الطاهر : قرطاج البونية ، ص 62

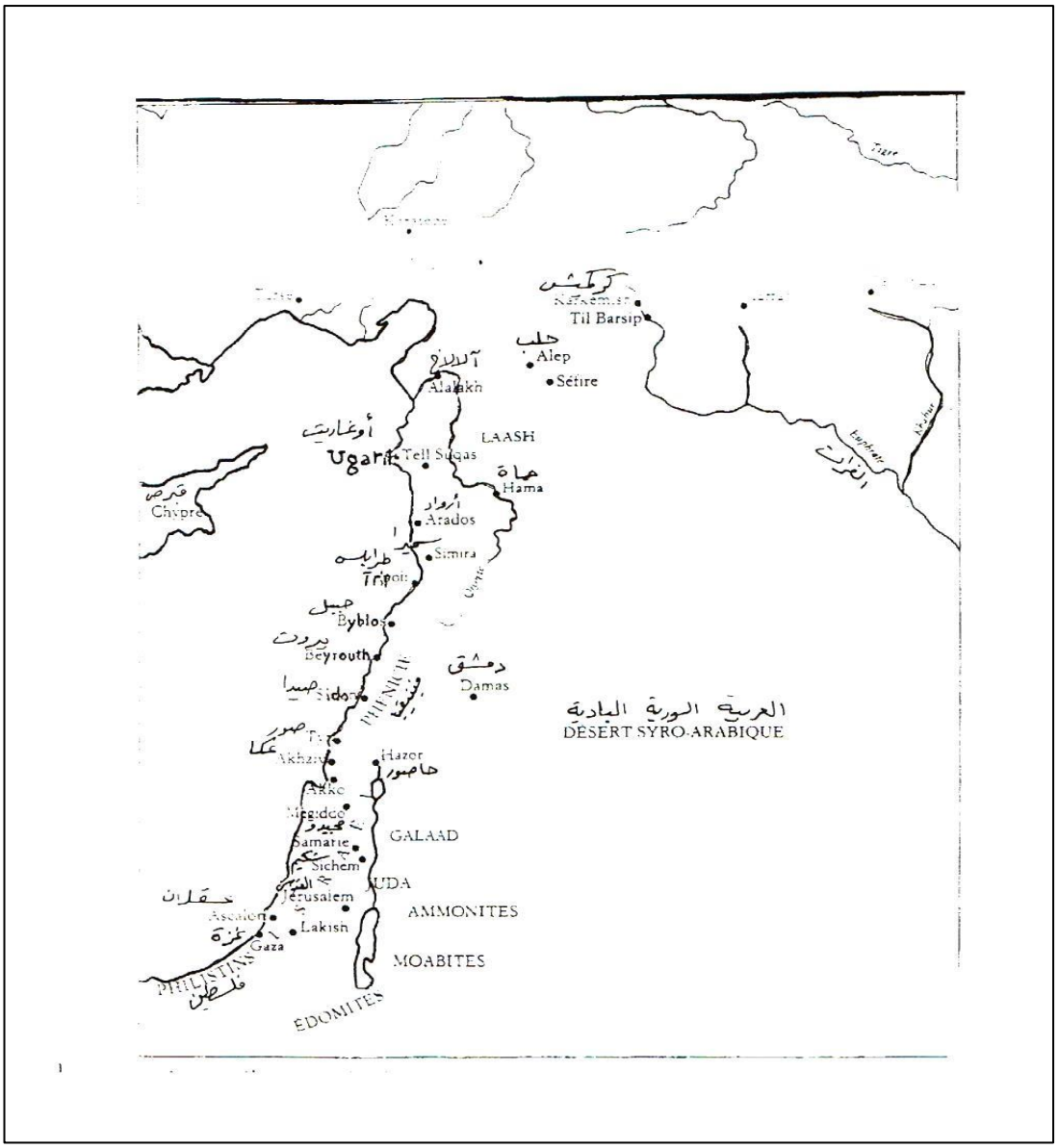

خريطة (2)

المدن الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط

Sabatino Moscati :Les Phéniciens,p39

خريطة (3)

مناطق انتشار المستوطنات الفينيقية

http;\\ www.wakra.net\finiqion.htm

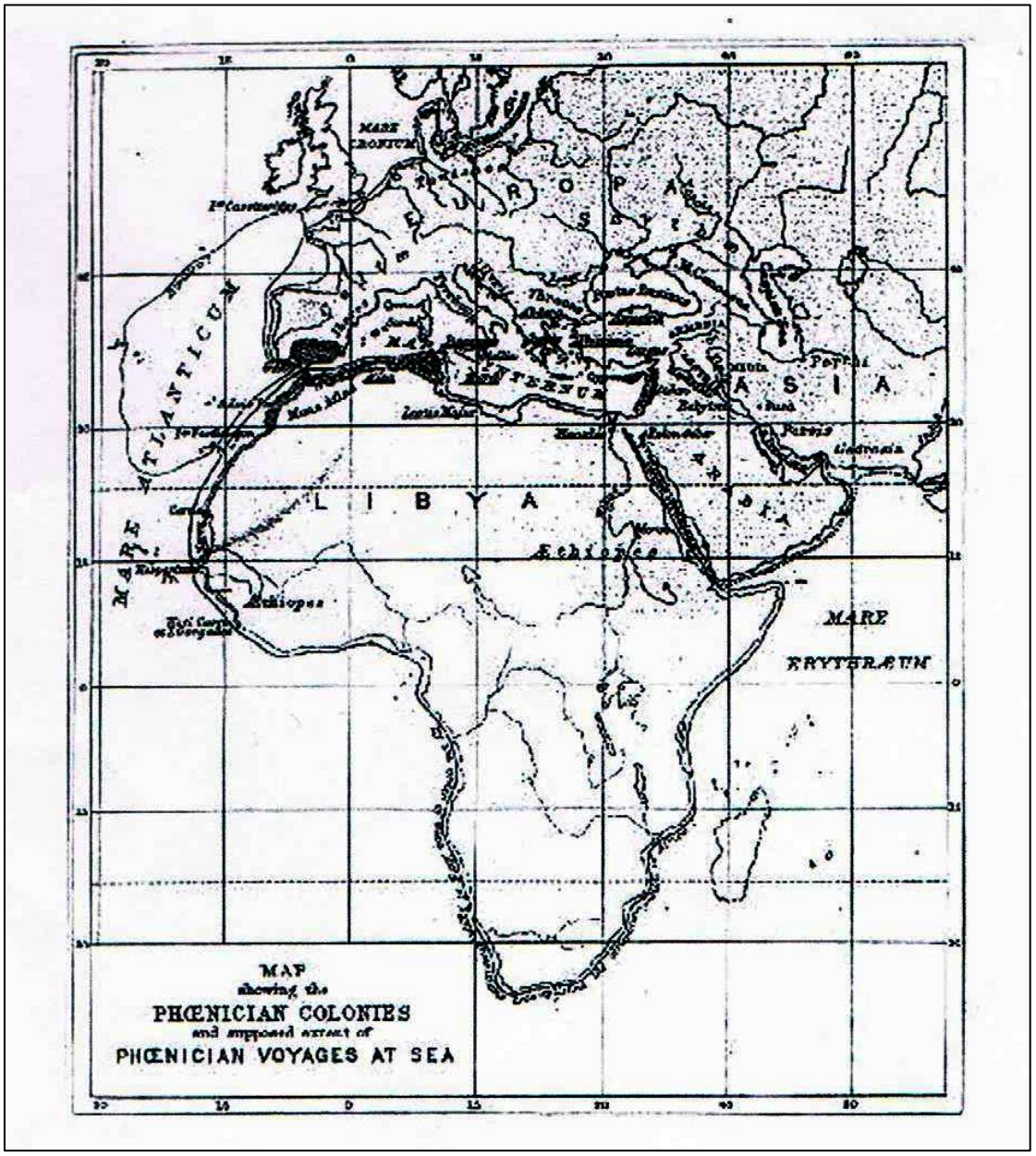

خريطة (4)

خريطة خط سير الرحلات الفينيقية

http:// www.d- alyasmen.com\alhalm

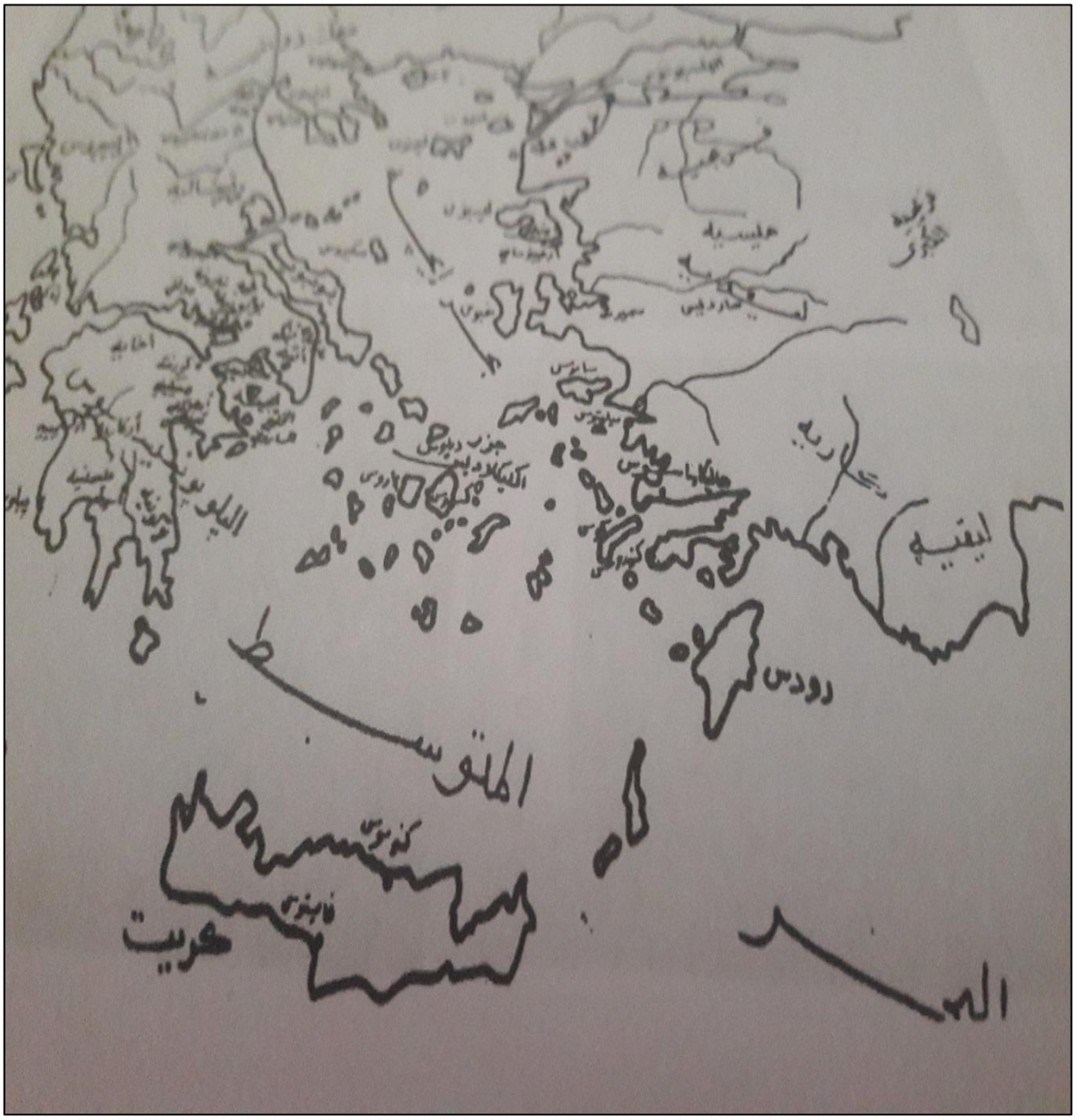

خريطة(5)

بلاد الإغريق والعالم الإيجي

Gustave Glotz, The Aegean Civilization (London: Kegan paul,1925 p 3.

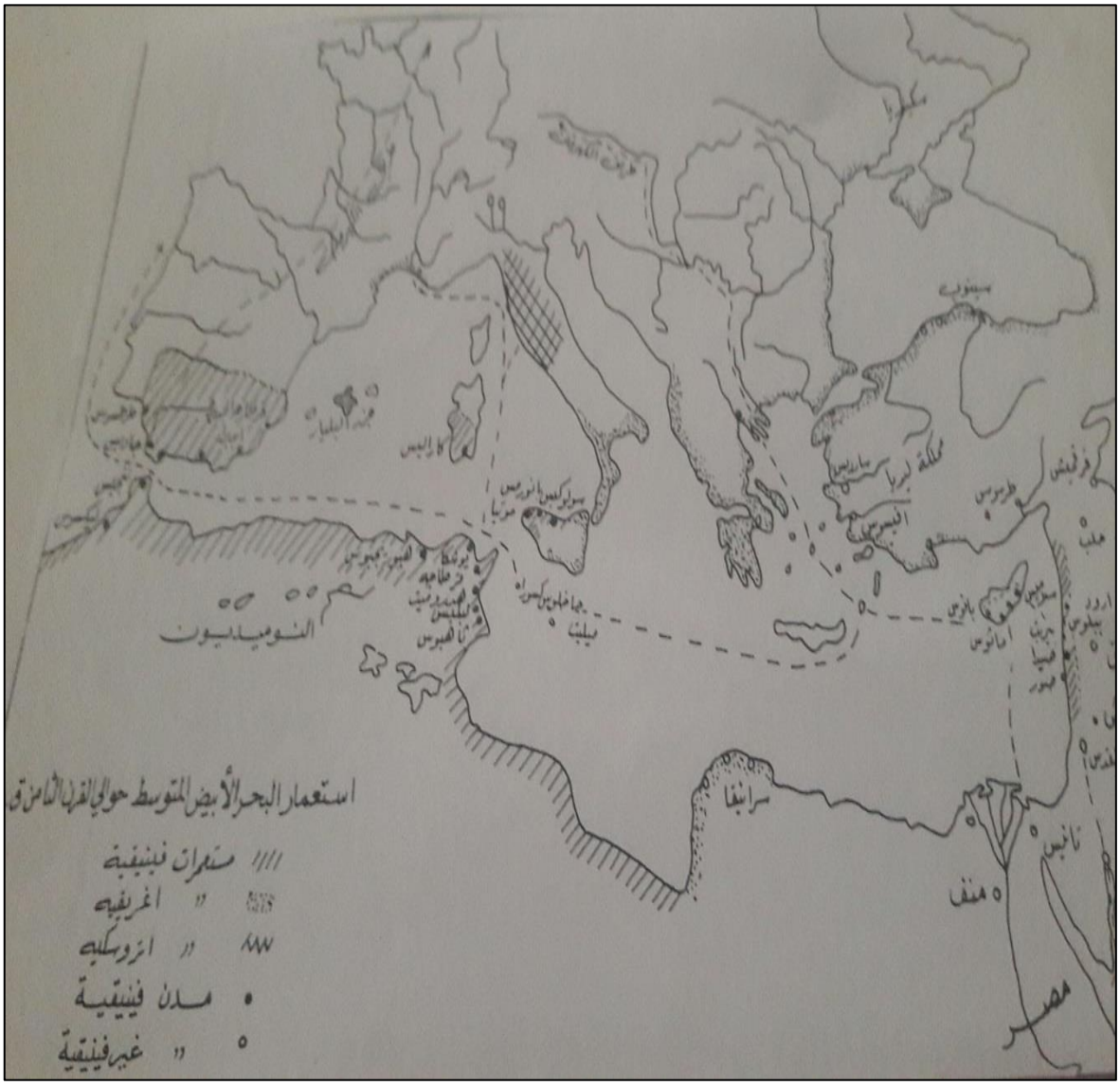

خريطة (6)

المستعمرات الفينيقية والإغريقية في حوض البحر المتوسط

محمد السيد غلاب : الساحل الفينيقي وظهيره، ص 469

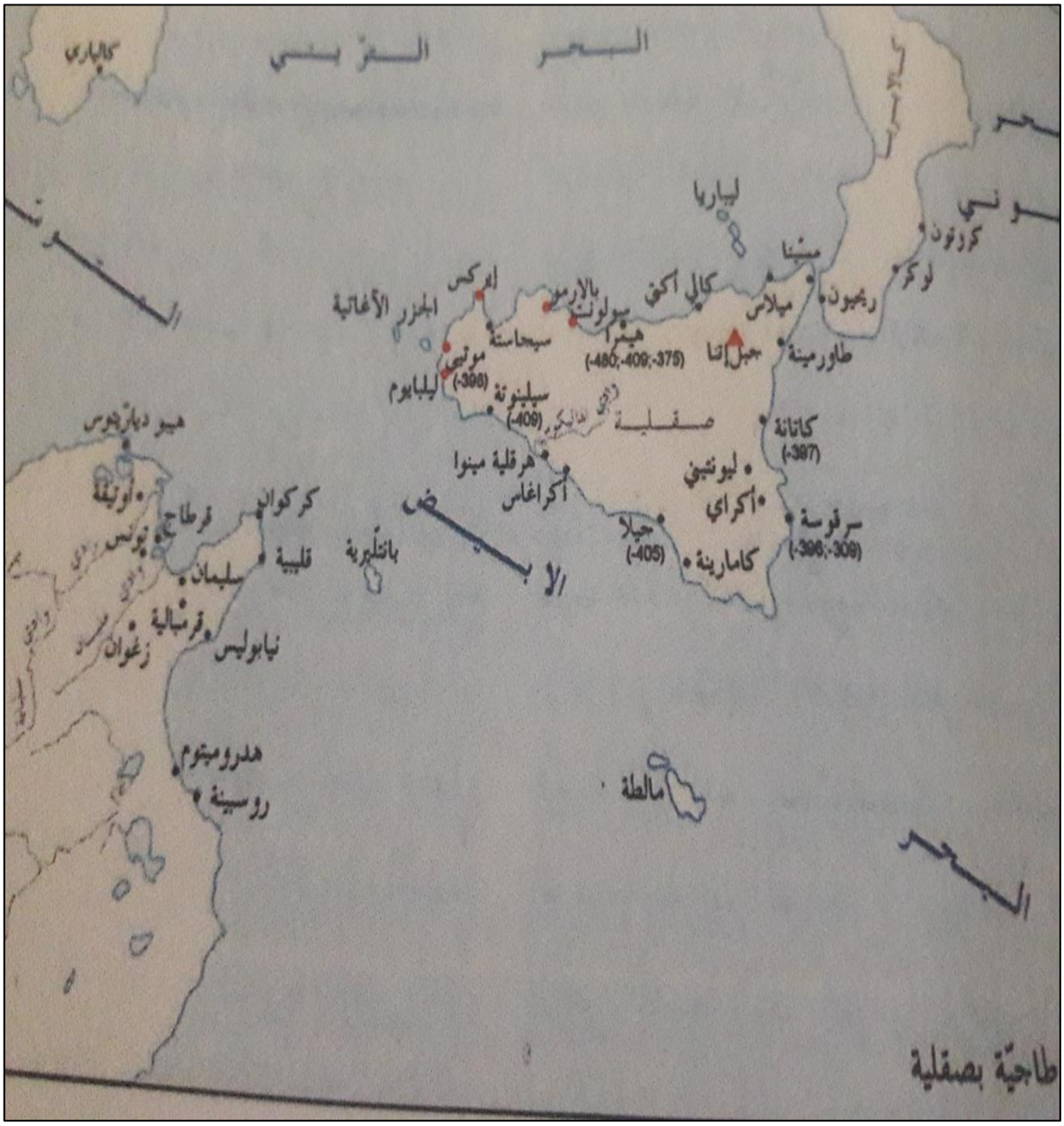

خريطة (7)

الوجود الفينيقي والإغريقي في صقلية

عادل عمران زايد :التواجد القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ص330

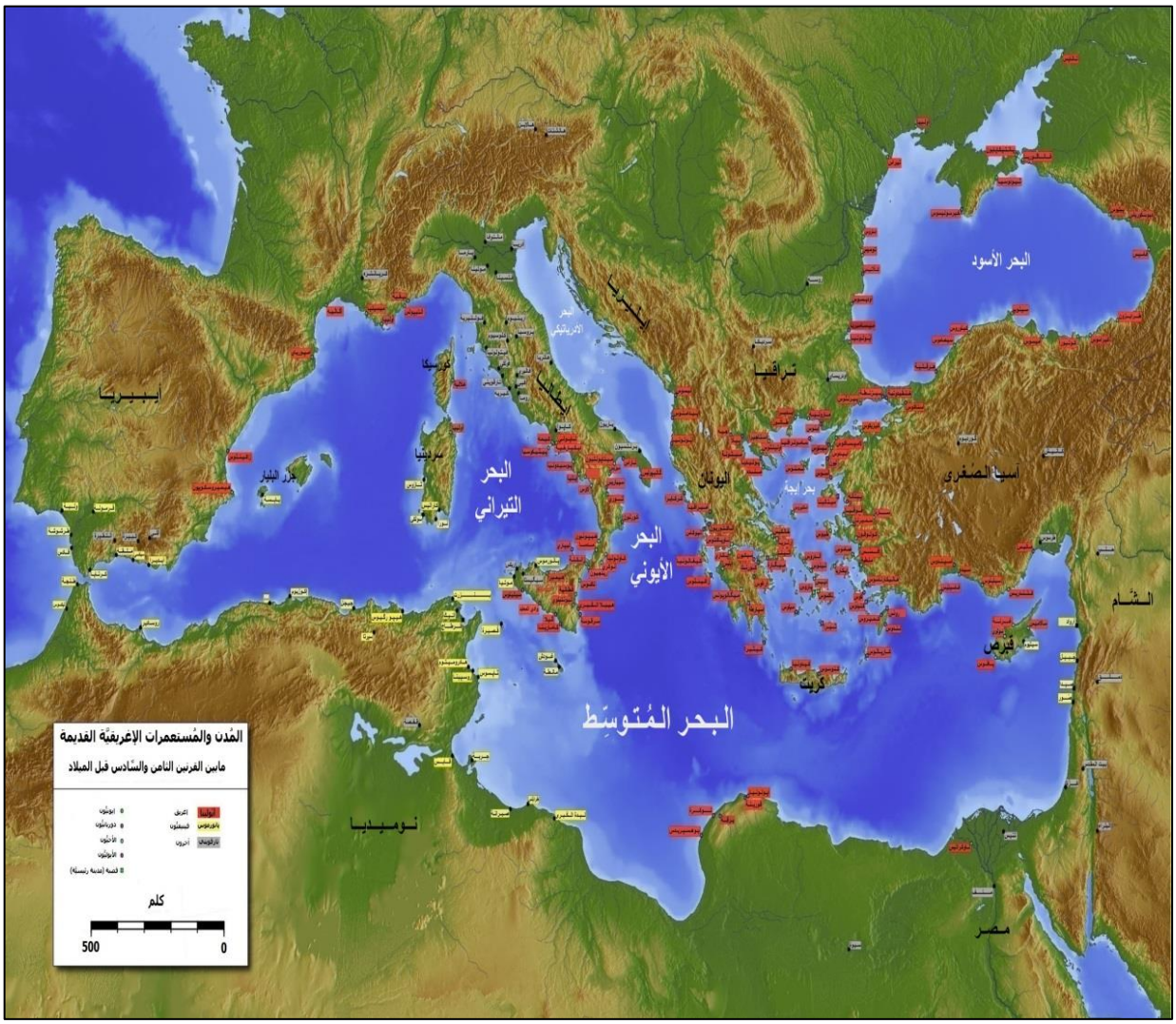

خريطة (8)

المدن والمستعمرات الإغريقية القديمة مابين القرنين الثامن والسادس ق.م

https://ar.wikipedia.org/wiki اليونان القديمة

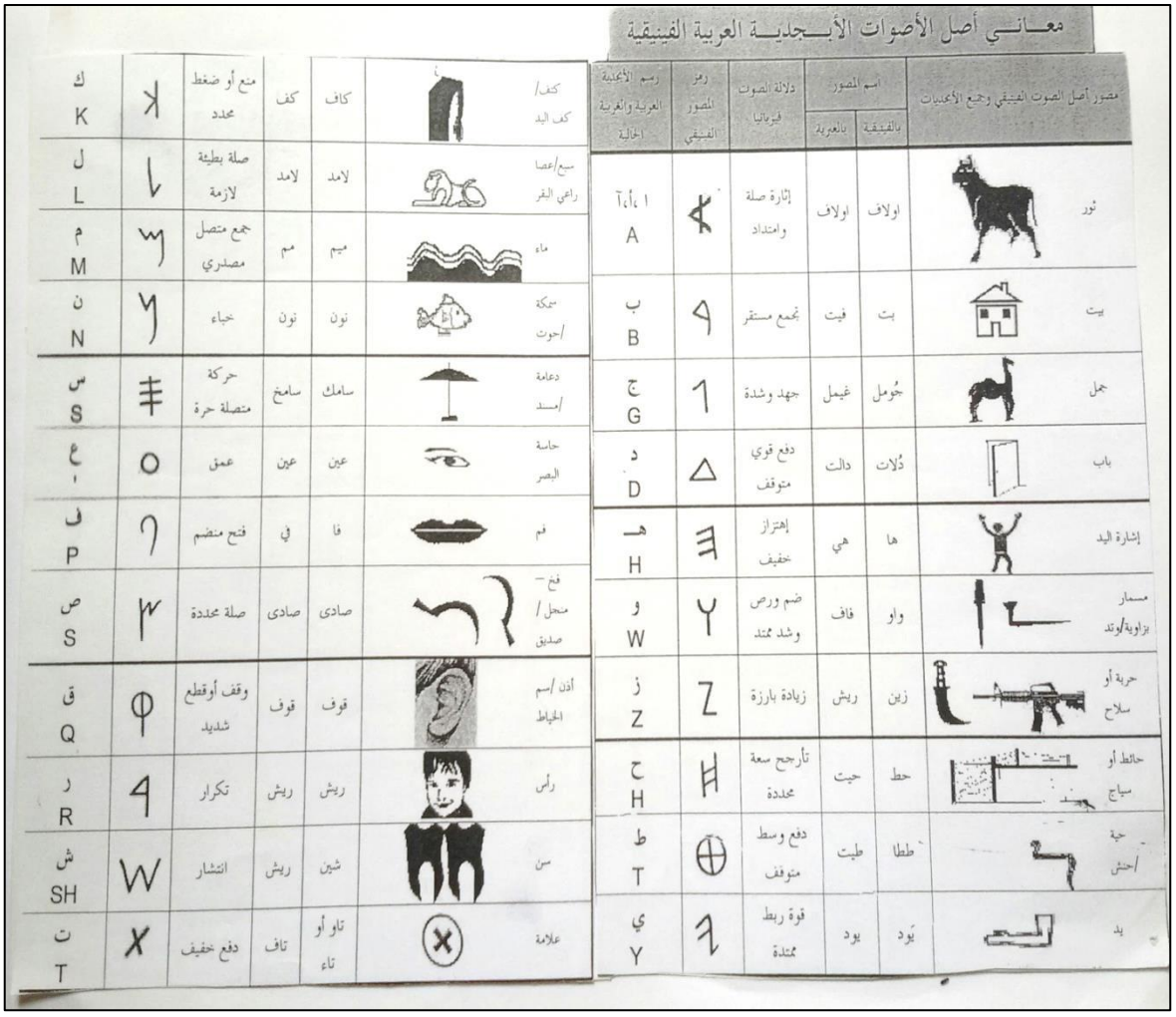

جدول (1)

معاني أصوات الأبجدية الفينيقية

محمد هيثم إسلامبولي : الأبجدية صوت العلم والوعي ، ص 54–55

الأبجدية الفينيقية

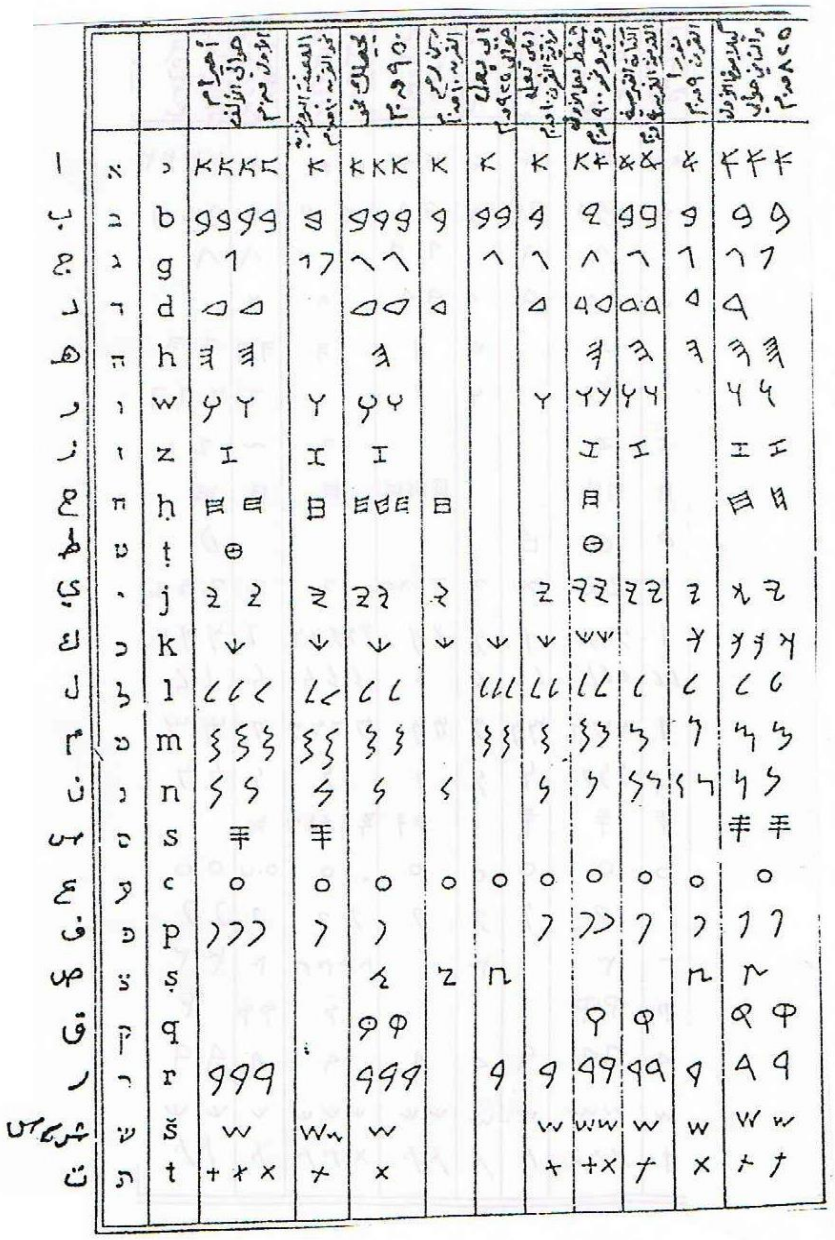

جدول (2)

مراحل تطور الأبجدية الفينيقية-أ-

أحمد حامدة: مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ص21

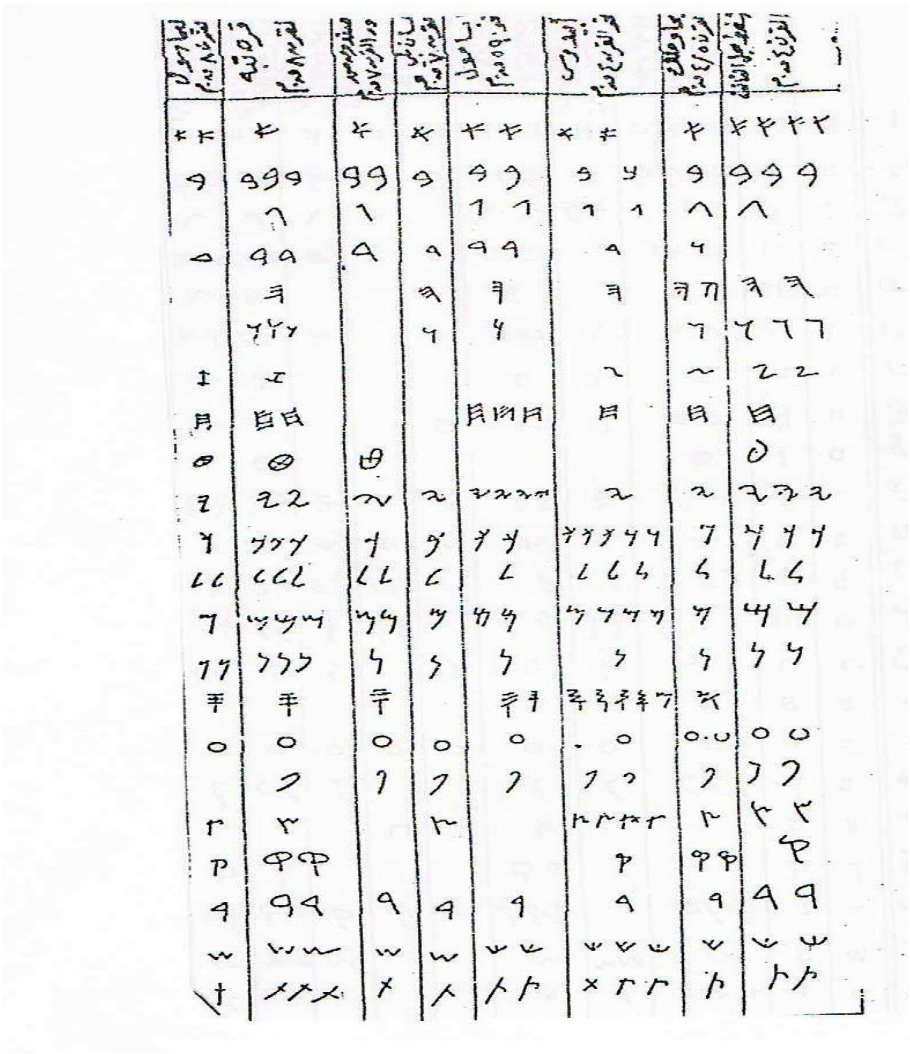

جدول (3)

تطور الأبجدية الفينيقية-ب-

أحمد حامدة: مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ص21

البونية الحديثة

رموز نيبتس مع ميلاد المسيح تقريباً	رموز حضرمية القرن 2-1 ق.م	رموز أخرى القرن 2-1 ق.م و1-2 م

جدول(4)

البونية الحديثة

يوهانس فريدريش : تاريخ الكتابة ، ص 333

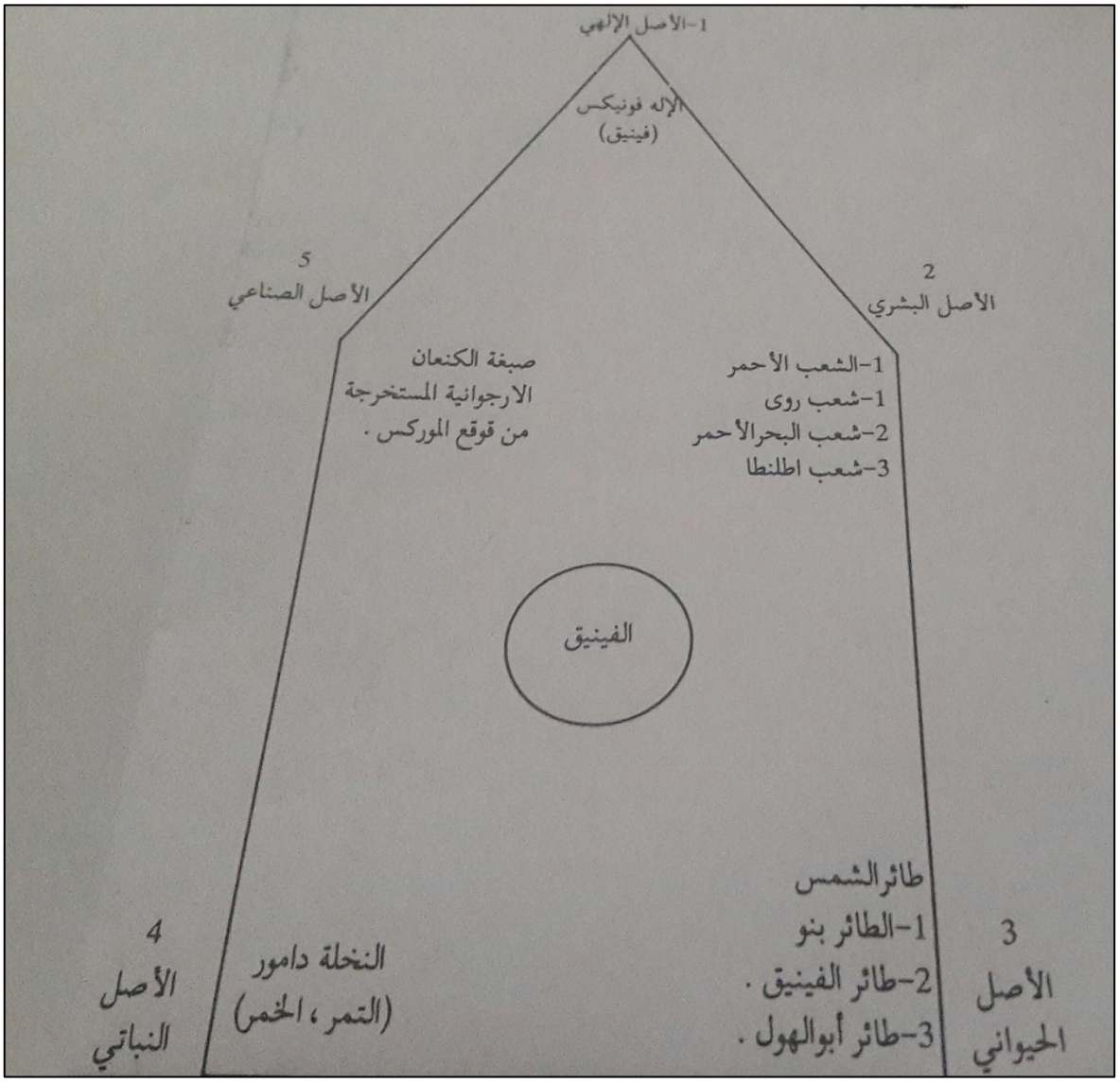

شكل (1)

الأصول الخمسة لاشتقاق كلمة فينيق

خزعل الماجدي : المعتقدات الكنعانية ،ص 208

شكل (2)

ناووس النائحات في صيدا

شكل (3)

تابوت النسب الذهبية

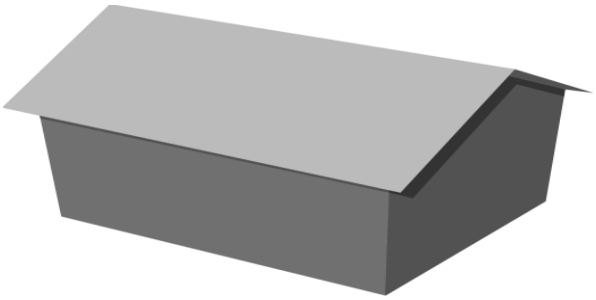

شكل (4)

سقف الجملون

https://ar.wikipedia.org

شكل (5)

تابوت احيرام

Sabatino Moscati: Les Phenicien,p 20

شكل (6)

أقنعة فينيقية ذات تأثير إغريقي

Sabatino Moscati: Les Phenicien,p 65

شكل (7)

أقنعة إغريقية للمسرح الإغريقي

https://sites.google.com

شكل (8)
أصداف الموريكس http://sadasaida.com

شكل (9)

حلة فينيقية اتخذها الإغريق لباساً

جيمس هنري برستد : العصور القديمة ، ص 298

شكل (10)

آنية من الزجاج الفينيقي تدل على براعة الفينيقيين في هذه الصناعة

لبيب عبد الساتر : الحضارات ، ص 99

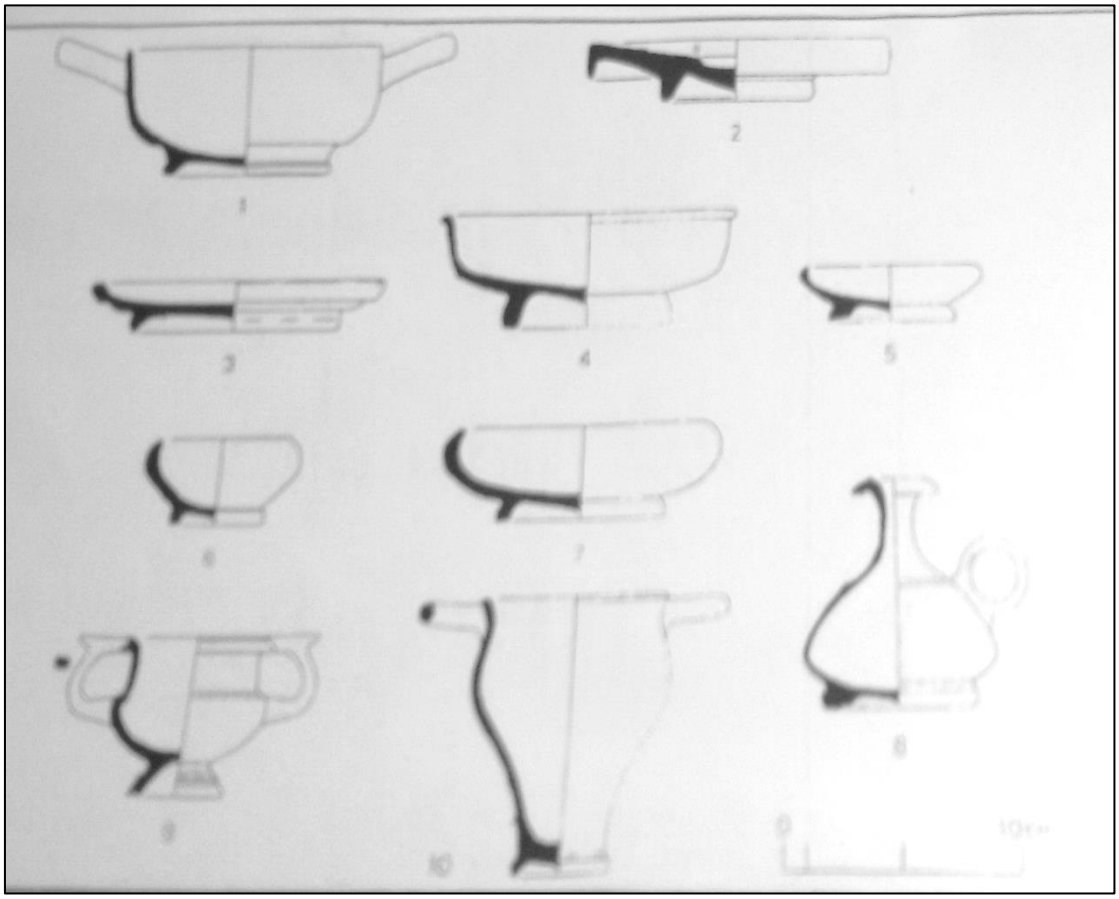

شكل (11)

نماذج من الفخار الأتيكي ذي الطلاء الأسود الأكثر تداولاً في قرطاج

J.P;MOREL: Actes du IIIéme congrés des Etudes Phéniciennes et puniques , Tunis,1995,p272

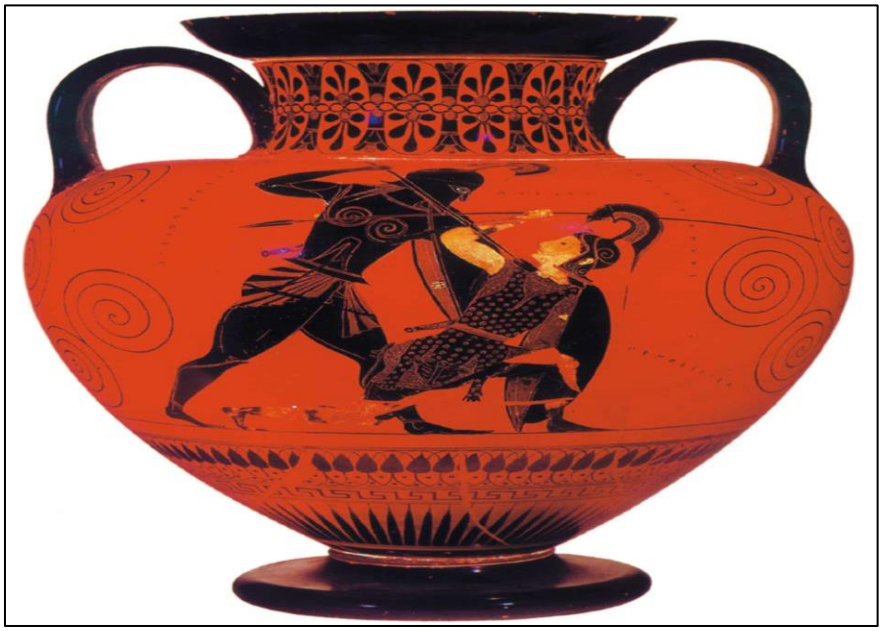

شكل (12)

مزهرية أخيل وبنثيسيليا من طراز صور الأشكال الحمراء

فن الخزف والخزافة https://www.arab-

شكل (13)

أمفورا أتيكية من طراز الصور الحمراء للتعبير عن البيداجوج

مصطفى زايد : التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية ،ص 408

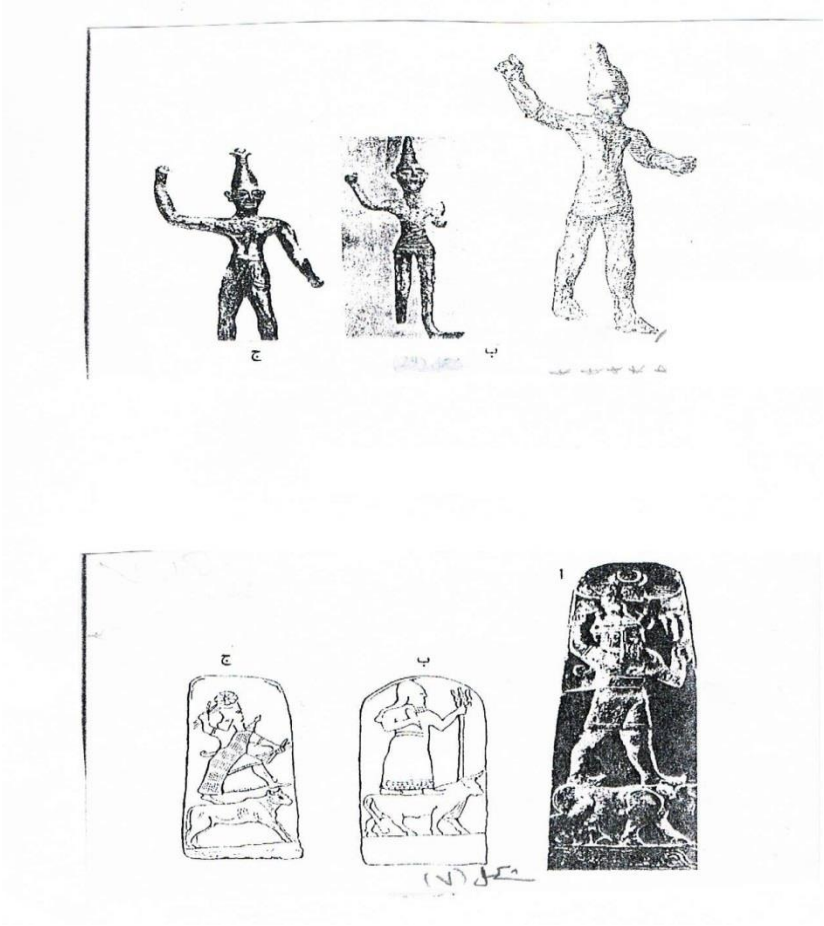

شكل (14)

تماثيل للإله بعل في أوجاريت

C.Shaeffer,Les Fouilles De Ras Shamra –Ugarit .Septiéme champagne 1935,Syria,T17,fascicule2,1936,p147

شكل (15)

نقود فينيقية نحت عليها سفن فينيقية

كارلها ينز برنهردت : لبنان القديم ، ص 170

شكل (16)

العملة الأثينية التي تصور رأس أثينة على وجه ورمزها البومة على الوجه الآخر

https://ar.wikipedia.org/wiki اليونان القديمة

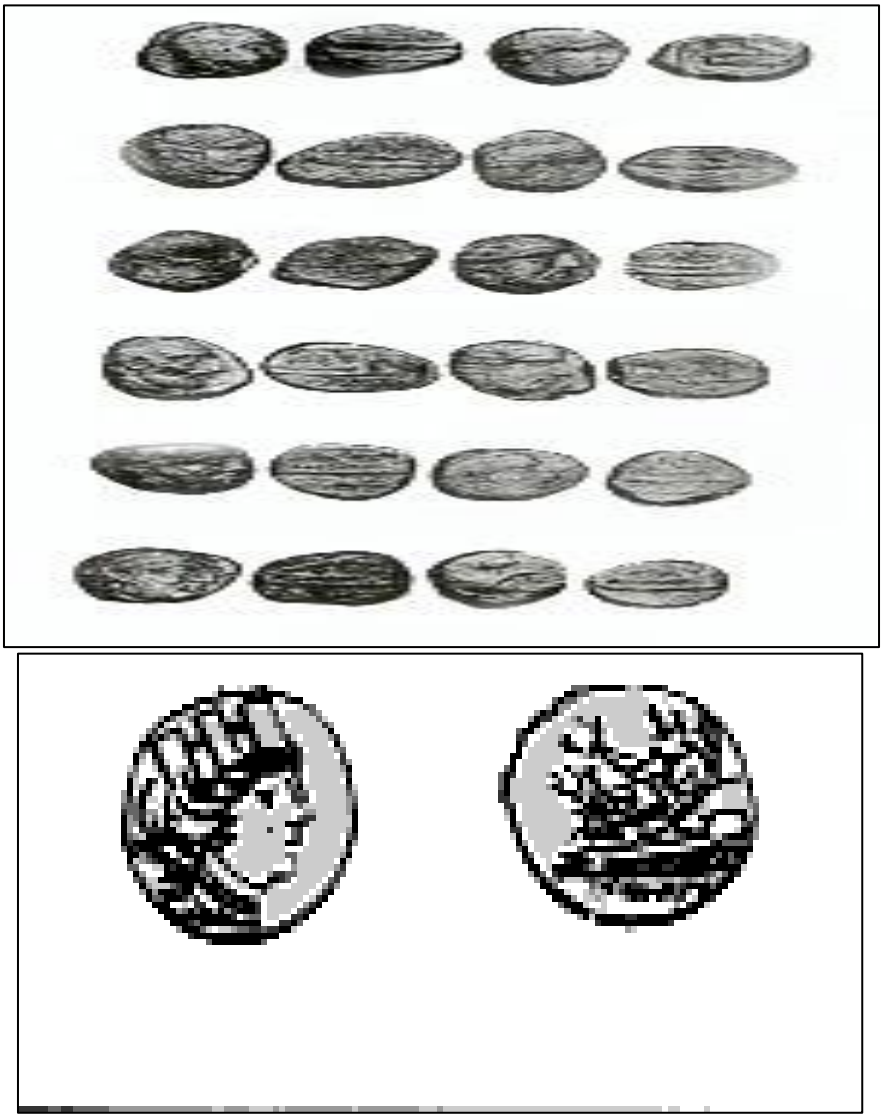

شكل(17)

نقود أروادية من الفترة السلوقية

http://www.syriangate.com

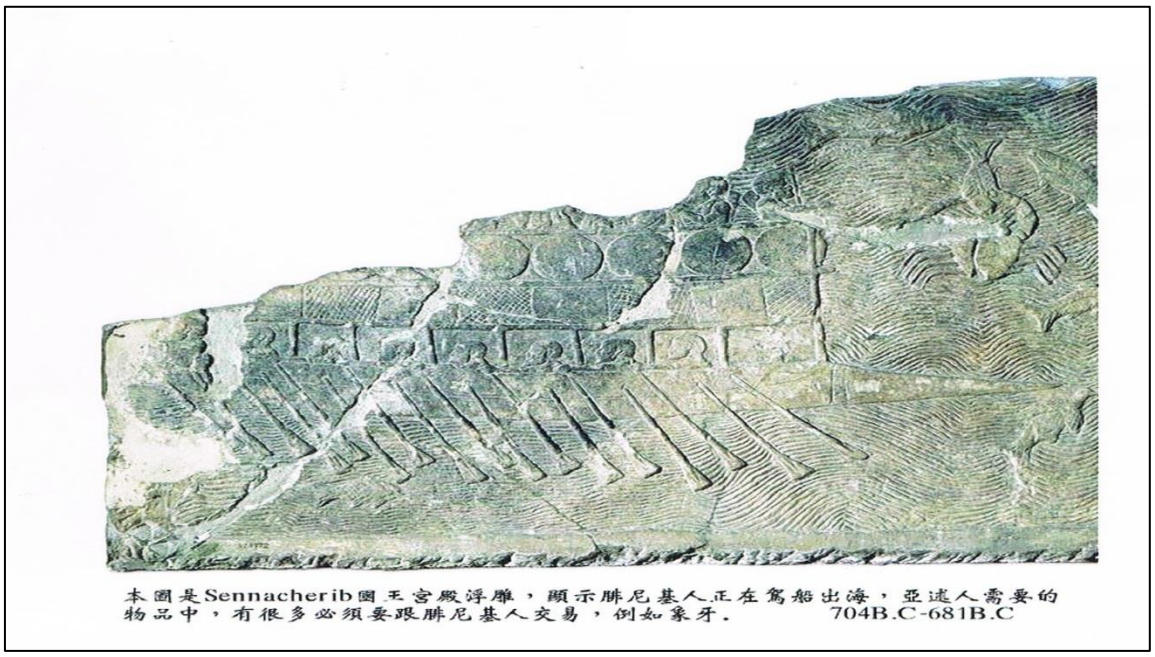

شكل (18)

سفينة فينيقية ذات السطحين 705– 686ق .م

ليونيل كاسيون : رواد البحار ، ص 121

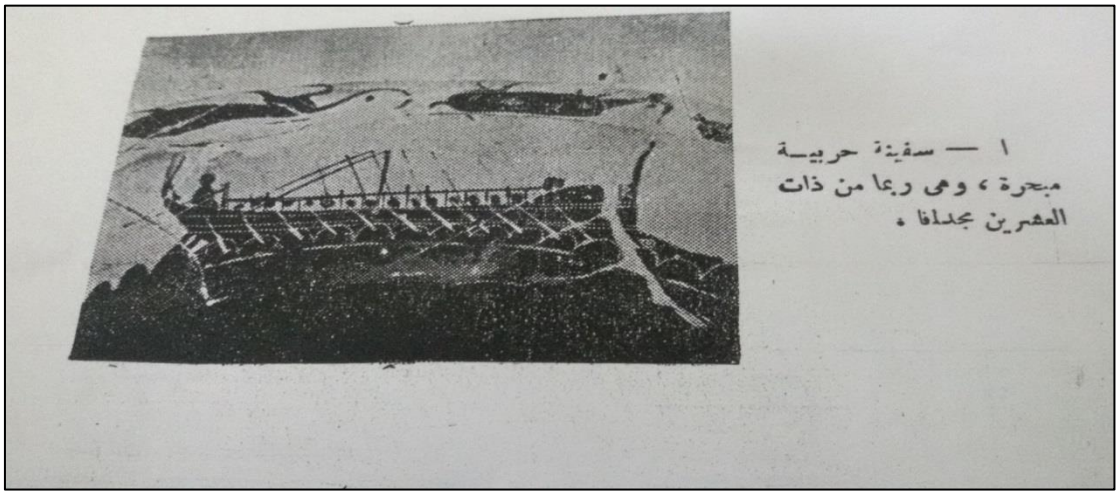

شكل (19)

سفينة حربية إغريقية من الفترة 600– 500 ق .م

المرجع نفسه، ص 120

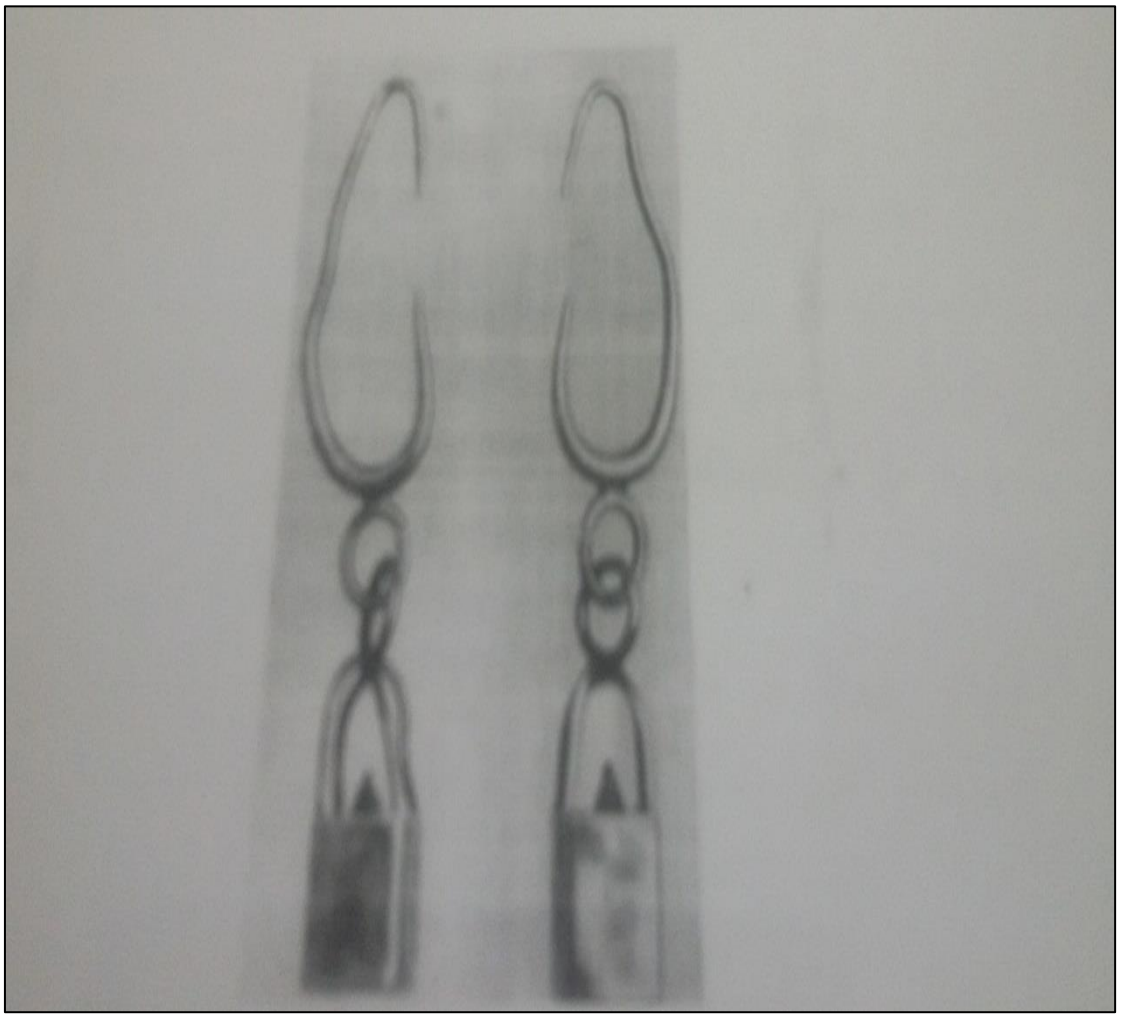

شكل (20)

زوج أقراط من الذهب الخالص عثر عليه في أوجايت

ميسر فتال يبرودي ،دليل متحف فن الشرق القديم في متحف دمشق الوطني ، ص 22

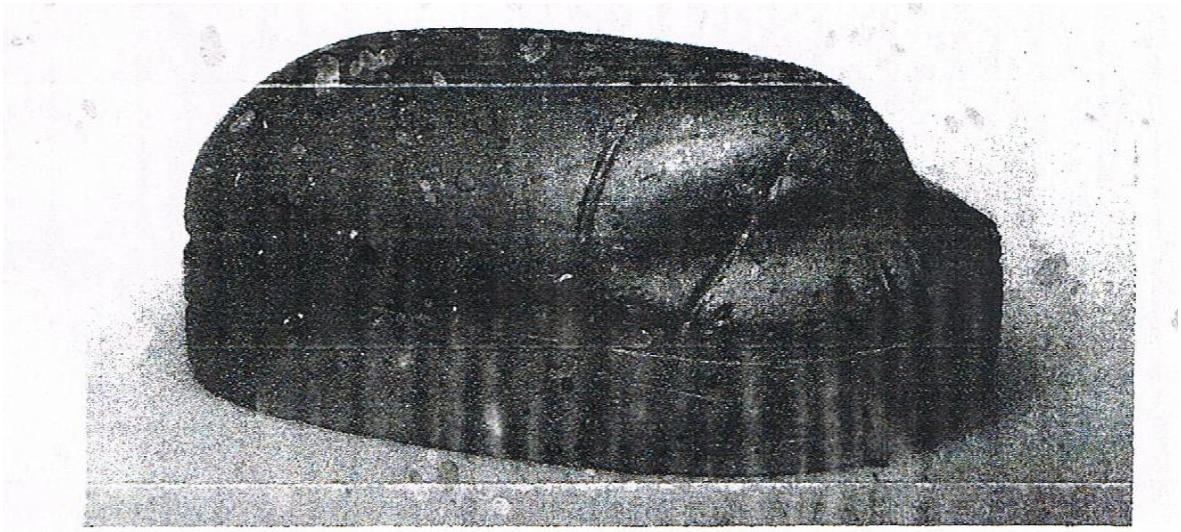

Scarabée de jaspe vert inscrit, côté droit.

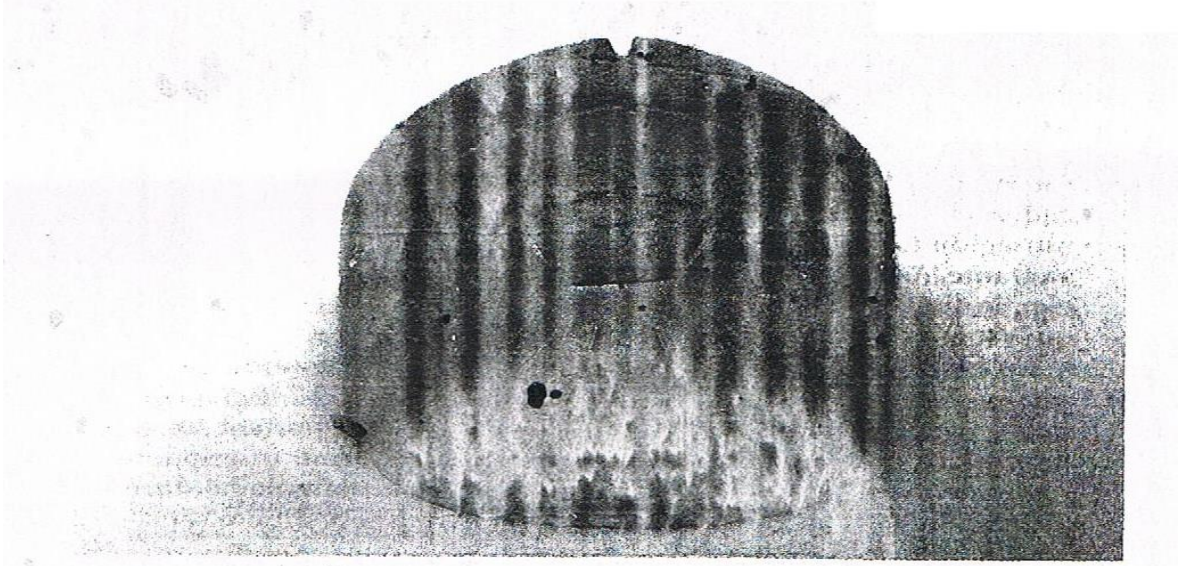

Scarabée de jaspe vert inscrit, avant.

شكل (21)

جعران منقوش من الأمام

Bordruil ,Astarte , la dame de Bybaos

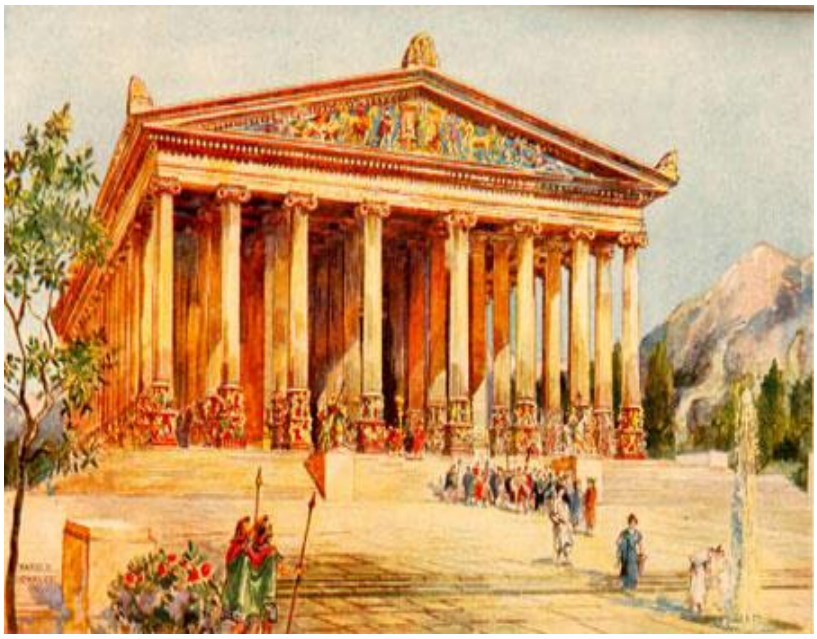

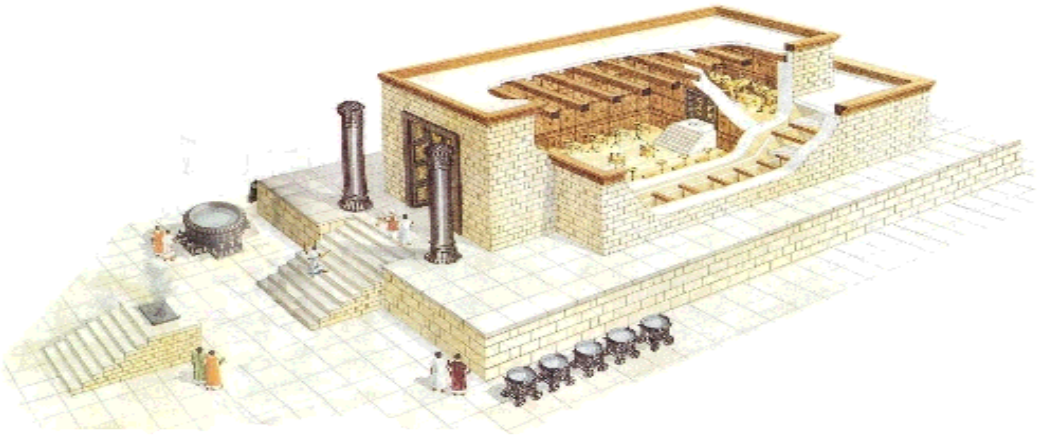

شكل (22)

معبد سليمان

Les premiéres civilization ,v1,France,1997,

شكل (23)

مبنى البارثنون

ثروت عكاشة : الفن الإغريقي ، ص 232

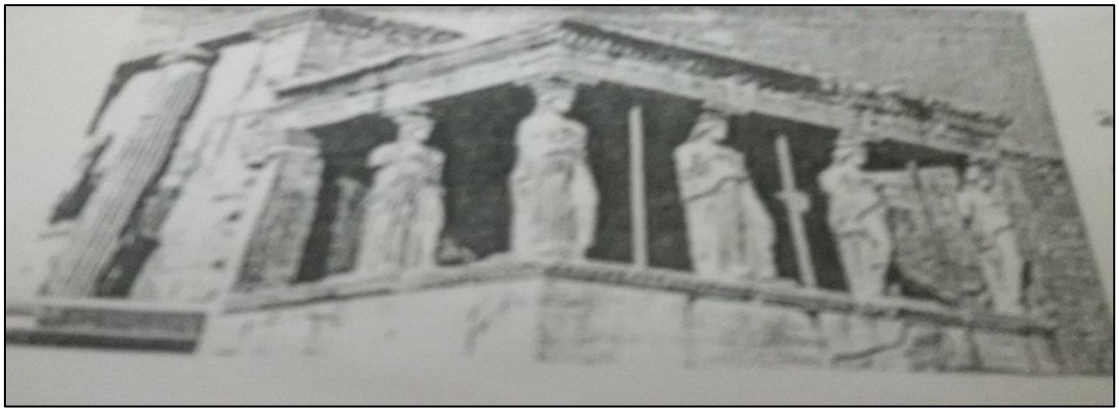

شكل (24)

الواجهة الجنوبية لمعبد الإرخثيوم حيث الفتيات يظهرن كأعمدة آدمية

ثروت عكاشة : الفن الإغريقي، ص 239

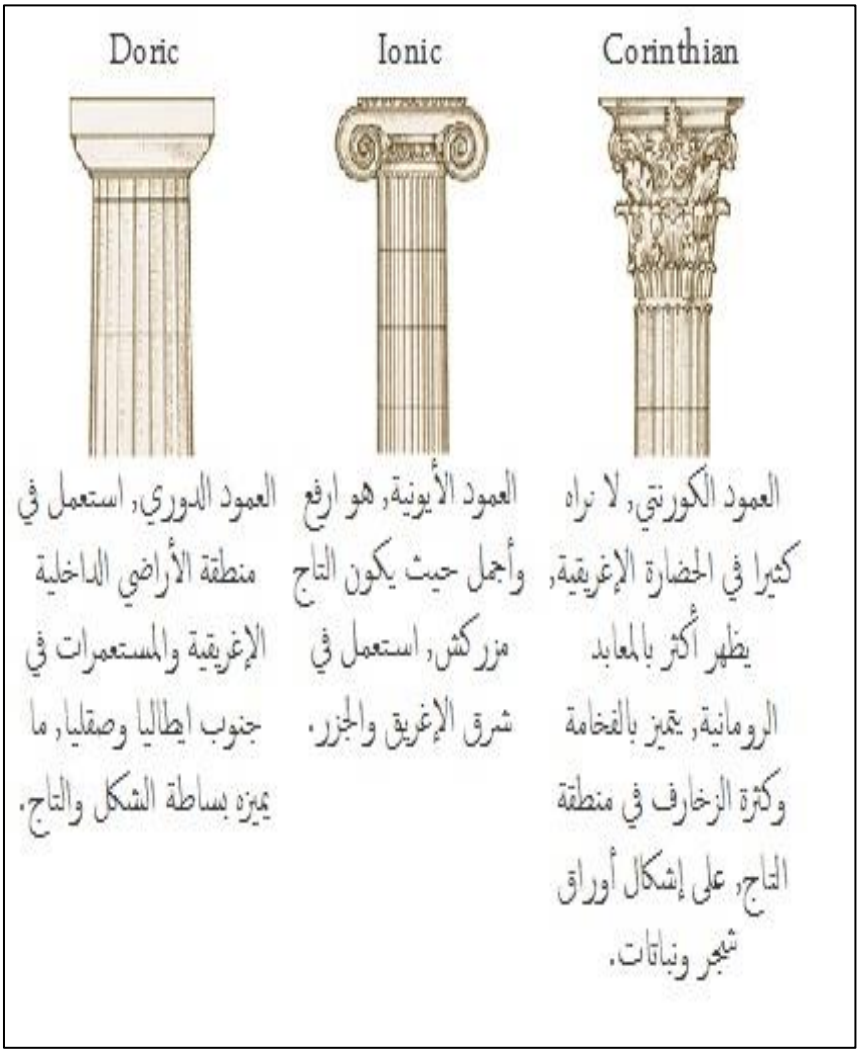

شكل (25)

الأعمدة الإغريقية

عفيف بهنسي : تاريخ الفن والعمارة ، ص 187

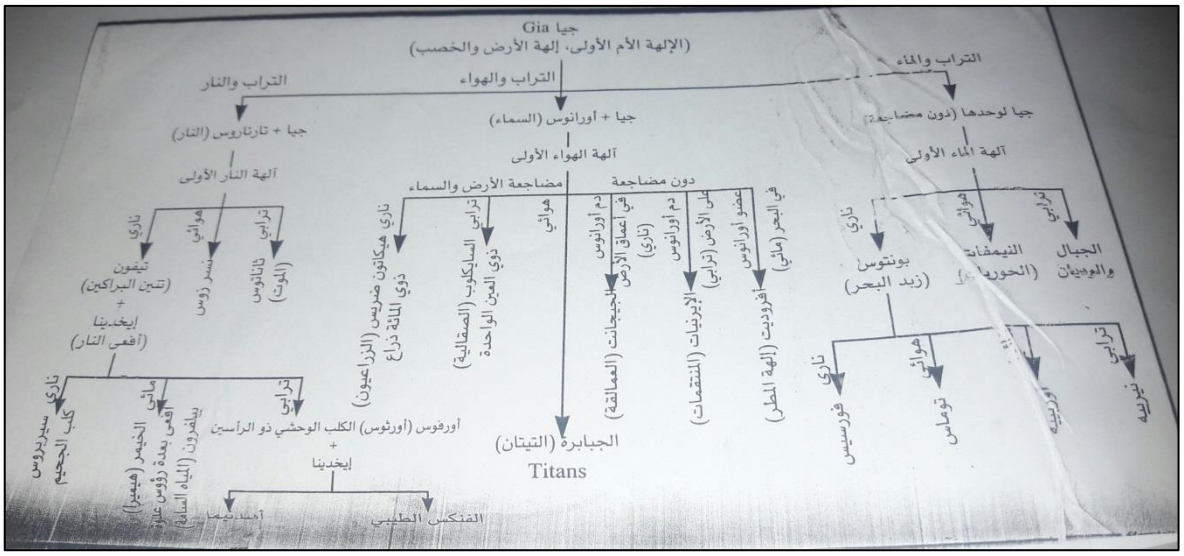

شكل (26)

مخطط آلهة الكون والعناصر الأربعة

خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية ، ص 186

شكل (27)

تمثال أفروديت : متحف اللوفر

خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية ، ص 191

شكل (28)

تمثال بوسيدون /أثينة .المتحف الوطني

خزعل الماجدي : المعتقدات الإغريقية ، ص 239

شكل (29)

ديميتر جالسة تحمل ثلاث حزم من الذرة ،وبرسفوني تعود إلى أمها في الربيع تحمل مشعلين ملتهبين

المرجع نفسه: ص 228

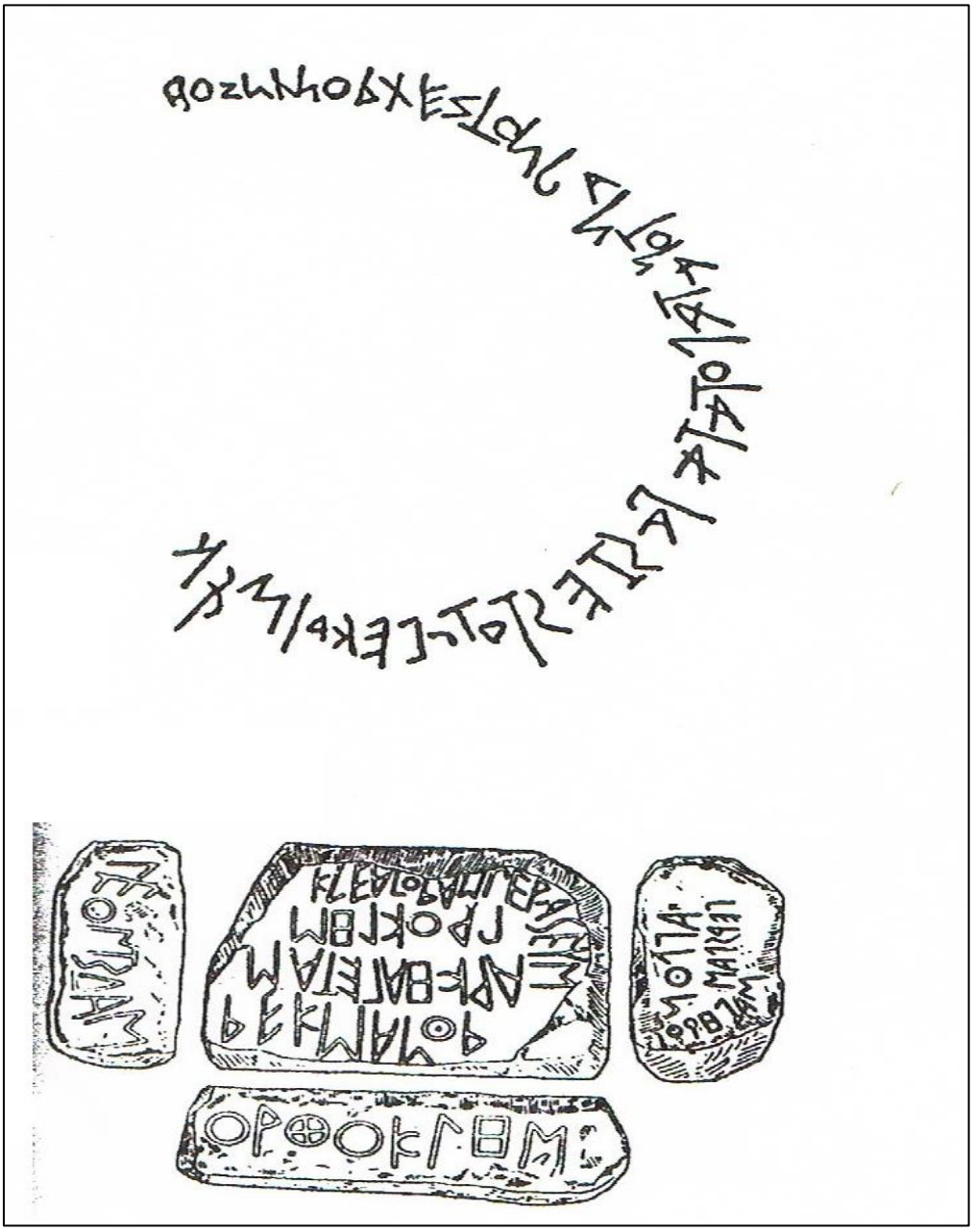

شكل (30)

إبريق دبلون الأثيني ويضم أقدم أثر كتابي إغريقي يعود للقرن الثامن قبل الميلاد ونقش على قبر عثر عليه في تيرا الإغريقية يعود للقن السابع عليه كتابة تشبه الفينيقية

أحمد ارحيم هبو : نشأة الكتابة ، ص. 188

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

The Mutual Cultural Effects between the Phoenician and Greek Cultures (Art- Religion – Language & Thought) Within the first thousand 64-1000 B CE

A Thesis is prepared to obtain the PhD in Ancient History

Prepared by Student:
Rafah Mohammad Tahseen Alboshi ALdabbagh
Supervisor :
Prof. : Khalil Sarah

2017AD//1437H

ملخص البحث باللغة الإنكليزية

Research Summary in English Language

Research Summary in English Language
The Mutual Cultural Effects between the Phoenician and Greek Cultures (Art- Religion – Language & Thought) Within the first thousand 64-1000 B CE

The communication among the cultures is a fact , Each culture took from its latest one and develop it , The relationship and meeting among the various cultures performs unavoidably true , So the Cultural meeting between the Phoenicians and Greeks in Phoenician or Greek Cities was normal , It hadn't been a total emerging between two mentioned cultures at all, The mutual effect between the two cultures is a mean of interaction and exchanging of cultures and benefits , This meeting provides a distinctive cultural production for each Country .

The Phoenician Art has an insightful effect on developing the Greek Art that starting to become better than it later , The Phoenicians were skillful in Art as they were Greeks ' professors in other Intellectual and cultural fields , Whereas The characteristic of Greeks in Art Branches is an excerpt from what are appropriate to them , Then transfer it to new creation. In contrast , We can find out that the Poinciana Art wasn't abstract Phoenician in order of its subject and distillation, It excerpts a lot from Greek .

As a result of Phoenician spreading in the western of Mediterranean Sea , the Phoenicians were spreading their doctrines and Religious rituals .

After the Greek expansion in Mediterranean Sea , the competition beginning to govern the Trade Roads and building the Colonies , It is noticed the mutual effect in the Religious field ; there were many Phoenician Gods that were worshipped in Greek Countries. In the other

hand , the Phoenicians accepted Greek ‘s Religion and Culture , treating in lovely and respectfully .Whereas we find out that Phoenician is considered the cradle of civilization that all foreign affects and effects were gathered .

The Humanity is grateful to Phoenician for its wonderful cultural Achievement ; the Alphabetical discovering , The Alphabetical is considered as the greatest cultural production that provided to Humanity, the most important field that clarifies the effect of Greek heritage is Philosophy , As it is known that the Greek science itself was a result of Philosophical think that reflects the Greek ‘s extreme desire to study the Nature and the Huaman ‘s Knowledge .

There is no doubts that the Phoenicians contributed in Culture ‘s Spreading in Mediterranean sea . In the other hand , We admit with the Greek ‘s greatness as they could transfer whatever they saw and think from the Phoenician heritage and transfer these support affects to something that similar to their heritage , they could criticize this and that step by step till they could finally exceed this stage and start a distinctive new stage.